

المركز القومى للترجمة

الإسكندرية الروسية

قدر المهاجرين فى مصر

تأليف: جينادى فاسيليفيتش جارياتشكين

ترجمة: على فهمى عبد السلام

2174



لقد اجتذب موضوع الهجرة الروسية انتباه الباحثين الروس حتى نهاية ثمانينيات القرن الماضي، ولكن لم يكن مسموحاً به. وبعد اهتمام المجتمع الروسي بهذا الماضي الممنوع وقيام رئيس روسيا الاتحادية (ف.ف.بوتين) بزيارة مقابر المهاجرين البيض: "سانت جنيف دى بوا" بضواحي باريس، سمحت السلطات الروسية لممثلي الهيئات الأرشيفية، والمكتبات، والباحثين الروس ببحث هذا الموضوع الممنوع.

يقدم هذا العمل- الذي بين أيدينا- دراسة عميقة قيمة لنشأة الجالية الروسية فى مصر، والظروف التي أدت إلى نشأتها، وطريقة حياتها فى الإسكندرية، والدور الذي لعبته في الحياة الثقافية والسياسية بالعاصمة الشمالية وبمصر عامة، كما أن المؤلف لم يكتف بذلك، بل قدم عرضا تحليليا شيقا للجاليات الأخرى التي عاشت في الإسكندرية وقارنها بالجالية الروسية، وحدد موقع الأخيرة بينها، وتفاعل هذه الجاليات مع بعضها، وقد ساعده على ذلك إجادته التامة للغة العربية، وعمله الطويل بمصر وبالإسكندرية بصفة خاصة، وقدراته بوصفه أكاديميا خبيراً فى البحث والاطلاع.

الإسكندرية الروسية

قدر المهاجرين في مصر

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2174
- الإسكندرية الروسية: قدر المهاجرين فى مصر
- جينادى فاسيليفيتش جاريانشكين
- على فهمى عبد السلام
- اللغة: الروسية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

РУССКАЯ АЛЕКСАНДРИЯ
Судьбы эмиграции в Египте
Г.В. Горячкин

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الإسكندرية الروسية

قدر المهاجرين في مصر

تأليف: جينادي فاسيليفيتش جارياتشكين
ترجمة: علي فهمي عبد السلام



2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جاريانشكين، جينادى فاسيليفيتش.
الإسكندرية الروسية: قدر المهاجرين فى مصر/ تأليف: جينادي فاسيليفيتش جاريانشكين، ترجمة: على فيهمي عبد السلام
ط ١، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٤
٤٨٠ ص، ٢٤ سم
١ - الأقليات مصر
٢ - مصر - الهجرات
(أ) على فيهمي عبد السلام (مترجمة)
(ب) العنوان ٣٢٣,١٠٩٦٢

رقم الإيداع ٥٧١٨ / ٢٠١٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N- 978- 977- 216 -516 - 7

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هى اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

تقديم المترجم

بـــدأ العمـــل فـــي إنشاء مدينة الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر سنة ٣١ ق.م، عن طريق ردم جزء من المياه يفصل بين جزيرة ممتدة أمام الساحل تسمى "فاروس" بها ميناء عميق، وقرية صغيرة تسمى "راكتوس" أوراقورة يحيط بها مجموعة من القرى الصغيرة، وجعل منها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه عاصمة لمصر لما يقرب من الألف سنة حتى تم الفتح الإسلامي لمصر في عام ٦٤١م، بقيادة عمرو بن العاص.

لم يكن قرار الإسكندر بناء الإسكندرية في هذا المكان عفويًا، ولكنه كان مرتبطًا برؤية ثاقبة مرتبطة بالفائدة التي سوف تعود من ذلك؛ بسبب قربها من مقدونيا، وتمتعها بجو جميل، وتوفر المياه العذبة بها؛ فضلاً عن أنها مدخل سهل إلى النيل، وهو ما يمكنه من نشر الثقافة الهيلينية من هذا الموقع.

منذ قديم الزمان ضمت الإسكندرية خليطًا من الأجناس من جنود مقدونيين ثم رومان، وقساوسة مصريين، وبحارة فينيقيين، وتجار يهود فضلاً عن زوارها من الهنود والأفارقة؛ حيث مثلت بوتقة تنصهر فيها أجناس العالم كله، واشتهرت الإسكندرية في ذلك الوقت بالكم الغفير من العلماء والفلاسفة والشعراء الذين كان لهم فضل عظيم على التراث الإنساني؛ منهم على سبيل المثال: أشهر الفلاسفة الإغريق أفلاطون، وعالم الطبيعة والرياضيات أرشميدس، والشاعر والفيلسوف أبولونيـــوس روديـــوس، وهيروفيلوس، وعالم الرياضيات إقليدس، وعالم

الرياضيات والجغرافيا والفلك كلاوويوس بطليموس، وعالم الفلك والرياضيات مينيلوس السكندرى.. وكثيرون غيرهم، ولا ننسى ملكة مصر في العصر البطلمي "كليوباترا السابعة".

وفي العصر المسيحي ذاعت شهرة الإسكندرية بضمها العديد من أساتذة اللاهوت، ومنهم كليمنس وأوريجينيس، وأصبحت العاصمة الروحية للعالم المسيحي.

أما في العصر الإسلامي فقد كانت الإسكندرية أهم قاعدة بحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط، ثم مرت في العصر العثماني بفترة ركود لبضعة قرون، إلا أنها استقبلت جحافل الغزاة الفرنسيين الذين أثروا بشكل كبير على مستقبلها، وغيـــرهم. ومع ازديـــاد الجاليـــات الأجنبيـــة في مصر، وتفضيلها التمركز في الإسكندرية، نشطت عاصمة مصر الشمالية من جديد، فأصبحت تقوم بدور حضارى مستفيدة من هذا المزيج الهائل من السكان المماثل لما كانت عليه في العصر البطلمى، مما أفرز في العقود الحديثة العديد من الشخصيات التي تأثرت بهذا الخليط الحضارى فأبدعت الثقافة المصرية والعالمية وأثرها، ومنها على سبيل المثال: الموسيقار مجدد النهضة الموسيقية في مصر سيد درويش، والكاتب والأديب ورائد الرواية والأدب المسرحى توفيق الحكيم، والأديب عبد الله النديم، ومحرر المرأة قاسم أمين، والأديب والكاتب إدوار خراط، والكاتب الأمريكى أندريه أكيام، والمسرحى المصرى وأحد أعلام النهضة العربية الحديثة الشاعر بيرم التونسى، والنحات المصرى الأمريكى الشهير أبرام لاساو، ومصمم الأزياء العالمى جتن ديسين، وأشهر الشعراء اليونانيين في العصر الحديث قسطنطين كفاسيس.

ومن الأجانب الذين عاشوا في مصر ثم سافروا إلى الخارج: المغنى المصري العالمي من أصول يونانية ديميس روسوس، والفنان المغنى الفرنسي العالمي جورج موستاكى، وبالطبع الممثل الشهير ميشيل شلهوب (عمر الشريف).

ويقدم هذا العمل الذي بين أيدينا دراسة عميقة قيمة لنشأة الجالية الروسية في مصر، والظروف التي أدت إلى نشأتها وطريقة حياتها في الإسكندرية، والدور الذي لعبته في الحياة الثقافية والسياسية بالعاصمة الشمالية وبمصر عامة، كما أن المؤلف لم يكتف بذلك بل قدم عرضًا تحليليًا شيقًا للجاليات الأخرى التي عاشت في الإسكندرية- الفرنسية، والإنجليزية، واليونانية، والإيطالية، والسورية، واللبنانية، وغيرها- وقارنها بالجالية الروسية، وحدد موقع الأخيرة بينها، وتفاعل هذه الجاليات مع بعضها بعضا، وقد ساعده على ذلك إجادته التامة للغة العربية، وعمله الطويل بمصر وبالإسكندرية بصفة خاصة وقدراته باعتباره أكاديميًا خبيرًا في البحث والاطلاع.

ولا يفوتني قبل ختام هذا التقديم التوجه بالشكر للزميل والصديق أ.د. عادل سليمان عبد الخالق على ملاحظاته القيمة خلال عملي في ترجمة هذا المؤلف.

أ.د.علي فهمي عبد السلام

إلـــى سكان الإسكنـــدريـــة الـــروس

الذين على قيد الحيـــاة أو المتوفين

إلـــى الأطفـــــال والأحـــفـــاد.

مقدمة

يمكن اعتبار أن عدد الروس الذين وجدوا خارج حدود روسيا بعد ثورتي فبراير وأكتوبر والحرب الأهلية، والإجراءات التي اتخذها مجلس المفوضين الشعبيين السوفييتي الخاصة بطرد الفئة المثقفة من روسيا السوفييتية، على سبيل المثال، بواسطة "باخرة الفلسفة" – يمثل ٢,٥ مليون فرد، منهم ٦٠٠ ألف في الصين، و ٤٠٠ ألف في فرنسا، ومائة ألف في تركيا... إلخ[١].

لقد تم نشر الكثير من المؤلفات عن مراكز الموجة الأولى من الهجرة الروسية- "نيويورك الروسية"، "برلين الروسية"، "هاربين الروسية" وغيرها، كما ستكتب بالطبع في المستقبل مؤلفات أخرى تتحدث عن مراكز شتات الروس، يمكن أن تكون المواد المتوفرة لدينا أساسًا للحديث عن "الإسكندرية الروسية".

لقد اجتذب موضوع الهجرة الروسية انتباه الباحثين الروس حتى نهاية ثمانينيات القرن الماضي، ولكن لم يكن مسموحًا به[٢]. وفقط بعد الاهتمام الكبير للمجتمع الروسي بهذا الماضي الممنـوع[٣]، وقيـام رئيس روسيـا الاتحادية ف. ف. بوتين بزيارة مقابر المهاجرين البيض "سانت جنيف دى بوا" بضواحي باريس، سمحت السلطات الروسية لممثلي الهيئات الأرشيفية والمكتبات للباحثين الروس ببحث هذا الموضوع الممنوع.

وهكذا، ظهرت مؤخرًا في الصندوق رقم ٣١٧ الذي يحمل اسم "الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة بمصر" بأرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية" قائمة الجرد رقم ٣/٨٢٠ التي تحتوى على أكثر من ٣٠٠ وحدة

محفوظات تمثل معلومات عن الهجرة الروسية البيضاء حتى الثلاثينيات من القرن الماضي[٤]، ويمكن أن يقال الشيء ذاته بخصوص أرشيف السياسة الخارجية لروسيا؛ حيث وجدت بين أيدي الباحثين مواد مسموح بالحصول عليها عن الهجرة البيضاء في خلال الأعوام ٢٠-٥٠ من القرن العشرين[٥].

تحتوى القائمة رقم ٣/٨٢٠ على وصية القائم بالأعمال والوزير المفوض للإمبراطورية الروسية في مصر ألكسى ألكسندروفيتش سميرنوف منذ أبريل عام ١٩٠٥، والذي لم يعترف بالاتحاد السوفييتي وبقى في بلد الأهرام حتى توفى بها في فبراير عام ١٩٢٤.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن القائمة الثالثة تحتوى على معلومات مهمة عن السنوات الأخيرة لوجود السفارة الروسية، وعن حرمان المواطنين الروس الجدد من حقوق الامتيازات في أكتوبر عام ١٩٢٣، وعن البعثة الروسية، وعن مراسلات البعثة مع المكتب المركزي للمهاجرين في باريس، ومع حكومات مختلف الدول والهيئات الدولية وممثلي الدول الأجنبية بالقاهرة والسلطات الإنجليزية - المصرية.

وتوجد في هذا الملف بيانات شيقة عن مصروفات البعثة وتشكيل الجالية الروسية، والأعمال التي يقوم بها المهاجرون الروس، والصعوبات النفسية والمادية التي واجهوها، وبالإضافة إلى ذلك فيمكن هنا العثور عن معلومات مفيدة على الوضع السياسي الداخلي بمصر، وعن الحرب العالمية الأولى، ونشاط مختلف الهيئات الدولية داخل هذا البلد، وتوجد كذلك في الملف الثالث معلومات عن أسرى الحرب والجرحى الذين تم جلبهم من مختلف مناطق جبهات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى، وكذلك عن اللاجئين القادمين من فلسطين نتيجة للأعمال الحربية بين القوات المسلحة البريطانية والتركية [٦].

إن نسخة وصية أ. أ. سميرنوف التي اكتشفها المؤلف زادت الاهتمام بشخصه، وكذلك الاهتمام بصفة عامة بجالية المهاجرين الروس بمصر، وقد تبين أن المبعــوث السابق مدفون بجنوب القاهرة بمقابر الدير اليوناني الأرثوذوكسي القديس جرجس.

وحيث إنه كثيرًا ما زار مؤلف هذا العمل عاصمة بلد الأهرام للمشاركة في مؤتمرات علمية وندوات اجتماعية وسياسية وفي مهمات عمل، فقد حاول عدة مرات العثور على قبر هذا الدبلوماسي، وقد تمكن من اكتشاف مكانه فقط في يوم ٤ يناير ١٩٩٩، أي بعد ٧٥ سنة من وفاته(٧). توجد أيضًا في تلك المقابر قبور منفصلة ومدافن جماعية لروس الموجة الأولى للهجرة الروسية، ترجع إلى أعوام ١٩٢٠-١٩٦٠ من القرن العشرين، ومصلى مبنى فوق "السرداب الروسي".

وتجدر الإشارة إلى أنه قد صدر للمؤلف (بالتعاون مع باحثين آخرين) دراسة صغيرة لها علاقة مباشرة بالموضوعات المشار إليها أعلاه اعتمدت على المراجع الأرشيفية(٨).

وبعد قيام المؤلف بمناقشة رسالة الدكتوراه، حرر نفسه من هذا الموضوع السابق وكرس جهوده تقريبًا كليًا لدراسة الموضوع المهم للغاية المتعلق بأنشطة ألكسى سميرنوف الذى يمثل شخصية مثيرة ومأساوية في الشتات الروسي وفى الثقافة الروسية، ودبلوماسيًا من نوع "توتشيف"(*)

(*) ف. إ. تيوتشيف هو شاعر وسياسي روسي رائد عاش في الفترة ١٨٠٣-١٨٧٣م، وقد تميز بتجسيده الكامل لفكرة الوحدة الميتافيزيقية للكون والتاريخ، وكان يعتبر أن التاريخ يمثل الــوعى بالطبيعــة، الأمــر الــذى يجلــب إلــى حياة الكــون تعدديــة الأحــداث وعلم الغائية – Teleology. (المترجم)

وقد ساهم إيفاد المؤلف في مهمة إلى الإسكندرية بصفته مديرا للمركز الروسي للعلوم والثقافة من يوليو ٢٠٠٠ إلى يناير ٢٠٠٥ في تعميق دراسته للموضوعات المتعلقة بحضور المهاجرين البيض، وتكيفهم مع الظروف بمصر، وقد حدد ذلك سلفا ودقق اسم الكتاب "الإسكندرية الروسية" انطلاقا من الإمكانيات المتاحة محليًا.

أثناء اضطلاعه بتنفيذ المهام المذكورة أعلاه وسعيه لإعداد الحلول للمسائل العلمية والعملية وجد المؤلف دعمًا ومساعدة مستمرين من السفير المرحوم نيقولاى فاسيليفيتش كارتوزوف، وكذلك من الوزير المستشار أندريه ميخايلوفيتش زاخاروف والقنصل العام لروسيا الاتحادية بالإسكندرية نور محمد اللايفيتش خولوف، وممثل المركز الروسي للتعاون العلمي والثقافي التابع لحكومة روسيا الاتحادية أوليج إيفانوفيتش فومين.

بصفة عامة، فإنه عند تحديد مجال الدراسة، اعتمد المؤلف على معرفته الجيدة للواقع المصري؛ حيث إنه قد أمضى في مصر نحو ١٠ أعوام في الفترة ١٩٦٧ - ٢٠٠٥، ناهيك عن عشرات الزيارات القصيرة للبلد للمشاركة في مختلف المؤتمرات، في البداية باعتباره طالبا بكلية الآداب بجامعة القاهرة في العام الدراسي ١٩٦٧-١٩٦٨، ثم مشرفًا على المتدربين السوفييت بالجهة نفسها في عام ١٩٨٦، وبعد ذلك مترجمًا عسكريًا بعد تخرجه في جامعة موسكو الحكومية الحاملة لاسم م. ف. لومونوسوف؛ حيث درس فيها أعوام ١٩٦٩-١٩٧١، ثم مديرًا للمركز الروسي للعلوم والثقافة بالإسكندرية من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٥.

وفيما يتعلق بالبنية المكونة للدراسة، فقد حاول المؤلف تقديم عرض شامل نسبيًا للمعلومات عن معظم الجاليات الأجنبية الكبيرة في المدينة، والتي كان من الممكن على خلفيتها إظهار المستوى الثقافي والتعليمي للمجتمع الروسي السكندري

على نحو أفضل، مع تميزه النسبي على المؤشرات المقابلة للجاليات الأخرى بالعاصمة الثانية لمصر.

لقد حدث بالفعل لقاء لا ينسى في صيف عام ٢٠٠٠ (انظر: الملحق) بالإسكندرية مع تاتيانا نيقولايفنا مونتى التي تمثل تقريبا "آخر أفراد قبيلة الموهيكان"[٩]، والتي اقترحت فورًا على المؤلف الذهاب إلى مقابر الشاطبى بالإسكندرية؛ حيث يوجد رفات المئات من الروس السكندريين ومن بينهم والدا تاتيانا نيقولايفنا نفسها؛ حيث صورها المؤلف عند قبر والديها. ومنذ ذلك الحين، أصبحت تاتيانا نيقولايفنا مونتى (سيريكوفا) مساعدًا أساسيًا وملهمًا لتنظيم مختلف الأنشطة المرتبطة بالمهاجرين البيض إلى الإسكندرية بالمركز الروسي للعلوم والثقافة، وباستخدام أرشيفاتها بشكل أساسي تم تنظيم أمسية كبيرة مخصصة لمواطنينا السابقين بالمركز الثقافي (انظر: الملحق).

بفضل تاتيانا نيقولايفنا مونتى وبناء على دعوة من مركز العلوم والثقافة بالإسكندرية حضرت. أ. بيتروفا أولمان- ابنة القنصل الروسي السكندري أ. م. بيتروف- أولمان من جمهورية جنوب أفريقيا وحفيدته إيلين فلاديميروفنا ديفوف من باريس. كما جاءت مواطنتنا زويا بوبيلوفا إلى المركز الروسي للعلوم والثقافة من مدينة بورد وبناء على مبادرة من ت. ن. مونتى، وأخيرًا قام المركز الروسي للعلوم والثقافة بالإسكندرية بدعوة تاتيانا ديميتريفنا كون- روبرتس من مدينة جلاسكو مع زوجها نورمان روبرتس، ليكونا ضيفين عليه (انظر: الملحق).

لقد تقاسم جميع الضيوف المذكورون أعلاه ذكرياتهم في أمسيات مركز العلوم والثقافة التي تمت إقامتها على شرفهم، وكذلك نسخا من ذكرياتهم العائلية باعتبار ذلك عربون امتنانهم للضيافة. بعد ذلك، قدموا المساعدة للمؤلف في كتابة هذا العمل حتى آخر نقطة فيه، مما جعله يرى أن من حقهم أن يكونوا مؤلفين مشاركين فيه.

كما يوجد عنصر آخر يتمثل في أنه بالرغم من أن هناك مناطق أخرى للشتات الروسي في العالم تتفوق على الإسكندرية من حيث تعداد ممثلي الهجرة البيضاء، فإنها تستحق دراسة عقلية مهاجريها البيض؛ لذلك فلا توجد هناك حالات خاصة ما دام قد وجدت "بقع بيضاء غامضة" في دراسة موضوعات الهجرة الروسية حتى لو كانت تتعلق ببضعة مهاجرين روس، وكما يقال: "لقد حان الوقت لجمع الحجارة".

يتعلق الأمر أيضًا بالحفاظ على الأدلة الخطية وغيرها عن الثورة والحرب الأهلية والسنوات التالية لها، وهو ما تحدث وكتب عنه أ. إ. سولجينيتس مؤسس المكتبة الروسية للمذكرات ومكتبة روسيا في الخارج[١٠].

أ. د. جينادي جارياتشكين

دكتوراه في العلوم التاريخية

يناير ٢٠١٠، موسكو

الباب الأول

الجالية الروسية بين الجاليات الأجنبية بالإسكندرية حتى عام ١٩٢٠م

١,١. الإسكندرية عبر القرون

يبلغ عمر مدينة الإسكندرية حوالي ٢٣٤٠ سنة؛ حيث إنه تم إنشاؤها في عام ٣٣١ قبل الميلاد، وهى تحمل اسم مؤسسها العظيم الإمبراطور الإسكندر المقدوني، ولقد مر الكثير من القرون وأتى العديد من الغزاة ورحلوا، وتغير وجه الإسكندرية الذي كان دائمًا متوافقًا مع نبض الأحداث والأزمنة.

بالفعل لقد أصبحت الإسكندرية في عهد البطالمة مدينة لها أهمية عالمية، وتعود أهم معالم المدينة التاريخية الجذابة إلى الحقبة اليونانية؛ حيث كانت عاصمة مصر هي أكبر مركز للحضارة في العالم، وكانت توجد بها منارة فاروس وجامعة مويسيون ومكتبتها الشهيرة، والعديد من المعابد، والسيرابيوم، وغيرها من المعالم. لقد شيد بطليموس الثاني معبد السيرابيوم تكريمًا للإله حابى (سيرابيس) وزوجته إيزيس وابنهما هيبوقراط، وقد اتحدت ديانتان في عبادة الإله سيرابيس: المصرية (عبادة الإله الذي على هيئة الثور أبيس) واليونانية (عبادة زيوس).

وقد كانت منارة فاروس واحدة من عجائب الدنيا حيث تم بناؤها في عام ٢٨٠ قبل الميلاد، وكانت عبارة عن مبنى ضخم بلغ ارتفاعه حوالي ١٣٥ مترًا، وكان يرى ضوءُها على بعد عشرات الكيلومترات، وقد تم تشييدها باستخدام الحجر الجيرى، وصنعت أعمدتها من الجرانيت والرخام، كما تمت زخرفتها بحليات

برونزية، كانت المنارة عبارة عن مبنى من أربعة طوابق مربع الشكل في الجزء السفلى، به ثمانية أعمدة تحمل قبة، وكانت القبة نفسها مزينة بتمثال صنع من البرونز لإله البحر بوسيدون ارتفاعه ٧ أمتار، وقد ظلت المنارة واقفة في مكانها لأكثر من ألف وخمسمائة عام قبل وقوع زلزال قوى في عام ١٣٧٥ أدى إلى تدميرها، وفي وقت لاحق تم استخدام جزء من أحجارها لبناء قلعة قايتباى في نفس مكان المنارة القديمة.

ومع انهيار البطالمة والفتح العربي اللاحق، وفي العصرين المملوكي والعثماني، تم إحياء مدينة الإسكندرية بعض الشيء فقط لفترات زمنية قصيرة، وبشكل عام احتفظت المدينة بعلامات الإهمال[١١].

وقد بدأ التطوير المتتالي للمدينة اعتبارًا من القرن ١٩ من كونها بلدة ريفية يبلغ تعداد سكانها ١٠ آلاف نسمة، فأصبحت الإسكندرية أكبر ميناء على البحر الأبيض المتوسط، وبلغ عدد سكانها ٢٣٢ ألف نسمة في عام ١٨٨٢.

يمكن أن تنسب الإسكندرية تمامًا إلى نوعية مدن البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أنها تنتسب أيضًا إلى أفريقيا وإلى العالم العـــربي، وبالمناسبة فإنه لا يمكن إنكار واقع انتساب الإسكندرية إلى عائلة حوض البحر الأبيض المتوسط بل على العكس يؤكده العديد من المؤرخين. وقد كنَّ ليا الإغريق اهتمامًا خاصًا وخشوعًا عميقًا، ولكن ظلت الاتصالات بين الحضارتين العظيمتين لوقت طويل عشوائية، وكان الإسكندر المقدوني أول من ربطهما في وحدة قوية لم يقدر على تفتيتها إلا العرب وحدهم بعد ألف سنة. لم يكن يعنى إنشاء الإسكندرية في عام ٣٣١ قبل الميلاد فقط بداية تحويل مصر إلى الحضارة الإغريقية، ولكن امتد ذلك إلى مدى كبير حتى وصل إلى الهند، وبالرغم من حقيقة انهيار الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور العظيم فإن مدن الإسكندرية وأنطاكية وبطلميدا بقيت على أراضى

الدولة التي كانت في السابق كبيرة، وأصبحت الإسكندرية أكبر المدن التجارية والاقتصادية، وليس فقط في مصر، بل أصبحت أيضًا مركزًا روحيًا لهذا الجزء المسكون من العالم وعاصمة حضارية له.

بمجرد تأسيس المدينة، هرع إليها الناس من جميع البلاد من كل الجنسيات، المشتغلون في مختلف الأعمال والمهن. كان اليونانيون يمثلون العنصر العرقى الأساسي بالإسكندرية؛ حيث كانوا يكوّنون جميع الطبقات العليا والوسطى والدنيا، وهو ما أعطى المدينة مظهرًا يونانيًا من حيث نظام الحكم ومؤسسات الدولة والهيئات العامة. إن المصريين الذين ناصبوا العداء للوافدين أصبحوا مع مرور الوقت يدخلون في اتصالات معهم، فظهرت زيجات مختلطة وبدأت تظهر وتقوى طبقة يونانية- مصرية. ولم يخل الأمر من وجود جالية يهودية وجدت في مصر منذ العصور القديمة؛ حيث شغلت حيِّزًا في المدينة، كما استقر في المدينة أعضاء جاليات قومية أخرى من فرس وسوريين وأحباش وهنود؛ بل صينيين، مارست التجارة والأعمال.

على الرغم من وجود الجاليات الأجنبية التي فقدت مع الوقت نفوذها، فإنه من الإنصاف الإشارة إلى أنه لفترة طويلة بعد فتح العرب في عام ٦٤٢م، كانت للمدينة طبيعة عربية حتى قيام حملة نابليون بونابارت على مصر في أعوام ١٧٩٨-١٨٠١، ووصول مؤسس الدولة المصرية محمد علي إلى السلطة في عام ١٨٠٥، وحتى الفرنسي لينان الذي شارك في بناء سد على النيل لاحظ السحنة العربية للإسكندرية، ونتيجة لحفر قناة المحمودية الموصلة للمياه العذبة من نهر النيل إلى المدينة، وتنفيذ عدد آخر من إصلاحات محمد علي فقد وصل تعداد سكانها إلى حوالي ١٥٠ ألف نسمة، وقبل حلول ذلك الوقت أصبحت كبرى المستعمرات الأجنبية تتحد لتشكيل مجتمعات وحصلت على وضع قانوني.

أعطت شركة بناء السفن (التى تؤدى إلى إنشاء المدن) والتي بدأت أعمالها في عام ١٨٣٠ دفعة كبيرة للنمو في الإسكندرية ولتدفق الأجانب، وكان يترأس بناءها الفرنسي سيريزى الذى استقدم لبنائها فنيين وعمالاً فرنسيين وإيطاليين ومالطيين، ولأول مرة منذ عهد المماليك سمح محمد على للسفن الأجنبية بالدخول إلى الميناء الغربي بمرفأ الإسكندرية، والذي كان مغلقًا في وجه الأجانب قبل ذلك؛ مما أدى إلى زيادة السعة التجارية للميناء، وإلى إلحاق عدد كبير من مكاتب التجارة الخارجية به، ومن ثم إلى زيادة تعداد الأوروبيين. وقد بذلوا جهودًا كبيرة من أجل ضبط النظام الإداري بالمدينة وإلى استعادتها لنظافتها وجمالها، وقد كونوا أيضًا مجلسًا صحيًا للمدينة في عام ١٨٣٤ بمساعدة القناصل الأوروبيين، وقد كان غالبية أعضاء المجلس الصحي من الأجانب، وكانت هذه خطوة حكيمة للباشا المصري.

وقد قام المجلس الصحي بعدد كبير من الإجراءات من أجل تحسين الوضع الصحي بالمدينة، ومنها نقل المقابر إلى خارج أسوار المدينة. مما ساعد في عملية بناء المدينة. وإذا كانت المدينة في البداية اقتصرت على حيي الجمرك والمنشية، ففي منتصف القرن بدأت تنمو في اتجاه الشمال، فضمت حيى رأس التين والأنفوشى في الاتجاه الجنوب الشرقي، فاحتوت قلب المدينة التجاري (بما فيه الحي الإفرنجي) حتى طريق الحرية، وفى الوقت نفسه تم التخطيط لأحد الميادين الرئيسية بالإسكندرية؛ حيث حمل اسم المصلح محمد على لتكريمه وكان مجاورًا لميدان القناصل.

وفي عهد وريثه عباس باشا الأول (١٨٤٨-١٨٥٤) لم يعد الأجانب يلعبون أى دور ملحوظ في الإسكندرية بل في كل مصر، ولكن خلافه مع السلطان التركي دفعه إلى أحضان الإنجليز الذين بنى بمساعدتهم (ستيفنسون) خط السكة الحديدية بين القاهرة والإسكندرية، ومن اللافت للنظر أن الربط بين عاصمتي مصر حدث في الوقت نفسه مع الربط بين مدينتي سانكت- بيتربورج وموسكو.

أما الحاكم التالي لمصر سعيد باشا (١٨٥٤-١٨٦٣) فعلى العكس ساعد على تقوية تأثير الأوروبيين، وعلى فتح الجاليات الأجنبية للمدارس، وكذلك على تأسيس محاكم تجارية ضرورية للغاية؛ من أجل تنمية التجارة الداخلية والخارجية بمصر، وفي عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) استردت الإسكندرية لنفسها مرة أخرى نشاطها الاقتصادي والتجاري، واتسعت أنشطة الأجانب، وزاد نطاق الخدمات الاجتماعية، وزادت رفاهية المواطنين بشكل ملحوظ يتضح من مظهر ملابسهم وسكنهم.

وتم إنشاء الحدائق والمنتزهات في الإسكندرية، وأنشئت الطرق والميادين، وافتتحت النوافير، وتم تركيب وسائل الإضاءة بالغاز في الشوارع، وتم بناء المسارح، وقد صاحب ذلك تقدم إيجابي ملحوظ في الحياة الثقافية للمدينة: تنظيم المهرجانات والأمسيات الموسيقية، إقامة المعارض الفنية، زيادة حضور نجوم الثقافة والفن من أوروبا.

فقدت المدينة تدريجيًا نكهتها الشرقية، وبدأت تكتسب مظهرًا كوزموبوليتانيًا، وتوجد بيانات تدل على أن أكثر من ربع عدد سكان العاصمة الثانية في ذلك الوقت لم يكونوا يحملون الجنسية المصرية.

وعلاوة على ذلك فقد جلبت كل جالية أجنبية بنصيبها وأدخلته في البنية الفسيفسائية للمدينة، فقامت بزخرفة المنطقة أو الحى الذي سكنته، فعلى سبيل المثال تميز الإنجليز في حي الرمل؛ حيث قاموا ببناء بيوت على الطراز الإنجليزي تحيط بها المروج الخضراء، أما الإيطاليون فقد زينوا المباني التي أقاموها بالأزاريطة بالشرفات "البيرجولات" على الطراز الفلورنسى، واليونانيون أو المعجبون بالمعمار الهيليني شيدوا المنازل والمدارس في محرم بك والشاطبى على النمط الأثينى، ويظهر بهذا الشكل بالذات مبنى منظمة الصحة العالمية الآن.

يمكن في شارع شريف التجاري (صلاح سالم الآن) في أيام الأحد وأيام العطلات رؤية أعلام مختلف الدول على شرفات المنازل وأبوابها في جميع أنحاء الشارع، وهنا تباع السلع الباريسية في البوتيكات بجانب المكتب الفلسطيني للرحلات، كما يجاور تاجر كتب يوناني بائع سجاد من القسطنطينية ومحل بقالة نابوليتانية بجانب محل دانماركي صغير يعرض كئوسًا خزفية مع منتجات الزبد والجبن الدانماركي، وكذلك يجاوره بلغاري يصنع اللبن الزبادي، ويلي ذلك محل لبيع الزهور، ثم صالون لتصفيف الشعر، ومحل مجوهرات، وبعد ذلك محل حلويات، ثم بنوك وشركات تأمين.. وبهذا الشكل فإن شارع شريف يشابه أى شارع تجارى آخر في جنوة أو مارسيليا، وبهذا المعنى فإن هذا الشارع يتنافس مع غيره من الشوارع السكندرية مثل: فؤاد (الحرية الآن) أو سعد زغلول، وفي فصل الصيف يجعلك ساحل الإسكندرية تعتقد أن الناس يقضون إجازاتهم في مدينة ساحلية أوروبية، على سبيل المثال في مدينة كان، وحتى الآن فإن أحياء المدينة تحمل أسماء أوروبية- كامب شيزار، سبورتنج، ستانلي، جليمونوبولو (جليم)، زيزينيا.. إلخ.

يؤدى التطور الحلقي للسوق الرأسمالية العالمية وحضارة الإنسان إلى ظواهر وعمليات مثيرة للاهتمام بشكل متزايد، فقد ظهر تقريبًا في أوقات متزامنة (منتصف التسعينيات من القرن الماضي) في العواصم الأوروبية الكبرى وفي القاهرة والإسكندرية وموسكو وسانت- بيتربورج في وقت واحد الترام الكهربائي، بدلاً من الترام الذى تجره الخيول، كما عرض الأخوان لومير في الوقت نفسه في كل من الإسكندرية وباريس وسانكت- بيتربورج أعجوبتهما: السينما.

يعتقد الباحثون المصريون أن تأثير الأوروبيين والتعايش مع الثقافات الأوروبية قد أديا أولا إلى سعى السكندريين إلى "جمع الأموال"، لذلك فإن المضاربة في بورصة القطن والأوراق المالية قد أثرت على المجتمع السكندري. أما فيما يخص المرأة السكندرية فإنها مغرية، وجريئة، ومرحة، وعاشقة للحياة،

وداهية وساحرة، وقد جذبت صفاتها هذه باستمرار انتباه الكتاب الأوروبيين، وقد كانت أجمل السكندريات هن اليهوديات واليونانيات.

يواصل المؤرخ المصري حسن صبحي: "كان لا بد أن يكون حب العمل ومغامرة السكندريين مصحوبين بالميل للمتعة وعشق الحياة، والاستفادة من الوقت بالراحة والاستجمام؛ لاستعادة القوى وتهدئة الجهاز العصبي؛ لذلك فقد مارسوا الرياضة بثبات، ونظموا الرحلات والتخييم في الصحراء وفى الشواطئ البحرية البعيدة، وقد وازى بعض الباحثين بين إسكندرية ثلاثينيات القرن العشرين وما رواه عنها هيرودوت بعد زيارته لمصر في القرن الخامس الميلادي: "إسكندرية اليوم تشبه منزل أفروديت، ومن الممكن العثور بها على كل من الثروة والرياضة والسماء الصافية والمناظر الجميلة والشباب الرائع والشابات والنساء الجميلات اللاتي يمكن مقارنتهن بالآلهة، كما أشار باريس الذي سبق أن اختار أفروديت"[١٢].

لقد لاحظ الكثير من الرحالة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الملامح "الأممية" للإسكندرية, لقد ذكر الكاتب الروسي ف. أندريفيسكى[١٣]: "إنه يمكن اعتبار أن سكان كل المدن الواقعة على طول الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وكأنهم خليط كبير، ولكن لا يصل هذا الخليط إلى هذه الدرجة كما هو الحال في الإسكندرية"، وطبقا لأقوال المعاصرين فإن هذه المدينة كوزموبوليتانية أوروبية أكثر من كونها عربية؛ حيث "تستخدم فيها كل اللغات وجميع العملات"، وفى ميناء الإسكندرية، كما في الموانئ الرئيسية الأخرى في المنطقة، كانوا يتحدثون مع بعضهم البعض باستخدام ما يسمى لغة البحر الأبيض المتوسط "صابير"، وهذا يعنى لغة منطوقة مكسورة تمثل خليطًا من الإسبانية والإيطالية واليونانية والإنجليزية والفرنسية وكلمات عربية.

١,٢. الجاليات الأجنبية بالإسكندرية

لقد أثرت جدًّا العوامل الداخلية والخارجية بشكل كبير على الجاليات الأجنبية بالرغم من طول فترة وجودها في مصر؛ مما أجبرها إما على التقلص أو النمو عدديًّا، ويبين الجدول الموضح أدناه الزيادة المستمرة في تعدادها حتى الثلاثينيات من القرن العشرين.

قبل إعلان الاستقلال الرسمي لمصر في عام ١٩٢٢ كان مواطنو الدول الأوروبية الكبيرة يتمتعون بميزات جوهرية؛ حيث إنهم كانوا تحت رعاية قنصلياتهم، وكانوا يخضعون لاختصاص المحاكم المختلطة، كما كان لهم حق دخول البلد والخروج منها دون تأشيرة، وكان يمكنهم التنقل بحرية والإقامة فيها دون الحاجة إلى إذن خاص من السلطات، وبكلمات أخرى كانوا يتمتعون بحقوق مميزة.

جدول رقم ١: ديناميكية تعداد الجاليات الأجنبية الرئيسية بالإسكندرية(*)

	١٨٨٢	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧
اليونانيون	١٨٦٨٨	٣٥٣٩٣	٣٧١٠٦	٣٦٨٢٢	٣٠٧٥٣
الفرنسيون	٨٢١٥	٨٥٥٦	٩٤٢٩	٧٣١٨	٣٢٥٩
الإيطاليون	١١٥٧٩	١٧٨٦٠	٢٤٢٨٠	٢٢٨٨١	١٢٣٧٠
الإنجليز	٣٥٥٢	١٠٦٥٩	١٤٣٩٤	١٤٠٣٠	٩٦٥٩
إجمالى الأجانب	٧٢٠٥٣	٨٤٧٠٥	٩٩٦٠٥	٨٨٣٥١	٦٣٥٣٥

المصدر: التعداد العام لسكان مصر في عام ١٨٨٢، الجزء الأول، القاهرة، ١٨٨٢، ص٢٢-٢٣ (باللغة العربية)، التعداد العام لسكان مصر في عام ١٩٤٧، القاهرة، ١٠٥٣، ص٢ (باللغة العربية).

(*) يتضح من الجدول أن: إجمالى الأجانب يمثل عددًا أكبر من حاصل جمع الجنسيات الأربع المذكورة، وقد وردت هكذا فى الأصل الأجنبى، ويبدو أن المؤلف قد أغفل ذكر الجنسيات الأجنبية الأخرى فى التفصيل رغم إثباتها فى التعداد النهائى (التحرير).

وقد تم إلغاء نظام الامتيازات في عام ١٩٣٧م، وكذلك حصانات الأجانب، وفي ذلك الوقت ألغيت المحاكم المختلطة، وانتقل الأجانب ليكونوا في إطار اختصاص المحاكم المصرية، وأصبحوا تحت رقابة شيوخ القرى والأحياء، وفقدوا المزايا الضريبية.. إلخ، كما تم وضع نظام التأشيرات؛ بل أصبح من الضروري أن يحصـــل الأجـــانب المقيمون بمصر بصفة دائمة على تأشيرات، وأن يقوموا بتجديدها بانتظام.

لعبت القيود الاقتصادية لحقوق غير المصريين دورها، فمنذ عام ١٩٢٣ كان يجب أن يكون مصرى واحد على الأقل مشاركًا في إدارة أى من الشركات المساهمة المسجلة بمصر، فيما بعد زاد الأمر أكثر من ذلك؛ ففى عام ١٩٤٧ صدر قانون يقول إنه يجب أن يكون مخصصًا للمصريين ما لا يقل عن ٤٠% من عضوية مجالس الإدارة و٧٥% من الموظفين و٩٠% من العمال، وقد تسبب هذا التشريع في تسريح جماعي للعمالة الأجنبية ومغادرتهم للبلاد.

وبالإضافة إلى ذلك فقد أثر عامل آخر لا يقل في الأهمية عن الحد من الأجانب في مصر، فقد تزايد الإحساس بالقومية في البلاد من عام إلى آخر. امتلأ التاريخ الحديث للبلاد بعد الحرب العالمية الأولى بالصدمات الكبيرة- ومنها ثورة عام ١٩١٩ والإضرابات الوطنية العامة، وأيضًا حركة إضرابات العمال المصريين في الفترة من ١٩٢٠ إلى ١٩٤٠- لقد ظهر هذا العامل بقوة، فلم تكن الحركة المناهضة للاستعمار من الجانب المصري موجهة فقط ضد الوجود البريطاني في البلاد، ولكن كان لها بصفة عامة طابع مناهض للأجانب، وقد أدت النجاحات الكبيرة في النضال من أجل التحرير إلى تحقيق الاستقلال الشكلى في عام ١٩٢٢م وإلى المعاهدة الإنجليزية- المصرية في عام ١٩٣٦م وكذلك إلى إضعاف شديد للقمع الاستعماري، وفي النهاية إلى ثورة عام ١٩٥٢ المناهضة للاستعمار

والإقطاع والملكية، وقد عجل الحدث الأخير بخروج الأجانب تاركين بلد الأهرام، وقد أدى العدوان الثلاثي من جانب كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل إلى "التمصير" الناصري لممتلكات المعتدين في البلاد. وبالإضافة إليهم، عانى من ذلك أيضًا البلجيك والألمان والنمساويون وغيرهم، وفي رأى ممثلي الأقليات الأجنبية لم يسمح لهم عدم الاستقرار السياسي بالمخاطرة، أضف إلى ذلك أن الحرب العربية-الإسرائيلية الأولى في ١٩٤٨-١٩٤٩ قد أدت إلى انخفاض كبير في تعداد اليهود المصريين، كما أنها لم تَزِد من الإحساس بالاستقرار لدى الجاليات الأوروبية الأخرى، وبالمناسبة فإن مبنى مقر إقامة السفير الروسي في موقع السفارة كان ملكًا ليهودي هاجر في ذلك الوقت إلى إسرائيل، وهو مثير من الناحية المعمارية.

وهكذا فمن جهة تناقص تعداد أعضاء كبرى الجاليات الأجنبية، حيث انخفض عدد اليونانيين من ٣٧,١ ألفًا في عام ١٩٢٧ إلى ٣٠,٦ ألفًا في عام ١٩٤٧، وعدد الفرنسيين على التوالي من ٩,٤ إلى ٣,٣ آلاف، وكانت هذه السمة تميز أيضًا الجاليات الأوروبية الصغيرة، وبصفة عامة فإن تعداد الأجانب في مصر قد انخفض في خلال العقد ١٩٣٧-١٩٤٧ بأكثر من ٤٠ ألفًا، من ١٨٧ ألفًا إلى ١٤٦ فردًا[٤٠]. وقد مست هذه التغييرات بشكل أقل الإنجليز الذين كانوا حتى ذلك الحين "السادة" في بلد الأهرامات، وكانوا يسعون إلى توطيد مواقعهم في البلاد؛ بسبب جهاز الاستعمار المرهق. ومن ناحية أخرى، جاء نمو الحضر في العاصمة الثانية لمصر بواسطة المصريين؛ حيث تضاعف عددهم تقريبا (انظر: الجدول رقم ١).

منذ منتصف القرن العشرين بدأ يلاحظ فقدان الإسكندرية نسبيًا لنكهتها الخاصة بالبحر الأبيض المتوسط، واكتسابها لمظهر عربي خالص، وقد أصبح ذلك الآن أكثر وضوحا إذا ما عقدت مقارنة بين الجزئين الشرقي والغربي من المدينة،

حيث إن الجزء الغربي (الأنفوشى، والمنشية، والرمل) يتكون من العمائر الاستعمارية القديمة والمباني الجميلة (وبصفة خاصة على الواجهة البحرية "الكورنيش") والتى لم يكن يمكن لعدد طوابقها أن يتعدى ستة طوابق، طبقًا للقوانين السائدة في ذلك الوقت، أما الأحياء المتوسطة والشرقية- الشاطبى، سبورتنج، جليم، ستانلى، سابا باشا- والتي تم بناؤها بشكل عشوائي، فإنها تفتقد للذوق بأشكال متنافرة في مكان الفيلات التي تم هدمها والمساحات الشاغرة في النصف الثاني من القرن العشرين وما بعده.

عند الحديث عن فقدان الأجانب لوضعهم السابق، كمًا ونوعًا في بلد الأهرام، يجدر النظر إلى هذه العملية من منظور آخر أيضًا، كما يقول كارل ماركس فإن ما يسمى "الشعب التاجر" أو "الأقلية التاجرة" قد لعبت دورًا كبيرًا في العلاقات السلعية- المالية والمشاريع الرأسمالية وتكوين الطبقات والشرائح الاجتماعية في المجتمع البرجوازي بمصر- حيث إنه حتى قبل عصر الاستعمار فإن بعض الأقليات الأجنبية- من اللبنانيين والسوريين واليونانيين واليهود والأرمن والإيرانيين- تمكنت من أن تحتل دون قصد "أعشاشًا اقتصادية" معينة متخصصة في التجارة والربا والخدمات والحرف، كان الحكام المماليك بالفعل قد سبق أن استخدموا على نطاق واسع خدمات الموظفين في الحكومة، والممولين من اليهود والسوريين والأرمن، وبصفة خاصة عند تنفيذ سياستهم الاقتصادية.

أثناء عملية الاستعباد الاستعماري وسحب مصر إلى السوق الرأسمالية العالمية، فإن حجم الجاليات تزايد كمًا وكيفًا بشكل كبير، وتكونت تدريجيًا برجوازية من جنسيات أجنبية، وتكونت جماعات من المثقفين والطبقة العاملة ذات النفوذ[٥].

عكست التغييرات الكمية والنوعية في البيئة البرجوازية الأجنبية التغييرات الكبيرة في الجاليات بصفة عامة، وزاد حجمها فتضاعف عدة مرات، وكان نموها الأكثر سرعة في الفترة من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين. وفقا للدبلوماسيين الروس فإن الجاليات الأجنبية كانت عبارة عن "مجموعات متلاحمة من السكان ذوى المصالح التجارية والسياسية والدينية المتلاحمة"، وقد تغيرت بنيتها. لقد تطلب بناء قناة السويس، ونشوء التخصص في مجال القطن، القيام بأعمال بناء وأشغال ريٍّ ضخمة، وإنشاء بنية أساسية للنقل المتطور وللمجتمع، وكذلك مجموعة من شركات التصنيع.. إلخ. وكان من نتيجة الطفرة في مجال القطن أن حضر إلى مصر سنويا في الفترة من عام ١٨٥٩ إلى ١٨٦١ ما يزيد على ٣٠ ألف شخص، ثم ازداد هذا العدد بشكل ملحوظ ليكون ٤٣ ألفًا في عام ١٨٦٣، و٥٦,٥ ألفًا في عام ١٨٦٤، ثم ٨٠ ألفًا في عام ١٨٦٥. وبعد انهيار أسعار القطن انخفض تدفق الأجانب كثيرًا ليمثل ٥٠ ألف فرد "فقط" سنويًا. يؤكد المؤرخون المصريون أن "طفرة القطن" قد أدت إلى "تدفق تيار سكان البحر الأبيض المتــوسط إلى مصر، كما حدث في ولاية كاليفورنيا الجديدة"، وقد أطلق أ. ميلنير- أحد مهندسي السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر- على ذلك "نفايات البحر الأبيض المتوسط"، وكانت الإسكندرية تحتل إلى جانب القاهرة مرتبة متقدمة في جذب المهاجرين الأوروبيين.

نتيجة لمعالجة المشكلات الاقتصادية المعقدة التي ظهرت في البلاد بسبب دخول البلد إلى السوق الرأسمالية العالمية، مع جميع العواقب التي تلت ذلك من حاجة ماسة للعمالة بما في ذلك العمالة الماهرة، والتي كان ينبغي تلبيتها في أجل قصير. وإلى حد كبير، تمت تلبية هذه الحاجة من خلال تدفق الخبراء والعمالة اليونانية والإيطالية والإنجليزية والأرمينية وغيرها، وقد جذبتها الأجور المرتفعة الناجمة عن الطفرة الاقتصادية.

وهكذا تشكلت في مصر في فترة تاريخية محدودة طبقة عاملة واسعة نشيطة سياسيًا كانت نواة البلوريتاريا الناشئة في البلاد، وقد تزايد حجم الأعداد الأولى من العاملين بأجر من النوع الرأسمالي، واستمرت زيادته: فحتى ثمانينيات القرن التاسع عشر وصل إلى نحو ٥٠ ألف فرد، وقرب نهايته ١٠٠ ألف فرد، وقبل الحرب العالمية الأولى ١٥٠ ألف فرد مثلت العمالة الأجنبية سدس إجمالي العدد، بينما مثلت البروليتاريا الوطنية المحلية النصف، ومثلت القوميات الأخرى الثلث. لعب العمال من الأقليات غير المصرية –اليونانيون، الإيطاليون، اللبنانيون، السوريون، الأرمن وغيرهم– دورًا رئيسيًا في تثقيف البروليتاريا المحلية فيما يخص مهارات الصراع الطبقي وجذبها لمشاركتها في الحركة النقابية والإضرابات.

كما زاد التعداد العام للجاليات الأجنبية في مصر وبصفة خاصة في الإسكندرية (انظر الجدول رقم١). في مطلع ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر أشار الرحالة الروسى كارفاتسيف عندما تحدث عن الإسكندرية إلى أن "ثراءها وقوتها في أيدي اليونانيين، ثم الأرمن واليهود، وجزئيًا في أيدي الشركات الأوروبية الغربية"[١٦]. والبيانات الإحصائية تؤكد هذا التقييم الذي قام به كارافتسيف بالنظر.

بالفعل، كانت الجالية اليونانية في الإسكندرية هي الأكبر حجمًا؛ ففى مطلع عام ١٩٤٧ كان اليونانيون يمثلون ما يقرب من نصف العدد الإجمالي للأجانب. وكان وضع اليونانيين قد استقر في عهد محمد على (١٨٠٥-١٨٤٩)، حيث تم تسجيل الجالية اليونانية بشكل نهائي في عام ١٩٣٠ وأصبح لها كيان قانوني، ومنذ ذلك الحين أصبح حجمها يتزايد باستمرار، وقد أشار عالم الاجتماع الفرنسي جاك فاليه واصفًا العمالة اليونانية التي وفدت إلى الإسكندرية للعمل قائلاً: "لا توجد

لغالبيتهم أية مصادر رزق ويوافقون على أول عمل يتاح لهم، يتمتعون بصفات الالتواء، الحيوية، الذكاء، قوة التحمل عند اللزوم، متزنون ومقتصدون، وكانوا يتعلمون بإتقان كل التخصصات في فترة زمنية قصيرة، ولكن العمل البدنى بالنسبة لهم مؤقت، وهم يوفرون دائمًا من أجورهم مهما كانت صغيرة ويندفعون إلى التجارة، في البداية موظفون ثم أصحاب عمل"[١٧]. عند اكتسابهم للثراء عاد بعضهم إلى وطنهم، بينما بقى آخرون في الإسكندرية. والأخيرون بالذات، من بين أغنياء جدد حضروا حديثًا، أصبحوا رجال أعمال أجانب قام بأموالهم وبفضلهم البناة الإيطاليون بتشييد المنازل الرائعة وأحياء بأكملها في الجزء الغربي من العاصمة الثانية لمصر، وقد قال المندوب السامي البريطاني في وادي النيل اللورد كرومر: "يوجد في الإسكندرية التي يمكن أن نقول تقريبًا إنها مدينة يونانية عدد كبير من اليونانيين ذوى النفوذ والثروة، ووجودهم في مصر يمثل ميزة لهذا البلد لا يمكن إنكارها"[١٨].

لقد رأس الجاليات اليونانية في مصر رؤساء تجاوزت ثرواتهم ما لدى ممثلي أية جاليات أجنبية أخرى في البلاد؛ بل تجاوزت حتى ثروات الحكام المصريين أنفسهم، حيث إنه على سبيل المثال كان محمد على يتوجه لهم لإقراضه المال، وقد تبرع رؤساء الجاليات اليونانية بمبالغ ضخمة للأغراض الخيرية من أجل ازدهار جاليات مواطنيهم في مصر[١٩]، كانت المستعمرات اليونانية بالإسكندرية تعتبر الأغنى في حوض البحر الأبيض المتوسط، وكان رؤساء الجاليات اليونانية أفيروف، سالفاجو، وبيناكى هم أغنى أغنياء بلد الأهرام الذين لم يظلموا أنفسهم أيضًا بالطبع؛ حيث قام رئيس الجالية اليونانية بمصر في بداية القرن العشرين- ملك القطن المصري قنسطنتطين سالفاجو- ببناء فيللا رائعة بمنطقة الشاطبى تعتبر حتى الآن واحدة من أجمل المنشآت المعمارية بالعاصمة الشمالية. وبالمناسبة، فإنه كانت توجد لسالفاجو لسنوات عديدة علاقات مع روسيا؛ حيث إنه

كان رئيسا لفرع الشركة المساهمة الروسية "روسيا"، وفي عام ١٩٦٨؛ قامت أرملة سالفاجو ببيع جزء من فيللته للسفارة السوفييتية بمصر فقامت الأخيرة بتعديل مبناها لكي يصبح مركزًا ثقافيًا ما زال موجودًا حتى يومنا هذا.

وبالإضافة إلى الأنشطة الاقتصادية والتجارية والاجتماعية، تميزت الجالية اليونانية بالإسكندرية بنشاطها الثقافي والفكري البارز والذي كان كثيفًا جدًا. وقد كان نظام التعليم لديهم موضوعًا على مستوى عال جدًا، وكان المحامون والمهندسون والزراعيون والأطباء اليونانيون يتمتعون بنفوذ كبير في مصر، وقدم العلماء اليونانيون مساهمة كبيرة في دراسة التاريخ والثقافة والبيئة الطبيعية لهذا البلد، كما أسس اليونانيون في الإسكندرية "معهد الدراسات اليونانية"، و"معهد الدراسات الشرقية" بمكتبة البطريركية الأرثوذكسية اليونانية، وقاموا بإصدار العديد من المجلات العلمية كانت تنشر فيها مقالات عن التاريخ والفلسفة وعلم الآثار واللغويات، وغيرها من مجالات العلوم الإنسانية المتعلقة بمصر وبماضيها وحاضرها، وكذلك عملت جماعة الأوركسترا الفيلهرمونى اليونانى ومدرستها الموسيقية بنشاط.

كانت توجد للجالية عدة جمعيات أدبية تنشر مجلات وصحف خاصة بها، وتشير التقديرات إلى أنه خلال السنوات ١٨٦٢-١٩٧٢ كانت تصدر في الإسكندرية وحدها ٢٥٣ جريدة ومجلة معظمها باللغة اليونانية، وبعضها باللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية؛ بل بعضها بعدة لغات.

وليس من قبيل الصدفة أنه قد شب في هذه البيئة الثقافية الغنية مثقفون متميزون أسهموا إسهامًا كبيرًا في مجالات العلم والفن، ومنهم جيراسيموس بانداكيس الذى نشر الموسوعة اليونانية- العربية وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليونانية، وسكوتيزيس الذي كتب الكثير عن أزمة الاحتلال البريطاني في مصر،

والدكتور أوليمبوس الذي أصدر مجلة "طب الأسنان"، وكرينوس دى كاستر والذى كان موسيقيًا موهوبًا، والدكتور نيقولا مافيريس الذي أجرى ونشر دراسة عن "الأغاني الشعبية المصرية"، وكذلك أثاناسيوس بوليتيس الذي نشر دراسة في مجلدين عنوانها "اليونانيون ومصر الحديثة"، والعالم الذي توفى مؤخرًا يوجين ميخائيليديس الذي رأس معهد الدراسات اليونانية بالإسكندرية، وقام بتأليف أكثر من ٢٠٠ دراسة علمية، بما في ذلك دراسة عن تاريخ دير في طور سيناء، وعن حياة وأعمال الاقتصادي المصري عبد الرازق، وكذلك عن ثورة أحمد عرابي والأديب طه حسين والصحافة اليونانية بمصر وغيرها من الدراسات، وتجدر الإشارة إلى أنه حتى الآن تصدر في الإسكندرية "نشرة معهد الدراسات الشرقية" عن البطريركية اليونانية السكندرية، وكذلك "مجلة معهد الدراسات اليونانية".

لقد قامت الجالية اليونانية بالمدينة بتربية كوكبة من كبار الشعراء الذين ذاعت شهرتهم ليس فقط بمدينة الإسكندرية وبمصر، ولكن تفخر بهم اليونان نفسها، وقد تمت ترجمة بعض أعمالهم إلى العربية، وفي الإسكندرية أبدع الشاعر اليوناني البارز ك. كافافيس (١٨٦٣-١٩٣٣) الذى تسبب في كثير من المتاعب للإدارة البريطانية بموقفه المناهض للاستعمار ودعمه للوطنيين المصريين في المدينة، وقد ولد هذا الشاعر وترعرع في حي كوم الدكة السكندري الذى تربى فيه أيضًا موسيقار مصر الكبير سيد درويش، وكذلك بجوار خط الترام في المبنى الذي توجد به قهوة "عمر" التي يفضلها السائحون الروس، كما ولد وشب بالإسكندرية ديميس روسوس الشهير لدى الكثير من الروس.

أما الشاعر قنسطنطين قوسطنطينيديس فهو مثال لامع للتقاليد الشعرية اليونانية، فكان يتحدث العربية بشكل رائع، وقد كتب قصائد عن القرية المصرية وعن الفلاح ومصر الفرعونية، وقد أسس مع زملائه "نادى الحياة العصرية"، وأصدر في الفترة من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩٢٧ مجلة تحمل نفس الاسم، وفيما

يلي أسماء بعض قصائده: "متحف الإسكندرية"، "كليوباترا"، "الإسكندر الأكبر يتحدث مع الإسكندرية"، "الفلاح المصري"، "قبرص المتمردة ضد المستعمرين" وغيرها. وبالمناسبة، فقد كانت علاقته بالمركز الثقافي الروسي بالإسكندرية رائعة؛ حيث ساعده بالكلمة وبالمشورة.

كما لم تكن شهرة الشاعرات اليونانيات في المدينة أقل من الشعراء، فكثيرًا ما كانت تنشر أشعارهن في الصحف والمجلات، ومنهن فيدجي باوليولوج بيتروندا التي مدحت الإسكندرية ومصر في قصائدها، وأيضًا شاعرة يونانية أخرى تنتمي إلى المدينة هي رئيسة تحرير جريدة "تاخيدروموس" (المراسلة) إليزابيث خراس التي نشرت مجموعة من القصائد "الإسكندرية المناضلة"، كما أنها درست بعمق الأغاني الشعبية المصرية التي ترجمت بعضها إلى اللغة اليونانية.

كانت توجد للجاليات اليونانية السكندرية دور الحضانة ودور الأيتام ودور الرعاية والمدارس ومعاهد الفنون التطبيقية، والتي تربى فيها أحفاد الإسكندر الأكبر الشبان، وحصلوا فيها على تعليم مجاني جيد وتخصص مطلوب.

وإلى اليوم تقام في العاصمة الثانية لمصر بيناليات يشارك فيها اليونانيون المحليون إلى جانب القادمين من اليونان ومن غيرها من بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، ولم تدخل إبداعات اليونانيين السكندريين إلى الأبد ضمن الكنوز الثقافية والعلمية اليونانية والمصرية فقط، ولكنها أصبحت ضمن الإنجازات الثقافية العالمية، ويثبت ذلك بناء وأداء مكتبة الإسكندرية الجديدة التي بدأت تعمل اعتبارًا من عام ٢٠٠٢.

كما سبق ذكره فقد بدأ حجم الجاليات اليونانية يقل تدريجيًا في منتصف القرن العشرين، وقد استمر هذا الاتجاه في الزيادة في بداية القرن الحادى

والعشرين، وذلك نتيجة لاستحالة الإبداع والعمل وأسباب أخرى، ومع زيادة المنافسة الشرسة، في ظل ظروف مصر الحديثة، فإن الشباب اليونانى بدأ يسافر عائذا إلى وطنهم التاريخي.

تحتل الجالية الإيطالية المرتبة الثانية من حيث التعداد؛ حيث إن جزءًا كبيرًا من المهاجرين من شبه جزيرة أبينايَن المنتشرين في جميع أنحاء العالم وجدوا مأوى لهم في مصر المستعمرة؛ حيث تتطور البنية الأساسية ويتطور الاقتصاد ككل وقد جذبتهم الأجور المرتفعة، الإيطاليون متخصصون بصفة خاصة في قطاع البناء، وهم بالذات الذين بنوا سد أسوان القديم وسد أسيوط في الأعوام ١٨٩٨- ١٩٠٢.

نفذ النحاتون والنجارون وعمال المحارة والنقاشون الإيطاليون عجائب معمارية في أحياء الأنفوشى والأزاريطة في الفترة النشطة لبناء الإسكندرية، وذلك بأموال التجار اليونانيين والسوريين والمرابين والوسطاء وأصحاب المشاريع.

كان المهاجرون من شبه جزيرة أبينايَن متخصصين في مختلف مجالات الصناعات بالعاصمة الشمالية، في صناعة الأثاث والأقفال، وما إلى ذلك على سبيل المثال، وكانوا يملكون جراجات تقف فيها السيارات بالأجر، كما كان يعمل العديد منهم أطباء ومحامين، كما أنهم اشتهروا بالنشاط الكبير لمؤسساتهم المالية بالإسكندرية: بنك "روما"، البنك التجاري الإيطالي، غرفة التجارة، مكتب شركة النقل البحري للركاب والبضائع "روباتينو".

تميز المجتمع الإيطالي بالإسكندرية بالنشاط الكبير في مجال المدارس والمستشفيات ومؤسسات الأطفال والكنائس، وقد لعبت الصحافة الإيطالية السكندرية دورًا خاصًا والتي كانت تتقدمها جريدة "*Il Messaggiere Egiziano*"، والتي حفظت أعدادها بشكل رائع في كل من المكتبة الوطنية بالقاهرة ومكتبة البلدية بالإسكندرية.

لم يكن من الممكن لهذه الأنشطة الثقافية المزدهرة العفية للإيطاليين السكندريين ألا تدل على مساهمة مميزة لممثلى ثقافتهم. فلنشِر إلى واحد من شعرائهم هو جوزيبى نادزاريتى[٢٠]، الذي ولد في الإسكندرية وتشرب الكثير منها، وأصبح أديبًا ذا شهرة عالمية، وكان صديقًا مقربًا للرسام المصري محمد ناجى ولأمير الشعراء أحمد شوقي، وقد دفع هذا النشاط الواسع للإيطاليين بصفة عامة في مصر، وخاصة بالإسكندرية، إلى أن كتبت الصحيفة المصرية "*La bourse Egyptienne*" في أحد أعدادها بفبراير ١٩٣٣ أن "أيدي العمال الإيطاليين وعقولهم قد ساعدا في بناء مصر أكثر من إفادتهما لمصالح الشركات[٢١].

ولكن بصفة عامة، فإن الإيطاليين قد أثروا على الحياة في الإسكندرية بشكل آخر؛ حيث علموا السكندريين والبلوريتاريا المصرية عامة تقاليد الصراع الطبقي والحركة الاشتراكية والشيوعية؛ حيث إن كلمة "باستا" بالإيطالية التي ظهر منها المصطلح "زاباستوفكا (المترجم: إضراب باللغة الروسية) بقيت على قيد الحياة على أرض الإسكندرية، وأحيت كلمة "اعتصام" المحلية التي تعنى بشكل مباشر مرادفها في اللغة الروسية "ستاتشكا"، ولم يعتقد بعض الباحثين جزافًا أن نشاط الحزب الاشتراكى الإيطالي على أرض مصر والإسكندرية كان عامة أكثر أهمية مما كان عليه في إيطاليا نفسها.

لقد قام الكثير من البروليتاريين الإيطاليين الفارين من كالابريا وصقلية مدفوعين بالفقر، والهاربين بسبب خطاياهم السياسية من الشرطة الإيطالية، أو ببساطة الذين تم نفيهم للسبب الأخير، بتشكيل قوة سياسية وطبقية كبيرة في مصر أثرت على الدوائر المحلية الكوزموبوليتانية والاستعمارية والوطنية، وقد وجد نشطاء "الريسور جيمنتو" والفوضويون والنقابيون وكثيرون غيرهم ملجأ في مصر، واستغل الكثير منهم الظروف السياسية المواتية بالإسكندرية والقاهرة

وبورسعيد ليواصلوا نشاطاتهم الثورية، وفي عام ١٨٩٩ تم في الإسكندرية اكتشاف مؤامرة دبرها الفوضويون الإيطاليون لاغتيال القيصر الألماني فيلهام الثاني أثناء زيارته لفلسطين، وبعد سنة من ذلك كان للمهاجرين السياسيين رد فعل شديد لاغتيال ملكهم أو مبرتو الثاني وساروا في الشوارع بالمدن المصرية الكبيرة وهم يلوحون بأعلام حمراء.

كان دور المثقفين والعمال الإيطاليين كبيرًا في تشكيل هياكل نقابية جديدة وحديثة وأحزاب سياسية وحركات اشتراكية وشيوعية في وادي النيل، كان أكثر ما قاموا به وضوحا في هذا الصدد هو إنشاء الجامعة الشعبية الحرة، ولها فرع في القاهرة، في مايو ١٩٠١، وقد كان الإيطاليون واليونانيون والنمساويون واليهود والفرنسيون والعرب ممثلين في عضوية اللجنة التنفيذية للجامعة، وكان عدد المستمعين يزيد على ٢٠٠٠ فرد في الشهر تقريبًا من مختلف الانتماءات القومية.

وكانت المحاضرات تلقى في الجامعة الشعبية الحرة باللغات الإيطالية والفرنسية واليونانية والعربية في مواد الفيزياء الأساسية والكيمياء والطب والنظافة وتاريخ النضال السياسى والأدب الإيطالى واليونانى والفرنسي والروسي، وكانت تحظى بأكبر درجة من النجاح المحاضرات العامة عن الموضوعات الخاصة بالعمال وعلى سبيل المثال محاضرات المحامى الإيطالي عن "الهيئات العمالية أمام القانون"، و"منظمة العمال والقانون الحديث"، ومحاضرة الفرنسي رامبين "الإضرابات عن العمل، في تكتيكات الطبقة العاملة". وقد أشارت الصحافة السكندرية إلى "الضرورة القصوى" لمثل هذه المحاضرات العامة.

أدى كل من امتلاء القاعات والنجاح الكبير للمناسبات العامة بالجامعة الشعبية الحرة وجهود ممثلي الجماعات السياسية والعمالية التي كانت تتم في إطار أنشطتيا (حيث كانت تنظم في مبنى جامعة الشعب الحرة اجتماعات لعمال

الإسكندرية من أجل مناقشة موضوعات حالتهم الاقتصادية، والإضرابات التي ينوون القيام بها.. إلخ)- إلى جذب انتباه سلطات الاستعمار والقنصليات، فقامت باتهام مؤسسي الجامعة والمحاضرين بأنهم قد خرجوا عن الأهداف التعليمية التي تم الاتفاق عليها مسبقًا، وأنهم قد استبدلوا بها أهدافًا سياسية، وأشارت على وجه الخصوص إلى أن محاضرة الدكتور جارسونى في الكيمياء التي ألقاها في ٥ يونيه ١٩٠١م كانت في حقيقتها دعوة للتخلص من العبودية السياسية، وقد أصر موظفو القنصلية الإيطالية على أن يتم فورًا إغلاق جامعة الشعب الحرة وطرد العناصر المخربة من مصر وتقديمها للمحاكمة، وأثناء ذلك فإن السلطات القنصلية أعلنت عن وجود عناصر بين قيادة الجامعة الشعبية الحرة مرتبطة بمؤامرة عام ١٨٩٩ سالفة الذكر بالإسكندرية، ولكن فشلت محاولة إغلاق الجامعة بسبب الموقف الحازم والثابت لرؤساء الجامعة بدعم من السياسيين والدوائر الثقافية ذات النفوذ بالإسكندرية.

كان يوجد أيضًا بين الإيطاليين السكندريين الكثير من المتطرفين والعناصر غير المسئولة؛ حيث كانت تصرفاتهم في الحياة اليومية تؤدى إلى مشاكل وعراك واشتباكات في الحياة الاجتماعية والقومية المتنوعة بالمدينة، هكذا حدثت مشاجرات ضخمة في أغسطس وأكتوبر ونوفمبر ١٩٠٠ في العاصمة الشمالية بين الأوروبيين (غالبيتهم من اليونانيين والإيطاليين) وعشرات من المصريين نتج عنها بعض الوفيات، وأدت هذه الأحداث إلى تذمر شديد لدى المواطنين.

وفى ديسمبر ١٩٥٠ نشبت مرة أخرى مشاجرة دامية بين الأشخاص الفاعلين أنفسهم فاضطرت السلطات إلى اللجوء لنقل قوات شرطة إضافية من المحافظات المجاورة، تم تقديم ١٠٣ أشخاص للمحاكمة، وحكم على ٢٤ منهم بالسجن لمـــدة ٦ أشهر، وعلى ١٨ منهم بالسجن لمدة عام مع الأشغال الشاقة، وفى عام ١٩٠٦ حدثت اضطرابات السكندريين بسبب إلحاق إيطالي إصابة بمصري،

وفى أغسطس ١٩٠٧ حكمت المحكمة القنصلية الإيطالية على اثنين من العمال الإيطاليين بالسجن لمدة ٤٥ يومًا للأول و٨ أيام للثانى بسبب مهاجمتهما تاجرًا مصريًا، وفى أكتوبر من العام نفسه جرح عامل إيطالي في الإسكندرية اثنين من السكان المحليين فهاجت المدينة مرة أخرى[٢٢]، هكذا كانت الحياة الاجتماعية والسياسية حافلة بالشد والجذب بين السكان المحليين والوافدين الجدد من المهاجرين، كما كانت هناك عوامل تنافر أدت في النهاية إلى نتائج متباينة سيتم عرضها لاحقًا.

على الرغم من كون عدد الفرنسيين أقل من أعداد اليونانيين والإيطاليين والإنجليز، وأنه لم يتعد ٦-٩ آلاف شخص في ١٨٨٢- ١٩٣٧، وبحلول نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر انخفض العدد إلى أكثر من النصف فمثل أكثر قليلاً من ثلاثة آلاف شخص، إلا أن تأثيرهم على الثقافة المصرية طوال وجودهم كان عظيمًا، وذلك يمكن تفسيره في المقام الأول بالجذور التاريخية للروابط بين الشعوب التي تسكن حوض البحر الأبيض المتوسط منذ زمن سحيق شمالاً وجنوبًا.

لقد لعبت حملة نابليون بونابرت دورًا لا يقدر بثمن في تنمية العلاقات الثنائية، والدليل على ذلك هو كتاب "وصف مصر" المكون من ٢٠ مجلدًا والذي يستخدمه الباحثون بحق حتى اليوم، فبفضل العلماء الذين شاركوا في الحملة اكتشفت أوروبا الكثير من الأمور المثيرة للاهتمام حول هذا البلد، ويعتبر العثور على حجر رشيد أحد أهم الإنجازات التي حققها علماء الحملة الفرنسية في ١٧٩٨-١٨٠١ فقد قام شامبليون بفك رموز اللغة المصرية القديمة، وقد أُطلق اسم هذا العالم على شارعين في الإسكندرية والقاهرة.

وقد أضاف السان- سيمونيون صفحة مضيئة في تاريخ الجالية الفرنسية بمصر، فبعد وفاة سان- سيمون في عام ١٨٢٥ حضر تلاميذه تحت رئاسة

بروسبير أنفانتين إلى الإسكندرية في عام ١٨٣٣، كانت قد جذبتهم إلى هذه البلاد مبادئ المساواة في الإسلام؛ حيث كانوا يأملون بإخلاص في تحقيق أفكارهم الإنسانية بواسطتها، وكانوا يعولون على الحاكم الشرقي الكبير الذي كأنه الوالي محمد على، والذي كانوا يعتقدون أنه "محب للشعب"، كان السان - سيمونيون يؤمنون بأن مصر ستصبح موطنًا لمجتمعهم المستقبلي، وكان أنفانتين يضع آمالاً كبيرة على شق قناة السويس ورأى فيه حسن طالع؛ لأن برنامج السيمونيين يتطابق من حيث المكان مع أحد أكثر الملوك "تقدمية"، ولكن لم يكن من المقدر لهذه الأهداف أن تتحقق حيث إن محمد على وأنفانتين ورفاقه كانوا ينظرون بشكل مختلف للغرض من شق قناة السويس. فبالنسبة للسان- سيمونيين كان هذا المشروع يعني عملاً عظيمًا كان من شأنه توحيد الناس والإلحاق بالخطة العزيزة لديهم لخلق نظام عالم جديد- رابطة عالمية للأفراد الأحرار، أما بالنسبة لحاكم وادي النيل فإن هذا الطريق المائي القصير الموصل من أوروبا إلى الهند والصين سوف يجعل من مصر قطعة لذيذة للقوى الغربية.

كان أتباع سان- سيمون قد أنشئوا جمعية لدراسة قناة السويس أخذت تصمم بنشاط مشروع قناة السويس- الإسكندرية بطول ٤٠٠ كم، وعرض ١٠٠ متر، وعمق ٨ أمتار، بتكلفة ٣٠٠ مليون فرنك، ولكن على أية حال لم يتمكنوا من تنفيذ فكرتهم عمليًا في ١٨٣٤- ١٨٥٤ أثناء فترة حكم محمد على (١٨٠٧- ١٨٤٩) وعباس الأول (١٨٤٩- ١٨٥٤). حيث إنهم اختاروا مصر هدفا نهائيًا لهم، عكف ٣٠٠ من السان- سيمونيين بهمة في بناء سد عند التقاء فرعي النيل رشيد ودمياط، وقد مات العشرات منهم هنا نتيجة وباء الطاعون في عام ١٨٣٥.

مع تنصيب سعيد باشا في يوم ١٤ يوليه ١٨٥٤ انتعشت مرة أخرى آمال أتباع سان- سيمون؛ حيث إن فرديناند دى ليسيبس أبدى اهتمامه بمشروع قناة

السويس، وهو صديق شخصي للباشا، وقد أمضى سنوات طفولته مع سعيد عندما كان والده القنصل الفرنسي في بلد الأهرام، كان دى ليسيبس على دراية منذ فترة طويلة بتعاليم سان- سيمون وكذلك تلاميذه، وقد استخدم كل ما لديهم من وثائق عن قناة السويس، وفى بداية شهر نوفمبر ١٨٥٤ وضع المشروع على مكتب سعيد باشا الذي منحه امتيازًا في ٣٠ نوفمبر، وبعد أسبوع توجه بالفعل عدة عشرات من السان- سيمونيين إلى الإسكندرية، ولكن في بداية عام ١٨٥٥ رفض سعيد باشا بناء قناة السويس لكى تصل إلى الإسكندرية، وفى عام ١٨٥٦ كوّن السيد بروسبير أنفانتين رابطة "الانتهاء من قناة السويس"، ولكن نظرًا لاختلاف وجهات النظر مع فرديناند دي ليسيبس وكذلك بين السان- سيمونيين أنفسهم لم يبق بها مع حلول نهاية عام ١٨٥٦ أي من أتباع سان سيمون، وتحول المهندسون الفرنسيون والإنجليز والألمان والنمساويون إلى مساهمين بسطاء في شركة قناة السويس العالمية التي تكونت على أساس الرابطة، وقد تحولت لتكون من ضمن الشركات الرأسمالية بعيدًا عن خطط السان - سيمونيين للتجديد الروحي للإنسانية[٢٣].

في يوم ١٧ أكتوبر ١٨٦٩ تم الاحتفال بافتتاح قناة السويس. لم تُقَل كلمة واحدة في حق السان- سيمونيين على الرغم من أنه على مدى فترة ربع قرن من تنفيذ خطط بناء القناة كان السان- سيمونيون بالذات هم من قاموا بالدراسات العلمية وأعدوا الحسابات الهندسية والحسابات الاقتصادية، وأصبحت قناة السويس جسرًا بين مختلف الدول والقارات.

عند الحديث عن الربع الأخير من القرن التاسع عشر يجب تذكر الثورة الفرنسية العظيمة في عام ١٨٧١ التي وصلت أصداؤها إلى وادي النيل. تشير المصادر الأرشيفية إلى أن بعض المشاركين في كومونة باريس تم إرسالهم إلى مصر، ومن غير المعروف كم من الوقت كانوا هناك, على أية حال فقد ظهرت في التسعينيات بالإسكندرية منشورات تمجد الكومونة: "أيها المواطنون، إن اليوم هو

ذكرى الكومونة الباريسية، فلتحيا الفوضى وليسقط الرأسماليون"، وقد ذكرت جريدة "*Le phare d'Alexandrie*" (منارة الإسكندرية) في عدد ١٨-١٩ مايو ١٨٩٤ أن الشرطة قد ألقت القبض على أوروبي يلصق ملصوقات بالمحتوى المذكور أعلاه؛ حيث حضر مؤخرًا من مارسيليا.

هذه الجريدة نفسها أفادت في عدد ١٥ يونيه أنه قد وصل إلى مصر عملاء مباحث الشرطة الإيطالية؛ للبحث عن الفوضويين من الذين ارتكبوا أعمالاً إرهابية في شبه جزيرة أبيانين والذين وجدوا مأوى هنا، ثم نشرت الجريدة نفسها في ١٠ و١١ يوليه من العام نفسه خبرًا عن وصول جنود قناصة للبحث عن فوضويين نزلوا إلى الإسكندرية؛ حيث يوجد بينهم قاتل صحفي في ليفورنو ومعتدٍ على حياة الخليفة المصري، ونشرت جريدة "منارة الإسكندرية" في ٧-٨ أكتوبر ١٨٩٤ عن القبض على الفوضوي الإيطالي في الإسكندرية وإرساله إلى إيطاليا؛ لكي يحاكم أمام محكمة عسكرية[٢٤].

في رأينا أنه لم يكن من الممكن أن تمر أحداث مثل الكومونة الباريسية ووصول مشاركين في الكومونة وكذلك أعضاء الريسود جيمينكو الإيطالية دون أن تترك أثرًا على الصفوة المثقفة المصرية في الستينيات- السبعينيات من القرن التاسع عشر، وربما ليس من قبيل المصادفة أنه في منتصف سبعينيات هذا القرن نشأ في بلد الأهرام أول حزب سياسى من النوع الحديث، ويشير إلى ذلك بالذات المستشرق البيلاروسى الشهير كوشيليف[٢٥].

كان تطور مصر الرأسمالي الذي تزامن مع بداية سريان امتياز قناة السويس في منتصف القرن التاسع عشر ظاهرًا بمشاركة غالبة من الشركات الفرنسية، وكانت هذه المشاركة بصفة خاصة على نطاق واسع في مجال صناعة السكر التي احتلت المرتبة الثانية بعد صناعة القطن في مصر.

على الرغم من الاتفاق العام في ١٩٠٤ (الوفاق) بين إنجلترا وفرنسا فإن الصراع بينهما (مع بعض المشاركة من الدول الكبرى الأخرى) على النفوذ السياسي في هذا البلد لم ينته، بل إن المنافسة زادت بينهما في السوق المصرية، ويُظهر هذا الاتجاه بوضوح مصدر دبلوماسي روسي في عام ١٩٠٨: "إن وضع رءوس أموال كبيرة فرنسية في مصر يخلق لفرنسا وضعًا فريدًا من نوعه مقارنة بالقوى الأجنبية الأخرى.. لقد وضعت فرنسا هنا حوالي ثلاثة مليارات فرنك. وإلى وقت قريب لم يكن يوجد الكثير من الفرنسيين بين العاملين في الشركات الصناعية والائتمانية وغيرها في مصر، إلا في إدارة قناة السويس ومصانع السكر، وقد جذبت هذه الحقيقة اهتمام الحكومة الفرنسية، ومنذ ذلك الوقت سوف يكون على الشركات التي تعمل باستخدام رءوس الأموال الفرنسية أن توظف بقدر الإمكان موظفين وعمالاً من بين المواطنين الفرنسيين، وهذا سوف يؤدى على الأغلب إلى بعض من التدفق للعنصر الفرنسي إلى مصر وإلى تقوية أهمية فرنسا في مصر. ومن جانبها، فإن إنجلترا تحاول على ما يبدو أن تخلق توازنًا مع النفوذ الفرنسي..."[٢٦].

ومع ذلك، استمر تقديم الدعم السياسي الفرنسي لمصر، على الرغم من كون جزء كبير منه كان سريًا، وقد وصل إلى ذروته خلال فترة الصداقة بين زعيم الحركة الوطنية مصطفى كامل والشخصية السياسية الفرنسية البارزة جولييت آدم في تسعينيات القرن التاسع عشر وفى أول عقد في القرن العشرين. أثر كل هذا بطبيعة الحال على التوسع الثقافي لفرنسا في الإسكندرية التي كانت لديها هي نفسها رغبة في إحراز تقدم على أساس الاكتفاء الذاتي وجاذبية الثقافة الفرنسية.

وبادئ ذي بدء تمثل ذلك في زيادة عدد المدارس الفرنسية مختلفة المستويات والاتجاهات وتلاميذها؛ ففي بداية الثلاثينيات من القرن العشرين كان يتعلم في المدارس السكندرية ١١ ألف طفل منهم ٥٦١ فرنسيا فقط! كانت تمتلك هذه

المدارس ٣٠ منظمة فرنسية من بينها مدارس "منظمة الأخوة" التي كانت من ضمنها مدرستا "سان مارك" و"سان كاترين" بمنطقتي محرم بك وباكوس السكندريتين، أي في وسط المدينة. وقد تعلم الكثير من أبناء الروس البيض في مدرسة سان مارك التي حظت بشعبية كبيرة بين سكان الإسكندرية، وكان من بينهم تاتيانا سيريكوفا (مونتى) التي تعيش حاليًا في الإسكندرية.

كثيرًا ما نرى في صحف الجرائد السكندرية في فترة العشرينيات إلى الأربعينيات من القرن العشرين معلومات حول اجتياز أطفال المهاجرين الروس الامتحانات بنجاح في القنصلية الفرنسية بالإسكندرية بهدف استكمال تعليمهم في فرنسا، هكذا أشارت صحيفة "لاريفورم" في عدد ٢٤ يوليه ١٩٢١ إلى أسماء سعداء الحظ الأكثر نجاحًا الذين اجتازوا هذه الامتحانات للغة الفرنسية كريمينتشو جسكوفى، موفشوفيتش، بالوفان بابيتسكى، تانيباوم وغيرهم[٢٧].

إن إرث الثقافة الفرنسية في الإسكندرية وتأثيرها على تطور الحضارة المصرية والعالمية هائلان، ولم تكن تسمية الكثير من شوارع وشواطئ وميادين الإسكندرية بأسماء الشخصيات البارزة في العلوم والأدب والفنون الفرنسية مصادفة، ولعل أكثر مولود للثقافة الفرنسية لمعانًا هو معهد الدراسات السكندرية بالعطارين بالقرب من محطة السكك الحديدية بالإسكندرية، وما زال يعمل به إلى اليوم علماء فرنسيون موقرون التقيتهم كثيرًا في أكثر الأماكن إثارة في مصر، ومنها واحة سيوة؛ حيث إنهم يكرسون حياتهم وأنشطتهم للإسكندرية، ويقوم هؤلاء الخبراء في السنوات الأخيرة بنجاح بتنفيذ أبحاثهم في عالم ما تحت ماء ساحل الإسكندرية، والمتعلقة بدراسة الثلاثة مدن المعروفة التي غرقت تحت الماء بفعل أحد الزلازل، ومنذ عدة سنوات ينشر المعهد بانتظام مجلة الدفاتر السكندرية

"Les Cahiers Alexandrins"، والتي تنشر على صفحاتها مواد شيقة متنوعة عن التاريخ والآثار والثقافة.

لقد بقى الارتباط بالثقافة الفرنسية، كما استمرت الرغبة في تعلم اللغة الفرنسية لدى الصفوة المصرية لسنوات طويلة؛ ففي منتصف الستينيات كان يمكن لطلبة المجموعة العربية- الفرنسية بمعهد اللغات الشرقية بجامعة موسكو الحكومية وهم في مهمات تدريبية بهذا البلد أن يتحدثوا كثيرًا باللغة الفرنسية مع ممثليها في المتاجر والصيدليات وغيرها من الأماكن العامة، كانت معرفة المثقفين المصريين لهذه اللغة تعتبر علامة على حسن الذوق، وقد كانت المراجع الرسمية لتلك الفترة تشير إلى أن ٢٥٠ ألف شخص في مصر يجيدون اللغة الإنجليزية و٣٠٠ ألف يجيدون الفرنسية، وكان ذلك مميزًا لمدينة الإسكندرية العالمية، وحتى في مطلع الألفية الثالثة كثيرًا ما كنت أشاهد في حفلات الاستقبال بالقنصلية الكثير من السيدات المتقدمات في السن داكنات البشرة بفعل الشمس لا يمكن تحديد جنسيتهن يتحدثن فيما بينهن باللغة الفرنسية ويفاجئننا برفضهن تخفيف الويسكي الذي يقدم لهن بالماء أو الصودا.

لم يختلف مصير الجالية الفرنسية عن باقي الجاليات بالإسكندرية؛ حيث إنها بدأت تتقلص باستمرار وببطء قبل حلول منتصف القرن العشرين، وكانت آخر ضربة قوية تلقتها بسبب العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦، والتي كانت فرنسا مشاركة فيه مع بريطانيا وإسرائيل، لم يتسبب تأميم قناة السويس الذي كان أحد أسباب العدوان فقط في الإضرار بسمعة فرنسا في مصر، ولكن ترتب عليه أيضًا تمصير الشركات الفرنسية الأخرى بمصر (وكذلك الهولندية والبلجيكية وغيرها).

في نهاية أربعينيات القرن الماضي انخفض أيضًا حجم أسياد مصر الإنجليز، بالرغم من أنه لم يظهر شيء بعد يدل على انهيار السيادة البريطانية في وادى النيل، ولكن غالبًا تقلص عدد البريطانيين مثله مثل عدد أعضاء الجاليات الأجنبية الأخرى في بلد الأهرام نتيجة لعدة أسباب؛ منها التمصير التدريجي للقطاع الحكومي وشركات القطاع الخاص والشركات المساهمة، وما إلى ذلك في إطار العمليات المرتبطة بنمو الحركة الوطنية في البلاد في السنوات ١٩١٨-١٩٥٢.

ورغم أن عدد الرعايا البريطانيين في الإسكندرية في الأعوام ١٨٨٢-١٩٤٧ لم يتجاوز ١٥ ألفا فإنه من الصعب المبالغة في تقدير مدى تأثيرهم على الوضع في المدينة، فتقريبًا كل المناصب الحكومية المهمة في المدينة كان يشغلها بريطانيون، أو على وجه الدقة رعايا بريطانيون، كان عدد كبير منهم من المالطيين.

كانت الجالية الإنجليزية بالعاصمة الشمالية هي أيضًا متمتعة بالاكتفاء الذاتي؛ فقد كانت لديها مدارس ومستشفيات ومراكز تسوق ومرافق اجتماعية لخدمة أعضائها، وتميزت أيضًا بالنشاط الخيري والإنساني، وفي عام ١٩٠١ تأسست كلية الملكة فيكتوريا بالأزاريطة[٢٨] لأطفال مختلف الجنسيات على نمط المدارس العامة البريطانية.

وقد درس بكلية فيكتوريا ميشيل ديميترى شلهوب المعروف أكثر باسمه المستعار عمر الشريف، الذي ينحدر من عائلة ثرية لبنانية سكندرية مسيحية الديانة، حيث كان والده من رجال الأعمال في مجال تشغيل الخشب واستثمر رءوس أموال ضخمة في محاولات محدودة النجاح لإحياء ورق البردي وجعله يستخدم بتوسع، وبعد إتمامه دراسته بكلية فيكتوريا فإن من لعب دور الدكتور

زيفاجو في المستقبل في الفيلم السينمائي الذي يحمل نفس الاسم[٢٩] حصل على شهادة جامعة القاهرة بتقديرات رائعة في الفيزياء والرياضيات.

كما كانت توجد أيضًا مؤسسات دراسية أخرى تحظى بشعبية، منها مدرسة القديس أندر والتى تم إنشاؤها في عام ١٨٥٩ بالسلسلة، والتى أصبحت محطة عربات المطافئ تتمركز في مبناها اعتبارًا من عام ١٩٠٠[٣٠]. وبالإضافة إلى ذلك كانت مدرسة البنات ***"Scotish school"*** ذائعة الشهرة؛ حيث تم تأسيسها في عام ١٨٦١، وفي عام ١٩٢٧؛ وبناء على مبادرة من جانب اللورد لويد تم تأسيس مدرسة إنجليزية للبنين.

إن دور البريطانيين في إنشاء المؤسسات الخيرية كبير، فبالإضافة إلى المستشفى البريطاني الأنجلو- السويسري؛ فقد قاموا بإنشاء صندوق إنجليزي للتعاون المتبادل بين الرعايا البريطانيين، وقد عملت بالمدينة دار لرعاية المسنين والنساء غير القادرات، ومنظمة الجامعة البريطانية؛ لمساعدة المحاربين القدامى ونادى البحارة والجنود، ودار البحارة التجاريين بالإسكندرية التي ضمت أعضاء مختلف الجاليات، وجمعية الباحثين (١٩١٢)، وجمعية المعلمات (١٩٢١)، ونادى الكتب، وجمعية محبى الدراما والموسيقى، ونادى الرياضة، وجمعية "الاتحاد" لهواة الرياضة من كل الجنسيات، ونادى اليخت (منذ عام ١٩١٩)، وجمعية محبي الحيوانات التي تأسست من خلالها في وقت لاحق مستشفى بمحرم بك أصبحت معروفة في كل المدينة.

كان لإنشاء الغرفة التجارية البريطانية هنا في عام ١٨٩٦ أهمية كبيرة للمدينة، فكان يهتم بنشاطها كل من المستعمرين الإنجليز والسلطات المصرية، كما أنها كانت الناطقة باسم النظام الحاكم في مصر، وكثيرًا جدًا ما أصبح موظفو الاستعمار البريطاني، بعد انتهائهم من الخدمة الرسمية في مصر، عاملين في

القطاع غير الحكومي المصري؛ فعلى سبيل المثال كان أول رئيس للبنك الوطني ا.بالمر قد شغل قبل ذلك منصب المستشار المالي البريطاني للحكومة المصرية، كما شغل بعض من "السابقين" مناصب في غرفة التجارة البريطانية المذكورة أعلاه بالإسكندرية، وهم هنا وهناك كانوا يخدمون مصالح التاج البريطاني، وهم كما نعرف من مؤلف كارل ماركس "الحكم البريطاني في الهند" قد جلبوا أيضًا فائدة للبلد المضيف بأنهم قد عرفوا سكانه بالمنجزات العلمية والتكنولوجية الجديدة.

عند الحديث عن التفاعل بين بريطانيا العظمى ومصر في المجال السياسي، لا يمكننا نسيان جانب آخر من جوانب هذا التفاعل، والذي يقصد به تأييد حزب العمال الإنجليزى ممثلاً في رئيسه الشهير عضو مجلس العموم كير هاردى للحزب الوطني، تحت رئاسة محمد فريد الذي خلف مصطفى كامل بعد وفاته في عام ١٩٠٨، والذي كان يعتمد تقليديًّا على مساعدة الرأي العام الفرنسي.

كان الموقف المناهض للإمبريالية والمناهض للاستعمار لكير هاردى وغيره من اليساريين الإنجليز ذا جاذبية خاصة للحركة الوطنية المصرية التي كانت تسعى لكسب الرأي العام في أوروبا، وقد شارك كير هاردى هو وزملاؤه الإنجليز والأيرلنديون في أعمال المؤتمر الوطني للشباب الوطني بجنيف في سبتمبر عام ١٩١٠، حيث اجتمع حوالي مائة من الطلبة المصريين والمحامين برئاسة محمد فريد وأحمد لطفي، ووفقًا لما ذكره دبلوماسي روسي في القاهرة، فإن كير هاردى "في كلمته المطولة قد أكد للمجتمعين تعاطفه الصادق مع قضية الوطنيين، ووعد بتأييد رغبتهم في الحرية السياسية بمصر في مجلس العموم"، وفي الجلسة الختامية للمؤتمر والتي رأسها هاردى بنفسه، صدر بيان "لإجلاء القوات البريطانية من مصر ووضع الدستور وحرية الصحافة، أى إلغاء قانون الصحافة الصادر في عام ١٨٨١"، وقد تمت صياغة هذه الطلبات في برقيات أرسلت إلى الخديوى ورئيس

الوزراء ومجلس العموم الإنجليزي، وقد تحدث في المؤتمر محمد فريد معبرًا عن امتنانه لصديقه قائلا: "لقد أصبح حزب العمال في لندن أحد أكثر الأحزاب احترامًا بفضل من كرس حياته لهذه الفئة"، وقد استمرت العلاقة بين كير هاردى ومحمد فريد حتى وفاة تلك الشخصية الاجتماعية الإنجليزية.

وتجدر الإشارة إلى أن الأجانب الوافدين إلى مصر بحثًا عن عمل كانوا يفضلون الإقامة بالإسكندرية، ووفقًا لتعداد العام الأول للسكان بمصر في عام ١٨٨٢، فإن الأجانب الذين كانوا يعيشون هنا كانوا أكثر بكثير من الذين يعيشون بالعاصمة، ففي ذلك الوقت كان تعداد الفرنسيين بالإسكندرية ٨,٢ آلاف في مقابل ٥,٢ آلاف بالقاهرة، والإنجليز ٣,٦ آلاف في مقابل ١,٢، واليونانيين ١٨,٧ ألفًا في مقابل ٦,٩، والإيطاليين ١١,٦ ألف مقابل ٥,٠، ورعايا الإمبراطورية النمساوية-المجرية ٤,٧ آلاف مقابل ١٣٤، والسويسريين ٣١٧ مقابل ٧٣، والألمان ٣٨٣ مقابل ١١٦، والروس ٣٤٠ مقابل ١١١، والصرب ٢٤٠ مقابل ٨٠، والهولنديين ١٦٢ مقابل ٥٣، والأمريكان ١٣٠ مقابل ٣٥[٣١]، وعلى الرغم من أن الوضع في السنوات التالية قد تغير في صالح القاهرة، فإن الأجانب المصريين استمروا يفضلون الإسكندرية.

وقد كونت كل الجاليات الأجنبية الكبيرة جزءًا كبيرًا من السكان غير الأصليين للإسكندرية[٣٢]. وبالإضافة إليها، ومن أجل الإنصاف، يجب أن تنسب جاليات الأتراك والمغاربة والسودانيين واللبنانيين والسوريين إلى الأقليات القومية الكبيرة بالعاصمة الشمالية، والثلاث جاليات الأولى لا تدخل في مجال اهتمامنا، ولكن الفئة الأخيرة من سكان الإسكندرية لها علاقة مباشرة بالهجرة الروسية، وبالإضافة إلى ذلك فنحن لا ندرس هنا أهمية الجاليتين الأرمينية واليهودية في تنمية المجتمع السكندري، وفيما يتعلق بأهمية الجالية الأخيرة فإننا سوف نقوم

بدراسة تأثير مجتمع ٣٠ ألف يهودى (فى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين) في خلال دراستنا للجاليات اليهودية التي كان من ضمنها يهود من البلاد المعنية.

لقد ظهرت الجالية السيريانية اللبنانية أو اللبنانية السورية منذ زمن بعيد نسبيًا بالإسكندرية، فبالإضافة إلى اليهود والأرمن، استعان الحكام المماليك بتوسع بخدمات الموظفين والتجار والاقتصاديين السوريين. تكونت الجالية السورية المسيحية بمصر بصفة أساسية في الفترة من عام ١٧٣٠ إلى عام ١٧٨٠، عندما جاء إلى القاهرة والإسكندرية ودمياط حوالي ٤ آلاف من السوريين المسيحيين بسبب الاضطهاد الديني والبحث عن فرص جديدة للتجارة. نظرًا لخبرة السوريين وعلاقاتهم مع التجار والشركات الفرنسية في مجال الأعمال، فقد تمكنوا من كسب مواقف قوية في مجال التجارة، وبصفة خاصة التجارة الخارجية. ووفقًا لبعض التقارير فبحلول نهاية القرن الثامن عشر كانوا يمثلون أكثر من نصف كل التجار الأغنيــاء بالبلــد، وقــد قــاوم التجار المسلمون دخولهم ودارت معركة تنافسية شرسة بينهما.

بعد أن ثبَّت قادة الجالية مكانتهم في التجارة، دخلوا في صراع من أجل السيطرة على الجمارك والالتزامات، وفي النهاية أحرزوا النصر. بعد ذلك وفى ظل سباق التوسع الاقتصادى والمالي للغرب؛ بدءًا من أربعينيات القرن العشرين أكد اللبنانيون والسوريون وضعهم القوى المالي والتجارى، وبصفتهم الأكثر "أوروبية" قاموا إلى حد كبير بإزاحة ممثلي الجاليات الأجنبية الأخرى (الأرمن واليهود) في مجال الأعمال، وعامة فقد زاد تعدادهم في مصر في خلال الفترة ١٨٨٢- ١٩١٧ من ١٦ ألفًا إلى ٣٥ ألف فرد، وقد تشكلت طبقة رجال الأعمال في هذه الجالية من العائلات السورية واللبنانية الشهيرة: سكاكينى، زنانيرى، كحيل، ساب، بسطرس، كرم، صيدناوى، وسيورسوك وغيرهم.

وقد لعبت العائلات الكبيرة السورية واللبنانية المسيحية الأرثوذكسية دورًا مهمًا في حياة المهاجرين الروس قبل ثورة أكتوبر وبعدها، ويكفي ذكر أن نصف وكلاء القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية بمصر قبل الحرب العالمية الأولى كان من اللبنانيين والسوريين الأرثوذكس[٣٣]. ونظرًا لما لهم من ثراء ومكانة اجتماعية عليا ووزن سياسي فإن سكاكيني ولطف الله وخورى وغيرهم في البلد قد قدموا خدمات لا تقدر بثمن لزملائهم في الديانة من الروس بالقاهرة والإسكندرية وصلت إلى عقد ارتباطات عائلية وزوجية، وستتم مناقشتها فيما بعد.

لقد قدم اللبنانيون والسوريون مساهمة كبيرة في تشكيل الطبقة المثقفة الحديثة بمصر وتطويرها، والتي أطلق عليها اللورد كرومر "الكريمة الثقافية" بالشرق الأوسط، ويفسر دورهم الخاص في هذه العملية بتوافق عدد كبير من الأسباب الداخلية والخارجية الخاصة بمصر، فبحلول منتصف القرن التاسع عشر أقيمت بكل من سوريا ولبنان شبكة واسعة ومتفرعة من مؤسسات التعليم العالي بفضل نشاط البعثات التبشيرية قدمت تعليمًا أوروبي النوع، ولم يجد الكثير من خريجها لأنفسهم مجالاً للعمل بالوطن أو لأنهم شعروا هناك بقيود كبيرة لنشاطهم المهني (رقابة، إدارة محافظة للمؤسسات التعليمية، وغيرها)، كما أن الاضطرابات والاشتباكات الطائفية مثلت عامل طرد قويًا، وبهذا الخصوص فإن القمع الديني والنفسي قد "كلف" السلطات التركية الكثير، وفي ذلك الوقت ظهرت في مصر حاجة ماسة للموظفين والمعلمين والأطباء والمترجمين والصحفيين.. إلخ، ولم يتمكن المصريون في ذلك الوقت من ملء "الفجوة الاقتصادية" نظرًا لنقص الخبراء من ذوى التعليم الأوروبي والملمين باللغات، الأرمن بسبب قلة عددهم، واليهود بسبب اتجاههم للأعمال الحرة، واليونانيون والإيطاليون بسبب اختلاف لغتهم وغربة ثقافتهم؛ لذلك فقد تمكن اللبنانيون والسوريون من سد الحاجة من الخبراء لاسيما بعد الفرص الواسعة التي أتيحت لهم بعد الإعلان عن سياسة التعريب في

جهاز الدولة في عام ١٨٧٠، وبعد ثورة الشعب المصري تحت قيادة أحمد عرابي في عام ١٨٨٢.

وقدر اللورد كرومر مستوى تعليمهم وقدراتهم تقديرًا كبيرًا وإن لم يخلُ من السخرية "تقريبًا مثل الأوروبيين" فضلاً عن "رخصهم"، كما كان يرى أنه سيكون من الصعب بدونهم إقامة نظام فعال للإدارة، وقد ذكر موظف إنجليزى آخر هو كولز باشا عن ذلك بشكل مباشر قائلاً: "لم يكن من المعروف كيف كنا سنتصرف في بداية سنوات ١٨٨٠؟ ماذا كنا سنفعل بدون المترجمين وخاصة المترجمين السوريين والأرمن"[٣٤].

في عام ١٩٠٥ شغل السوريون والأرمن ما لا يقل عن ٣٠% من الوظائف الحكومية العليا، بينما شغل المصريون ٢٨% والإنجليز ٤٢% منها، وقد شغل اللبنانيون والسوريون في أوقات مختلفة مناصب رئاسة أجهزة الأمن (سفاير باشا) وهيئة البريد (د. سابا باشا) والخدمات الطبية بالقوات المسلحة (الجنرال ب. سوسى باشا) ومستشار الملك (ش. أيوب باشا) وغيرهم. ودليلاً للعرفان بالجميل الكبير تم إطلاق اسم سابا باشا على حي كامل بمدينة الإسكندرية، وقد لعب – وما زال حتى اليوم – النادي السوري الشهير دورا تنويريًّا كبيرًا بالعاصمة الشمالية لمصر، واليوم الجالية اللبنانية متحدة ومتآلفة ومجتمعة حول قنصليتها العامة.

ولكن الدور الأكثر إثارة للإعجاب من قبل السوريين واللبنانيين كان في الصحافة والنشر؛ حيث كان ينول إليهم ما لا يقل عن ١٥٠ من ٧٩٠ من الإصدارات الأساسية في الفترة من عام ١٨٠٠ إلى ١٩١٤، وهي الأكبر والأكثر تأثيرًا: "المقطم"، "الهلال"، "المنار"، "المقتطف" وغيرها. وتجدر الإشارة بصفة خاصة إلى أنه بفضل الأخوين السوريين سليم وبشارة تقلا تم في عام ١٨٧٥

تأسيس أكثر الصحف انتشارًا وتأثيرًا حتى اليوم في العالم العربي "الأهرام". امتلك السوريون واللبنانيون أكبر دور النشر والشركات بمصر، وحتى اليوم فإن أكبر دور النشر ومتاجر الكتب بالإسكندرية "منشأة المعارف" بشارع سعد زغلول ملكًا للعشيرة اللبنانية "حيزى".

حاول اللبنانيون والسوريون عند دخولهم بين أبرز الدعاة والعقائديين نقل النظريات والمفاهيم التي تشكلت على أساس مفاهيم الغرب الصناعي وقيمه الثقافية إلى مصر والعالم العربي، وليس من قبيل الصدفة أن خرج من بينهم أكبر أنصار الأعمال الحرة (د. زيدان، ي. صروف) وأول داعية للأفكار الاشتراكية (ف. أنطون، ن. حداد، ش. شمايل). وكان للكثير منهم توجهات غربية، وعلى نحو أدق فرنسية وإنجليزية من حيث الميول السياسية. في الوقت نفسه ساهم المثقفون اللبنانيون والسوريون بالكثير في تشكيل أفكار القومية ونشرها، سواء العربية أو القومية المصرية في مصر.

لا يجب اعتقاد أن كل جالية من الجاليات الأجنبية بالإسكندرية كانت تمثل في حد ذاتها وحدة واحدة متجانسة، وأن "الهدوء والانسجام" كانا يسودان بها، وأبلغ مثال على ذلك هو الوضع بين السوريين واللبنانيين الذين كانت تمزقهم الخلافات الدينية بين المسلمين والمسيحيين من مختلف الطوائف. كان أعضاء الجماعات العرقية المختلفة داخل كل ديانة واحدة يناصبون العداء لبعضهم البعض (اليونانيون واللبنانيون في المجتمع اليوناني الأرثوذكسي)، وكانت هناك تناقضات حادة بين الصفوة التقليدية التي كانت تستند إلى المؤسسات الدينية وبين رجال الأعمال "المتأوربين"، وكانوا يحتاجون إلى بعضهم البعض؛ حيث إن الحديث كان يدور فقط عن إعادة توزيع السلطة وفقًا لتحالف جديد للقوى.

كان ميدان الصراع هو أجهزة الإدارة الذاتية للجاليات والهيئات الخيرية؛ حيث إن السيطرة عليها كانت تمنح أداة فعلية للتأثير على كل واحد من أعضاء الجالية، وكان الثراء يحدد نتيجة الصراع حيث أصبح للثراء دور جديد باعتباره عاملا للسلطة والمكانة، لذلك فقرب بداية القرن العشرين انتقلت السلطة في كل الجاليات إلى أيدي طبقة رجال الأعمال.

أما من الناحية الاجتماعية، فلم تكن أيضًا كل الأمور على ما يرام في الجاليات الأجنبية؛ لأن الجاليات كانت دائمًا غير متجانسة اجتماعيًا ومتنوعة، حيث كانت توجد بجانب النخبة المزدهرة طبقات أخرى متعددة ومنها طبقات فقيرة، وقد أدى ذلك إلى صدامات، ولكن لم تكن هناك أزمات صريحة؛ حيث منعها نوع من التبعية الأبوية وتقاليد التعاون والأمية والإهانة للطبقات الفقيرة، وبدأ الوضع يتغير في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عندما وصل من أوروبا أناس بعقليات وخبرة مختلفة بالحياة، عندما أصبح دخول أبناء نفس الوطن ونفس الديانة بشكل صريح ومباشر في علاقة "صاحب عمل- أجير" وضعًا عاديًا ومنتشرًا.

وقد ظهرت بشكل واضح وبصفة خاصة هذه الخصومة الطبقية في مايو ويونيه ١٨٩٤ وفي ديسمبر ١٨٩٩ وفبراير ١٩٠٠ خلال اعتصامات العاملين بشركات الدخان التي يمتلكها بصفة خاصة صناع يونانيون واستمرت لمدة شهرين، وكان سبب هذه الأزمات العمالية هو انتخابات البطريرك الجديد للكنيسة السكندرية المستقلة، ولكن على أية حال فقد كانت هناك أسباب جديدة مع وجود أشخاص جدد وراء غالبية النزاعات العمالية في مصر عند حدود القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي شاركت فيها بشكل أساسي بروليتاريا الجاليات الأجنبية، وقد ميز هذه الأزمات أنها كانت تمتد بسرعة إلى خارج حدود الجاليات، فقد شارك في هذه الاعتصامات عمال من ديانات وقوميات أخرى (وكذلك مصريون)، واتحد رجال

أعمال الجاليات الأجنبية وطلبوا المساعدة من السلطات لاتخاذ تدابير قمعية تصل إلى حد طرد "مثيري الشغب"، وقد حدث ذلك خلال إضراب عمال شركة السويس في الفترة من أغسطس إلى أكتوبر ١٨٩٤، عندما تم طرد العمال الإيطاليين واليونانيين وعمال آخرين يعملون على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وناشطى هذه الأزمة خارج مصر؛ بناء على اقتراح القنصليات اليونانية والإيطالية.

أجمع المراقبون على رأى يقول إن الإسكندرية قد تحولت مع الوقت إلى مدينة كوزموبوليتانية وإلى أن تصبح مدينة أوروبية أكثر من كونها عربية (حتى منتصف القرن العشرين)؛ حيث "يتم استخدام كل العملات وكل اللغات"، وتوجد "بوتقة لانصهار كل الأجناس والأديان والعادات واللغات، ومكان لالتقاء الناس من الشرق والغرب. وقد أدت علاقاتهم اليومية إلى خلق جو خاص تمامًا بشرق البحر الأبيض المتوسط"[٣٤]، لقد لعب التجار الأجانب دورًا في ازدهار وتطور الإسكندرية لدرجة أنه تم إطلاق أسمائهم على الكثير من الشوارع والأحياء عرفانًا بفضلهم: رودو، سينادينو، سموحة، بولاناكى وقطافى.

أصبح مفتاح ازدهار الأعمال والمكانة العالية والتنمية الثقافية والروحية للجاليات الأجنبية بالعاصمة الثانية لمصر هو التعليم الأوروبي الذي يتم الحصول عليه في السوربون وأكسفورد وبرلين ولوزان.

يتحدث سكان هذه البيئة المميزة باللغات الفرنسية والإنجليزية أو الإيطالية، ويتسوقون في المتاجر الأوروبية ويقضون الوقت في الأندية والمطاعم والحانات الإيطالية، ولا يتعاملون كثيرًا مع العرب، وحتى الآن كثيرًا ما يتحولون إلى الحديث مع بعضهم البعض بالفرنسية أو باللغة الإنجليزية عند رؤيتهم لأوروبيين. أما في العائلات اليونانية أو السورية فيخجلون من الحديث بالعربية؛ حيث إنهم يعتقدون أنها لغة "بلدى" أى عامية الفلاحين.

وقد انتقلت صفوة الجاليات تدريجيًا من الأحياء الشعبية إلى أحياء الإسكندرية المختلطة الجميلة التي تقوم بها حياة تقريبًا من الأسلوب نفسه، ويتم فيها تعليم الأطفال بمدارس فرنسية أو إنجليزية، ويقومون بالذهاب إلى الأندية نفسها: سموحة وسبورتينج والمنتزه، والمطاعم والمقاهى نفسها، ويرتدون الملابس طبقًا لأحدث الموضات الباريسية والإيطالية، ويشترون الأثاث من أوروبا.

وعلى الرغم مما يبدو من أن المصالح والعادات مشتركة بين الجاليات الأجنبية الكبيرة بالإسكندرية، فإنه كانت هناك حواجز غير مرئية ولكنها قوية، وقد مثَّل كل منها مجتمعًا متآلفًا ذا مصالح قومية وطائفية كبيرة، ولكل منها أنديتها واتحاداتها الرياضية وهيئاتها الثقافية والخيرية وغرفها التجارية، كانت الزيجات المختلطة نادرة جدًا، وهكذا كانت توجد فقط ١٩٥ حالة زواج مختلط من ٧٧٦ حالة زواج مسجلة بين السوريين واليونانيين- الأرثوذكس في الأعوام ١٨٣٧-١٨٧٠، منها (وهذا مهم جدًا!) ١٥١ مع أتباع الجاليات الكاثوليكية والطوائف الأخرى البابوية و٤٢ من أتباع الطائفة الأرثوذكسية وزيجة واحدة مع كل من بروتستانت ويهودي[٣٦].

والواقع أنه من ناحية، مع كل التغييرات الهائلة والتطورات، فإن الأساس الأسرى والطائفي للأعمال (الانتمانات الداخلية، تبادل المعلومات الخاصة بالأعمال، الاتصالات، الحماية) فلقد استمرت في لعب دور كبير. ومن جهة أخرى، فبالنسبة لأفراد الطبقات الدنيا والوسطى بالجاليات الأجنبية وكذلك بالنسبة للمهاجرين الجدد كانت هناك حاجة فعلية للعلاقات الاجتماعية والحماية ومختلف أنواع المساعدة والعون؛ لذلك وبالرغم من الابتعاد وبعض العزلة الذاتية لرؤساء الجاليات، فإن الأحياء والشوارع الإنجليزية والإيطالية واليونانية بالإسكندرية كانت تنمو بعيدًا عن الأحياء العربية. كان صفوة الجاليات الأجنبية يساعدون على ذلك

الانشقاق بكل قواهم، حيث إنهم رأوا في تماسك الجالية وسيلة للسيطرة على الزملاء في الدين نفسه وضمانًا لحرمة مواقعهم في المجتمع المضيف.

أدت كل هذه الخصائص لوجود الجاليات الأجنبية بالعاصمة الشمالية لبلد الأهرام إلى تكون تدريجي لشخصية من نوع خاص دخلت التاريخ باسم "الشامية" (حتى بالنسبة للسكان الفرنسيين القدامى والعديد من مواطني الإمبراطورية البريطانية العظمى). على الرغم من بعض التناقضات والصراعات داخل الجاليات الأجنبية الكبيرة بالإسكندرية (على سبيل المثال بين المهاجرين القدامى والمهاجرين الوافدين حديثًا)، فإن المؤسسات والعادات والمعايير والأسس استمرت في تحديد سلوك وأنماط حياة غالبية أعضاء الجاليات، وكما في السابق، استمرت الطبقة العليا الغنية في ممارسة التحكم الصارم والكامل؛ حيث كانت توجد مجموعة من التدابير على نحو فعال للتعامل مع "المتمردين" تبدأ بالحرمان من الراتب وتصل إلى المقاطعة والترحيل.

من اللافت للنظر أن الأحداث الصاخبة التي تبعت ثورة يوليو ١٩٥٢ والتي ميزت تصاعد الكفاح من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادى ونمو الوعي القومي لدى المصريين، وتصاعد النعرة القومية وكراهية الأجانب لم ترحم حتى العرب غير المصريين، ومنهم السوريون واللبنانيون الذين استقروا منذ فترة طويلة في بلد الأهرام، بل إن حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة في الأعوام ١٩٥٨- ١٩٦١ بوحدة مصر وسوريا لم تنقذ السوريين في مصر؛ بل أصبح وضعهم صعبًا هنا بعد انهيار الدولة المتحدة.

أدى كل ذلك إلى الاختفاء شبه الكامل للجاليات الأجنبية، أو على أية حال وضعها القانوني الذي ينظمه القانون، وكان لذلك تأثيرات متفاوتة جدا: سحق صفوتهم البرجوازية وتأميم ممتلكاتهم نتيجة لتنفيذ القوانين التي تسمى "الاشتراكية"

في الأعوام ١٩٦٠-١٩٦٥ التي كانت جزءًا مهمًا من الإصلاحات الجذرية للرئيس ناصر، ومع ذلك فإنه ليس من المرجح أن يكون تدفق الكوادر الضرورية إلى الخارج بشكل حاد من العمال والعلماء والمدرسين والأطباء والموظفين الحكوميين ورجال الأعمال قد عزز الأسس الاقتصادية والاجتماعية للدولة الجديدة، بالنسبة لغالبية أعضاء الجاليات ولاسيما من الطبقات المتوسطة والفقيرة، كانت هذه الأحداث مأساة؛ حيث إنهم وأجدادهم قد ولدوا وشبوا في مصر وكانوا يشعرون أنها وطنهم الوحيد.

شيء آخر أن غالبيتهم لم يكونوا على استعداد للتخلي عن الأسباب الطبيعية لاستياء المصريين من إعفاءات وامتيازات تمتعوا بها على مدى عقود. بصفة عامة، فإن خبرة مصر تتحدث من ناحية عن الدور الهائل للجاليات الأجنبية في عملية التحول الرأسمالي، ومن ناحية أخرى عن حجم المتناقضات المتعلق بذلك وعن عدم إمكانية تقديرها تقييمًا لا لبس فيه، وبالأحرى معالجتها.

١,٣. ظروف تكوين الجالية الروسية بالإسكندرية ونشوئها حتى عام ١٩١٧.

احتلت الجالية الروسية في الأعوام ١٨٨٢-١٩٤٧ في العاصمة الشمالية لبلد الأهرام موضعًا وسطًا بين الجاليات الكبيرة التي سبق أن تم عرضها والجاليات الصغيرة بالإسكندرية - الإسبانية، والألمانية، والسويسرية، والأمريكية، والبلجيكية، والهولندية... إلخ. بالفعل، فإذا كان -طبقًا لتعداد عام ١٨٨٢- عدد الألمان ٦١١ فردًا، والبلجيك ٤٧٧ والسويسريين ٣١٧، والإسبان ٣٨٣، والصرب ٢٤٠، والهولنديين ١٦٢، والأمريكان ١٣٠، والروس ٣٤٠[٣٧]، فإنه في التعداد التالي للسكان في عام ١٨٩٧ انتقل الروس ليحتلوا المكان الأول من حيث التعداد بين الجاليات الصغيرة، وتعدوها بقدر كبير نسبيًا من حيث التعداد. كان تعداد

المهاجرين من روسيا يمثل ٣١٩٢ فردا، ومن إسبانيا ٧٦٥، ومن سويسرا ٤٧٥، ومن الولايات المتحدة الأمريكية ٢٩٣، ومن بلجيكا ٢٥٦، ومن هولندا ٢٤٧، ومن البرتغال ١٥٥، ومن النرويج والسويد ١٠٥ (البيانات عن كل مصر)[٣٨].

فى النصف الأول من القرن العشرين تخطى تعداد الروس بشكل كبير أتباع الدول الأوروبية المبينة أعلاه. كقاعدة عامة، فإن الوافدين من الدول الأوروبية الصغيرة يحضرون إلى مصر بناء على عقد وتكون لهم مهنة ما محددة. على سبيل المثال فإن الألمان عملوا في مجال الري، وكان كثيرًا ما يوجد ضمنهم خبراء زراعيون وعملوا أطباء. كما كانوا يوجدون بين ملاك الفنادق والمنتجعات والمطاعم، كما أنهم مشهورون أيضًا بعلماء المصريات المرموقين.

أما الإسبان فقد تركوا أثرًا في التاريخ الحديث والأحدث لمصر، حيث عملوا في وادي النيل قباطنة وملاحين وبحارة وميكانيكيين على المراكب الشراعية والسفن البخارية والقوارب والجرافات المصرية، كما عمل بعضهم بشركة قناة السويس.

عمل البلجيك في شركات الترام المملوكة لمواطنيهم الأثرياء التي أنشأت في الإسكندرية (وكذلك في بورسعيد والقاهرة) هذا النوع من وسائل النقل العام. كان يمكن مشاهدتهم على طريق السكة الحديدية؛ حيث كانوا يعملون سائقين وميكانيكيين وفنيين في مخزن السكك الحديدية بالإسكندرية بحي القبارى، وقد شاركوا بنشاط في إضرابات العاملين السكندريين بشركة الترام والسكك الحديدية في عامي ١٩٠٨ و١٩١١.

لم يكن لأعضاء الجاليات الأجنبية الأخرى سمة خاصة مميزة ودور محدد في تطوير الإسكندرية، وكانوا مشغولين "بشيء ما، وبطريقة ما" في الغرف التجارية، وفى مجالس إدارة البنوك، وشركات التأمين، والكثير من مكاتب تمثيل

الشركات البحرية بالإسكندرية، وفي مجلس الصرف الصحى البحري، وأمانة صندوق الدين المصري، والمحاكم المختلطة، وشركة قناة السويس التى قد وصل إجمالى تعداد العاملين بها إلى حوالي ألفي شخص.. إلخ.

بعد الحرب العالمية الثانية انخفض تعداد الجزء الأكبر من الجاليات الصغيرة ما عدا جالية الولايات المتحدة الأمريكية التي حافظت إلى حد ما على وضعها نظرًا لسياسة الحكومة الأمريكية التي تهدف إلى أن تحل محل بريطانيا العظمى في العالم العربي، وقد انخفض تعداد الأجانب في مصر بأكثر من ثلاث مرات من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٩٤٧.

لعبت الإسكندرية دورًا مهمًا في إقامة وتطوير علاقات متعددة الأشكال بين روسيا ومصر. إنها مثل مدينة سانكت- بيتربورج بروسيا، تسمى حتى الآن العاصمة الشمالية والثانية لمصر، وتحمل المدينة الثانية ببلد الأهرام من حيث الحجم، الكثير من المدن السكنية بروسيا اسم مؤسسها الإسكندر الأكبر[٣٩].

لم تكن المدينة تشتهر فقط بسبب اسم الإسكندر المقدوني وحده هو بين الروس؛ حيث إن الإسكندرية سجلت في الوعي الديني للكثير من الروس وبصفة خاصة في دوائر المثقفين بفضل أتباع المسيحية المبكرة الشهيرين وأولهم القديسة كاترين السكندرية التي كانت تسمى دوروتى في حياتها. كان والدها أحد كبار العلماء بالإسكندرية في ذلك الوقت، وقد تلقت دوروتى تعليمًا ممتازًا وتميزت بذكاء حاد وبالجمال، وعندما اعتنقت المسيحية أصبحت إحدى واعظاتها المتعصبين بالرغم من التحذيرات والتهديدات.

عندما جاء الإمبراطور الروماني ماكسيمين إلى الإسكندرية في احتفال وثنى، أعلنت كاترين بشجاعة في وجوده أنها مسيحية وأخذت تكشف زيف الوثنية بغضب، فغضب الإمبراطور وأمر بتعذيبها ولكن تبين أن الفتاة كانت صامدة في

عقيدتها، فأمر ماكسيمين بقطع رأسها، وبعد إعدامها العلني اختفى جسدها بلا أثر، ثم بعد ثلاثة قرون عثر عليه رهبان في سيناء محنطًا فاعتبرت كاترين من القديسين وأطلق اسمها على الجبل الذى عثر عليها به في سيناء، وكذلك على الدير الذى دُفن فيه رفاتها، وقد حدث ذلك بين الأعوام ٣٠٥ و٣١٢ م.

اجتذب ذلك الرفات وكذلك العليقة المحترقة الموجودة بدير القديسة كاترين وجبل موسى -الذى يقبع الدير عند سفحه- الحجاج الروس اعتبارًا من عام ١٠٠١م. وذلك عندما -طبقًا لتأريخ نيكونوف- قام أمير كييف، بعد ١٣ سنة من دخول روسيا إلى المسيحية، أرسل مجموعة من الروس إلى القدس وبابل ومصر قائلاً: "شاهدوا أراضيهم وعاداتهم". بالطبع كان الروس على دراية جيدة بموضوعات الكتاب المقدس المتعلقة بسيناء؛ حيث دارت على أراضيها الأحداث المذكورة في كتاب العهد القديم "سفر الخروج". فهنا ظهر الله لأول مرة للنبي موسى في لهيب العليقة المحترقة، كما أن أبناء إسرائيل قد خرجوا من العبودية المصرية عن طريق سيناء إلى كنعان أرض الميعاد التي في الطريق إليها منح الله موسى في جبال سيناء ألواح الإيمان.

بالإضافة إلى القديسة كاترين، عرفت الرهبنة المستنيرة بروسيا أعمال الراهب السكندري جورج أمارتون (القرن التاسع)، وفي وقت لاحق أصبح يُعرِّف عامة الشعب الروسى المتدينون اللاهوتيون االسكندريون بالمسيحية المبكرة في القرن الأول إلى القرن الثالث: كليمان السكندري، ديونيسيوس السكندرى، أفاناسيوس السكندري، فاسيليس السكندري، إيفدور السكندري، أوريجانوس السكندري، وبانتين السكندري[٤٠].

كان الحجاج الروس المتوجهون إلى سيناء أو عبرها إلى فلسطين لا يمرون بالإسكندرية، ويتفق المؤرخون على أن الأرشمندريت أجريفينى القادم من دير

أفراميوفسكى بمدينة سمولنسك أحد أوائل الروس الذين زاروا الإسكندرية؛ حيث يمكن العثور في مؤلفه "الرحلة" (حوالي عام ١٣٧٠)، بين المعلومات التي قدمها، العثور على قياسات بالأيام للوصول إلى مصر ثم المسافات بين مختلف المدن التي كانت على مساره داخل مصر فيما بين القاهرة (كانت تسمى إيجيبتو) والإسكندرية ("من القدس إلى غزة ٣ أيام، من غزة إلى إيجيبتو ١٢ يومًا، ومن إيجيبتو إلى الإسكندرية ٦ أيام...")[٤١].

بطبيعة الحال، كان أول ما يهم الحجاج الروس بالشرق الأوسط هو "القبر المقدس" ومختلف الأماكن المقدسة الأخرى بفلسطين، وفي مصر- سيناء. أما الإسكندرية فقد جذبتهم بماضيها وآثارها الشهيرة، ولكن كان تدفق الروس إلى العاصمة الشمالية لمصر أقل كثيرًا، وقد أثر على ذلك أيضًا انعدام الأمان في الطريق أو الوضع العسكري والسياسي، فقد كان أحيانًا من الأسهل الإبحار مباشرة إلى يافا التي تبعد عنها القدس عدة عشرات من الكيلو مترات، وأحيانًا كان يناسب الحجاج ميناء دمياط المصري.

ولأن الإسكندرية لم تكن على خط سير الحجاج الروس فقد انعكس ذلك على عدم معرفتهم لهذه المدينة، وإلى ارتباك كبير حتى في رءوس المؤرخين الروس الذين ليسوا أغبياء فهم مطلعون ونالوا تعليمًا جيدًا في ذلك الوقت، يدور الحديث حول هذا الموضوع في مخطوطات بالقرن الخامس عشر، والتي تمت صياغتها على أساس معلومات يونانية وصربية أقدم تحت اسم "الإسكندرية، رواية عن الإسكندر المقدوني في المخطوطات الروسية بالقرن الخامس عشر". جاء في الرواية أن الإسكندر قد توفى في البلاد الكلدانية بالقرب من مصر وعلى نهر النيل في المكان نفسه الذى أبدع فيه يوسف بن يعقوب صوامع الحبوب السبع التي كان يمون منها المصريين في أثناء سنوات المجاعة، وكما يتضح من النصوص

اليونانية والصربية، فإن المؤلف لم يكن يتصور الموقع الحقيقى لمصر ولا لما بين النهرين[٤٢]، لم يتمكن المؤرخ الروسي من تصحيح هذا الخطأ؛ لأنه هو نفسه لم يكن يعرف جغرافيًا الشرق الأوسط جيدًا.

حدث نوع من التقدم في دراسة مصر في منتصف القرن الخامس عشر عندما جاء إليها تقريبًا في الوقت نفسه اثنان من الروس تركا من بعدهما تقريرين مفصلين نسبيًا: "رحلة الراهب المقدس فارسونوفى إلى المدينة المقدسة أورشليم ١٤٦٥-١٤٦٦" و"رحلة الضيف فاسيلى ١٤٦٥-١٤٦٦". عند قراءة المرجع الأول يتكون انطباع بأن فاسيلى كان يريد ترك شيء مماثل لدليل للتجار الذين سيحضرون بعده. "رحلات فاسيلى وفارسونوفى لعبت دورًا مهمًا في تعريف روسيا بمصر. وبالإضافة إلى أنهما أضافا الكثير من المعلومات إلى ذلك القليل الذي كان يعرفه الروس عن هذا البلد البعيد، فإن هذه الكتابات قد أعدت لعدد من الرحلات التالية إلى الشرق. كان كل من هاتين الرحلتين مع "رحلة" أفاناسيا نيكيتينا، التي تمت في هذا التوقيت نفسه، حيث زار فيها بضع مدن بالشرق العربي في جنوب شبه الجزيرة العربية موضع اهتمام الكثير من بين دائرة سفراء القيصر، ومن المحتمل جدًا أن تكون هذه الرحلات بمبادرة منه.

من المحتمل أنه في حوالي عام ١٤٩١ جاء إلى الإسكندرية ميخائيل جريجوريفيتش ميسيور- مونيخين أمين صندوق الأمين الأكبر في إطار رحلة السفارة الروسية إلى القدس والقسطنطينية، وهناك أدلة ظرفية على أنه زار هذه الأماكن مرة أخرى أو عدة مرات، ومن المعروف أنه عاد من تركيا في عام ١٥٠١[٤٣]، ومن المرجح تمامًا أن مونيخين المصري جاء إلى الإسكندرية في مهمة سرية لكى يقيم علاقات مع بطريرك الإسكندرية وكل أفريقيا والتي تحتل المكانة الشرفية الثانية بعد البطريرك العالمي في القسطنطينية، لعب مونيخين دور حلقة الاتصال بينه وبين الكنيسة الروسية، وهذا هو غالبًا ما جعله يوصف بهذا اللقب.

فى نهاية الربع الأول من القرن السادس بدأت أول اتصالات بين الديوان الملكي والكنيسة الأرثوذكسية السكندرية، ففي عام ١٥٢٣ قامت البطريركية السكندرية بإرسال وفد إلى موسكو إلى فاسيلى الثالث بطلب لتقديم الدعم المالي للكنيسة السكندرية، وقد ذكر في الرسالة إلى القيصر الروسى: "يواكيم، نعمة من الله، بابا وبطريرك مدينة الإسكندرية العظيمة... إلى الابن البار لسيدنا والمتواضع فاسيلي.. فليحل رضاء الله ويسوع المسيح على مملكتك ودولتك. إننا نصلى دائمًا من أجل دولتك وانتصار حكمك... لقد أرسلنا ثلاثة من إخواننا الشيوخ: سمعان والأب ماكارى وأغناطيوس، وإنهم لديهم ما يقولونه لجلالتكم، لقد ذهبوا إليك بالأمل من قبلنا في سبيل التماس الرحمة، وسوف تسمع منهم عن وجودنا بين الكافرين والحاجة للحماية من الأشرار، إن الأرابليان يضرون بنا حتى النهاية، ويسعون لتدمير كنيسة الله المقدسة.. ولا يوجد بالنسبة لنا أى شيء يوميا إلا الحزن والتهديدات الاضطهاد والمصائب"[٤٤].

أسلوب الكتابة غريب للغاية، ولكن المضمون بالكاد يطابق الواقع، بالطبع لم تكن حياة المسيحيين الشرقيين ممتعة، فقد تحملوا الحرمان والاضطهاد، وكثيرًا ما كانت تقع مناوشات واشتباكات تنتهى كثيرًا بإصابات بل بالقتل، ولكنهم تعايشوا مع المسلمين وأتباع الديانات الأخرى التي كانت العلاقات المتبادلة معهم تتميز بتسامح نسبى، كانت لهجة هذه الرسالة مخططة بوضوح لإثارة اهتمام القيصر من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من المساعدة المالية.

يهمنا نحن في هذا السياق مكانة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية وعلاقتها بالكنائس الأرثوذكسية الأخرى، في عام ١٤٤٨ قام مجلس الأساقفة الروس، بعيدًا عن القسطنطينية، برفع المطران يونان ريازانسكى ليكون رئيسًا للمطرانية الروسية وعموم روسيا، وهكذا تم وضع بداية للوضع المستقل للكنيسة الروسية، وبذلك فإن

أعضاء التسلسل الهرمي الروسي بدءوا منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر في إدارة كنيستهم بشكل ذاتي كامل ونالوا كل السلطة والحقوق التي هي في الواقع على قدم المساواة مع السلطة البابوية، وأصبحوا يعتبرون ذوى شرف مقدس فوق كل المطارنة الأرثوذكس، وبالنسبة للمجمع المسكونى فقد تمكن من احتلال مكانة تلي مباشرة مكانة بطريرك القدس.

كانت فكرة مولد البطريركية قد ولدت لدى القياصرة منذ فترة طويلة نسبيًا حيث إنها كانت قد وصلت إلى البطاركة الشرقيين وقد استورد هؤلاء هذه الفكرة. في يونيه ١٥٨٨ حضر إلى روسيا بطريرك القسطنطينية جيريمى الثاني، وفـــي ٢٦ يناير ١٥٨٩ تم في احتفال رسمي رسم الميتروبوليت يوف ليكون بطريركا لموسكو وعموم روسيا، وفى المجمعات المسكونية في عامي ١٥٩٠ و١٥٩٣ في القسطنطينية تم الاعتراف بأن البطريركية الروسية تحتل المرتبة الخامسة الشرفية في ترتيب الكنائس الأرثوذكسية وبتمتعها بكل حقوق الكنيسة المستقلة، وأوضح البطريرك السكندري ميليتى بيجاس في كلمته الموجهة للمجلس المسكونى في عام ١٥٩٣ أن موضوع البطريركية الروسية يتقرر بوضوح وبلا منازع بموجب قواعد المجامع المسكونية: "شرف لبطريرك واسمه منذ زمن القديس يوف كما بدأت هذه الرتبة المقدسة منذ زمن بعيد يبقيان له حتى الآن في المدينة العظيمة موسكو..."(٤٥).

حدث هذا التقدم في العلاقات بين روسيا ومصر بوساطة عبر الكنيسة السكندرية وبطريرك "كل أفريقيا"، لم يكن الأمر يتعلق فقط بتعزيز العلاقات الكنسية، على الرغم من أن ذلك كان في حد ذاته بالفعل إنجازًا عظيمًا في الحوار الحضاري والثقافي الروسي- المصري الذى مثلت الإسكندرية جوهره، وقد أدت إقامة علاقات مباشرة بين الكنيستين الروسية والسكندرية إلى خلق وإثراء

الاتصالات في مجالات أخرى، منها السياسية والتجارية والثقافية وغيرها. وقد أتت أيضًا المساعدة المالية التي قدمتها الدولة الروسية بثمارها في كل مجالات التعاون الروسي- المصري، وقد لعبت الإسكندرية دورًا أساسيًا في ذلك.

وبالعودة إلى الحجاج الروس، من المثير للاهتمام ملاحظة ما شاهدوه في الإسكندرية، وما اهتموا به وما الذي جذب انتباههم فيها أولاً؟ لم تكن المسافات التي تباعد بين مدن الشرق الأوسط وحدها هى التي تهمهم، حيث إنه من المفهوم أنهم قد قاموا بهذه القياسات لمن سيحضر بعدهم إلى هذه الأطراف المثيرة، وهم لم يكن لديهم شك في أنه سيحضر آخرون إلى هذه الأماكن الرائعة والغريبة.

من بين الحجاج الأوائل كان أرسينى سوخانوف، الذى ترك من بعده انطباعًا هو الأكثر اكتمالاً، حيث أطلق على مؤلفه عنوان "حاج"، وقد حضر إلى الإسكندرية في منتصف شهر أغسطس عام ١٦٥١ فأدهشته لما تمثله من بقايا عظمة سابقة وكذلك من خراب معاصر، أشار سوخانوف إلى أن "الإسكندرية مدينة أبنية غير عادية؛ حيث لا توجد مدينة واحدة مثلها تم تزيينها بهذا القدر، كما أنها أصبحت الآن خالية من الناس فلا يعيش بها إلا قليلون حول بوابة المدينة، أما وسطها فمقفر ومساكنها قد انهارت".

لقد أسهب سوخانوف في وصف مسلات الإسكندرية الشهيرة المعروفة باسم "إبر كليوباترا" من بين الآثار القديمة: "كان يقف عدد كبير لا يحصى من الأعمدة الحجرية العالية والمتوسطة الارتفاع داخل مدينة الإسكندرية -ثم يكمل روايته- وكذلك أعمدة صغيرة من المرمر، وقد نحتت على شكل مستدير من قطعة حجر واحدة ولم تكن مركبة، ومن البحر الأبيض (المؤلف: المتوسط) مرفأ كبير يصل إلى جدران المدينة نفسها، وهنا البوابة إلى البحر كبيرة يصل ارتفاعها من داخل المدينة إلى خمسة ساجين (المترجم: وحدة قياس قديمة تساوى ١ متر و١٣

سنتيمترًا)، وعمود جميل عجيب من قطعة واحدة من الصخر مربع المقطع ارتفاعه ١٢ قامة، ومنحوت عليه من جميع الجهات من أسفل إلى أعلى أشياء لم أرها من قبل: سيوف، أقواس، أسماك، رءوس بشرية، أيد، أقدام، فئوس، وأشياء غير معروفة كثيرة جدًا، حيث يقال إنها معارف حكيمة. وعمود آخر غير بعيد عنه مماثل له تمامًا من حيث الشكل والحجم، ولكنه سقط ويرقد على جانبه، يقولون إن هذين العمودين موضوعان فوق مقبرة المحارب الشجاع الإسكندر المقدوني، أحدهما عند رأسه والثاني عند قدميه".

كمـــا أن عمـــود بومبيـــوس (المترجـــم: عمـــود السوارى) أيضا قد بهر أ. سوخانوف فكتب وصفًا دقيقًا مفصلاً له في مؤلف "الحاج": خلف المدينة في حقل يبعد عن المدينة بمقدار ٣٠٠ ساجين أو أكثر، كان يوجد قصر كبير: مبنى كبير، منازل جميلة، بعضها سليم وبعضها سقط. وبالقرب من هنا يقف عمود أجمل من كل الأعمدة ارتفاعه ١٥ ساجينا، وقد تم نحته بآلة قطع من جميع الجهات من حجر واحد في لون أرجواني المظهر، يقف منتصبًا تمامًا لأعلى كالكأس ولا يميل إلى أي اتجاه"[٤٦].

تجدر الإشادة بقدرة أ. سوخانوف على الملاحظة ودقته حتى فيما يخص التفاصيل الصغيرة؛ مثل مظهر النقوش المعقدة الدقيقة، وقد يكون قد تميز عليه في ذلك ف. ج. جريجوريفيتش بارسكى الذي جاء إلى الإسكندرية مرتين على الأقل، وقد بقى في عام ١٧٣٠ مدة أطول بالإسكندرية "في سبيل مشاهدة الأشياء القديمة العظيمة"، وكرس بابًا خاصًا لذلك الأمر في مؤلفه "عن مدينة الإسكندرية" الذي يتضمن أكثر الأوصاف تفصيلاً في الأدب الروسي في ذلك الوقت عن المدينة القديمة وآثارها، وقد أضاف إليها رسومات جيدة، وقدم أبعاد "عمود بومبيوس"

(الارتفاع ١٢٢ قدمًا، والسمك ١٢ قدمًا) وارتفاع وعرض "إبر كليوباترا تقريبًا حيث يذكر أنها ١٠ ساجين و١١ شبرًا.

أدهشته بصفة خاصة النقوش الهيروغليفية المنحوتة على سطح المسلات، وبمقارنتها بكتابات الشعوب الأخرى قال إنها لا تشبه لا الحروف اليونانية ولا اللاتينية، ولكنه وجد تشابهًا بين الشكل الخارجي لأحد النقوش الهيروغليفية وكلمة *"живете"* (المترجم: تعيشون باللغة الروسية)، وكان نقله لبعض العلامات على وجه إحدى المسلات دقيقًا جدًا، بل أدق مما في الكتاب الفرنسي الشهير "وصف مصر" بعد مائة عام [٤٧]، ويمكن قراءة هذه الكتابات بسهولة.

تصعب المبالغة في تقدير أهمية أوائل الحجاج الذين لم يقدموا لمعاصريهم والأجيال التالية مجرد صورة عن أجمل المدن القديمة- الإسكندرية، ليس فقط في مصر والشرق الأوسط، ولكن في العالم كله، ولكنهم منحوا الباحثين أيضًا نقطة انطلاق في العصر الحديث من أجل دراسة عمليات التطور الاجتماعي- الاقتصادي والاجتماعي- السياسي بمصر عامة، وفي الإسكندرية بصفة خاصة.

وفي هذا الصدد، نشير إلى شهادة الرحالة الروسي أندريه إيجناتييف التي تلخص النتائج الوخيمة لحكم المماليك فكتب يقول بصفة خاصة عن الإسكندرية في عام ١٧٠٧: "... في مدينة الإسكندرية هذه، بالعربية- "سكندرية"، والتي هي أصغر قليلاً من مدينة تسارياجراد... ولكنها مهدومة حتى أساسها وكانت بها منازل كبيرة جميلة، ولكنها تهدمت تمامًا وتقف مكانها أكوام من الأطلال، وأيضًا بعض الجدران وأبراج جميلة ويبدو أنها كانت أجمل كثيرًا من مدينة تساريجراد.. وهنا يوجد في المنازل ماء وفير، ولكن ليس في الكثير منها، ويشرب جميع سكان الإسكندرية هذا الماء، أما في الأماكن القاحلة الأخرى فيسير الكثيرون ممسكين بالشموع، وتوجد بيوت ليست مهدمة تمامًا واقفة ومحلات تجارية جيدة، كما أن

النقوش الحائطية كثيرة وجميلة جدًا، ولا يوجد أى بيت مسيحى بكل الإسكندرية، فقط زنوج وعرب وأتراك ويهود كثيرون..."[٤٨]. ولم ير إيجناتيف مسيحيين بمدينة الإسكندرية.

كما سبق أن أشرنا، فإن الحملة الفرنسية وإصلاحات محمد على، بل حتى إخفاقاته، وشمول الاتفاقية الإنجليزية- التركية للبلد كان من نتيجتها فتح مصر أمام التوسع السلعي من جانب القوى الأوروبية، وفي المقام الأول بريطانيا، وبدأ تحول الأراضي لإنتاج السلع التجارية وتغلغل الرأسمال الأجنبي، وامتياز قناة السويس، و"طفرة السكر" الشهيرة، الذى منحت أرباحها الضخمة للاقتصاد المصرى، مما أدى، طبقًا لما يراه المؤرخون المصريون، إلى "تدفق الأجانب الذين هرعوا إلى مصر كما لو كانت كاليفورنيا الجديدة".

يشير الباحث ياروتسكى إلى أنه قبل انتشار وباء الطاعون في عام ١٨٣٤، كان تعداد السكان يصل إلى ٦٠ ألف نسمة، منهم ٢٠ ألفًا من العرب، و٦ آلاف من العمال بالترسانة البحرية، و١٢ ألفًا من البحارة، و٦ آلاف من الأتراك، وأعضاء الحامية العسكرية ٣ آلاف، الزنوج والبدو ٤ آلاف، بينما كان الأرمن والأقباط واليهود ٤ آلاف، والأوروبيون ٥ آلاف[٤٩]. وبالمقارنة بعصر المماليك فقد جرت تغييرات كبيرة في بنية سكان العاصمة الشمالية، حيث أولاً ظهر الأجانب.

وفقًا لمعطيات المربى المصرى الكبير على باشا مبارك، فقد كان يوجد في الإسكندرية في عام ١٨٤٠: ٥٠٠٠ من الشوام، و٣٠٠٠ من اليونانيين الذين يحملون الجنسية المصرية، و٢٠٠٠ من الأرمن، و٢٠٠٠ من اليونانيين الوافدين و٢٠٠٠ من الإيطاليين، و١٠٠٠ من المالطيين، و٨٠٠ من الفرنسيين، و١٠٠ من الإنجليز، و١٠٠ من المجريين والنمسويين و٣٠ "موسكوفى" و٢٠ إسبانيًا[٥٠]. أما

البيانات عن الروس (٣٠ شخصًا) فهى تتفق تمامًا مع المعلومات المقدمة من القنصليــة الــروسية بمصـــر عـــن عام ١٨٣٠، والتى تقول إن عدد المواطنين الروس ٢٦[٥١].

بدأت الحياة الثانية للإسكندرية منذ عهد محمد على. يقدم على باشا مبارك البيانات التالية: في عام ١٨٣٨ زارت ١٨٤٠ سفينة ميناء الإسكندرية، وفي عام ١٨٤١- ١٦٩٩ سفينة، وفي عام ١٨٥٠- ١٨٣٤ سفينة، وفى عام ١٨٥٦-٢٣٩٩ سفينة، وفي عام ١٨٦٤- ٤٣٠٩ سفينة. وبعد تشغيل قناة السويس في عام ١٨٦٩ لم تفقد مدينة الإسكندرية فعليًا أهميتها باعتبارها أكبر موانئ مصر، حيث استقبلت في الفترة من ١٨٣٨- ١٨٧٢ في المتوسط عددًا يصل إلى ٣٠٠٠ سفينة سنويًا ومن ٣٥ ألفًا إلى ٨٠ ألف راكب، وكما في السابق ظلت المنفذ الرئيسي لمصر حيث جــذبت إليهــا جــزءًا كبيرًا من الواردات المصرية (٩٠%)، وما يقرب من $\frac{٢}{٣}$ الصادرات. وفي وقت لاحق كانت تجرى حوالي ٩٠% من دورة التجارة الخارجية في ميناء العاصمة الشمالية.

قبل بدء الحديث عن العلاقات الروسية- السكندرية ذات الصلة المباشرة بتنميتها، يلاحظ أنه نظرًا للأوضاع السائدة، ولاسيما فيما يتعلق بالظروف المحلية (حر القاهرة وبرد الإسكندرية النسبي)، فإن الغالبية النسبية من سكان القاهرة وعددًا كبيرًا من أثرياء المدن الكبرى الأخرى بوادي النيل كانوا يقضون ما يقرب من نصف فصل الصيف المصري بالإسكندرية، وبالطبع كان يمضى حكام مصر وصفوتها هناك أيضًا صيف أفريقيا القائظ حيث كان بعضهم يواصل أداء واجباته العامة، ومن هنا تأتى الأهمية المتزايدة للعاصمة الشمالية لمصر ولتعاونها مع الدول الأجنبية. فلنعط مثالاً عن العلاقات الروسية المصرية: "في يوم الخميس ١٢ يوليه في الساعة *10:30* صباحًا جرت في قصر الخديوي برأس التين المراسم

الرسمية لتسليم الممثل الدبلوماسي والقنصل العام لروسيا كوياندير شارات التميز المزينة بالماس، وكذلك وسام ألكسندر نيفسكى الممنوحين من صاحب الجلالة الإمبراطور إلى صاحب الجلالة الخديوي[٥٢]".

تم استبدال الاتصالات العرضية التجارية بين روسيا ومصر بتبادل تجارى منتظم اعتبارًا من عام ١٨٥٦ عندما تم إنشاء شركة الملاحة والتجارة الروسية برئاسة الأمير العظيم قسطنطين، وقد اشترت الحكومة ثلث أسهمها وتنازلت عن الأرباح لصالح الشركة، وقدمت لها أيضًا امتيازات أخرى. منذ عام ١٨٥٨ بدأ يعمل خط سكندري مباشر ثم بعد ذلك خط (دائري) أوديسا -القسطنطينية- بيريوس- سميرنا- رودوس- الإسكندرونة- بيروت- يافا- الإسكندرية. وقد قامت ثمانٍ من سفن شركة الملاحة والتجارة الروسية في عام ١٨٥٨ بعدد ٤٢ رحلة على الخط السكندرى نقلت خلالها ١٢,٤ ألف راكب، معظمهم من الحجاج، وفى عام ١٨٥٩ قامت بعدد ٧٠ رحلة ونقلت ٢٢,٣ ألف راكب.

ولقد ساهم إنشاء غرفة التجارة الروسية بالإسكندرية في عام ١٩٠٣ في ظهور أشكال جديدة من العلاقات التجارية والاقتصادية مع مصر وتبادل الخبرات (رحلات للمتخصصين الروس في مجالات استصلاح الأراضي وزراعة القطن وغيرها) والمعارض (على سبيل المثال المعرض العائم للحرف اليدوية في بداية عام ١٩١٠ بالإسكندرية وبورسعيد)، والبعثات العلمية في عام ١٩١٢ وغيرها.

فى يوم ١٣ مارس عام ١٩٠٩، تم توقيع اتفاق التجارة والملاحة البحرية بين روسيا ومصر؛ حيث منحت المادة ٢ منه روسيا نظام الأولوية في الرعاية، وقد استفادت الإمبراطورية بشكل خاص من المعدل المعتدل للتعريفة الجمركية المصرية (لا تزيد عن ٨%)، وبالرغم من قصر فترة ما قبل الحرب فقد كان لهذا

الاتفاق تأثير مفيد على التبادل التجاري بين البلدين، وقد ساهمت هذه الفوائد في زيادة المبيعات من السلع الروسية وبصفة خاصة عن طريق ميناء الإسكندرية.

إذا كانت مصر قد استوردت في عام ١٩٠٩ من روسيا سلعًا قيمتها ٧٦٠ ألف جنيه مصري، ففي عام ١٩١١ ارتفع هذا الرقم إلى أكثر من ٨٥٠ ألفًا، بينما كان التصدير منها يمثل ١٥١٥ و١٧٨٩ جنيهًا مصريًا على التوالي، حيث كان الميزان التجاري لصالح مصر؛ ففي خلال فترة الثلاث سنوات ١٩٠٩- ١٩١١ تعدى حجم استيراد روسيا من هذا البلد حجم ما صدرته إليه بمقدار ٨١٥ ألف جنيه مصري.

صدرت روسيا إلى مصر السكر (٢٥% من إجمالى صادراتها)، والكيروسين (٢٣%)، والدقيق (١٨%)، والدخان (١٢%)، والكحول (٤%)، وكذلك أعداد صغيرة من الماشية والأسماك المجففة والمملحة، والأسمنت والأخشاب وغيرها، بينما كانت السلعة الأساسية وتقريبًا الوحيدة التي كانت تستوردها من مصر هي القطن؛ حيث كان أكثر من ٩٥% من التصدير المصري منه يصدر إلى روسيا، وبالإضافة إلى ذلك كان يتم توريد القليل من البذور والخضروات والمنتجات الحيوانية والمشروبات.. إلخ. كانت روسيا تحتل المرتبة السادسة (٥% من حجم التبادل التجارى المصري) بعد إنجلترا (٤١%) وفرنسا (٩%) وألمانيا (٨%) والنمسا- المجر (٧%) وتركيا (٦%).

استمرت في سانت- بيتربورج دراسة موضوع تعميق العلاقات التجارية الروسية مع مصر قبل الحرب العالمية تمامًا وفى سنواتها الأولى، فتم إرسال بعثات استكشافية لدراسة سوق الشرق الأوسط في محاولة للحاق بها، وكما يتضح مما ذكر أعلاه فإن مصر وروسيا كانتا مستعدتين لرفع مستوى العلاقات التجارية والاقتصادية[٥٣].

حتى تلك المكاسب المتواضعة التي تحققت في العلاقات التجارية بين روسيا ومصر تم تحقيقها بفضل إقامة علاقات سياسية بين روسيا والإمبراطورية العثمانية نتيجة لعقد اتفاقية كيوتشوك- كايندارجيسكى في عام ١٧٧٤، وكذلك محاولات حاكم مصر على بك في الفترة ١٧٦٠-١٧٧٠ للانفصال عن تركيا. بموجب هذا الاتفاق فإن كلاً من روسيا وتركيا تبادلتا البعثات الدبلوماسية، وتم تأسيس قنصلية عامة في الإسكندرية، وأصبحت قانونيًا وسياسيًا جسرًا بين روسيا ومصر.

جدول رقم (٢): ديناميكية تعداد الروس في مصر (١٨٨٢-١٩٤٧)

المدينة / السنة	١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧
القاهرة	١١١	٦٥١	١٢٢٣	١٢٤٢	١١٢٢	-	٦٥١
الإسكندرية	٣٤٠(٦٣)	٥٢٣(١٦)	٩٠٨(٣٧)	٢٣٧٣(٥٦)	٩١٥(٣٧)	٥٨٤(٤٩)	٤٤٠(٣٧)
القناة	٢٩	١٨٦١	٣٣	١٩٢	٩٩	-	٤٦
السويس	-	٥١	٦	٥٩	٤١	-	١٠
دمياط	١	-	٥	-	-	-	-
البحيرة	١	١٢	-	٢٣	١٧	-	١
الدقهلية	١٩	٣٢	٣٢	٣١	٤٦	-	-
الشرقية	٦	٣٨	٢٢	٥٣	٢٩	-	٣
الغربية	١٥	٥٨	٣٠	٧٨	٦٥	-	٨
القليوبية	٣	١٢	٨	١٣	٢	-	١٠
المنوفية	١	٩	٣	٢	١	-	-
أسوان	-	-	-	٦	٤	-	-
أسيوط	-	-	١	٢٤	٤	-	-
الجيزة	-	٦	٥	٩٢	٥٦	-	٢
الفيوم	٢	-	٢	١١	-	-	-
المنيا	-	-	٤	٣	١	-	١
بنى سويف	٣	٢١	-	٨	١	-	-
جرجا	٢	-	-	٤	٢	-	١
قنا	-	٦	٣٠	١٠	٣	-	-
الواحات	-	-	-	-	-		-
المجموع	٥٣٣	٣١٩٢	٢٤١٠	٤٢٢٥	٢٤١٠	١١٧٤	

بالنسبة للإسكندرية فإن الأرقام التي بين قوسين تمثل النسبة المئوية للروس بالنسبة لإجمالى عدد الروس المقيمين فى مصر.

المراجع: التعداد العام لسكان مصر في عام ١٨٨٢، الجزء ١، ص٢٢-٢٣؛ التعداد العام لسكان مصر في عام ١٨٩٧، الجزء ١، ص٦٣؛ التعداد العام لسكان مصر عام ١٩٠٧، ص٢٩٣؛ التعداد العام لسكان مصر في عام ١٩٢٧، الجزء١، ص.٢٤٠-٢٤١؛

The sensus taken in 1917, vol.II, p.487,493,499,505,511,517.

طبقًا لمرسوم يكاترينا الثانية في أول ديسمبر ١٧٨٤، فإنه قد تم تعيين أحد الألمان من منطقة البلطيق كوندراتى (كونراد) فون تونوس باعتباره أول ممثل دبلوماسى للإمبراطورية بالإسكنرية، فحضر إلى مصر في أول يوليه ١٧٨٥، وأرسل بالفعل أول تقرير له إلى سانكت- بيتربورج في ٢٤ يونيه من ذلك العام.

وقد أيد الدبلوماسى الروسي الأول في الإسكندرية حتى آخر يوم في حياته رغبة الحكام المحليين في الانفصال عن تركيا، واستمر كوندراتى فون تونوس يعمل في الإسكندرية مع بعض الانقطاعات حتى ٢٨ سبتمبر عام ١٧٨٩ عندما شنقه الإنكشارية الأتراك القادمون من إسطنبول في ميدان عام بالرغم من احتجاجات المماليك المصريين الذين لم يسلموه للعثمانيين لمدة عام كامل تقريبًا.

استمر وجود القنصلية العامة بالإسكندرية حتى منتصف القرن التاسع عشر ثم تم نقلها إلى القاهرة حيث حصلت على مسمى جديد "الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة"، أما في الإسكندرية فإن الممثلية الدبلوماسية أصبحت تحمل اسم "القنصلية الروسية".

تألفت القنصلية العامة الروسية بالإسكندرية تقريبًا طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر من أجانب: سواء من رعايا روس، أو كانت وظيفة رئيس القنصلية الروسية تضم زملاءه من البعثات الدبلوماسية لدول أخرى.

وعلى ذلك، فقد شغل منصب القنصل العام كل من جورج سيفينى من ٢٨ مارس ١٨١٩ حتى ٢٦ يوليه ١٨٢٠، قنصل فرنسا بيلياقوان من ٢٧ يوليه ١٨٢٠ حتى ٢٤ نوفمبر ١٨٢١، القنصل العام لفرنسا دروفيتى من ٢٥ نوفمبر ١٨٢١ حتى ٢٠ مايو ١٨٢٧، أنطوان بيتستسونى من ٨ يونيه ١٨٣٧ حتى ١٨٣٨، القنصل الهولندى بيير أمبراوز شيوتز من ٢٨ يوليه ١٨٢٨ حتى ١٨ فبراير ١٨٣١، إدوارد لافيزون من ١٩ فبراير ١٨٣١ حتى ١ سبتمبر ١٨٣٢، العقيد ديوهاميل

من ٦ فبراير ١٨٣٤ حتى ٢٣ نوفمبر ١٨٣٧، الكونت أ. دى ميديم من ٢٤ نوفمبر ١٨٣٧ إلى ٢٣ سبتمبر ١٨٤٠، القنصل العام السويدي أناستاسى من ٢٤ سبتمبر ١٨٤٠ حتى ٢٥ أغسطس ١٨٤١، سكرتير البعثة الروسية بواشطن جورج كريمير من ٢٦ أغسطس ١٨٤١حتى ٢٤ يوليه ١٨٤٤، سكرتير البعثة بالقسطنطينية ألكسندر دى فوك من ٢٥ يوليه ١٨٤٤ حتى ٢٦ يونيه ١٨٤٧ [٥٤].

ولقد توجت بالنجاح جهود وزارة الشئون الخارجية والقسم الآسيوي- وإدارة الدراسات التي أنشئت في عام ١٨١٨ بها- في إعداد الدبلوماسيين الروس، فاعتبارًا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبح معظم من يعمل في البينات السياسية في الخارج من الروس، حيث عمل في الإسكندرية الرعيل الأول من الدبلوماسيين ذوى المستوى المهني والثقافي- أ.ي. لاجوفسكى، أ.ف.إيفانوف، أ.ن.برونفسكى، إ. أ. ليكس، أ. م. بتروف، وكثيرون آخرون.

بعد هذه التغييرات الكبيرة، يمكن أن نقول بثقة إنه مع التغيير الوطني لقيادة القناصل الروس بمصر حصل العنصر الروسي على مبادرة عظيمة في وادي النيل.

أصبحت التغييرات الرئيسية في العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية بين روسيا ومصر شرطًا ضروريًا لتعزيز العلاقات المختلفة بين البلدين بالرغم من العامل المعاكس الخطير الذي تمثل في حقيقة أن مصر لا تزال ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية، ومنذ عام ١٨٨٢ مستعمرة فعلية لبريطانيا العظمى، وقد أدى ذلك إلى زيادة تعداد الجالية الروسية ببلد الأهرام (انظر الجدول رقم ٢)، حيث مثلت ٥٣٣ فردًا في عام ١٨٨٢، و٣١٩٢ فردًا في عام ١٨٩٧، و٢٣١٠ في عام ١٩٠٧، و٤٢٢٥ في عام ١٩١٧، و٢٤١٠ في عام ١٩٢٧، و١١٧٤ في عام ١٩٣٧.

لقد وجد الروس تقريبًا في كل محافظة في مصر، فيما عدا الواحات، حتى في أسوان التي تقع في أقصى الجنوب، وكان أكثرهم في القاهرة ومنطقة قناة السويس (بورسعيد، الإسماعيلية، السويس) وفى الإسكندرية، وفى المدينة الأخيرة عاش في تلك السنوات ٣٤٠، ٥٢٣، ٩٠٨، ٢٣٧٣، ٩١٥، ٥٨٤، ٤٤٠ من الروس، وهو ما يمثل أكثر من ثلث عددهم في مصر، وفى بعض الأحيان وصل عدد الروس السكندريين إلى نصف إجمالي عددهم في وادي النيل، وفي بعض الأوقات زاد عن ذلك (جدول ٢).

وبصفة عامة، فإن هذا الرقم قد بلغ ٤٠% من إجمالي عدد المواطنين الروس في بلد الأهرام، وفي رأينا أنه لبعض الأسباب الموضوعية كان من الصعب أن يزيد هذا الرقم، ما عدا في سنوات الحرب، حيث إن الإسكندرية كانت بعيدة، وقد كانت مكتظة، كما أنه كان يبدو وكأنه قد تم تقسيمها بين الجاليات الأجنبية (الأوروبية)، بحيث كان من الصعب وجود المزيد من الروس تحت "الشمس السكندرية". على أية حال، على الرغم من أنها العاصمة الثانية، فقد كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية بها أقل بكثير مما في القاهرة التي كانت بها فرص عمل أكثر بكثير.

ولا يجب على أية حال نسيان أن تعداد الروس في العاصمة الشمالية كان دائمًا أكبر بكثير من العدد الذى كان يذكر في الإحصاء الرسمى، حيث كانت تلك المدينة تمثل نقطة استقبال للقادمين للإقامة بمصر ومكانًا لإقامة من تأقلم على الظروف المصرية المحلية، ثم بعد ذلك غادر البلد لعدم رضائه عما شاهده، لم تكن الأجهزة الرسمية التي تقوم بالإحصاء تأخذ في الاعتبار الأجانب الذين يعيشون هنا مؤقتًا، ومنهم الروس الذين كان عددهم دائمًا كبيرًا.

ويمكن تفسير هذا العدد الكبير من الروس بالإسكندرية، والذي مثل ٣١٩٢ فردًا في عام ١٨٩٧، بوصول عدد كبير من اليهود إليها، ومعظمهم من أوكرانيا

في نهاية هذا القرن، فضلاً عن جودة ونتائج الإحصاء في مصر عام ١٨٩٧، والذي كان أكثر تفصيلاً واكتمالاً بين كل الإحصاءات الأخرى، والتي شملت حتى المتجنسين الروس في بلد الأهرام، كان الرقم القياسي لتعداد الروس في إحصاء عام ١٩١٧م حيث إنه قد وصل إلى ٤٢٢٥ فردا (قبل وصول المهاجرين البيض في عام ١٩٢٠) بعد وصول عدد كبير من مواطنينا الجرحى والأسرى من مختلف جبهات الحرب العالمية الأولى، حيث إن معظمهم قد حضر إلى مصر برعاية "اللجنة الروسية لمساعدة ضحايا الحرب بالإسكندرية" والتي تكونت منذ ١٣ أكتوبر ١٩١٤ تحت إشراف قنصل روسيا بالإسكندرية أ. م. بيتروف.

جاء إلى هنا الكثير جدًا من اليهود الروس السابقين من فلسطين وسوريا الذين فروا بعد استيلاء القوات التركية عليها بقيادة جمال باشا نتيجة للعمليات القتالية. قرب نهاية عام ١٩١٤ أنزلت السلطات الأنجلو- مصرية كل اللاجئين القادمين إلى البلد في معسكرات الجيش بالقبارى (الإسكندرية)، وكان عددهم ١٦٠٠ فرد، وكذلك في المؤسسات الحكومية بالشاطبى، بالإضافة إلى ١٢٠٠ فرد بمستشفى الأزاريطة، وقرب بداية شهر أبريل عام ١٩١٥ تم أخيرًا إنشاء معسكر للاجئين، حيث خصص السلطان حسين مبلغ عشرة آلاف قرش لتغطية مصاريفه اليومية، وسرعان ما تم تشكيل الفرقة اليهودية من بين اللاجئين وقد ضمت ٦٠٠ فرد، ثم سرعان ما تم إرسالها تحت قيادة العقيد الإنجليزى باترسون والضابط اليهودى من أصل روسى تروملديور إلى مسرح العمليات القتالية بجاليبولى[٥٥].

وقد كان عدد الروس في ذلك الوقت من ذوى الأصل اليهودي في كل مصر أكثر من ١٠% من إجمالي تعداد الروس، الذي كان يمثل طبقًا للبيانات الرسمية. ففي عام ١٨٩٧، على سبيل المثال، كان عددهم ٣١٤ فردًا مقابل ٢٥٤٦ من المسيحيين (٢٣٤٩ أورثوذكس، و١٣٨ كاثوليك، و٥٩ بروتوستانت)؛ بالإضافة إلى

٣٣٢ من المسلمين[٥٦]. وكان عدد اليهود في البلد في ذلك الوقت ٢٥,٢ ألف شخص، منهم ١٢,٥ ألفًا من أصول محلية، و ١٢,٥ ألفًا من الأجانب[٥٧].

فيما يتعلق باليهود السكندريين، فطبقا لمعطيات التعداد العام لسكان مصر فقد وصل تعدادهم في عام ١٩٠٧ إلى ١٤,٥ ألفًا، وفى عامى ١٩١٧ و١٩٢٧ إلى ٢٥ ألفًا، وفى عام ١٩٣٧ إلى حوالى ٣٠ ألف فرد، وقبل الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل في عامى ١٩٤٧-١٩٤٨ كان ٣٥ ألف فرد[٥٨]، وقرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انتشروا في الإسكندرية بالشكل التالى: كان في المركز الأول حى الجمرك- حوالى ٤ آلاف فرد (أو سدس عدد اليهود السكندريين)، ثم بعد ذلك المركز التجارى للمدينة المنشية- ٢,٧ ألف، ثم حى العطارين المتاخم له- ١,٨، ثم حى السكة الحديدية محرم بك- ١,١ ألف فرد[٥٩].

فى هذه السنة نفسها كان بين ٥٢٣ من الروس السكندريين ١٤٠ ممن كانوا على باخرة أسطول الإمبراطورية الروسية "خيفينيس" و٤٢ من البخاريين (كان بين المهاجرين من آسيا الوسطى ١٠١ رجل و٣٩ امرأة)[٦٠]، أما باقي الروس المسلمين فقد كان معظمهم من منطقة نهر الفولجا وشمال القوقاز، ويرجع تاريخ حضور مواطنى القوقاز وما خلف القوقاز إلى مصر إلى أوائل القرون الوسطى، حيث كان يطلق عليهم "المماليك"[٦١]، الذين كانوا السادة الحقيقيين للبلد لعدة قرون، ووضع محمد على حدًا لحكمهم، ولكن الشراكسة (كان المصريين يطلقون هذا الاسم على القادمين من القوقاز) استمروا في احتلال مكانة قوية تقريبًا طوال القرن التاسع عشر كله.

حدثت موجة كبيرة من الهجرة من المناطق المسلمة من روسيا القيصرية في النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وهو ما يفسر بعض الشيء زيادة تعداد المواطنين الروس في مصر في ذلك الوقت، وربما يكون ضم المناطق المتاخمة

لنهر الفولجا والقوقاز وآسيا الوسطى إلى روسيا قد أثر على التدفق الكبير للعائلات المسلمة من الإمبراطورية الروسية.

كان من بين من قدموا في ذلك الوقت من مدينة بخارى إلى الإسكندرية للإقامة الدائمة "كولداش حسين كولداش"[٦٢]، الذي وصل إلى هنا مع زوجته حميدة وأولاده طبقًا لما ذكره حفيده سامى كولداش في عام ١٨٩٥ تقريبًا وأقام في المنزل رقم ١٢-١٠ بشارع وكالة الليمون بحي الجمرك بالقرب من مكان الجمارك، كان منزله فسيحًا يسمح باستقبال الكثير من الضيوف المسلمين من روسيا والذين توجهوا للحج عن طريق مصر، وكانوا يعودون إلى الوطن عبر ميناء الإسكندرية.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا المهاجر قد عمل في التجارة وتخصص في توريد المعدات اللازمة للمنارات والموانئ، كما أنه عمل اعتبارًا من عام ١٩٣٠ جنبًا إلى جنب مع رجل الأعمال حسن فوليا في تجارة المواد الغذائية التي امتدت إلى بورسعيد والسويس وشملت تموين السفن العابرة لقناة السويس، وقد ساعدته بنشاط في ذلك زوجته المصرية، وقد توفى في عام ١٩٥١ في سن الستين وتم دفنه بمقابر المنارة بالإسكندرية، ويشير ابن ياقوتة وحفيد حسين كولداش سامي كولداش إلى نشاطه الخيري خاصة بين أبناء المسلمين من مواطنيه ولاسيما الذين حضروا إلى أرض مصر لأول مرة.

يشير المعاصرون، ومنهم ح. ألموشيف، إلى الخدمات الكثيرة التي يقدمها الحاج نعمة كولدشامى للحجاج الروس. يقول الحاج حمدو الله بن فتحو الله (الاسم الكامل لألموشيف)- إمام قرية بيترياسكا بمقاطعة نيجنوجورودسكايا، الذى أدى فريضة الحج في الأعوام ١٨٩٩-١٩٠١ وكتب عن كرم ضيافة صاحب البيت بالإسكندرية، حيث وصفه لسبب ما بالطشقندى: "أدرنا ظهرنا لبورسعيد وتوجهنا إلى الإسكندرية، فوصلنا إليها في ٢٨ شوال في الساعة السابعة صباحًا. لم يكن

مزاجنا في حالته الأفضل، ولكى نسترخى ذهبنا إلى بيت الطشقندى الذي يسمى حاج كالديش، طلبنا أن يتم إعداد بلوف لنا (المترجم: البلوف طعام يتكون أساسًا من الأرز واللحم والجزر والبصل)، وقد كان لذيذًا جدًّا! بعد أن تناولنا الطعام، واصلنا طريقنا بمزاج جيد"[٦٣].

كان هؤلاء الممثلون للإسلام الروسي الدائمو الإقامة بمصر مع طلبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر وفروعها بالإسكندرية وغيرها من المؤسسات التعليمية في بعض الأحيان[٦٤]، في رأينا، هم المبعوثين الوحيدين من البلد الشمالي والذين كان يمكن عن طريقهم للمصريين الحكم على روسيا، حيث إنهم كانوا بمثابة جسر فريد النوع بين الحضارتين الروسية والمصرية.

يجب ذكر أن الجاليات المسلمة القادمة من روسيا بدأت تتكون في مصر عامة، وبصفة خاصة في الإسكندرية، قبل ذلك ومباشرة بعد إنشاء أول جماعة مركزية مسلمة في روسيا القيصرية (بالطبع بموافقة السلطات) "الجمعية المحمدية الروحية بمدينة أورنبورج" (١٧٨٨-١٩١٧)، عندما تم السماح بأداء فريضة الحج بصفة عامة.

ومع تطور الملاحة في البحر الأسود ثم إنشاء خط ملاحي للسفن بين أوديسا والإسكندرية، أصبحت الأخيرة محطة عبور مهمة للحجاج، واستقرت بها بالذات وتكونت الجاليات المسلمة المهاجرة من روسيا القيصرية، وقد قدم إليها من آسيا الوسطى قبل عام ١٨٨٠ كولداش بك كمال الدين البخاري الذي استضاف المصلح الديني والمربى شهاب الدين ماردجان القادم من مدينة كازان في سبتمبر عام ١٨٨٠ أثناء سفر الأخير إلى مكة للحج: ("نزلنا من السفينة ونزلنا عند كولداش بك كمال الدين البخاري، كانت توجد في المدينة مساجد جامعة كثيرة، كان مسجد الإمام البوصيرى بين المساجد الشهيرة بها. إنه جميل جدًّا ومهيب، وقبته مرفوعة على ستة أعمدة من الحديد الزهر، وداخله مفروش بسجاجيد جيدة. عدد السكان كبير، وكلهم يتكلمون باللغة العربية")[٦٥].

بالمناسبة، طبقًا لما ذكره المرجانى كانت توجد لدى كولداش بك حجرة بالقاهرة للحجاج المسلمين القادمين من روسيا، وليس هناك شك أن أجيال المهاجرين المتعددة المشار إليها أعلاه كانت من نفس العشيرة والمكان بآسيا الوسطى، حيث إنهم كانوا متخصصين في استقبال الحجاج المسلمين القادمين من روسيا القيصرية وتقديم المساعدة لهم.

كما يوجد أحفاد آخرون للمسلمين الروس معروفون جيدًا بالإسكندرية الحديثة، مثل عزيزة كاتو التى عملت سكرتيرة بنجاح لفترة طويلة بالغرفة التجارية بالإسكندرية، وهي الآن متقاعدة منذ عام ٢٠٠٣، وكانت ذات شخصية ساحرة في تعاملاتها وحيوية في عملها مع رجال التجارة بالإسكندرية، بل لقد كتبت أشعارًا جيدة ونشرت عددًا من كتب الشعر، وكان الكثير منها مخصصًا لوطن أجدادها البعيد- شمال القوقاز. لسوء الحظ، إنها لا تتذكر بالضبط الموطن الذى جاء منه أجدادها إلى مصر، فهل هو كاباردا أم داجستان. وقد ألقت عزيزة أشعارها عدة مرات في أعوام ٢٠٠١-٢٠٠٤ بالمركز الروسي للعلوم والثقافة بالإسكندرية، وقد استقبلها الجمهور استقبالاً حسنًا جدًا. وقد احتفظت الشاعرة بمشاعر دافئة جدًا نحو روسيا وما زالت تسلط الضوء على ذلك إلى الآن.

كذلك يتمتع بشهرة كبيرة بالعاصمة الثانية لمصر أحمد يحيى عاشور ممثل الشرق الروسي القادم من طاجيكستان، والذي يرأس قصر الإبداع بالإسكندرية "الحرية"، وكان رئيسًا لقسم طب الأسنان بالجامعة المحلية ويقوم بممارسة الطب بعيادته الخاصة، وكذلك محبًا للفن الروسى، فكان يتلقى لوحات الرسامين الروس ويقوم بعرضها، وينظم الحفلات الموسيقية للفنانين الروس، ومنها حفلات الأوركسترات السيمفونية، وقد تمت بنجاح تام عروض مسرح ياروسلافسكى الحامل لاسم فولكوف لمسرحية "المفتش العام" وغيرها من المسرحيات، وكانت

المسارح كاملة العدد، على الرغم من أنها قدمت باللغة الروسية، كما كانت من بين خطط يحيى عاشور جولات فنية بالعاصمة الشمالية لفرقة "مسرح البولشوى"، وتم هنا تقديم عروض دائمة لفرق التزحلق الفني على الجليد الاصطناعي ثم تلتها مشاركة الشباب المحلى فيها.

يفخر هؤلاء وغيرهم من المهاجرين من روسيا بانتمائهم البعيد إلى وطننا، وهم يحافظون بانتظام على العلاقة والارتباط به، ويساعدون إلى أقصى حد ممكن في تقديم كثير من الأعمال الثقافية بالإسكندرية.

يتضح بالفعل من الأمثلة التي تم تقديمها أعلاه أنه حتى المسلمين الروس قد كافحوا في مختلف مجالات الاقتصاد، والبيانات الأكثر تفصيلاً التي لدينا من الإحصاءات "الديمقراطية" للسكان في عام ١٨٩٧ تشير إلى أن نطاق عمل الروس السكندريين كان متنوعًا، فمن بين ٥٢٣ من الروس السكندريين بهذا العام (١٤٠ من الخيفيست والبخاريين، منهم ١٠١ رجل و٣٩ امرأة) كان يوجد ٥٧ تاجرًا، ٩ صبيان صناع، ٢ ترجمان، ١٣ إسكافيًا، ١ براد، ٢ حلواني، ٤ تجار صغار، ١ سباك، ٥ نوادل، ١ طباخ، ٤ أطباء، ١ عالم، ٧ من رجال الشرطة، ٣ عمال، ٩ أصحاب حانات، ٢٣ لبَّانًا، ١ عامل في مقهى، ١٦ ميكانيكيًا، ١٠ أمناء مخازن، ٢٢ مهندسًا، ٢٣ عاملاً أجيرًا، ٤١ مراكبيًا، ٣ نجارين، ١ نقاش محارة، ١٠ خدم، ٧٧ عاطلاً عن العمل. ومن بين ١٦٠ امرأة روسية كانت توجد عازفتان للبيانو، مدرستان، ٣ خياطات، طباختان، ٦ خادمات، ١٤٢ بدون عمل[٦٦].

ويلفت الانتباه حقيقة أن تقريبًا كل عاشر منهم كان يعمل بالتجارة، وكل تاسع يعمل مهندسًا وفنيًا، وأن سبعة أفراد كانوا يعملون ضباط شرطة، أما الباقون فهم يعملون بشكل متجانس نسبيًا في مختلف الحرف، كانت هناك نسبة عالية نسبيًا من العاطلين، وهذا مهم بالنسبة لنا حتى نتصور أشغالهم فيما بعد في سنوات

وصول المهاجرين الروس إلى الإسكندرية عندما لم يتضمن التعداد العام للسكان مثل هذه التفاصيل؛ بل كان يقتصر على تقديم معلومات عامة عن مختلف القطاعات الاقتصادية.

عند الحديث عن الروس المقيمين في مصر في مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين، من المهم أن نلاحظ مرة أخرى أن مستوى تعليمهم وثقافتهم أعلى بكثير من المقاييس المناظرة لدى أعضاء الجاليات الأجنبية الكبيرة- اليونانيون (٣٢% منهم أميون)، الإيطاليون (٢٦%)، الفرنسيون (٢٣%)، الإسبان (٢٣%)، النمساويون (٢٣%)- وكان مساويًا لمستوى أسياد البلد الإنجليز (١٨%). وفاقت النسبة النوعية لرعايا روسيا الأميين فقط مقاييس الأجانب "الذين يعدون بالواحد" والذين جاءوا إلى بلد الأهرام بأعداد قليلة باعتبارهم خبراء من خريجي الجامعات؛ لكي يعملوا أساسًا بعقود- البلجيك، والهولنديون، والنرويجيون، والسويديون (كل منهم ٢%)، والدانماركيون (٩%)، والسويسريون (١%)[٦٧].

يبين الجدول رقم (٣) التوزيع الجغرافي للروس على أحياء الإسكندرية في عامي ١٨٩٧ و١٩١٧، حيث إن الجزء الأكبر منهم قد عاش في الأحياء التي بوسط المدينة: المنشية، ميناء البصل، العطارين، والجمرك، المجاورة لكل من الميناء ومحطة السكك الحديدية، التي كانت التجارة أكثر ازدهارًا بها.

وبحلول عام ١٩١٧ أصبح الروس يسكنون الأحياء الشعبية؛ مثل اللبان وكذلك المنشية والتى كانت تقدم فيها منازل وأماكن لإسكان اللاجئين الفلسطينيين مؤقتًا، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أصبح التوزيع الجغرافي للروس في الإسكندرية يكتسب الشكل الذي كان عليه في المناطق نفسها فيما قبل الحرب، ما عدا أحياء الشاطبى والأزاريطة في الرمل، حيث بدأ بناء منازل سكنية أقام بها

الروس تدريجيًا، وفي الوقت نفسه بدأ اللاجئون الفلسطينيون في الإقامة في المباني السابقة للقوات العثمانية، وفي المقام الأول في سيدي بشر.

جدول (٣): توزيع الروس على أحياء الإسكندرية

	١٨٩٧	١٩١٧
العطارين	٩٨	٢٩٥
الجمرك	٧٢	١٥٣
كرموز	-	٥١
اللبان	١٥	٤١٠
المنشية	١٦٦	٧٤٦
ميناء البصل	١٢١	٤٠
محرم بك	٣٤	١٨٧
الرملة	١٧	٧٠
معسكر اللاجئين	-	٤٢١
الإجمالى	٥٢٣	٢٣٧٣

المراجع: التعداد العام لسكان مصر عام ١٨٩٧، الجزء ١، ١٨٩٨، ص٩٢ (باللغة العربية)
The census of Egypt. 1917.Vol.II , Cairo, 1921, p.487.

٤,١. الأداء السياسي للمهاجرين الروس في الإسكندرية حتى ثورة أكتوبر

لم يكن النشاط السياسي للمهاجرين الروس في مصر قبل عام ١٩١٧ (بداية القرن العشرين) أقل من نشاط الفرنسيين واليونانيين والإنجليز وغيرهم من الأوروبيين الذين تمت الإشارة إليهم أعلاه، وقد كان ذلك مرتبطًا بصفة خاصة بوجود جزء كبير منهم يعادى النظام القيصري، ويواصل العمل ضده داخل بلد

الأهرام في إطار حركة معارضة واسعة، وكانت غالبيته العظمى من الروس ذوى الأصل اليهودي.

كانت هجرة اليهود الروس قد بدأت على نطاق واسع منذ منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر، عندما تم سن قوانين بالإمبراطورية تسمح برحيلهم من روسيا، وقد ساهمت الإجراءات التي اتخذت في ذلك الوقت من أجل استقرار الأوضاع المالية والاقتصادية في بلد الأهرام في رغبتهم في السفر إلى مصر، وكذلك وجود جالية يهودية غنية نسبيًا، ولكن كبر حجم عدد الراغبين في الهجرة إلى بلد الأهرام أخاف رؤساء الجالية اليهودية في مصر؛ حيث كانوا يخشون من اتخاذ الحكومة المصرية إجراءات سوف تمنع وصول هذا العدد الكبير من الناس دون أن تكون لديهم رءوس أموال أو مهن، "ومع ذلك ففى اللحظة الأخيرة تمامًا، أبرق ممثل وكالة لويد النمساوية من أوديسا للحكومة مفيدًا بأن عددًا كبيرًا من اليهود الروس الفقراء، حوالى ٧٠٠ فرد، قد قاموا بحجز عدد من السفن للهجرة إلى مصر"[٦٨].

ومنذ ذلك الحين، أدى تدفق المهاجرين اليهود إلى وادي النيل إلى ظهور البطالة بين أوساط المجتمع اليهودي، فطبقًا لبيان جريدة "منارة الإسكندرية" بتاريخ ٩ سبتمبر ١٨٩٦ تم إنشاء اللجنة اليهودية في العاصمة الثانية لمصر لتقديم مساعدات للعاطلين عن العمل، ونظمت في الإسكندرية عروض وحفلات خيرية لصالح اللاجئين الأوروبيين، وقد أثر وصول مئات من الأرمن والدروز والموارنة وكذلك من اليونانيين الأتراك الذين هربوا من تركيا؛ بسبب المضايقات سلبيًا على الوضع الاجتماعي والاقتصادى للسكندريين. وفى الوقت نفسه، ذكرت الجريدة نفسها في عدد ٦ نوفمبر ١٨٩٦ أنه في خلال الثلاث سنوات الأخيرة ذهبت المجموعة الثالثة من الشباب من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد إلى ترانسفال نتيجة للفقر وسوء الظروف المعيشية.

فجأة بدا كما لو أن السبب الأخير الذى يفسر الزيادة الهائلة في الجالية الروسية في عام ١٨٩٧ إلى أكثر من أربعة آلاف فرد ليس تدفق أعداد كبيرة من اليهود الروس إلى مصر، فمنذ بداية الثورة الروسية الأولى لم يفتر هذا التدفق؛ بل إنه زاد وبقدر كبير، فبعد مذابح فرق "المائة السود"[١]؛ وبصفة خاصة في أوكرانيا، توجهت أعداد كبيرة من اليهود إلى الإسكندرية من روسيا وأوكرانيا، وكانت الصحف السكندرية تذكر يوميًا تقريبًا أخبار عن نزول عشرات من هؤلاء اللاجئين إلى الميناء[٦٩]. وفّرت الإسكندرية طوال الثورة مأوى لعدة مئات من المهاجرين الروس، ولكن لم يبقوا كلهم في تلك المدينة، ولكن بعد فترة إقامة قصيرة أكمل بعضهم الطريق إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا.

تم تنظيم أعمال جمع الأموال لصالح الوافدين بتوسع، وفى الوقت نفسه فإن المسلمين المصريين اتخذوا التدابير اللازمة "لتقديم المساعدة للمسلمين الروس الجوعى"[٧٠]. وفي عام ١٩٠٥ تم تأسيس جمعيات مساعدة ضحايا الإرهاب في روسيا: "لجنة روسيا الحرة"، "لجنة الصندوق الروسي للمساعدة المشتركة"، و"صندوق المساعدة المشتركة للمهاجرين الروس"، كما قامت السيدة صوفيا زفينيجورودسكايا بإنشاء "اتحاد المهاجرين الروس اليهود".

وقد أفادت جريدة "المنارة السكندرية" أن "مدام/ زفينيجورودسكايا قد أنشأت "اتحاد المهاجرين الروس اليهود"، المذكور أعلاه من أجل ضمان توفير عمل لليهود الروس الذين يصلون إلى مصر بدون وجود سبل للعيش لديهم، والذى لم يكن يهدف إلى توزيع المساعدات المالية على المهاجرين، ولكن العثور لهم على عمل كريم يمكن أن يساعدهم على العيش هم وأسرهم، وكانت هذه مهمة صعبة

---

(١) (المترجم: في أوج ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ تم تشكيل فرق المائة السود التي ارتكبت مذابح لليهود والثوار)،

للغاية. ولكن بفضل مساعدة الدكتور كريشوفسكى والعديد من الأشخاص اليهود الآخرين كان يمكن الأمل في أن منظمة مدام زفينيجورودسكايا لن تكون عبثا وأنها ستكلل بالنجاح". ووفقا لمراسل "مورنينج بوست" بالإسكندرية، فقط خلال أمسية خيرية واحدة في شهر أغسطس ١٩٠٦، تم جمع ١٦٠٠ جنيه إسترلينى في لندن، تم إرسال ١٠٠٠ جنيه منها إلى لندن، بينما تركت ٦٠٠ للاجئين القادمين إلى مصر من روسيا(٧١).

قامت السلطات القنصلية بإعادة تنظيم صندوق التعاون المشترك بالقنصلية الذى كان قد تم إنشاؤه لأول مرة منذ عام ١٨٨٠، في محاولة للإمساك بزمام المبادرة لدى المهاجرين، ثم تم إنشاء جمعية جديدة للمساعدة المشتركة تحت إشراف القنصل العام أ. أ. سميرنوف (٧٢)، وذلك في فى ١٨ يناير ١٩٠٧.

وعلى الرغم من مختلف التدابير المضادة، فإن السلطات القنصلية قد فشلت في السيطرة على الوضع؛ فقد قدمت أرض الإسكندرية الصالحة لنشاط الثوريين الروس حقائق جديدة كثيرة لاستخدام المناخ الاجتماعى والسياسي المواتى للنشاط العملي لممثلي حركة الثورة المعارضة للإمبراطورية الروسية. يعترف القنصل الروسي بالإسكندرية أ.أ.بيتروف في الرسالة التي أرسلها إلى وزارة خارجية روسيا في ٢٢ أغسطس عام ١٩١٣: "تقريبًا من المستحيل مراقبة الثوار الروس المقيمين هنا" (٧٣).

وتجدر الإشارة إلى أنه حتى قبل الثورة الروسية الأولى، أظهر ممثلو حركة المعارضة الروسية بوضوح اهتمامًا باستخدام الإسكندرية في ممارستهم للسياسة، وكان هذا الاهتمام مرتبطًا بقرب هذه المدينة التي تقع على مفترق ثلاث قارات إلى الساحل الروسي؛ حيث يسهل الوصول له والانسحاب منه في حالة الضرورة، وبالإضافة إلى ذلك كانت هذه المدينة مرتبطة بالاتصالات مع كثير من بلدان كل

القارات، وبالإضافة إلى ذلك فإن وضع مصر كان مواتيًا جدًا؛ فمن ناحية كانت تعتبر صوريًا إحدى ولايات الإمبراطورية العثمانية، ومن ناحية أخرى مستعمرة فعلية لإنجلترا، بعد احتلالها في عام ١٨٨٢.

سمحت هذه الازدواجية باختيار أرضها لنشاط مختلف الأحزاب والجماعات، بينما كانت إنجلترا تغض الطرف، إلى حد كبير، عن جهودها الموجهة ضد الأنظمة الحاكمة ببلادها، وعلى سبيل المثال أرسلت السلطات العثمانية مذكرات وإنذارات للسلطات الاستعمارية والمصرية للمطالبة بإغلاق فروع الأحزاب التركية المعارضة التي كانت تقوم بدعاية مضادة لنظام السلطان عبد الحميد بالإسكندرية وتنشر مطبوعات ممنوعة.

وبطبيعة الحال، كانت هذه البيئة المواتية هي الأمثل بالنسبة للثوار الروس، وقد استفادت من ذلك هيئة تحرير جريدة "إيسكرا" اللينينية، عندما كانت في وضع صعب، حيث كانت كل إمكانيات إصدار "إيسكرا" في روسيا قد صفيت بواسطة عقيد الدرك سيئ السمعة زوباتوف، كما فشلت أيضًا طرق توصيل "إيسكرا" من خارج الحدود.

تم تنظيم إرسال مطبوعات إيسكرا عن طريق الإسكندرية في ربيع عام ١٩٠٢، حيث تم تجهيز مركز استقبال في هذه المدينة، وكان يجرى نقل المطبوعات على سفن الشركة الروسية للملاحة والتجارة إلى روسيا، وكان مخزن المطبوعات غير القانونية في مطعم "سيفاستوبول" بالإسكندرية، حيث كانت تصل إليه بالبريد عن طريق المدينة الساحلية "برينديزى"، وكان يعتني بالمطعم المواطن الروسي السابق يوزيفوفيتش الذي عاش في الإسكندرية قبل ذلك الوقت لمدة ٢٠ سنة وكان مرتبطا بالمنظمة الخيرسونية "بوندا"[٧٤].

لم يكن مطعم "سيفاستوبول" مجرد نقطة لإعادة شحن المطبوعات غير القانونية إلى روسيا، حيث إنه كان يتم في مؤسسة يوزوفيتش، القريبة من هيئة جمرك الميناء، والذى طبقًا لقول القنصل الروسى بالإسكندرية: "كان يزوره البحارة الروس فقط على وجه الحصر... وكانت تتم بها قراءة المطبوعات المحظورة"[٧٥].

وعلى ما يبدو، لم تكن قراءة الكتب الممنوعة تتم فقط في مطعم سيفاستوبول، بالرغم من أنه كان بالطبع مركزًا للدعاية الثورية بالنسبة للبحارة الروس، وقد لا يكون بالنسبة لهم فقط في هذه المدينة، وبعد ذلك بقليل أرسل القنصل العام الروسي أ. أ. سميرنوف بمصر تقريرًا إلى وزارة الشئون الخارجية يقول: "منذ بعض الوقت لاحظت قنصليتنا عدة مرات خرقًا للانضباط من قبل بحارة شركة "الشركة الروسية للملاحة والتجارة"، وبناء على ملاحظة القادة، يمكن افتراض أنه بمجرد الوصول إلى ميناء الإسكندرية، يدخل البحارة في نطاق تأثيرات ضارة"[٧٦].

لم تكن أوامر قادة السفن التجارية وحدهم تقع ضمن معنى تعبير "تأثير ضار"، ولكن أيضًا البحارة الحربيون، وقد لفت مسئولو القنصلية مرارًا نظر وكلاء الشركات الروسية للملاحة وقادة السفن الحربية إلى هذه الحقيقة، وعلى وجه الخصوص أشاروا إلى مطعم "سيفاستوبول"، وفي المقابل أصبح قادة السفن يمنعون أطقمهم من زيارة مؤسسة يوزيفوفيتش، وبالإضافة إلى ذلك فإن الممثلين الدبلوماسيين الروس قد حاولوا جذب انتباه السلطات البريطانية والمصرية إلى النشاط "التخريبى" لصاحب مطعم "سيفاستوبول"، ولكن محاولاتهم لم تحقق النتائج المرجوة. ووفقًا لكلمات رئيس الممثلية الدبلوماسية الروسية بالقاهرة أ. أ. كويانديز: "كان الاتصال بالحكومة المحلية غير مُجدٍ؛ نظرًا للحماية الصريحة التي يوفرها

الإنجليز لشباب الأتراك الذين يقومون هنا بالدعاية المعارضة للسلطان، وهم لا يتحرجون في أن يمتد ذلك إلى أنشطة ثوارنا"[٧٧].

عاش طريق "إيسكرا" المصري بأمان حتى عام ١٩٠٢، وبالرغم من قصر مدة وجوده، إلا أنه يحتل مكانة مهمة في "البريد الروسي الاشتراكى"، فبواسطته تم، في أثناء واحدة من أكثر فتراتها دراماتيكية، إرسال حوالي ١٥ بودًا (المترجم: البود وحدة وزن يساوى ١٦,٣٨ كيلو جرامًا) من مطبوعات إيسكرا، وصل الجزء الأكبر منها إلى روسيا. كانت المواد غير القانونية التي وصلت بواسطة "الطريق المصري" تحتوى على مطبوعات مهمة في وقتها: جريدة "إيسكرا"، مجلة "زاريا"، ومؤلف لينين "ماذا نفعل؟"[٧٨].

نتيجة للخيانة، عثر في سبتمبر عام ١٩٠٢ على بالات مطبوعات غير قانونية في بضع سفن روسية بالميناء السكندري، وعلى عدة نشرات ممنوعة في حانة يوزيفوفيتش والتي تم النجاح في إغلاقها بناء على إصرار السلطات القنصلية بالإسكندرية. ولكنه، كما أفاد القنصل، تركها "للاشتراكى من رعايا إيطاليا بارونى"[٧٩].

على الرغم من الإخفاق في سبتمبر عام ١٩٠٢، فإن الإشتراكيين الديمقراطيين الروس استمروا لأكثر من مرة يعودون إلى فكرة استخدام الإسكندرية من أجل إرسال المطبوعات غير المشروعة.

كانت أبرز الأحداث في تاريخ الهجرة "الروسية- المصرية" بمصر، بصفة أساسية، مرتبطة بالثورة الروسية الأولى في أعوام ١٩٠٥-١٩٠٧، حيث كان يتعلق الأمر بمنح حق اللجوء السياسي للمشاركين في انتفاضة بحارة الأسطول التجاري بأوديسا (وليس بحارة الطراد "بوتيمكين" كما أشار بعض الباحثين المصريين)، والذين شاركوا بنشاط في إضرابات قادة السفن بأوديسا في عام ١٩٠٦، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستفادة من حق اللجوء السياسي؛ بسبب الموقف

المتشدد من جانب السلك الدبلوماسي الروسي في مصر، وقد اتهم البحارة الروس بمحاولة تفجير سفينة روسية بميناء الإسكندرية، وقد جاء في برقية مشفرة للوزير المفوض أ. أ. سميرنوف أرسلها لوزير الشئون الخارجية إيزفولسكى أ. ب. بتاريخ ٢٠/٧ يناير ١٩٠٧: "من أسبوع مضى، قامت الشرطة السكندرية بالقبض على اثنين من اليهود وأحد مواطني جورجيا بتهمة نيتهم بتفجير سفينة (المؤلف: روبيت- بريم)، وقد بينت التحريات التي قام بها قنصلنا أنهم يحملون الجنسية الروسية وأكدت الشكوك. ونظرًا لأنه سيتم ترحيلهم إلى روسيا، فإن اليهود والماسونيين والفوضويين الإيطاليين تسببوا في اضطرابات وأعمال شغب بالشارع بين الأوروبيين السكندريين، واليوم حاول حشد من ألف شخص اقتحام قنصليتنا ونزع الشعار المعلق فوق الأبواب، وقد صدر الأمر للشرطة لحراسة القنصلية، وقد وعد كرومر بإرسال قوات من الجيش البريطاني في حالة الضرورة القصوى"(٨٠).

اندلعت في ١٩ و٢٠ يناير مظاهرات قوية من السكندريين لحماية المهاجرين السياسيين الروس، ووفقًا لشهادة الجرائد السكندرية "لم تر الإسكندرية من قبل مثل هذه المظاهرات التي يشارك فيها مثل هذا العدد الكبير من ممثلي كل الطبقات" (ملاحظة المؤلف: ولم تر مثلها حتى وقوع العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦).

وقد لعبت لجنة الجامعة الشعبية الحرة التي تكونت من ممثلي كل القوميات دورًا أساسيًا في تنظيم هذه المظاهرات الضخمة بالمدينة، حيث تأسست هذه اللجنة بمبادرة من رئيس تحرير الصحيفة السكندرية "لاريفورم" ر. كانيفيه، وهو أحد قادة اللجنة الشعبية الجامعة والمحاضرين بها.

كانت المسيرات والمظاهرات التي تقوم بمبادرة من لجنة الجامعة الشعبية الحرة تنظم ببورصة الأوراق المالية والجمارك وأمام القنصليات الروسية والإنجليزية والفرنسية، وكان يشارك فيها أكثر من ٥ آلاف شخص، وفي ٢٠ يناير سلم وفد المجتمع السكندري للمحافظ التماسا طالب فيه المتظاهرون "الإفراج عن المهاجرين الروس الثلاثة الذين احتجزتهم القنصلية الروسية لكي يتم تسليمهم للحكومة الروسية للقصاص منهم"، ثم بعد ذلك توجه المتظاهرون إلى القنصليتين البريطانية والروسية ونزعوا من على بواباتهما شعارات الملكية والقيصرية، وداسوا بأقدامهم على الشعار القيصري، كما تم إلقاء البيض الفاسد والطين على مبنى القنصلية الروسية. وهنا اندلعت معركة ضارية مع الشرطة، ونجحت قوات إضافية من خيالة الشرطة التي تم استدعاؤها بجانب جنود الشرطة في تفريق المتظاهرين، ووصلت تعزيزات للشرطة من القاهرة، وقامت قوة من ٣٠ شرطيًا بحراسة القنصلية الروسية، ومع ذلك فقد تجمعت مرة أخرى مظاهرة مثيرة للإعجاب في ٢٢ يناير عند القنصلية الروسية، وتم تفريقها هي أيضًا.

في هذا اليوم نفسه ، انتقلت الاضطرابات إلى القاهرة؛ حيث اجتمع أكثر من ٥٠٠ شخص في مظاهرة ببورصة العاصمة، ثم توجهوا إلى القنصل العام ونائب القنصل تحيط بهم فرقة من الشرطة، وهم يهتفون: "تحيا الحرية، إلى أسفل مع روسيا"! ومن ورائهم رجال الإطفاء مع مضخاتهم، وغنى المتظاهرون نشيدي "إنترناسيونال" و"إينو ديي لافوتاري". قبل الممثلية الدبلوماسية، بدأت خيالة الشرطة في تفريقهم وداستهم الخيول، وبدأت مضخات رجال الإطفاء تعمل، ولكن تم قطعها بسرعة.

وبعد الغداء، اندلعت مظاهرة أخرى بميدان الأوبرا، وبعد قراءة برقيات التأييد المرسلة من الإسكندرية اختار المتظاهرون ٥ نواب عنهم للقاء اللورد

كرومر، ثم ألقى أحد الأصدقاء المقربين ورفيق عانى من الملاحقة للمعتقلين الثوريين بالإسكندرية كلمة باللغة الروسية: "أيها الرفاق! إن اللحظة الحالية حاسمة لحياة ثلاثة أشخاص تلاحقهم الحكومة الروسية لأسباب سياسية. إن البيروقراطية الروسية تطالب بتسليمهم لإرسالهم إلى منصة الإعدام. باسم الإنسانية والحركات الليبرالية في القرن العشرين، علينا نحن المهاجرين الروس بمصر المطالبة، بالإفراج عن المحبوسين الروس الثلاثة من سجون الإسكندرية، وذلك لأن ما يسمى بالجرائم السياسية يسمى وفقًا للأفكار الاشتراكية "وسائل النضال ضد الحكم المطلق". باسم الإنسانية والأفكار الاشتراكية نطالب بإطلاق سراح الثلاثة سجنـــاء الـــروس. فتحيا الحـــرية! وليسقط الطغاة!"[٨١]، ثم قامت شرطة القاهرة بعدة اعتقالات.

استمرت الصدامات والاعتقالات في الإسكندرية أيضًا، وكان هناك جرحى في صفوف المتظاهرين والشرطة، وبهدف تخويف المشاركين في المظاهرات والمسيرات في الشوارع سارت كتيبة من القوات الاستعمارية البريطانية في شوارع المدينة.

استمرت لجنة دعم السجناء من المهاجرين في العمل بنشاط كما في السابق في العاصمة الشمالية، ووقَّع ٨٠ شخصًا على البيان الذي أعدته اللجنة، كما أنها أصدرت منشورات تحث المواطنين على مقاومة "التصرفات غير القانونية من جانب السلطات بردها على العنف بالعنف"، وجاء في نهاية المنشورات دعوة: "فليعش الشعب الروسي، وليسقط القيصر الجلاد!"[٨٢].

لجأ المسئولون بالقنصلية الروسية، في ظل دعم نشيط من جانب سلطات الاستعمار والسلطات المصرية، إلى الخداع من أجل تضليل ممثلي التعاون

الكوزموبوليتانى الذين فرضوا سيطرتهم على ميناء الإسكندرية والسفن الروسية، فتم نقل كل من باتسويف وبلوتنيك وبونتمان سرًا بالسكة الحديدية مساءً من سجن الحضرة إلى بورسعيد؛ حيث كانت تقف هناك سفينة "كورلينوف" في حالة استعداد للانطلاق إلى أوديسا.

كان الدعم المقدم من أعضاء لجنة الجامعة الشعبية الحرة من المهاجرين لحملة إطلاق سراح المهاجرين السياسيين الروس قويًا لدرجة أن الوزير المفوض الفرنسي كلوبوكوفسكى "أصدر أمرًا لقنصله بالإسكندرية لبدء تحقيق مع السيد كانيفى"، وقد أعلن الدبلوماسي الفرنسي للقنصل العام الروسي أ. أ. سميرنوف بأنه "إذا ثبتت إدانة كانيبى فإنه لا يوجد لديه أي اعتراض على طرده إلى خارج حدود مصر"[٨٣].

لم تنجح محاولة إغلاق الجامعة بسبب موقف لجنة الجامعة الشعبية الحرة الحازم والثابت، بدعم من الدوائر السياسية والثقافية المؤثرة بالإسكندرية، وقد بقى في مصر محرر صحيفة "لاريفورم" أحد قادة الجامعة الشعبية الحرة والمجتمع المتآلف المؤثر ذو الاتجاه اليساري؛ حيث دخل ضمن الفريق الجديد لرئاسة الجامعـــة والذي انتخبته الجمعية العمومية في ١٩ مايو ١٩٠٧. وبالمناسبة، فإن ر. كانيبى كان يظهر في أعداد صحيفة "لاريفورم" الصادرة في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين على أنه رئيس تحرير الصحيفة.

على الرغم من الجهود التي بذلتها السلطات القنصلية الروسية والتي وصلت إلى حد أنها استخدمت مخبرين في وسط المخبرين؛ لكي توقف نشاط أعضاء التيارات الثورية الروسية الذين قد أصبحوا جزءًا لا يتجزأ من المجتمع السكندري

اليساري الأجنبي، فإنه قد أصبح من المستحيل لها السيطرة عليهم، ووقف نشاطهم في العاصمة الثانية لمصر.

ومع ذلك فإن الدبلوماسيين الروس قد اكتسبوا أيضًا خبرة في التصدي للنشـــاط السيـــاسي لمـــواطنيهم الثوار بالإسكندرية، وقد انتصر الوزير المفوض أ. أ. سميرنوف والقنصل أ. م. بيتّروف في المعركة التالية معهم، وقد ذكر ذلك في ٢٧ أبريل ١٩١٣ لكل من أ. أ. سميرنوف صديقه المقرب والذى يشاركه فكره مدير المكتب الرئيسي للشركة الروسية للملاحة والتجارة بمدينة سانكت-بيترسبورج ورئيس جمعية المسرح الروسي الذي زاره عدة مرات في القاهرة أ.ي.مولتشانوف: "كان اليوم الثالث لوجودي في الإسكندرية بسبب أحد الأعمال يتعلق بكما بشكل قريب، وقد أعلموني من الوزارة (ملاحظة المؤلف: وزارة الخارجية) بأنه من المتوقع أن تقوم أطقم السفن باعتصام في ١ مايو، وأمروني باتخاذ الإجراءات الممكنة، وفى النهاية صدر الأمر بالقبض على القائد الرئيسى أداموفيتش المعروف لكما، فذهبت على الفور إلى الإسكندرية، وبعد ثلاث ساعات تمامًا من المفاوضات مع الشرطة قمنا بالقبض على أداموفيتش الذي كان يعيش حاملاً اسمًا مستعارًا وجواز سفر ألمانيًا، وقد وجدت بعض الأوراق المهمة جدًا ومراسلات؛ بل ختم التنظيم. أرسل لكما الختم. لقم تم ذلك كله بتوفيق تام، بطريقة ما سوف يتم إرساله إلى روسيا. القنصل يشكو من أن الأماكن المخصصة للمقبوض عليهم على سفننا غير مرضية"[٨٤].

كان الحديث يتعلق بأحداث عامي ١٩١٢-١٩١٣، التي شارك فيها "اتحاد البحارة التجاريين بالبحر الأسود"، وقد كانوا في الواقع مرتبطين إلى حد كبير بالموضوع السابق، كانت الهيئة المشار إليها أعلاه قد أنشأت أولاً في أوديسا في عام ١٩٠٦، وكانت تسمى آنذاك "ريجيستراتسيا" (المترجم: أي "تسجيل"). مع مرور الوقت، وجهت الشرطة السرية القيصرية لها ضربات موجعة، ولكن قام

العائدون من المنفى ممن شاركوا في الثورة الروسية الأولى بإعادة تنظيمها. ونتيجة للمراقبة المشددة في روسيا، تقرر نقل رئاستها إلى خارج البلاد، أولاً إلى القسطنطينية ثم إلى الإسكندرية، وقد قام أحد رؤساء لجنة الاتحاد بالخارج الاشتراكي- الديمقراطي ميخائيل أداموفيتش بإصدار جريدة "مورياك" (المترجم: البحار)، تلك التي ذكرها باوتوفسكى في مذكراته عن سيرته الذاتية "قصة حياة". لقد كتب أن جريدة "موريak" كانت تطبع أولاً على نسيج، ولذلك كان يسهل نقلها وتوصيلها إلى المدن الساحلية الروسية، وهي قد أفادت كثيرًا الحركة الثورية الروسية.

تصرف بحارة البحر الأسود في الإسكندرية بقدر كبير من النشاط، وقاموا بزيارة كل السفن الروسية تقريبًا، وقاموا بالدعاية بين أطقمها، وأقاموا علاقة مع الثوار الروس في روسيا وكذلك خارجها، وفي مصر كذلك، ولم ينحصر الأمر في مجرد الدعاية؛ ففي فبراير عام ١٩١٣ تم عقد مؤتمر غير قانوني للهيئات المهنية لأطقم السفن البحرية بروسيا[٨٥].

أما بخصوص علاقة هؤلاء المهاجرين السياسيين بالسكان المحليين، وبصفة خاصة، بغير المحليين والمنظمات النقابية، فتتحدث عنها ببلاغة تلك الأحداث التي تبعت اعتقال ميخائيل أداموفيتش في مايو عام ١٩١٣، حيث اندلعت مرة أخرى في الإسكندرية موجة واسعة من الاحتجاجات ضد ترحيله إلى روسيا، وكما حدث في عام ١٩٠٧، تزعم هذه الحركة شخصيات كوزموبوليتانية[٨٦]، ومن ضمنهم أعضاء بالجامعة الشعبية الحرة. وقد أخطر الوزير المفوض أ. أ. سميرنوف بما يلي: "كانت هناك اجتماعات بالأوساط العمالية والاجتماعية ناقشت التدابير اللازمة لعدم السماح بترحيل المقبوض عليهم إلى روسيا. كان من المفترض جمع حشد من الناس ومحاولة تخليص المرحلين بالقوة، كما تم اللجوء أيضًا للتخويف؛ إذ إنه تم

إبلاغي أنا وكل من ممثلينا القنصليين في القاهرة والإسكندرية أنه قد حكم علينا بالإعدام في حالة ترحيل المقبوض عليهم بالرغم من ذلك إلى روسيا".

وتم تنظيم عملية هروب لأداموفيتش من سجن الحضرة (وهو موجود حتى اليوم)، ولكنه عند قفزه من فوق أسوار السجن كسرت ساقه، ولم يتمكن من استخدام الدراجة التي أعدها له أصدقاؤه الأحرار، فتم الإمساك به، وسرعان ما تم إرسال هذا الثائر ورفاقه في بصندوق خشبي تم إخفاؤه في كومة فحم على سفينة إلى روسيا، وقد حكمت المحكمة على ١٤ شخصًا، بينهم أداموفيتش، بالنفي إلى سيبيريا، بينما حكم على اثنين بالأشغال الشاقة[٨٧] .

بعد اعتقال الشرطة لأداموفيتش وجدت أن نشاط الثوار بين البحارة ما زال مستمرًا، بما في ذلك في مصر، وفي مايو عام ١٩١٤ أرسلت إدارة الشرطة إلى وزارة خارجية روسيا طلبًا لاعتقال الزعيم الجديد لبحارة البحر الأسود أ. إ. كلوتشكو في القسطنطينية أو في الإسكندرية، ولكن لم يتمكن دبلوماسيو القيصر من اكتشاف مكان خلفاء أداموفيتش – ب. م. باستريتشيف، م. توروسوف، إ. إ. كلوتشكو و"مانو" (اسم مستعار) بالإسكندرية.

عشية ثورة أكتوبر، تم مرة أخرى تسجيل نشاط للثوار الروس، وفى هذه المرة كانت الدعاية ذات "طبيعة مسالمة وبلشفية حتى في مبنى القنصلية، وقد قام بها البحار لوتشينكين الذي اصطدم بلغم في يناير عام ١٩١٧ عند خروج السفينة الحربية المدرعة "بيريسفيت" من قناة السويس، وقد أفاد بذلك القنصل أ. م. بيتروف الوزير المفوض أ.أ. سميرنوف في خطابه المؤرخ ١٧/٤ أغسطس من العام نفسه. بعد فترة وجيزة، أصبحت هذه الحقيقة معروفة للمفوض السامي البريطاني التي بدت– في ضوء الأحداث الثورية في روسيا– مثيرة للقلق وتمثل خطرًا على مصر، وقد وجه نظر أعضاء البعثة الدبلوماسية لذلك، وحذرهم من أن السلطات

الاستعمارية البريطانية سوف تكون مضطرة للتدخل بشكل مباشر في هذا الأمر. على الأرجح لم تكن دعاية لوتشينكين هي المثال الوحيد من نوعه في ذلك الوقت على خلفية النشاط الخطير والمقلق نوعًا للثوار الروس ما قبل الحرب، والذي جلب الكثير من المتاعب للإدارة الاستعمارية بمصر، مما اضطرها إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة، ولم تنتظر وزارة الحربية بالحكومة المؤقتة التدخل المباشر من جانب البريطانيين في هذه الحالة، فقامت على عجل بالأمر بترحيل مدفعجى البحرية لوتشينكين إلى روسيا(٨٨).

. وهكذا مرت سنوات وقرون عديدة جرى فيها تعرف الروس على الإسكندرية وإقامة مختلف العلاقات بين روسيا ومصر عبر هذه المدينة- الميناء المهم، فقد تكونت فيها بالتدريج جالية روسية تتألف من ممثلين لمختلف المناطق الروسية والأمم والقوميات والأديان، الذين بحثوا عن مكان لهم وشغلوه في بنية المدينة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

كانت الجالية الروسية من حيث تعداد أعضائها أقل بكثير من جاليات أمم البحر الأبيض المتوسط الأقرب من المشتغلين بالأعمال الحرة التجارية وكذلك "سادة" مصر الإنجليز، ومع ذلك فإنها قد تفوقت من حيث تعدادها على الجاليات الألمانية والنمساوية- المجرية والإسبانية والبرتغالية والأمريكية والهولندية والدانماركية والسويدية، وكان الروس يزيدون صفوفهم باطراد في وادي النيل، ما هو مهم على وجه الخصوص هو أن الجالية الروسية لم تكن أدنى في المستوى من حيث الأمية والتعليم من جاليات القوى العظمى الأوروبية، بالرغم من أن المهاجرين من أطراف الإمبراطورية الروسية كانوا يمثلون أكثر من نصفها، كان يوجد تقريبًا في كل محافظات مصر مواطنون روس، ولكنهم كانوا مركزين بشكل أساسي في ثلاث مناطق بمصر: القاهرة، منطقة القناة، والإسكندرية.

لم يقل تعداد الروس في مدينة الإسكندرية في أي وقت من الأوقات عن ثلث عدد المهاجرين الروس بمصر كلها، وكان أحيانا يتعدى هذا القدر ويصل إلى النصف أو أكثر، وفى معظم الحالات كان تعدادهم النسبي يمثل ٣٧% من عدد الروس المقيمين في البلد، لم يكن ذلك من قبيل الصدفة؛ حيث إن الظروف الجغرافية والاقتصادية والظروف الأخرى من أجل تحضر الإسكندرية كانت محدودة؛ وذلك بالإضافة إلى الوجود الدائم للجاليات الأجنبية دائمًا ولذلك كانت المنافسة بينها كبيرة.

كانت مجالات عمل الروس مختلفة، ولكن كان معظمهم يشتغلون بالتجارة والخدمات، وكان عدد كبير نسبيًا منهم من المهندسين والفنيين. كانوا يعيشون في المناطق الوسطى بالإسكندرية، بالقرب من الميناء ومحطة السكك الحديدية، في الأحياء التي كان يسود فيها الأوروبيون الجمرك والرمل، كما كان الكثير منهم يقيمون في الأحياء الشعبية- اللبان، ميناء البصل، العطارين، والمنشية. يفسر الوضع الأخير بوجود عدد كبير من الروس المسلمين الذين فضلوا، بطبيعة الحال، السكن بين المصريين المعتنقين لديانتهم نفسها.

جدول رقم ٤: تصنيف الروس من حيث العمر في أعوام ١٨٩٧-١٩٢٧

العمر بالسنوات	١٨٩٧	١٩١٧	١٩٢٧
أقل من ٥	٨٠	٣٩٤	١٦١
٥- ٩	٦٢	٤٦٤	١٨٤
١٠- ١٩	١٥٢	٨٨٦	٤٠٠
٢٠- ٢٩	١٩٨٩	٧٨٢	٤٦٤
٣٠- ٣٩	١٩٤	٦٧٧	٤٨٩
٤٠- ٤٩	٩٩	٤٩٩	٣٤٠
٥٠- ٥٩	٧٣	٣٠٥	٢١٣
٦٠ وأكثر	٣٢	٢١٢	١٥٦
غير معروف	-	٦	٣

المصدر: التعداد العام لسكان مصر لعام ١٨٩٧، الجزء ١، القاهرة، ١٨٩٨، ص٧٦ (باللغة العربية).

التعداد العام لسكان مصر لعام ١٩٢٧، الجزء ١، القاهرة، ١٩٢٧، وكذلك الجزء ١، ١٩٣١، ص٢٣٠،٢٣١.

The Census of Egypt taken in 1917, Vol.II, Cairo, 1921, p.518-519

كانت تسود بين المهاجرين الروس بالإسكندرية نوعيتان: المسلمون واليهود. كانوا يحضرون ويتوقفون في المدينة باستمرار، وكان الكثير منهم يتركها بحثًا عن نصيب أفضل ببلدان أخرى، ولكن ذلك كان يخص بدرجة كبيرة النوعية الثانية، أما الذين بقوا فقد استفادوا من كرم ضيافة المعتنقين لنفس ديانتهم وخدماتهم، وبذلك كانوا يغذون جالية مواطنيهم وهم يواصلون التقليد القديم بالبقاء في هذا البلد، مع تحولهم التدريجي إلى فئة المقيمين المجنسين الدائمين بمصر. ويبين ذلك الجدول رقم ٤.

على الرغم من أن هذه البيانات تشمل مصر كلها، ولكنها تعكس الصورة بشكل نسبى مسموح به في الإسكندرية. بشكل عام، لم يكن للمهاجرين القادمين إلى هذه المدينة أسر، ولكن كان يوجد أيضًا بينهم من كان له أطفال، وكان عددهم الأكبر في عام ١٩١٧، ويمكن تفسير ذلك بهروب أسر بها الكثير من الأطفال من الأتراك من فلسطين في سنوات الحرب العالمية الأولى. وبصفة خاصة، سافر الشباب إلى مصر في نهاية القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من ذلك فإن صغار السن والأطفال قد جاءوا إلى الإسكندرية مع آبائهم، وبقى معظمهم في الإسكندرية مدى الحياة، وتكونت منهم جاليات الروس المسلمين واليهود الذين تحدثنا عنهم أعلاه.

أصبح النشاط السياسي للمواطنين الروس بمصر واضحًا منذ بداية القرن العشرين عندما أصبح نشاط الاشتراكيين الديمقراطيين الروس ملحوظًا في روسيا وخارج حدودها باستغلال الظروف السياسية والجغرافية المواتية بصفة خاصة أصبحوا فعليًا في طليعة الحركة السياسية لدوائر اليسار السكندرية القوية نسبيًا. قد يكون التفسير الرئيسي لذلك هو التوجه المناهض للملكية لسياسة المهاجرين الروس بالإسكندرية، والذي حافظوا عليه حتى ثورة أكتوبر والذي نقلوه إلى معشر المجتمع الأممى بالإسكندرية، ويرجع الفضل في استمرار وجود اتحاد المهاجرين الروس، إلى حد كبير، إلى هذا التعاون في الإسكندرية [٨٩].

الباب الثانى

الهجـرة الـروسيـة البيضاء بالإسكندرية فى الأعوام ١٩٢٠ ـ ١٩٥٢.

٢,١. الخروج الجماعي للمهاجرين من روسيا: المعسكرات العابرة بمصر بمناطق: سيدي جابر، والعباسية، والتل الكبير، والإسماعيلية

جرى الخروج الجماعي للمهاجرين الروس في فبراير- مارس عام ١٩٢٠ بعد هزيمة جيش دوبروفولسكى تحت قيادة الجنرال دينيكين بجنوب روسيا، وقد جاء الوصف التفصيلي لوصول الجنود والضباط الجرحى الروس وكذلك بقايا القوات النظامية والمدنيين إلى ميناء الإسكندرية بناء على طلب من أعضاء الممثلية الدبلوماسية بمصر، وتعطى هذه التقارير تصورًا واضحًا عن كيفية إجلاء أنصار الحركة البيضاء من روسيا وإسكانهم في وادي النيل.

وصل اللاجئون الروس إلى مصر بصفة أساسية على متن خمس سفن: ثلاث منها إنجليزية: "إمباير"، جلوتشيستر كلاس" و"جيلمجورن كاسيل" واثنتان روسيتان- "ساراتوف" و"بارون بك"[٩٠].

كانت أول وسيلة نقل تصل هى السفينة "إمباير"، فقد خرجت من نوفوسيبيرسك في ٢١ يناير ١٩٢٠ وهى تحمل على ظهرها ٦٣٤ من الضباط وصف الضباط والجنود الجرحى الذين كانوا يقومون بواجب الخدمة بالقوات المسلحة الخاصة بجنوب روسيا، لم يكن يوجد أُسر أو لاجئون على متن السفينة، وكان يوجد عليها بالإضافة إلى قيادتها الإنجليزية وطاقمها موظفون روس يبلغ

عددهم ٢٧ شخصًا (أطباء وممرضات متطوعات وممرضون وكاهن ومترجم). نظرًا لوجود حالات مصابة بمرض التيفوس على السفينة، فعند وصولها إلى الإسكندرية تم وضع كل ركابها في الحجر الصحي، وبعد أن بقوا به لفترة، ترك هنا ١٧ شخصًا مرضى بالتيفوس، أما الباقون فقد تم إرسالهم في قطار مستشفى خاص إلى معسكر للنازحين بحي العباسية في القاهرة.

أما السفينة المستشفى "جلوتشيستر كاسيل"، فبعد استقبالها حوالي ٤٨٠ شخصًا من الضباط والجنود والموظفين العسكريين من جيش دوبروفولسكى، فقد غادرت ميناء سيفاستوبول في يوم ٢٣ يناير ١٩٢٠، وقد تم قبول ٢٧ من زوجات الضباط المرضى وطفلين بإذن من قائد السفينة للصعود عليها، وفي الطريق توفى ٦ من المرضى بالتيفوس، وفي الإسكندرية تم حجز الركاب بالحجر الصحي لمدة ثلاثة أيام، بعدها نقل ذوو الحالات الحرجة إلى المستشفى السكندري بسيدي جابر، أما الآخرون فقد تم إرسالهم إلى معسكر العباسية.

وقامت السفينة "جيلمجورن كاسيل" برحلتين لنقل اللاجئين الروس من سالونيك؛ حيث تم إرسالهم إلى هناك من نوفوروسيسك قبل ذلك بعدة أسابيع، وقد وصلت السفينة أول مرة إلى الإسكندرية في ٥ مارس، وثاني مرة في ٣١ مارس، وهي تحمل على متنها ١٢٩٠ جريحًا ومريضًا و ٥٠ فردًا من العاملين عليها، وبعد الحجر الصحي تم إرسال اللاجئين إلى التل الكبير.

أما باخرة الشركة الروسية للملاحة والتجارة فقد خرجت من ميناء نوفوروسيسك في يوم ٢٢ فبراير ١٩٢٠ ووصلت إلى الإسكندرية في ١٢ مارس، حيث تم على ظهرها ترحيل أسر ضباط جيش دوبروفولسكى والأشخاص الذين خدموا بمؤسسات دوبرارمى وبإدارة الدعاية بصفة خاصة، وكذلك كل المعفيين من التجنيد الذين لديهم ما يجعلهم يعتبرون أنفسهم في خطر عند قدوم البلاشفة:

كان على ظهر السفينة ١٤٠١ شخص، على الرغم من أنه تم تصميم المكان على متن السفينة لكي يستقبل ٨٠٠ شخص فقط، ويمكن تفسير هذه الزيادة في العدد بأنه في اللحظة الأخيرة تم إجلاء ٣٠٠ طالب حربي من قوات فيلقى دونسك وفلاديكافكاز، وفي الطريق توقفت السفينة في جزر الأمراء وكذلك في مدينة فاماجوستا بقبرص، حيث نزل إلى الشاطئ عدد من الروس.

ومن المثير للاهتمام أن توزيع الركاب إلى "ركاب عنبر" و"ركاب قمرة" قد تم بطريقة جزافية تمامًا، فقد حصل على أماكن مريحة أكثر في بعض الأحيان شبان ممن يطلق عليهم "أفراد عاديون"، بينما عانى نساء وأطفال وشخصيات اجتماعية وسياسية مرموقة وجنرالات وأساتذة جامعة وفنانون وكتاب في جو العنابر الرطب، وقد نام الطلاب المتدربون الحربيون على سطح السفينة، بالرغم مـــن الطقس البارد والرطب، وقد وصل إلى الإسكندرية على متن هذه السفينة إ.ي. بيليبين (المترجم: الرسام الروسي الشهير) الذي أراد القدر أن يكون موجودًا بجنوب روسيا في نهاية الحرب الأهلية.

وكان يوجد على ظهر السفينة "ساراتوف" بطل آخر لقصتنا هو ديميترى كون، وهو صبى في التاسعة من العمر وابن أرستقراطى من مدينة سانكت-بيترسبورج وهو عقيد الجيش الأبيض أناتولى جوريفيتش كون. "تركنا في فبراير ١٩٢٠ نوفوروسيسك على "ساراتوف". صاحبنا أبى ولكنه بقى، كما صاحبنا أيضًا الميجور سوخ، وهو تلميذ وصديق جيد لأبى، وقد قدم لنا جنيهات (إنجليزية)، وقد كتب د. كون في وقت لاحق: كانت السفينة ممتلئة عن آخرها، حيث ملأ الركاب العنابر. كان هناك العديد من المرضى بالتيفوس، ومنهم والد نيكيتا ابن خالتي. وبشكل عام سافر في المقام الأول نساء وأطفال من عائلات الضباط. كانت المحطة الأولى في القسطنطينية، وهنا نزل الكثيرون إلى الشاطئ. ونحن أيضًا كنا نرغب

في النزول، ولكننا لم نتمكن من العثور على أمتعتنا، ولذلك بقينا. ومن الواضح أننا كنا محظوظين؛ لأن الروس قد عانوا في تركيا، بالرغم من أن حياتهم بها كانت مرحة في البداية. بالإضافة إلى أمي، كانت توجد معنا أيضًا عمتّاى ناتشا ومـــارينا، وأم نيكينا وأبوه، وكـــذلك الجنـــرال المثيـــر جدا للاهتمام ريربيرت مع ابنه"[٩١].

وصل اللاجئون إلى الإسكندرية في يوم ٢٥ مارس، وفي المقام الأول تم إنزال الأطفال المرضى وإرسالهم إلى المستشفى، أما فيلق الطلاب الحربيين ثم باقي الركاب، فقد تم نقلهم إلى سيدي جابر (ملاحظة المؤلف: ضاحية من ضواحي الإسكندرية في ذلك الوقت) لقضاء فترة الحجر الصحي، حيث تم إسكانهم بعد تطهيرهم الخارجي في غرف واسعة ولكنها غير ملائمة على الإطلاق، بها أسِرَّة وضعت عليها مراتب وأغطية.

أمضى اللاجئون هنا ١٠ أيام، ثم غادرت المجموعة الأولى سيدي جابر في ٦ أبريل، وكانت مكونة من نساء مع أطفال صغار وضعفاء ممن شفوا من المرض مؤخرًا، أما المجموعة الثانية فقد غادرت في يوم ٧ أبريل، وقد ضمت بقية اللاجئين من البالغين وكذلك الأطفال، فيما عدا ١٥٠- ٢٠٠ شخص بقوا بمستشفى سيدي جابر، وقد وجهت المجموعتان إلى التل الكبير بالدلتا على بعد ٦ ساعات من مدينة الإسكندرية عن طريق السكك الحديدية. أما المجموعة الأصغر من ركاب السفينة "ساراتوف" (أى ١٥٠- ٢٠٠ شخص)، فبعد شفائهم بقوا في الإسكندرية، وتم نقلهم إلى معسكر سيدى بشر الجديد، والذى سيتم الحديث عنه بشكل منفصل فيما بعد، وقد كانت عائلة كون ضمن هذه المجموعة.

كانت "بارون بيك" هي آخر سفينة غادرت نوفوروسيسك في ١٣ مارس حاملة الجرحى والمرضى تحت غطاء حماية من المدفعية الإنجليزية التي أطلقت

النيران على وحدات الحمر المهاجمة في ضاحية نوفوروسيسك، وقد جاء في تقرير رئيس النقـــل (وهـــو أيضا رئيس مـــركـــز نقطـــة الإجلاء بنوفوروسيسك) ب.ف. بولجاكوف[٩٢]: "بعد أن تم شحن حوالي ٧٥٠ من المرضى والجرحى بدون أى تصنيف، كان الغرض هو فقط نقلهم بعيدًا، وابتعدنا عن الرصيف، كانت تظهر أضواء احتراق صهاريج النفط وحرائق وانفجارات قذائف مدافع البلاشفة المهاجمين في شفق المساء. غادرنا نوفوروسيسك في الساعة ٠١:٠٠ متوجهين إلى ثيودوسيا التي وصلنا إليها مبكرًا في صباح اليوم التالي. أنزلنا الوحدات الجديدة المخصصة لشبه جزيرة القرم، ثم توجهنا إلى سالونيك.

سرعان ما تم تحويل العنابر إلى قاعات، وخصصت قمرات الدرجة الأولى والثانية للمرضى ذوى الحالات الحرجة، ومنذ يوم ١٤ مارس تم ظهور التيفوس الطفحى، فأعيد التصنيف. ولحسن الحظ أنه كانت توجد على ظهر السفينة حجرة تعقيم رائعة أنقذت المنقولين من أخطار انتقال المرض من شخص لآخر.

بدأت تظهر حالات الوفاة في يوم ١٦ مارس. بعد أداء مراسم قداس ميت قصيرة قام بها أ. نيديلكا[٩٣]، كانت السفينة تتوقف طبقًا للتقاليد السائدة، كان الجسد الملفوف في العلم الروسي والمربوط به ثقل يهبط إلى القاع مع إطلاق نيران البنادق، وقد توقفنا ٢٥ مرة". كان يوجد على ظهر السفينة ٤٢٣ من العسكريين، وكان يقوم بخدمتهم ١٢ طبيبًا و٩ ممرضات و٢٠ ممرضًا. وكان يوجد بين الأطباء ألكسندر أدليفانكين الذي لعب في وقت لاحق دورًا بارزًا في خدمة الأطباء الروس لسكان الإسكندرية.

فى فجر يوم ٢٧ مارس ألقت السفينة مرساتها عند مدينة فاماجوستا، ولكن هنا رفضوا رفضًا قاطعًا استقبال المرضى والجرحى، وفي ٢٩ مارس رست عند رصيف ميناء الإسكندرية، وكان إجمالي عدد الذين وصلوا إلى الإسكندرية على

ظهر السفن التي تم ذكرها أعلاه في شهري فبراير ومارس ١٩٢٠ حوالي ٤٤٤٠ روسيًا[٩٤].

كان ميناء الإسكندرية الكبير يعمل بكامل طاقته، وهو ما تبينه الإحصاءات التالية: في خلال شهر أغسطس ١٩١٩، وصلت إلى الإسكندرية ١٢٢ سفينة تحمل على متنها ٣٩٨٩ راكبًا، وغادرتها ١٢٢ سفينة حاملة ١٥٨٢ راكبًا.[٩٥] كانت حركة البضائع والركاب في مينائي العاصمة الشمالية (الشرقية والغربية) لمصر في عامي ١٩٢٠- ١٩٢١، وقد بقيت هذه الحركة كثيفة كما هي فيما بعد ذلك. وتفيد هذه الصحيفة نفسها بأنه في خلال شهر مارس عام ١٩٢٠ (وهـذا الشهـر يهمنا بشكـل خاص) كانت قد وصلت بالفعل إلى الإسكندرية ١٤٩ سفينة عليها ٤٥١٩ راكبًا، وخرجت إلى البحر ١١٩ سفينة على ظهرها ١٩٥٠ راكبا[٩٦]، كانت زيادة تدفق البضائع والركاب إلى ميناء العاصمة الشمالية لمصر، لمدة لا تقل عن ستة أشهر، مرتبطة بهجرة الروس ووصولهم إلى مصر في أواخر فصل شتاء وأوائل فصل ربيع عام ١٩٢٠، وفى خلال هذه الفترة بالذات كانت قد جلبتهم السفن البريطانية والروسية إلى الإسكندرية.

كما نرى، لم تكن في الأصل وجهة كل الأشخاص الذين تم إجلاؤهم على هذه السفن هى الإسكندرية، ولكن في اندفاع حركة نزوح العشرات والمئات من المهاجرين البيض من روسيا، فإن العاصمة الثانية لمصر المضيافة قد استقبلت كل أولئك الذين كانوا طبقًا لخطط الحلفاء- الإنجليز والفرنسيين- متوجهين إلى الإسكندرية، وكذلك من تم رفضهم في بلدان ومدن أخرى.

كان التعارف الأول مع العاصمة الشمالية لمصر يمثل بالنسبة لهم ما هو بعيد تمامًا عن المتعة؛ حيث كتب الصحفي الروسي الشهير ألكسندر يابلونوفسكى يقول: "عرفنا في الإسكندرية لأول مرة سحر الحجر الصحي، وجلسنا حوالي أسبوعين قيد الاعتقال. لقد عشنا في بناية ضخمة على طرف المدينة، دون أي

اتصال مع العالم الخارجي، كما أننا لم نر أبدًا أيًا من المواطنين حتى ولو من خلال نافذة، حيث إن كل نوافذ هذا المبنى الغريب كانت تطل على فناء، كما لو كنا في حريم. كان من الممل الجلوس في سجن والتجول فقط في حدود "القسم" الخاص بنا. ولكن بشكل ما كان ذلك عادلاً وكان يستنفر شعورًا ذا سمة طبية، ولكنه لم يتسبب ولو في تذمر بسيط لدى أي منا. فقط أدهشنا نظام مكافحة حمى التيفوس، ولكن كنا نعلم تمامًا بناء على تجربتنا الروسية الصعبة أن مكافحة التيفوس هي في جوهرها مكافحة الحشرات، وأنه هنا لا توجد إلا أربع وسائل مؤثرة تمامًا- الصابون، الماء المغلى، الملابس النظيفة، عدم وجود ازدحام. ولكن في الحجر الصحي كان الصابون يعطى فقط للنساء، كما لم يكن الماء المغلي كافيًا، ولم يكن متاحًا مكان لغسل الملابس (لم تكن توجد أية تجهيزات لهذا الغرض)، وكنا ننام على الأسرة "جنبًا إلى جنب" أى جسم ملاصق لآخر، لذلك لم يكن من الغريب، في ظل هذه الظروف، أن التيفوس لم يتوقف، وأنه كان يجيء إلى مهاجعنا كل يوم الممرضون بمحفة حيث كانوا يحملون شخصا ما بعيدا"(٩٧).

تم نقل كل الذين تم إجلاؤهم على السفن "إمباير" و"جلوتتشيستير كاسيل" و"بارون بيك" وجزء ممن كانوا على "ساراتوف" إلى معسكر العباسية على مشارف القاهرة، ما عدا من كانوا مرضى بأمراض معدية، والذين كانوا دائمًا يبقونهم في سيدي جابر؛ حيث إن إمكانيات الحجر الصحي كانت محدودة أمام التدفق الكبير للمنفيين الروس.

قبل ذلك كان الأسرى الجرحى الأتراك والألمان والبلغار وغيرهم يوجدون في معسكر- مستشفى العباسية، وبعد إرسال هؤلاء إلى بلادهم تم تخصيص المعسكر للاجئين الروس، وهنا تم إسكانهم في ثكنات، كل ١٠-٢٠ شخصًا معًا، حيث بقوا في الحجر الصحي حتى أول مارس تحت حراسة جنود أستراليين وهنود، وفي إحدى الثكنات تم تجهيز كنيسة مخيم؛ حيث أمدتها البطريركية

اليونانية والبعثة الروحية الروسية في القدس بالحد الأدنى من اللوازم، وقد قام الكاهن بوليكاريوس فيلاتوف بأداء الواجبات الكنسية.

ونظرًا لتدفق المنفيين الروس إلى مصر، تم إنشاء اللجنة القاهرية لمساعدة اللاجئين الروس بناء على مبادرة من جانب الدبلوماسيين الروس والمجتمعات المحلية برئاسة زوجة القائد العام للقوات البريطانية بمصر الليدى كونجريف، والتي انضمت لها شخصيات اجتماعية وسياسية بارزة في مصر، وقد تميز بينهم بشكل خاص اللبناني المسيحي الذي يعتنق العقيدة الأرثوذوكسية حبيب لطف الله وابناه جورج وميشيل، حيث إنهم قدموا مبالغ مالية كبيرة وساعدوا بالملابس والأدوية وغيرها، وقد امتدت أعمال اللجنة إلى الإسكندرية أيضًا.

كما قام طبيب الأسنان جولدنبيرج إ.س. بعلاج اللاجئين مجانًا، وقدم رجل الأعمال إ.ي. ماليسون ٥٠٠ جنيه مصرى لصندوق اللجنة، أما رئيس أقدم شركة تأمين في مصر "روسيا" ج. حيورميوز فقد قدم ٢٥٠ جنيهًا مصريًا، وسلم بطريرك الإسكندرية حوالى ٦٠ جنيهًا مصريًا جمعتها رعيته[٩٨].

وصل بعض اللاجئين الروس إلى التل الكبير متجاوزين العباسية، على سبيل المثال من سفينتي "كيلم جورن كاستيل" و"ساراتوف"، حيث إن أعدادهم تجاوزت القدرات المحلية بكثير، لم يستمر معسكر العباسية إلا حتى مايو ١٩٢٠ فقط، حيث تم نقل ضيوفه (أكثر من ٦٠٠ مريض) إلى التل الكبير. في الأساس كان هذا المعسكر أيضًا محطة حجر صحي، وكان يتم توزيع زبائنه إلى التل الكبير أو كان يتم إرسالهم (الطلاب المتدربين الحربيين بفيلق دونسكى) من هناك إلى فايد بالقرب من البحيرات المرة الكبيرة والصغيرة بمنطقة قناة السويس، وبصفة استثنائية تم إرسال مجموعة صغيرة من الأشخاص الذين تم إجلاؤهم إلى

الإسكندرية كونوا مع بعض الأشخاص الذين تم شفاؤهم من سيدي جابر نواة وحدات اللاجئين الروس في المعسكر السكندري الجديد بسيدي بشر.

وفقًا للروس أنفسهم، مع استثناءات قليلة، فإن ظروف المعيشة في جميع معسكرات إقامتهم الأولى "المؤقتة" في مصر في الأعوام ١٩٢٠- ١٩٢٢ كانت بصفة عامة متماثلة؛ فكانت المساكن عبارة عن ثكنات أو قاعات أو مخيمات محاطة بالأسلاك الشائكة، وكان الخروج من المعسكر أو الدخول إليه يتمان بتصريح من القائد البريطاني وببطاقات خاصة "باسات"، وفي البداية كانت الأخيرة تمنح فقط ليوم واحد وليس أكثر، ولخمسة أفراد لا أكثر في المرة الواحدة، وفي هــذه الحالة كان يجب على اللاجئين الراغبين في السفر إلى مكان ما أن يقدموا أولاً تذكرة العودة، وثانيًا أن يرتدوا ملابس محترمة، وكان يحظر عليهم الذهاب للبحث عن المال، وكان يتم إنذار الأشخاص الذين لا يمتلكون موارد كافية لطريق العودة إلى القاهرة بأنه سوف يتم إيصالهم إلى المعسكر على مراحل.

أما في التل الكبير نفسه فكان يسمح للاجئين بالخروج من المعسكر حتى حدود الأرض المزروعة، أي كانوا يجبرون على البقاء بشكل قاطع في الصحراء، كانت ظروف المعيشة في كل من الإسكندرية والإسماعيلية أسهل إلى حد كبير، نظرًا لقرب الأولى من البحر والثانية من بحيرة، بينما كان سكان معسكر التل الكبير يعانون من الوضع الأصعب، ويرجع ذلك أساسًا إلى نقص المياه وإلى جفاف المناخ الصحراوي.

كما عانى أسرى الحرب الروس في عام ١٩١٩ هم أيضًا من هذا المناخ القاتل بالتل الكبير، وقد جاء في التقرير رقم ٨٤١ بتاريخ ٣٠ أبريل عام ١٩١٩ المقدم من القنصل أ.م. بيتروف، الذى كان التل الكبير يدخل في منطقة اختصاصه، إلى الوزير المفوض أ.أ. سميرنوف، أنه في فبراير- مارس عام ١٩١٩ توفى في

هذا المعسكر الأرثوذكسي ب. جيرمان (نتيجة التهاب الأمعاء الدقيقة)، والمسلم س.ش. فوتكاييف. (بسبب الدوسنتاريا)، واللوثرى إ.ج. بريمان (نتيجة إصابته بالسل)، وي. ف. فيدوتوف (نتيجة التهاب حاد بالمعدة)، والأرثوذكسي ت. جرودينين (بسبب قصور في القلب)[٩٩].

كان معسكر التل الكبير هو الأكبر، فقد كان يعيش فيه في منتصف عام ١٩٢٠ الجزء الأكبر من كل الروس الذين وصلوا إلى مصر في الفترة من فبراير إلى أبريل، وفي الواقع كان يوجد هنا مخيمان- واحد للأسر اللاجئة (١١٥٤ شخصًا)، فضلاً عن مستشفى (٦٦٢ مريضًا، ٢١٢ شخصًا روسيًّا، و ٤ أشخاص من الإنجليز موظفين)، وكان كلا المخيمين يقع في الصحراء ومحاطًا بسياج مزدوج من الأسلاك الشائكة، ويحرسه جنود من الهند، وقد جاء كل المرضى والجرحى إلى هنا بعد انتهاء فترة الحجر الصحي وتصفية معسكر العباسية في منتصف شهر مايو عام ١٩٢٠، ما عدا ٧٠ شخصًا وضعوا في المستشفيات الأجنبية بالقاهرة.

يتحدث تقرير مفصل للطبيب فسيوفالود شيفاندين بتاريخ ١٠ يوليه ١٩٢٠[١٠٠] عن هذا المعسكر وعن ظروفه الصحية، وكذلك عن حياة اللاجئين الروس، مقدمًا صورة واضحة:

"كانت الخيام في كلا المعسكرين من القماش ومن نوع واحد مخروطي الشكل، بدون نوافذ، وكان يوجد ثلاث فتحات من أجل التهوية في أعلى الخيمة بينما كانت الأرضية ترابية، كانت الخيام مفروشة بالتماثل؛ فكان الأثاث مكونًا من أسرّة حديدية بشبكات معدنية وكومودينوهات خشبية غير مطلية بها رفّان، واحد لكل شخص.

لم تكن توجد موائد ولا مقاعد، وكانت توجد على كل سرير مرتبة ووسادة صغيرة وغطاء وناموسية للحماية من الذباب والبعوض، ولم تكن توجد ملاءات. أما في معسكر الضباط والجنود فكان الأثاث موجوذا في مخيم الضباط فقط، بينما كان الجنود ينامون على قماش مشمع على الأرض مباشرة دون وسائد.

ضم كل من المخيمين قاعة طعام بأرضية ترابية وجدرانًا وسقفًا من عيدان القش، وكانا مزودين بموائد ودكك، وقد أشير في التقرير إلى أن طعام اللاجئين كان يجعلهم يتمنون الأفضل، وبالرغم من أن الحصص الغذائية كانت تحتوى على ٣٠٠ سعر حراري، فقد كانت فقيرة في البروتينات والكربوهيدرات، كما أن جزءًا من هذه المواد الغذائية كان لا يصلح أبدًا للاستهلاك الآدمى باعتباره طعامًا. وقد جاء في الوثيقة: "كان يتم إعداد الطعام بلا مبالاة ولا حرص على مذاقه، وكان الحساء الذى يمثل الوجبة الوحيدة الساخنة للاجئين طوال اليوم يجهز على وجه الحصر تقريبًا من دهن لحم الخراف المسلوق، بحيث كانت حصة اللحم صغيرة، وكان دائمًا يغطى الحساء بطبقة سميكة من الدهن يسهل تجمدها مما كان يجعل هذه الوجبة الساخنة الوحيدة مثيرة للاشمئزاز"[١٠١].

كان ضخ المياه إلى المعسكر يتم من بئر ارتوازية، ولكن ليس طوال اليوم، بل فقط من الساعة ٥ إلى ٨ صباحًا، ومن الساعة ١١ إلى منتصف الواحدة، وبالطبع لم يكن ذلك كافيًا. ولم يكن الماء الساخن متوفرًا، فكان الناس يغسلون ملابسهم بالماء البارد".

ولكن كانت هناك أيضًا شهادات أخرى، حيث كانت تتفق آراء غالبية الأطباء الروس الذين كانوا يرون أن الروس كانوا يعيشون في كلا المخيمين والمستشفى في ظل ظروف صحية مرضية، وعلى الرغم من أن الظروف

المعيشية في كل المعسكرات كانت تقريبًا متشابهة، فإن الوضع الذي كان يوجد فيه الجنود كان يختلف عن وضع الضباط، وبالطبع لصالح الأخيرين، وكان جميع اللاجئين يزودون بالمواد الغذائية والملابس والأحذية طبقًا لمعايير الحصص البريطانية(١٠٢).

يقدم أ. يابلونوفسكى وجهًا آخر للحياة بمعسكر التل الكبير في مذكراته عندما يكتب عن الكنيسة المبنية بالقش والمدرسة "التى بلا نوافذ ولا أبواب": "لم يعد هذا الفقر يصدم أحدًا كما أنه لم يعد يخرق عيون أحد؛ حيث إنه أصبح جزءًا من الحياة وتم التعود عليه. كان الفقر في كل خطوة، والفقر في جميع جوانب الحياة، فأينما نظرت رأيت الفقراء حولك، ولا يوجد بينهم أي شخص غنى. ها هي المغسلة التي يغسل فيها اللاجئون ملابسهم، ولكن انظروا من الذي يقوم بالغسيل؟ رئيس كل المؤسسات التعليمية العسكرية بروسيا، الشخصية الثانية بعد الأمير العظيم قسطنطين الجنرال الكامل والفارس الذى يحمل عددًا لا يحصى من الأوسمة يغسل قمصانًا، وبجانبه قائد فرقة يغسل بنطلونه الواسع، ثم أستاذ جامعي، ومهندس، وكاتب، كلهم يغسلون... وها هو ضابط برتبة فريق، عجوز مشرف جدًا، ويحظى باحترام عظيم، يغسل بالرمال وعاء مدهنًا يقدم فيه الحساء، واليوم الجنرال يقوم بورديته في المخيم؛ حيث جاء عليه الدور اليوم للتعامل مع هذا الوعاء المقزز... وها هو الرسام الشهير إ.ي. بليبين شمر عن ساعديه ويشارك عقيد أركان حرب في حمل حطب على محفة خشبية إلى المطبخ"(١٠٣).

على الرغم من قصر فترة وجود المعسكر في التل الكبير، فإنه على مدى أكثر قليلاً من سنتين فقط من الحياة هنا تشكل أسلوب الحياة ونظامها اللذان عاشهما المنفيون الروس الذين بقوا في مصر، وعلى الرغم من الظروف المروعة، في بعض الأحيان، والنقص الكارثى في الموارد المالية، فإنه تم هنا بالذات تأسيس كل

المؤسسات الممكنة للاجئين؛ فمنذ منتصف عام ١٩٢٠ تم فتح مدارس وكنائس ومحالات تجارية صغيرة، وجميع أنواع الورش الممكنة، وتأسيس فرقة موسيقية، ومسرح... إلخ.

هكذا، فمنذ يوم ٣ مايو، فتحت مدرسة هنا بالمخيم رقم ١، وقد رأسها أستاذ جامعة خاركوف أ.ن. فاتييف. كانت فكرة إنشاء مدرسة روسية قد نشأت من قبل علـــى السفينـــة "ســـاراتوف"، وقـــد أصبحـــت الملهمة الرئيسية لهذه الفكرة ك.ب.جاندولينا- زوجة رجل صناعة وممثلة لجنة الآباء بالمدارس الثانوية بمدينة أيفانوف- فوزنيسينسك، وطبقًا لمنهجها الدراسي كانت المدرسة تعادل المدارس الثانوية التي تتم فيها الدراسة أربع سنوات دراسية وتمثل مدرسة حقيقية. كانت الدراسة مدفوعة الثمن، وكان يتم اختيار المدرسين من بين الحاصلين على تعليم عال فقط والذين لديهم خبرة في التدريس، وحيث إن هؤلاء كانوا كثيرين لم يكن من المسموح أن يقوم أحد بالتدريس لأكثر من ٥ ساعات في الأسبوع، كانت الدراسة تستمر طوال الصيف حتى يتمكن الأطفال من الانتقال إلى الفصل الدراسي التالي، في حالة العودة إلى روسيا بحلول الخريف[١٠٤].

كانت الاحتياجات الرئيسية للمدرسة تتمثل في الكتب الروسية والكتب المدرسية، وقد أصبح مدرس اللغة الروسية ومفتش المدرسة هو أ. يابلونوفسكى الذي أشرنا إليه، وقد انتقلت المدرسة مع المهاجرين من المعسكر المؤقت بالتل الكبير إلى معسكر سيدي بشر السكندري، وهنا كان مديرها هو الرقيب دوبرينيا- ب. ي. كونيوخوف، وهو شخصية رائعة جدًا سوف نتحدث عنها لاحقًا.

في مصر، كما في كل مكان ظهرت فيه جاليات روسية أو انتقلت فقط إليه مجموعات من الروس، كان أول شيء يقومون به هو بناء كنيسة، أو على الأقل تجهيز مكان لأداء الشعائر الدينية، كان القمص الأب بوليكاريوس الذى بدأ هذا

العمل قد جاء إلى مصر على أول سفينة "إمباير"، وطوال وجود مستشفى العباسية كانت تعمل هناك أيضًا الكنيسة، وكان وجودها يعتمد على جمعية خيرية تابعة للقنصل العام الروسي بالقاهرة، وكانت أملاك الكنيسة قد جلبت من روسيا، وتم الحصول على جزء منها من البعثة الروسية بالقدس عن طريق الممثلية الدبلوماسية بالقاهرة، وجزء من بطريرك الكنيسة السكندرية المستقلة فوتيوس، ولكن لم تكن هذه اللوازم والثياب كافية على الإطلاق للكنائس الثلاث، لذلك كان يصنع جزء كبير منها بالتل الكبير مباشرة.

بعد انتقال المنفيين إلى التل الكبير تم تقسيم كل الممتلكات بين رئيس كنيسة المستشفى نيقولاى إيكونيكوف، ورئيس كنيسة المخيم رقم ٢ القس جولوبياتنيكوف، والأب بوليكاريوس الذى كان يخدم بمخيم العائلات. كانت الكنائس موجودة بكل مخيمات التل الكبير، وقد تم تكوين فريق كورال رائع من الجنود والضباط في إحداها تحت إشراف أ.أفاناسيف. كانت التبرعات وحدها هى التي تغطى مصاريف الكنائس ولم يكن الكهنة يتلقون أية رواتب، فكانوا كثيرًا ما يلجئون إلى الممثلية الدبلوماسية الروسية، ومع ذلك كانت الحياة تسير كالمعتاد، فاستمر إنجاب الأطفال والزواج والوفاة، كما كانت تطبع أيضًا استمارات مؤقتة لشهادات التعميد والزواج والدفن.

لم تكن الحياة الثقافية بتلك المعسكرات المؤقتة بالتل الكبير والإسماعيلية أقل إدهاشًا، فقد تم افتتاح مركز ثقافي وتعليمي روسي في يوم ٣٠ أغسطس بجزء معسكر المستشفى ثم انتقل بعد ذلك إلى سيدي بشر وأصبح "أكبر الهيئات غير الحكومية للاجئين"، وقد مد نشاطه بسرعة إلى جزئى المعسكر الآخرين؛ ذلك الخاص بالضباط، والخاص بالأسر، وقامت هذه الهيئة بالذات بالعمل على إنشاء المدارس ذات الرسوم الدراسية وإقامة الحفلات الخيرية والمسارح.. إلخ.

كما أن المركز قام بإعداد اللاجئين للحياة المستقلة، ونظم برامج دراسية لمحو الأمية "مدرسة الشهادات"، كانت توجد أيضًا مكتبة صغيرة كان أساسها مكونًا من تلك الكتب التي جلبها المهاجرون معهم من روسيا، وكذلك تلك التي قدمها الدبلوماسيون الروس بمصر. واعتبارًا من يوليه ١٩٢٠، أصبح المركز يحمل اسم "الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية"، وبدأ يصدر مجلة "في الغربة" الشهرية، وقد كانت تطبع ١٠٠ نسخة منها، وكذلك جريدة "المهاجر"، وقد وحدت هذه المطبوعات أبناء الوطن الواحد حولها وعضدتهم، ومنحتهم الشعور بالارتباط بثقافتهم الوطنية ومعلومات مفيدة عن البلد المضيف.

اعتبارًا من يوم ١١ يوليه ١٩٢٠ يتم الإشارة في الوثائق التي تتناول حياة المهاجرين اليومية إلى اجتماعات للضباط. وفي ١٤ نوفمبر ١٩٢٠ تكونت في التل الكبير "جمعية الجنود المعوقين ومشوهي الحرب الروس"، ثم بعد ذلك انتقلت إلى سيدي بشر.

وعلى الفور تقريبًا، ظهرت فنون الهواة في التل الكبير، وأقيمت هنا أمسيات بمشاركة "كل أحسن القوى الفنية بالمعسكر: ثلاث فرق موسيقية؛ خفيفة، وسيمفونية، ووترية"، وراقصات الباليه الشهيرات، وفرق الكورال المشتركة، كما كانت توجد هنا فرقة مسرحية.

منذ يونيه ١٩٢٠ بدأ العمل في التل الكبير وإقامة صالونات صناعة أحذية وحياكة ملابس، وكان يعمل ويتعلم بها جنود وموظفون صغار، ولم تكن الورش تلبى احتياجات اللاجئين أنفسهم فقط، ولكنها كانت أيضًا تنفذ طلبات السكان المحليين.

وقد أخطرت السلطات البريطانية في ١٥ ديسمبر ١٩٢٠ الوزير المفوض الروسي أ.أ. سميرنوف عن نيتها إرسال المنفيين الروس إلى صربيا، ولكنها مع

ذلك أفادت بأن من يرغب منهم يمكنه البقاء في مصر على شرط أن يمكنه كسب لقمة العيش هنا والانضمام إلى هؤلاء الروس الذين سبق أن وفّروا لأنفسهم سبل الحياة في مصر بأنفسهم، وطبقًا لبيانات السلطات الاستعمارية فإن عددهم يمثل ١٢٨ من العسكريين و٣٨ من المدنيين الذكور و١٠٥ من النساء وطفلين[١٠٥].

كان البريطانيون يتعاملون بهدوء مع ما يكسبه اللاجئون، وإذا كان أي منهم أصبح يكسب قوته، فلم يكونوا يمانعون على الإطلاق من تركه المعسكر والانتقال للسكن بمدينة مصرية. كان ذلك بالذات هو مصير الرسام إيفان ياكوفليفيتش بيليبين، الذى عثر لنفسه على عمل وسكن بالقاهرة فانتقل إليها، وعاش في العاصمة حتى عام ١٩٢٤، ثم انتقل إلى الإسكندرية بعد ذلك بعام.

لم يتم تنفيذ خطة الإدارة البريطانية لإرسال اللاجئين إلى صربيا، وفقط بعد حوالي سنتين غادروا معسكر التل الكبير، ولكن تم نقلهم إلى ضاحية الإسكندرية سيدي بشر.

ولكن وصل إلى صربيا من الإسماعيلية الطلبة المتدربون الحربيون "الذين أرهقتهم حياة الجوع، والمصابون بمرض التيفوس، والذين يدركون قسوة الأحداث بصعوبة"، و١٠١١ خريجي فيلق دونسكى للمتدربين الحربيين، حيث سافروا على متن السفينة "ساراتوف" في ٢٢ فبراير ١٩٢٠ من ميناء نوفوروسيسك "دون أن يعرفوا وجهة سفرهم النهائية" ومرّوا بالحجر السري السكندري وتم إنزالهم في البداية هم أيضًا بالتل الكبير. ولكن بعد ذلك، تمكن الفريق مدير الفيلق أ.ف.تشيرياتشوكين من نقل "الدونسكيين" إلى المعسكر الحربي الذى كانت تقيم به في السابق الوحدات العسكرية الهندية على بعد بضعة كيلو مترات من الإسماعيلية على شاطئ بحيرة التمساح، أما المصابون بمرض خطير فقد تم تركهم بمستشفى

معسكر التل الكبير. وفي وقت لاحق، ولكي يتم علاج الطلاب الحربيين المرضى، تم الاتفاق على إرسالهم إلى مستشفى شركة قناة السويس.

وفيما يلى كيف وصف المتدرب الحربى أ. بليشاكوف معسكر الإسماعيلية: "كان المعسكر يقع في مكان جميل خارج المدينة، وكان أمامه طريق عرضه خمسة أو ستة ساجين، وكانت بداية البحيرة خلف الطريق مباشرة تخرج من قناة السويس، وكانت تسمى "التمساح"، وكانت قناة السويس تبعد عنا بنصف ميل فقط، والصحراء في الخلف، ويمتد عبرها طريق سكة حديد، والصحراء الليبية التي لا نهاية لها تمتد خلف طريق السكة الحديد، أما على اليمين فكانت تظهر مدينة، وخلف المدينة حديقة نخيل فاخرة يبدأ خلفها انحناء قناة السويس، وبصفة عامة فقد تم وضعنا في منطقة جميلة جدًا"(١٠٦).

بحلول منتصف عام ١٩٢٠ استمر الفيلق يعمل، حتى في ظل عدم كفاية الكتب الروسية والكتب المدرسية والقواميس: كان يدرس به ٣٠٠ متدرب حربى. بموجب اتفاقات موقعة سابقًا، وفي وجود الجنرال دينيكى والرئيس الدونسكى بوجايفسكى والجنرالين خولمان وكيس، وعد ممثل الإنجليز بتحملهم نفقات معيشة الفيلق بالكامل، وهو ما نفذته القيادة البريطانية.

كان يوجد بين المتدربين الحربيين بالفيلق الدونسكى للإمبراطور ألكسندر الثالث للطلاب الحربيين بالإسماعيلية الكاتب الذى سيشتهر في المستقبل ن.ن. فوروبيوف مؤلف القصيدة الشعرية الجميلة "المتدرب الحربي":

المتدرب الحربي

كان بالكاد قد بلغ الخامسة عشرة من عمره،

بالرغم من أنه كان يقسم بالله، أنه نعم.

فقد كانت حتى القلوب الطفولية تخفق بشدة

آنذاك، في الأوقات الصعبة من السنة.

لا تسألني عن اسمه- وكم سنوات عمره!

هل ستحفظ في الذاكرة هذا؟

ولكن يقف المتدرب الحربي أمام عيني إلى الأبد،

ولن أنسى الطالب الحربي.

سواء كان دونيتسى أو أورليسى، أليس هذا لا يهم؟

هل كان من بيسكوف أو من الأورال

أنا أذكر شيئًا واحدًا من الأيام الصعبة

كانت شارة الطالب الحربي تلمع

نعم، عاصفة ثلجية تضرب هوده

مثل أجنحة طائر جريح

كان محيا المتدرب الحربي المنتشي شاحبًا

والرياح الثلجية تهب على القرى

كان يتحرك وكأنه لا يشعر بالبلية

ولم ينحن إلى أسفل للطلقات

كان المدفع الرشاش يطرقع والصفوف تقل

وقد أصبح الحمر قريبين جدًا.

وسقط على الأرض طائر البلشون بشكل أخرق

ومد رقبته إلى السماء بشكل مضحك

ونزفت حياته ببساطة قطرة وراء قطرة

وهي تفور وتلمع كما في كأس نبيذ.

لا تسألني عن اسمه، فليس له اسم

("ذات يوم في الأيام الصعبة، شباب جديد"، ٢٠٠٠، رقم ٣ (٣٢)، قصيدة شعرية، مقدمة، نشرة فيكتور ليونيدوف، رئيس محفوظات مكتبة الصندوق الروسى للثقافة).

كان مصير ن. فوروبيوف مثل الكثيرين غيره من "الدونتسيين" الذين غادروا الإسماعيلية في عام ١٩٢٢. في بداية رحلاته ذهب إلى تركيا ثم إلى يوغوسلافيا، حيث تخرج في كلية الحقوق في جامعة بلجراد، كانت في ذلك الوقت يوغوسلافيا تفيض باللاجئين الروس، وبالرغم من الموقف الودي من جانب الحكومة الصربية فلم يكن من السهل العثور على عمل في هذا البلد، بما في ذلك بالنسبة لحديثى التخرج. لذلك فقد انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٠؛ حيث بقى إلى آخر حياته[١٠٧].

كون المهاجرون الروس، الذين وصلوا إلى الإسكندرية بعد هزيمة جيش دينيكين بجنوب روسيا، نواة المهاجرين الروس بمصر، وأحدثوا زيادة كبيرة في تعداد الروس السكندريين الذين كانوا في هذه المدينة قبل عام ١٩٢٠، وكان مئات من العسكريين الجرحى والأسرى الذين جاءوا إلى هنا من جبهات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى يشكلون جزءًا كبيرًا منهم، ولكن لم يبق الكثيرون منهم بالإسكندرية.

كان عددهم كبيرًا جدًا، وكان الوضع معقدًا لدرجة أنه منذ ١٣ أكتوبر ١٩١٤ تم إنشاء "اللجنة الروسية لمساعدة ضحايا الحرب في الإسكندرية" برئاسة القنصل أ.م.بيتروف. توجهت جمعية عموم روسيا لمراكز الحكومة المصرية بطلب تخصيص قطعة أرض مجانًا لبناء مصحة بحلوان للعسكريين الجرحى، حيث يمكنهم مثل ليسا أوكراينكا وإ.أ. بونين وف.ف. فيريسايف والأمير العظيم قسطنطين قسطنطينوفيتش وغيرهم، الاستشفاء بالمياه المعدنية، ولكن لم تسمح الأحداث المروعة للحرب بتنفيذ هذا المشروع.

قبل نهاية الحرب، حرر الإنجليز الكثير من الأسرى الروس من الأسر لدى الأتراك ببلدان الشرق الأوسط، وفي يوم ٦ ديسمبر أخطر القنصل بيتروف السفير بأنه قد أحضر إلى معسكر عبور بمدينة بورسعيد ٦٤ من الأسرى العسكريين الروس، وبحلول يوم ٢٢ ديسمبر وصل عددهم إلى ٥٨٦ شخصًا، وكان من بينهم من وقع في الأسر أثناء "فرار قوات الثوار من جاليسيا"، وكان معظمهم في الإسكندرية حيث ساعدهم المسئولون بالقنصلية معنويًا وماديًا بنشاط، على الرغم من أنهم كانوا يتلقون قبل ذلك الوقت هم أنفسهم نصف التمويل المفترض بالكاد. وبعد شفائهم سافر الكثير منهم عن طريق الشرق الأقصى إلى كولتشاك، وآخرون إلى أوروبا، بينما بقى بعضهم بمصر؛ حيث وجدوا ملاذًا أخيرًا.

لم يكن نزوح اللاجئين الروس في ربيع عام ١٩٢٠ إلى الإسكندرية مفاجأة لسكان المدينة، فقد كانت الصحافة السكندرية تتابع عن كثب الأحداث في روسيا، كما حدث خلال الثورة الروسية الأولى، فلم تبق الثورة الروسية الثانية هي أيضًا بلا اهتمام. في ٩ نوفمبر ١٩١٧ كتبت صحيفة "المقطم"، وهى واحدة من أكثر الصحف اطلاعًا ذات التوجه الموالى للبريطانيين في ذلك الوقت، حيث كان لها مكتب مراسلات بلندن: أعلن كيرينسكى في ٧ نوفمبر في الاجتماع التأسيسي أنه

إذا كان المتطرفون (ملاحظة المؤلف: البلاشفة) سوف يفكرون في التجاوز في استخدام القوة للاستيلاء على الحكم الآن، فسوف يتم اعتقالهم على الفور"[١٠٨].

ظهر أول خبر عن الثورة في روسيا فقط بعد ١٢ يومًا من قيامها، وجاء فيه "وفقًا لما ذكرته وكالة أنباء رويترز أن الاتصالات مع مدينة بيتروجراد قد انقطعت في خلال الفترة الماضية بسبب ثورة جديدة في البلاد، وأن القائد العام للجيش الروسى كيرينسكى بحث عن ملجأ في النصف الجنوبى من بيتروجراد، وأن قوات البلاشفة قد استولت على محطة ألكسندروفسكى للسكك الحديدية، وأن الدماء قد سالت بشكل قليل للغاية، وفيما بعد تساءلت الصحيفة عما إذا كانت سوف تكون نهاية الثورة الثانية مثلما كانت نهاية الثورة الأولى، أم أن العداء سوف يكون كما كان خلال الثورة الفرنسية، وهل سيكون هناك نابليون جديد في روسيا يستولى على السلطة في يده[١٠٩].

ذكرت الصحيفة نفسها في ٢٠ نوفمبر أن النصر ما زال إلى جانب كيرينسكى بفضل الجنرال كورنيلوف والقوزاق والأحزاب المتعادلة بمجلس الدوما. كما جاء أيضًا أن كيرينسكى على استعداد لاستخدام العنف غير المحدود، وأنه إذا كان النصر سوف يكون في يديه فسيقضى على الفوضى تمامًا، وقد ذكر هنا أيضًا أن البلاشفة قد خسروا قضيتهم بالكامل، وأن كيرينسكى قد أصبح صاحب السلطة المطلقة في بيتروجراد، وأنه تم القبض على لينين.

صدرت صحيفة المقطم في يوم ٢١ نوفمبر بمانشيت "حرب أهلية في روسيا"، وذكرت أنه جاء في سلسلة "برقيات خاصة للمقطم" أن "موقف حزب لينين وأتباعه ضعيف، ومع ذلك فإن هذا الحزب ما زال حتى الآن قابضًا على الحكم بيديه، وأنه قد تبين أخيرًا أن القبض على لينين والانتصار على المتطرفين لا يتفق مع الواقع".

كتبت الصحيفة في اليوم التالي أنه على ما يبدو أنه يوشك ظهور ديكتاتور في روسيا، وعلى الأرجح سيكون هذا الشخص هو كاليدين الذي ركز في يديه في جنوب البلاد مخزونًا ضخمًا من الحبوب ومن المواد الغذائية[١١٠].

تسللت أحيانًا بعض المعلومات عن برنامج المتطرفين البلاشفة (حل الجمعية التأسيسية، انتخاب حكومة جديدة، توسيع سلطات المجالس المحلية) في أعداد صحيفة المقطم الصادرة في ٢٧ و٢٨ نوفمبر وكذلك ٣، ٨، ١١ ديسمبر جنبًا إلى جنب مع حكايات طويلة، وكان يشدد فيها على أن تلك الأحداث الدائرة بروسيا هي في غاية الأهمية لحياة هذا البلد وتؤثر تأثيرًا خطيرًا على حلفائها إنجلترا وفرنسا.

وبصفة عامة، فوفقًا لرأى الصحيفة كـــان الانطبـــاع عن الثورة لا يزال غامضًا جدًا: "ما زال يوجد الكثير خلف الأحداث الروسية، فالكثير غير مفهوم بالمرة". وفقًا لما جاء بأعداد صحيفة "المقطم" التي طالعها المؤلف، كان من الواضح أن اهتمام الصحافة المصرية بالأحداث التي تجرى في روسيا يقل بشكل ملحوظ، ولم تعد تنشر أخبار عن الحرب والثورة الروسية الثانية بالصفحة الأولى. لم يكن السبب الأخير لذلك كون أن مصر نفسها كانت تدخل في المرحلة الحاسمة من النضال في سبيل الاستقلال، وأن وضعًا ثوريًا كان يختمر في البلاد. أصبح عام ١٩١٨ في مصر هو فترة توحيد جهود الجماهير تحت قيادة حزب "الوفد" برئـــاسة سعـــد زغلـــول باشـــا، وكانت انتفاضة مارس عام ١٩١٩ تمثل ذروة هذا الصراع.

ومع ذلك، على الرغم من الأوقات الصعبة التي عاشتها مصر قبل الهجرة الروسية إلى هذا البلد، فإن الصحافة الدورية، ومنها السكندرية، أظهرت قدرًا كبيرًا من الاهتمام بالحرب الأهلية التي تبعت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ في روسيا، ويدل على ذلك ما قمنا بمطالعته بالجريدة السكندرية الثانية من حيث الأهمية "لاريفورم"

التي أولت اهتمامًا كبيرًا بصفة خاصة للمراحل النهائية من الحرب الأهلية بروسيا، ويكفى للدلالة على ذلك سرد عناوين الأخبار من جبهات الحرب الأهلية: "دخل متمردو أوكرانيا أوديسا، وهم يطاردون جيش دينيكين (*18-19.)1.1920*)، "إركوتسك مشتعلة" (٢٠/١/١٩٢٠)، "لا يزال دنيكين صامدًا، وليس صحيحًا أن البلاشفة استولوا على أوديسا"، وهنا أيضًا: "ليا فاليتا. توجه سرب طائرات إنجليزية بعد أن ملأ خزاناته إلى البحر الأسود لاتخاذ جميع الإجراءات الممكنة بخصوص الوضع في روسيا" (٢٣/١/١٩٢٠)، "الحكومة الرومانية سمحت بدخول ٢٠ ألفًا من جنود دنيكينا و٤٠ ألفًا من اللاجئين الروس"(٢٧/١/١٩٢٠)، "كل الناقلات اليونانية تتجه إلى البحر الأسود، من أجل إحضار اليونانيين الذين هربوا من البلاشفة" (٣٠/١/١٩٢٠)[١١١].

تناوبت كذلك أعداد شهر فبراير من الصحيفة السكندرية اليومية "لاريفورم" الأخبار عن الموضوع "المصرى"، وعن وجود وزير شئون دولة بريطانيا العظمى اللورد ميللر ببلد الأهرام وأنباء من ميادين الحرب الأهلية بروسيا: "استولى الأوكرانيون على أوديسا"، "تم الاستيلاء على بلاجافيشينسك"، "البلاشفة يطورون الهجوم في القوقاز"، "موضوع مصر يتصاعد مرة أخرى"، "بيان سعد زغلول" (١-٢ فبراير ١٩٢٠)، "لينين يدعو إلى استقلال بولندا" (٣-٠٢-١٩٢٠)، "استولى الحمر على فلاديفوستوك"، "فى يوم ٣٠ يناير تحدث في الوقت نفسه كل من شيخ الإسلام بالقسطنطينية ومفتى مصر: عن خطر البلشفية التي تتعارض مع القوانين الإسلامية وتقدم الأمم الإسلامية" (٥/٢/١٩٢٠)، "الجنرال دنيكين في فارنا. هو يـرغب في إبرام اتفاقية مع الرومانيين بشأن حماية بيسارابيا مـن البلاشفـة" (٧، ٩/٢/١٩٢٠).

كانت "لاريفورم" وهي تقدم الأخبار عن المعارك في روسيا متعاطفة مع جيش البيض على الرغم من حقيقة أن محرر الصحيفة كانيبى كان أحد قادة المجتمع اليساري بالإسكندرية: "البلاشفة يعانون من هزيمة قاسية بالدون" (١٩٢٠/٢/١٢)، "قتال عنيف في شبه جزيرة القرم. النجاح إلى جانب القوى المعادية للبلاشفة" (٢٢، ١٩٢٠/٢/٢٣)، ولكنها مع ذلك كانت ترى معاناة الحركة البيضاء: "استولى البلاشفة على أرخنجيلسك" (٢٢-١٩٢٠/٠٢/٢٣)، "استولى البلاشفة على مورمانسك" (١٩٢٠/٢/٢٥). وقامت الصحيفة في يوم ٢٧ فبراير ١٩٢٠ بنشر نداء سعد زغلول لمواصلة النضال من أجل استقلال مصر"، وفي ٦ مارس نشرت مذكرة عن الوضع الحربي في روسيا تحتوى بالفعل على معلومة محددة عن الجلاء عن نوفوسيبيرسك": "إنه على وشك أن يبدأ. لقد تلقى الإنجليز أمرًا بمغادرة المدينة. الحلفاء يستعدون لاستقبال ٢٠ ألف لاجىء على السفن. يقترح إرسال ٥٠٠٠ إلى مصر و٣٠٠٠ إلى قبرص. الوضع يتعقد بانتشار التيفوس في نوفوروسيسك. توجد أنباء عن أن سيفاستوبول أيضًا ستسقط قريبًا[١١٢]. وفى يوم ١٣ مارس تنشر "لاريفورم": دنيكين لا يزال يقاتل. ومع ذلك تبقت أيام معدودة قبل خروج السفن باللاجئين".

وفى الوقت الذى كانت فيه الناقلات والسفن الروسية قد أبحرت بالفعل إلى الإسكندرية، أفادت الصحيفة " لقد هزمت حملة الجنرال دنيكين بجنوب روسيا في سفوح جبال القوقاز" (١٩٢٠/٣/٢٧)، "دنيكين يستعد للمقاومة في تلال نوفوروسيسك"، "عاد ميلر من مصر إلى لندن" (١٩٢٠/٣/٣٠)، "سقطت نوفوروسيسك في أيدي البلاشفة" (١٩٢٠/٣/٣١).

وخبر آخر في المجلة نفسها التي سبق الاستشهاد بها "لاريفورم" في ١٩٢٠/٣/٢٧ يستحق انتباهًا خاصًا، حيث إن له علاقة مباشرة بموضوعنا: "في

السنة الأخيرة، تم قتل أكثر من ٣٠ ألفا، منهم ١٥ ألف يهودى، على يد بتليورا(١) لقد كان إجمالي عدد المذابح التي تم تسجيلها ٣٧٢، وعدد الضحايا وصل إلى ٧٠ ألف شخص، بعضهم مات أثناء الهجرة، بينما مات آخرون من الجوع"، وقد حفزت هذه الأحداث هي أيضا هجرة اليهود الروس إلى مصر.

على خلفية هذه الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في كل من روسيا ومصر، يجب ملاحظة الأهمية الخاصة للدور الكبير الذي لا غناء عنه للحجر الصحي في سيدي جابر وأداء معسكرات العبور بالعباسية والتل الكبير: العديد من اللاجئين استعادوا صحتهم هنا، وضمدوا الجروح وأصبحوا جاهزين لمغادرة مصر.

آخرون كانوا قد غادروها بالفعل وتوجهوا لمعاونة فرانجل. كتب عن ذلك القائد السابق لقلعة سيفاستوبول الفريق ف.ب.ريربيرت (سيدور الحديث عنه لاحقًا) في مذكراته: "في يوم آخر جميل من حياتنا السارة الآمنة (المؤلف: بجانب صورة لمدرسة معسكر التل الكبير) جاء قرار الضباط والجنود الذين شفيت إصاباتهم الخطيرة بالعودة مرة أخرى إلى روسيا وإلى القرم ليكونوا تحت قيادة الجنرال فرانجل، وأن يضحوا بحياتهم في سبيل فكرة تحرير روسيا من المغتصبين. سجل حوالى ٨٠٠ فرد أسماءهم، وكان من بينهم من لم يشف تماما، ولكن ذلك لم يمنعه من الذهاب إلى الجيش[١١٣]. سرعان ما تم تشكيل سريتين وكتيبة ونصف من الخيالة، وقد شاهد الفريق ريبيرت بنفسه عرضهم العسكرى قبل سفرهم. ولكن وصل المتطوعون إلى القرم بعد هزيمة فرانجل، فعاد بعضهم إلى مصر، ولكن هذه المرة إلى سيدى بشر[١١٤].

ولكن لم تكن هناك إمكانية لتنفيذ خطط الحلفاء الأولى لإرسالهم إلى صربيا وبلغاريا وبعض الدول الأوروبية الأخرى في عام ١٩٢٠، فتراجعت في ذلك الوقت

---

(١) (المترجم: بتليورا كان رئيسا لمديرية أوكرانيا في الفترة ١٩١٩-١٩٢٠)

إلى مستوى ثان بالنسبة لغالبية اللاجئين الروس: "تم تأجيل مشروع إرسالهم إلى صربيا بسبب عدم مناسبة المساكن المقدمة من حيث الحماية من قسوة الشتاء وبقاء الكثير من اللاجئين في المستشفى، كما أن جزءًا كبيرًا من هؤلاء اللاجئين من كبار السن والسيدات والأطفال أو من أشخاص خارت قواهم نتيجة لتجارب الحرب"[١١٥].

٢,٢. معسكر سيدي بشر في الإسكندرية.

كما ذكرنا من قبل، في بداية عام ١٩٢١ تم نقل كل الروس من التل الكبير إلى الضاحية الشرقية للإسكندرية سيدي بشر[١١٦]، حيث كان كل من المناخ وظروف المعيشة هنا أفضل بالنسبة لهم. في نهاية العام، كان يعيش في هذا المعسكر الذى يتكون من ٣ أجزاء ومستشفى، ١٨٠٠ لاجئ من بينهم ١٢٠٠ رجل و٤٠٠ امرأة و٢٠٠ طفل[١١٧].

كانت الغالبية العظمى من سكان المعسكر في سيدي بشر من أعضاء سابقين بجيش الجنرال دنيكين، وكان ٤٠% من هذه الفئة رجال غير متزوجين، و٤٥% من الأسر نساء وحيدات، أما ١٥% الباقية فكانوا من المدنيين والعائلات، وفي هذه الحالة كان يمكن اعتبار نصف اللاجئين فقط، بما فيهم النساء والأطفال أشخاصًا أصحاء، أما الباقون فكانوا جرحى ومشوهين. كما كانت الأغلبية الساحقة من سكان معسكر سيدي بشر الروسي من اللاجئين الدنيكيين الذين تم إجلاؤهم. وكما هو معروف، فإن الجنرال دنيكين نفسه قد غادر نوفوروسيسك في ٢٢ مارس عام ١٩٢٠ بعد أن صاحبه المستشار البريطاني الجنرال هولمان إلى مرسى الميناء، أما باقي الوحدات العسكرية لجيش المتطوعين الذين يصل تعدادهم إلى ٤٠ ألفًا فقد تم نقلهم إلى القرم لمواصلة محاربة البلاشفة تحت قيادة الجنرال فرانجل حتى نوفمبر عام ١٩٢٠[١١٨] .

وفقًا لمعلومات عدد صحيفة "في الغربة" الذي سبق الاستشهاد به، فإن العدد الأكبر من اللاجئين كان في يونيه عندما كان إجمالي عددهم يمثل ٣٥٣٠ فردًا، منهم ١٩٤١ وضعوا في المعسكرات، بينما تم إسكان ١٥٧٩ في فنادق. وبناء على رغبة اللاجئين أنفسهم تم في شهر يوليه نقل جزء منهم من التل الكبير إلى سيدي بشر، بالقدر الذي كان متاحًا.

توجد معلومات مختلفة بعض الشيء في مقال دميتري فلامبوريانى "روس على الأراضي المصرية"[١١٩]: "المساحة التي يشغلها هذا المعسكر واسعة بما فيه الكفاية، وفي الواقع كان عليها بضعة معسكرات صغيرة، وكان الإنجليز الذين قاموا برعاية كل شيء يعتبرون أنفسهم ملتزمين، وكانوا يعتبرون أنفسهم مسئولين عن اختيار مستوطني المستقبل بعناية.

فعلى سبيل المثال، تم إيواء العزاب بشكل منفصل، وتمت إحاطتهم بالأسلاك الشائكة، بينما وضعت العائلات بعيدًا عنهم، وأخيرًا كان المعسكر المسمى "معسكر الجنرالات" مخصصًا للأسر المتميزة.

بعد إحاطة المعسكر بصفين من الأسلاك الشائكة تم إسناد مراقبة الدخول إليه للشرطة التي كانت مكونة كلها من الهنود النحاف طوال القامة، وسمح الإنجليز للمهاجرين بالاستقرار والعيش كما كانوا يرغبون هم أنفسهم".

ومع ذلك، لم يكن جميع نزلاء معسكر سيدي بشر منقولين من التل الكبير، فقد كتب د.كوني في مذكراته: "لقد نزلنا في جابارى (ملاحظة المؤلف: يقصد سيدي جابر) بالقرب من الإسكندرية، وهنا ظهرت عليَّ أعراض الحصبة، فتم نقلي بسيارة الصليب الأحمر العسكري الإنجليزي مع والدتي إلى المستشفى الهندي الواقع بمنطقة سيدي بشر في الإسكندرية على البحر مباشرة. أعطونا حجرة كبيرة

ورائعة بالمستشفى، وقد غسلتنا الممرضات الإنجليزيات والهنود في حمامات كربوكسيلية على شاطئ البحر، وكانت أمي خائفة جدًا من إصابتي بنزلة برد.

بصفة عامة، كان كل الأطباء من الإنجليز والهنود، وكلهم بالطبع عسكريون، وبعد الحصبة أصبت بالسعال الديكي. كنا نسمى الأطباء الهنود "الأطباء الشيكولاتة"... لا أذكر كم من الوقت بقينا في هذا المستشفى، ولكنى بدأت من هناك في الذهاب إلى مدرسة فيكتوريا القريبة من المعسكر، ثم بعد ذلك تم نقلنا إلى المعسكر الروسي بسيدي بشر"[١٢٠].

وعلى عكس معسكر سيدي بشر الأول (المستشفى) فلم تعد توجد في الثاني خيمات "رائعة" (بمفهوم الأطفال) ولكن ثكنات كل من معسكري الأسر والرجال وكذلك في المستشفى بها كهرباء ومواسير ماء. انتهى المطاف بديما كون عند وصوله إلى المعسكر الثاني مع القادمين من التل الكبير. كان المعسكر محاطًا بأسلاك شائكة وكان مخصصًا في الماضي للأسرى الأتراك. كان المعسكر يشغل مساحة أكبر من ٢٠ هكتارًا، ويبعد ١١ كيلو مترًا عن وسط الإسكندرية ويقع بين قناة المحمودية وخط سكة الحديد "الإسكندرية- رشيد" الذي "لاصقه كشك محطة سيدي جابر"[١٢١].

كانت تبدأ عند جنوب المخيم حقول تذكرنا، وفقا" لما ذكره مؤلف المقال بمجلة "في الغربة"، بسهوب كوبان: "لو لم نكن في ديسمبر ولو لم تكن أشجار النخيل البارزة على التلة والأبنية المصرية المسطحة لملاك الأراضي المحليين، لكان من الممكن لدقيقة واحدة الاعتقاد بأننا في السهوب الروسية بوطننا الأم، وقد زادت أكواخ الحدائق المصرية مـن هـذا التشـابه بصورة أكبر، وهى لا تختلف أبدا عن أكواخ الحراس بالجنوب"[١٢٢]، وقد وصف أحد سكان المعسكر المجهولين هذه الصورة بوضوح في إحدى القصائد الشعرية[١٢٣]:

بمجرد تحرك الشمس نحو الغروب،

أخرج وحدي خلف المعسكر،

من المخيم "د" بعد اجتيازى السور،

أجلس طويلاً على الحجر،

أمامى منظر ليس جديدًا:

حقول، غابات، ومزارع.

أغنام يرعاها عربي شديد

بالقرب من خيمة مهترئة

على اليسار أشجار نخيل، ومن ورائها

يظهر قصر رجل غنى،

وبالقرب من القصر ثور كسول

راجع من العمل، يجر محراثًا.

عرب يعتنون بالحقول.

وعلى الطريق البعيد

ما زالت تومض السيارات

وبغل لا يريد حمل الأمتعة.

هناك أبقار تضخ الماء

برباط أبيض على عينيها،

والعرب يمرون بهدوء

ومعهم بعض الأحمال على ظهور حمير

تسير امرأة عربية لجلب ماء،

تتألق أساور على قدميها،

إبريق على رأسها،

ورضيع على ذراعيها.

ولكن ها هو الليل، ولا يوجد صوت حولنا

ثلاثة أنوار مضيئة بعيدا،

فقط الضفادع من عمق البحيرة

تقرقع هنا وهناك قليلاً

وأنا جالس، أتأمل في المنظر

وأتذكر قريتي

وأفكر طويلاً، وأقرأ طالعي

متى سأعود إلى أرض وطنى؟

كان الحال في معسكر سيدى بشر مثلما كان في معسكر التل الكبير؛ ففي سيدي بشر أيضا كان يستخدم الرجال الأصحاء الذين تتراوح أعمارهم من ١٦ إلى ٦٠ للقيام بمختلف الأعمال، فكانوا ينظفون الطريق الأقرب من انجرافات الرمال ويقومون بالأعمال في الموقع، ويحرسون مخازن البضائع والأغذية، كما كان

سكان المعسكر العزاب يقومون بنوبات كل ٤-٥ أيام.. إلخ، أما سكان مخيمات العائلات "أ" و"د" فكانوا يقومون بنوبات أقل، كل ١٠-١٢ يومًا. وتم أيضًا استخدام العزاب للقيام بالنوبات الصعبة بشكل خاص والتي وصلت إلى القيام بالأعمال (السوداء) التي لا تتطلب مهارة؛ مثل المناولة ودك الأرضية في ثكنات المستشفى وكذلك أعمال المحارة والتسقيف؛ بالإضافة إلى تنظيف المستنقعات القريبة من المعسكر من الطحالب لمكافحة البعوض.

كان الموظفون الدائمون في مكاتب القيادة والعيادات والمدرسين بالمدارس المحلية وحدهم هم من يعفون من نوبات العمل، فضلاً عن المعوقين، بناء على شهادات تمنحها لهم لجنة طبية، وكانت الفئة الأخيرة تؤدى واجبات أيسر.

وكان عمال أجراء عرب يقومون بأداء الأعمال المرهقة والسوداء: تنظيف المراحيض وجمع القمامة بموجب عقود مع الإدارة البريطانية.

كما كانت تستخدم وسائل آلية لغسيل ملاءات الأسرّة وملابس المصابين بأمراض شديدة على نفقة الإدارة الإنجليزية. وفى معظم الحالات يقوم اللاجئون أنفسهم بالغسيل، ما عدا المعوقين الذين كانت تقدم لغسيلهم موارد خاصة من لجنة الصليب الأحمر الروسي بالقسطنطينية.

عند حلول وقت نقل المستشفى من معسكر التل الكبير إلى معسكر سيدي بشر في ٢٠ يناير ١٩٢١، كان عدد المرضى بالمستشفى الهندي السابق ٢٤٠، وعدد الأطباء ١٠، والممرضات ٢٢، والممرضين ٨٥. كان المستشفى يعمل منذ ٢٣ يناير إلى ٣١ ديسمبر عام ١٩٢١، وطوال فترة وجوده بسيدي بشر زاره ٥٢٨ مريضًا. خلال عام ١٩٢١ لم يمكن إنقاذ ١٧ شخصًا، فقد مات ٩ بسبب السل، و٣ نتيجة لأمراض بالقلب، و٢ نتيجة نزيف دموي، و٢ بسبب الفشل الكلوي، وواحد بسبب مرض السكري [١٢٤].

كان المرضى يوضعون في المستشفى في ثكنات مبنية من الأسبستوس وكانت توجد به ثلاثة أقسام: الأمراض المعدية، والأمراض المنقولة جنسيًا، وللمرضى المصابين بأمراض نفسية. في البداية تمامًا تم إنشاء مستشفى سيدي بشر لعدد ٣٠٠ سرير، ولكن انخفض هذا الرقم تدريجيًا بحيث أصبح به في شهر يوليه ٢٥٠ سريرًا فقط، وبحلول أول شهر سبتمبر انخفض عددها إلى إلى ١٥٠، ثم إلى ١٠٠ سرير بحلول أول شهر ديسمبر وفي الوقت نفسه بحلول نهاية عام ١٩٢١ انخفض عدد الموظفين العاملين به إلى ٤ أطباء من ذوى المؤهلات الطبية العالية الذين جاءوا إلى مصر مع الجرحى والمرضى منذ فبراير- مارس عام ١٩٢٠ من نوفوروسيسك.

أثناء وجودهم بمستشفى معسكر سيدى بشر زاد الأطباء معارفيهم النظرية بالعيادة الطبية الروسية في القاهرة التي أسسها الأطباء الروس في أول يونيه عام ١٩٢٠[١٢٥]. أشرف على هذه المؤسسة الأستاذ فاجنر- المدير السابق لعيادة جامعة موسكو، وكان قد جاء إلى مصر قبل فبراير عام ١٩٢٠ ومارس مهنته بالإسكندرية، حيث "كان قد بدأ يحقق شهرة واسعة" قبل إنشاء العيادة الروسية بالقاهرة[١٢٦]. وقد واصل وهو مدير للعيادة الروسية بالقاهرة العمل بالإسكندرية بموجب عقد لمدة أربعة شهور أخرى. كان أطباء سيدي بشر على علاقة وثيقة بالعيادة الروسية بالقاهرة، ونحن نعلم أن الطبيب روكين الذي يعمل هنا قد ألقى محاضرات بالندوات العلمية في عيادة العاصمة، وبصفة خاصة عرف المستمعون في عام ١٩٢١ بمعلوماته عن أكثر الأمراض انتشارًا في مصر- البلهارسيا[١٢٧].

تم إسكان الضيوف في سيدي بشر بحرية نسبية، حيث أقام كل ٣-٥ من الرجال غير المتزوجين في حجرة، وأقامت السيدات والعائلات في حجرات منفصلة بها مخارج خاصة إلى الفناء، وقد احتفظ دميترى كون بذكريات عن

معسكر العزاب: "بطريقة ما وصلت في عيد الفصح إلى المخيم "ب". كنت أرتدى بذلة البحارة البيضاء، ويبدو أنى تعثرت في مجموعة من البحارة الروس فجعلوني أشرب الفودكا من أجل المرح، وهنا جلست على قذارة ما ولطخت بنطالى. حدثت بطبيعة الحال في المنزل فضيحة! ولست أدرى ما الذي رويته وكيف انتهى ذلك، ولكن يبدو أن البحارة نالوا عقابهم".

بالنسبة للأطفال، كانوا سعداء بوجودهم بمعسكر سيدي بشر، حيث البحر وغذاء جيد ومزاج بلا هواجس بعيدًا عن أفكار وفكر البالغين. ثم يكمل ديما كون: "كانت متعة بالنسبة لنا نحن الفتيان، كنا نلعب كرة القدم وألعابًا أخرى، كما أنى أذكر كيف أحببنا القفز من فوق الثكنات إلى الرمال! ظهرت المدرسة الروسية، وبدأت العروض والحفلات الموسيقية، ولكنى واصلت من هنا الذهاب إلى مدرسة فيكتوريا التي كنا نذهب إليها نحن ٤ من الأولاد الروس، وكان علينا المشي على الأقدام إلى محطة السكة الحديدية والذهاب بالقطار إلى محطة فيكتوريا، ولكن ليس بعيدًا.

كما تم تنظيم نشاط الكشافة، وقد كان قادة فرق الكشافة من الضباط السابقين الشبان، وبالطبع منحونا الروح القتالية والإقدام. كانت مناديلنا صفراء، ولكنهم كانوا يمنحوننا مناديل باللونين الأصفر والأسود مختلطين بعد نجاحنا في التعليم، وبعد الاختبار التالي كان يضاف اللون الأبيض، وبذلك كان يتم الحصول على ألوان رومانوف (المترجم: ألوان العلم القيصري)، وفي أحد الأيام رددت على والدتي بوقاحة، وعندما خرجت اقترب منى أحد المتدربين العسكريين وقال لي بصرامة" كيف ترد على أمك بهذا الأسلوب؟ احترس، فإذا سمعت مثل ذلك مرة أخرى فسوف أضربك على وجهك! كان بصفة عامة مربيًا! ولكن ذلك أخافني".

كان أحد هؤلاء الأولاد الأربعة الذين يذهبون إلى مدرسة فيكتوريا هو يورا مازاراكى[١٢٨] صديق طفولة ديما كون. كان يورا صبيًا ودودًا جدًا، وكان يكتب

الشعر ويلعب على القيثارة، وباعتباره متدربا عسكريًا سابقًا، كان كثيرًا ما يعزف الأغاني والمارشات العسكرية، وبصفة خاصة كان يسمع اسم المدينة المضيفة لهم في تعبير "الفرسان السكندريون". كان كثيرًا ما يجتمع هؤلاء الصبيان معًا، فيقرءون أشعار جوميليف ومختلف الشعراء الروس الآخـــرين، الـــذين كانوا يساعدونهم، ولو مؤقتًا في التغلب على اشتياقهم لوطنهم.

بطبيعة الحال، كان الوضع أفضل كثيرًا في معسكر سيدي بشر وبالنسبة للبالغين أيضًا، وليس فقط لأنه يقع على شاطئ البحر بكل ما لذلك من عواقب، فقد كان نظام الحياة في المعسكر أسهل بكثير مما كان بالتل الكبير، حيث كما هو معروف أصبحت السلطات الإنجليزية تسمح قرب النهاية بالخروج خارج حدوده، بل حتى بالإقامة في المدن الكبيرة بمصر، إذا كان من يغادر المعسكر يجد إمكانية للالتحاق بعمل لكسب لقمة عيشه بالطبع. كانت هذه النظم بسيدي بشر أكثر ديمقراطية؛ فهنا كان يمكن للاجئين الذين يعملون في مكان آخر في مقابل مرتب أن يستأجروا شخصًا ما لكي يحل محلهم في أداء واجباتهم بالمعسكر مع الإبقاء على حصصهم وسكنهم بالمعسكر، فكانت الفائدة متبادلة لكلا الطرفين، فإلى حد بعيد لم يكن الجميع يستطيعون العمل ولكن كان الجميع في حاجة لمال إضافي أكثر وأكثر.

ومع مرور الوقت أصبح اللاجئون يخرجون أكثر من المعسكر، حيث توجد بيانات تدل على أنه بحلول نهاية عام ١٩٢١ تقريبًا كان ثلث سكانه يعيشون خارج سيدي بشر، وأساسًا في الإسكندرية نفسها، وذلك يمثل أكثر من ٦٠٠ شخص. كان جميع المهاجرين سعداء ويشيرون إلى أنهم كانوا يحصلون على حصص غذائية مثلهم مثل العسكريين البريطانيين، يتذكر دميترى كون: "كانوا يطعموننا مثلما يطعمون الجنود الإنجليز".

كانت السلطات المركزية الموجودة بالمنفى في باريس تساعد هى أيضًا بقدر الإمكان، وكذلك غيرها من المنظمات على مستوى عموم روسيا، والتي وجدت تفهما وملجئًا في عواصم بلاد أوروبية أخرى. فهكذا، في صيف عام ١٩٢٠ في خلال فترة الهجرة البيضاء إلى سيدي بشر بمصر أسس "اتحاد المجالس المحلية بعموم روسيا" فرعًا له في مصر بهدف تقديم المساعدة لأبناء وطنه والتى كانت تتم بصفة أساسية بتقديم القروض لكى يتمكن اللاجئون من شراء الأدوات اللازمة للعمل بهدف الحياة المستقلة. هكذا قاموا بشراء المعدات اللازمة لورش تجليد الكتب والمخابز ومعدات صيد الأسماك وماكينات الخياطة وأدوات التصوير ومعدات النقش بالحرق على الخشب، وكذلك الأجهزة الخاصة بالتدليك الطبي والتجميل وطلاء الأظافر، كما كان الروس الذين يعملون في الزراعة وصيد الأسماك في حاجة إلى شباك الصيد؛ وبالإضافة إلى ذلك قُدمت أموال لشراء معدات لمعمل تحليل ولورشة إصلاح سيارات، خفف نشاط اتحاد المجالس المحلية بعموم روسيا في عامي ١٩٢٠- ١٩٢١ محنة ما يصل إلى ٣٠٠ من المهاجرين البيض، بالإضافة إلى أفراد أسرهم[١٢٩].

كانت هذه القروض الصغيرة بمثابة نوع من التحفيز لإقامة عمل خاص، ولاسيما في قطاعات الخدمات العامة والخاصة التي جاهد فيها عدد صغير من المنفيين الروس (انظر جدول ٤)، ولكن كقاعدة عامة، كان هذا "العمل" من النوع صغير الحجم- تصوير فوتوغرافي، تصوير... إلخ. أما بالنسبة للأعمال الأكثر "خطورة" مثل التجارة، فلم يكن لها بالعقلية الروسية "ما يكفى من البارود"، وقد كتب عن ذلك الروسي السكندري دميترى فلامبوريانى بشكل مفهوم تمامًا أثناء إقامته بمعسكر سيدي بشر فألف كتيبا صغيرًا شيقًا "روس في مصر"[١٣٠]؛ حيث أنه قد راقب نشاط الروس في سيدي بشر ثم في وقت لاحق في الإسكندرية، فكتب يقول: "الروسي بطبيعته ليس تاجرًا، لذلك فإن كل الأعمال التي بدأت في هذا

المجال لم تحظ بالنجاح، حيث إن مصانع الحلويات بالقاهرة والمطاعم الروسية وأكشاك السجائر ومحلات الساندويتشات على الشواطئ لم تعمل إلا لبضعة شهور"[١٣١].

كان ذلك هو نفس مصير مطعم "موسكو" بالإسكندرية، والذي نشر الإعلان عنه في المجلة التي سبق الإشارة إليها "فى الغربة" بعدد أكتوبر ١٩٢١: "تم مرة أخرى افتتاح مطعم "موسكو" بالإسكندرية، بشارع الحماميل رقم ١٢، حيث يقدم به المطبخ الروسي تحت إشراف طباخ ذى خبرة، وجبات إفطار وغداء وعشاء صحية ودسمة، ومجموعة متنوعة من النبيذ والمشروبات الأخرى من مختلف العلامات التجارية، فضلاً عن "الفودكا الروسية" والشاي والقهوة والشوكولاتة والمقبلات الساخنة والباردة، أنيقة ومريحة والأسعار معتدلة. ونقدم ضمانًا كاملاً لجودة المواد الغذائية. رجاء التأكد من ذلك".

كانت المطاعم الروسية تفتح من وقت لآخر، ونتيجة لذلك تم بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر عام ١٩٢١ فتح مطعم "جامبرينوس" بشارع البورصة القديمة[١٣٢]. وقبل ذلك، كما ذكرنا في الباب الأول، كان يعمل مطعم "سيفاستوبول"، وفي النصف الثاني من القرن العشرين حلت المطاعم محل بعضها البعض، فكانت إما "لنينجراد" وتارة "موسكو" أو "ستالينجراد"، ولكن فعليًا لم تكن توجد أبدًا ٢- ٣ مطاعم في وقت واحد تحمل أسماء لتكريم لمدن روسية كبيرة. كل ذلك يشير فقط إلى صحة حكم دميترى فلامبوريانى الذي رأى أن التجارة في مصر على أية حال ليست للروس، ومع ذلك فإنه قد كتب هو نفسه عن أنه توجد في معسكر سيدي بشر محلات: "تعمل محلات ببضائع عليها طلب يومي، ويمكن في بعض الأماكن رؤية ورش صغيرة"[١٣٣]، ولكن ذلك كان هناك، حيث كانت توجد مدينة مثل سيدي بشر بالمدينة.

كان د.لامبوريانى يرى أن معسكر سيدي بشر "يمثل مدينة كاملة بشوارعها وأزقتها ومؤسساتها ذات الأهداف العامة والترفيهية نمت من الرمال تحت ظلال أشجار نخيل وحيدة قليلة وتحت نظرات البدو الفضولية والمتشككة. ما كان يسر الروس بهذا الشكل هو قرب ثقافة الإسكندرية من الثقافة الروسية... ثم إن هذه المدينة لم تكن مهملة وخاوية ومعرضة لمهب الرياح (ملاحظة المؤلف: خلاف وضع التل الكبير). أصبح االمهاجرون يقيمون الآن في مساكن خشبية وثكنات متماثلة"(١٣٤).

كانت هذه المدينة مدينة بكل معالمها، وكان معسكر سيدي بشر يتميز برذائل مدينة الإسكندرية نفسها، فكانت تحدث به سرقات، وفيما يلي ما كتبته جريدة "لاريفورم": "السرقة في المعسكر الروسي. بلا شك يذكر قراؤنا الظروف التي وقعت فيها سرقة كبرى في معسكر اللاجئين الروس والتي عانى منها أحد الضباط الروس رفيعي المستوى.

وقعت سرقة أخرى من النوع نفسه في الآونة الأخيرة في هذا المعسكر نفسه بواسطة ثلاثة لصوص، وقد وقعت هذه الحادثة الأخيرة في غفلة من حراس المعسكر الذين قالوا إن اللصوص أطلقوا عليهم النيران واندفعوا هاربين. والشرطة تبحث عنهم الآن"(١٣٥).

لم تنتقل فقط كل المنظمات العامة من التل الكبير إلى هنا، ولكن ازداد عددها بشكل ملحوظ، لذلك فإن حياتها الروحية كانت أكثر نشاطا من أي وقت مضى، كانت الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية التي انتقلت من التل الكبير تمثل أكبر وأنشط تنظيم للاجئين الروس. كما في الماضي، عمل هنا البرنامج التعليمي والبرامج الدراسية في مجال الإلكترونيات والمحاسبة، وكانت تجرى دراسة اللغات الأجنبية: الإنجليزية، والفرنسية والألمانية. وقد حضر البرامج الدراسية الأخيرة

واحد من كل سبعة أشخاص يقيمون بمعسكر سيدي بشر، أي ما يقرب من ٢٦٠ شخصًا. كانت تعقد الدراسة في مجالي الإلكترونيات والمحاسبة منذ معسكر التل الكبير وتنتهي هنا.

رأس الجمعية مجلس إدارة مكون من أعضاء محترمين مشهورين من الجالية، وكان له فرع في حي المكس، غرب الإسكندرية، حيث ضم ٥٠ شخصًا. كان يوجد في الجمعية قسم للأطفال، وكان عدد الأطفال به متغيرًا بين ١٦ إلى ٣١٥ طفلاً ومراهقًا.

ومع ذلك كانت المدرسة هي أهم أبناء الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية، والتي كانت مهمة للغاية من أجل تعليم عدد كبير من الأطفال في سن الدراسة المدرسية، وقد رأسها أحد أهم المعمرين والأكثر حجية دوبرينيا-كونيوخوف ب.ي. كانت المدرسة موجودة في إطار قسم الأطفال الجمعية التي تم تأسيسها في أواخر عام ١٩٢١. نذكركم (انظر الجدول ٤) أن إجمالي عدد الأطفال والشباب الذين تتراوح أعمارهم من ٥ إلى عشرين سنة كان حوالي ١٣٠٠ شخص، وبعد ١٠ سنوات انخفض عددهم بشكل حاد حيث أصبح نحو ٦٠٠ شخص. ومن الواضح أنه كان يذهب إلى المدرسة في الإسكندرية عدة مئات من الأطفال في سن الدراسة بالمدرسة. كانت مدرسة سيدي بشر تضم فقط ١٠٠ تلميذ، أما الآخرون فكانوا خارج دائرتها، كانت الدراسة تبدأ في العشرة فصول الدراسية بهذه المؤسسة التعليمية اعتبارًا من أول أكتوبر.

كانت هيئة التدريس بالمدرسة تتكون من ٢٠ مدرسًا، وللأسف لم يكن المعلمون يحصلون على رواتب، وبفضل مساعدة الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية وعدد من فاعلي الخير أمكن الحصول على مستلزمات المدرسة، وبالإضافة إلى ذلك تم في هذا القسم تكوين صندوق كان يجب، "طبقًا لفكر مؤسسيه

ورعاته أن يقدم المساعدات لأكثر الأطفال حاجة للحصول على الأشياء الضرورية وتنظيم الألعاب ووسائل الترفيه وتغذية مكتبة الأطفال... إلخ". وهكذا، فإن المسئولين الروس في إدارة محجر ضاحية الإسكندرية المكس، بما في ذلك من كانوا ضمن فرق الحراسة قد تبرعوا في أكتوبر عام ١٩٢١ بنحو ٧ جنيهات، وقد تم استخدام هذا المبلغ لشراء ملابس دافئة وجوارب وأحذية، وأحذية مطاطية وأحذية طويلة الرقبة، وكذلك كراسات وأقلام رصاص[١٣٦].

كان مجلس الآباء الذي تم إنشاؤه بالمدرسة يساعد كثيرًا في العملية التعليمية وكذلك في تنظيم الرعاية خارج المدرسة، وكان كثيرًا ما ينظم الرحلات المهمة لخلق تنوع في الحياة الرمادية بمعسكر المهاجرين، وهكذا، في ٣٠ أكتوبر نظمت جولة للتلاميذ بمدينة الإسكندرية، عند ذكر مجلة "في الغربة" لهذا الخبر بينت عدم مشاركة منظمة الكشافة بالإسكندرية فيها، و"أنها لم تتصل، وهي لا تتصل بإدارة الجامعة"، في غضون ذلك ووفقًا لذكريات دميترى كون، فإن أعضاء الكشافة بالإسكندرية كانوا نشطاء جدًا: "وقد نظموا في المعسكر نشاطًا للكشافة و... (انظر: الملحق).

كانت هناك أيضًا مكتبات تعمل أيضًا بمعسكر سيدي بشر: مكتبة عامة، مكتبة مدرسية، ومكتبة أطفال، وبفضل مساعدة الدبلوماسيين الروس جمعت مكتبة الكبار بصعوبة ٥٤٦ كتابًا، حيث كان يوجد بها أقل من كتابين لكل قارئ (كان عدد المشتركين بها ٣٠٢ مشترك فقط)، ونتيجة للجهود المشتركة تم جمع ٣٤٣ كتابًا دراسيًا في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والأدب واللغات الأجنبية، وقد كانت هذه المكتبة قد أنشئت في الأساس من الكتب التي أرسلها القسم الثقافي والتعليمي باللجنة الروسية للحكم المحلي لمساعدة المواطنين الروس في الخارج الموجود في باريس واتحاد الشباب المسيحي ببرلين.

كما كانت توجد بقاعة المطالعة أكثر من ٦٠ جريدة بمختلف اللغات، وعلقت بها أيضًا جريدة الحائط التي يصدرها النشطاء- القراء والتى كان ينشر بها بخلاف ملاحظات حول حياة معسكر سيدي بشر ترجمات مقالات من الجرائد الإنجليزية والروسية عما يحدث في العالم، وفي المقام الأول آخر الأخبار من روسيا، وكان يزور قاعة المطالعة من ٥٠ إلى ١٠٠ شخص.

ضم معسكر سيدي بشر حضانتي أطفال مستقلتين عن بعضهما، واحدة في المخيم "أ" وبها مشرفان، والثانية في المخيم "د" (و بها مربٍ واحد)، وكان عملهم أيضًا دون أجر، وكان يوجد في كلتا الحضانتين معًا ٢٠ طفلاً.

بعد أن تأقلم المهاجرون الروس قليلاً في معسكر سيدي بشر ولكونهم اكتسبوا بعض الخبرة في أعمال تنظيم التنوير، فإنهم ذهبوا أبعد من ذلك فأصبحوا يصدرون مجلات، بل حتى جرائد. هناك أدلة على أنهم أصدروا جريدة "المهاجر" ذات المظهر "المتواضع ولكن الأنيق"، وقد كتب دميترى فلامبوريانى عن ذلك[١٣٧]، ولكننا لم نجد أي تأكيد آخر لهذه المعلومة.

ينبغي اعتبار أن أعظم إنجاز لسكان معسكر سيدي بشر هو إصدار الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية مجلة "في الغربة" اعتبارًا من عام ١٩٢١. كان عدد نسخ العدد الواحد الصادر منها يتعدى ١٠٠، حيث إن عدد نسخ الستة أعداد الأولى من "فى الغربة" قد بلغ ٧١٨ نسخة. بل إن هناك إحصاءات أكثر تحديدًا بخصوص هذه المجلة الفريدة: بلغ إجمالى عدد الصفحات ٢٦٩، منها ١٣٧ صفحة من المقالات ذات السمة الأدبية والسياسية والعلمية، و٤٩ صفحة عن الحياة المحلية، و٢٥ صفحة أخبار، و١٣ صفحة مقالات انتقادية للمسرح، و١٢ صفحة ترجمات، وصفحة رياضة.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد احتوت تلك الأعداد على ٢٤ قصيدة شعرية، و٩٦ رسمًا، وخريطة واحدة لمصر، و٦ جداول محتويات، و٨ صفحات إعلانات، وقد شارك ٢٦ مؤلفًا في تحرير الأعداد، وتم إرسال أكثر من ٢٥٠ عددًا من "في الغربة" إلى هيئات تحرير المجلات والجرائد وإلى ممثلي روسيا والمؤسسات الروسية في الخارج وإلى السلطات البريطانية المحلية، وكذلك إلى مختلف الناشرين والمؤلفين، كما أنه بيع أكثر من حوالي ٣٣٠ عددًا.

نشرت هيئة تحرير المجلة(١٣٨) في العدد رقم ٥ الصادر في نوفمبر عام ١٩٢١ استعراضًا للجريدة العامة للمهاجرين "المسألة العامة" الصادرة في ١٢ يوليه عام ١٩٢١ (رقم ١٢): "كراسة هكتوجرافية..."، وعلى الغلاف، في الأعلى صورة الكرملين المألوفة، وفي الأسفل هرم وأبو الهول. هذا الجمع ليس مجرد نشوة عشوائية لفنان، ولكن هكذا كانت تسير الحياة، فالوطن الذي يعبر عنه الكرملين حلم بعيد المنال، تتشوق إليه المشاعر والأفكار، وواقع الحياة اليومية الثقيل ركن معسكر سيدي بشر بأفريقيا الذي لا يعرف عنه إلا القليل من الناس، إلى حيث أرسل القدر روسًا معدمين.

"في الغربة": هي مجلة تصدرها الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية المزدهرة التي تكونت في معسكر اللاجئين بسيدي بشر، تزينها رسومات جيدة بريشة ن.ف.سافين، وقد تم إصدارها بشكل أنيق حسب ما سمحت به الإمكانيات الفنية المتوفرة، ومنها طبقًا لإعلان هيئة التحرير آلة كاتبة مكسورة والتي تنقصها عدة حروف وعلامات، وكمية صغيرة من الموارد المالية مقدمة على شكل قرض لهيئة التحرير من جمعية العسكريين مشوهي الحرب الروس.

وإجمالاً فإن المجلة تعبير عن الاحتياجات الدائمة للاتصالات الطبيعية والثقافية بين المنفيين في أرض أجنبية.

إن الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية والتي تصدر المجلة بمبادرة منها "تدين بوجودها لفكر سعيد الحظ ولد في بيئة طلابنا الذين تم إلقاؤهم في معسكر عسكرى إنجليزى بالقرب من القرية المصرية الصغيرة "التل الكبير".

طلاب روس، معسكر إنجليزي، قرية مصرية صغيرة- كلمات متوائمة ومتطابقة في أيامنا!

الحاجة إلى التفكير والحياة بالاهتمامات الروحية، والحاجة إلى التعلم وتعليم الآخرين، وعدم القدرة على الفرار من المعسكر والاستقرار بعيدًا- كل ذلك أدى إلى الإجبار للتوصل إلى طريقة للخروج من حالة الذل واليأس هذه، والتي ألقيت إليها موجتنا من اللاجئين نتيجة لمسار الأحداث المكتوب علينا.

جاءت صرخة: "أيها الطلاب، اتحدوا".

هكذا ظهرت جماعة نتيجة لذلك في الجمعية حصلت على الكتب بمساعدة أهل الخير، ونظمت دورات لغات أجنبية والعلوم الطبيعية، وأدخلت إلى المعسكر الحياة الثقافية، وأصبحت تصدر مجلة.

كل مقالات مجلة "فى الغربة" مشبعة بالاشتياق إلى الوطن، وبالرغبة في نهضته، كما كانت تولد بها روح جيدة ومنتعشة لا يمكـــن أن تكسرها أية حرارة أو رمال أو شدائد وصعوبات الحياة في مكان بعيد بأفريقيا، في ظل قانون آخر.

تحية لكم، أيها المنفيون!

وتحية للمجلة الزميلة التي تبث الكلمة الأصيلة المنتعشة على أرض أجنبية بعيدة، في ظل أسوأ ظروف اللجوء"[١٣٩].

أرسلت هيئة تحرير المجلة نسخة منها إلى المبعوث فوق العادة الوزير المفوض أ.أ. سميرنوف وهى راضية عن النجاح الواضح لظهور عددها الأول إلى

النور. جاء في الخطاب المرفق بها: "كان على الإدارة التغلب على الكثير من الصعاب خلال إصدار المجلة، منها المادية ومنها ذات سمة فنية، ولكن تأمل الإدارة فى أنه بفضل الدعم الودى من جانب جميع الروس سوف يصبح من الممكن أن تتغلب على هذه الصعاب، وأن تصدر المجلة بشكل أكثر أناقة وأكثر ثراء من حيث المحتوى"(١٤٠).

تباينت موضوعات المواد المنشورة في المجلة، حيث توجد بها قصائد شعرية للمهاجرين مكرسة لموضوعات مختلفة تمامًا بما فيها موضوع البلد المضيف وموضوعات الثيوصوفية (ملاحظة المترجم: حكمة الله، وتتضمن علومًا وفلسفة ودينًا) واستعراض للأحداث السياسية العالمية وتحليل للوضع في روسيا وتحليل للسياسة البريطانية في مصر على أساس التقرير اليومي للمندوب السامي البريطاني (عادة يكون مصحوبًا بشكر موجه للإدارة الاستعمارية الملكية)- "كل الأخبار حول التعامل السيئ مع اللاجئين الروس والذي لا يوجد له أي أساس"(١٤١). كانت تنشر الأخبار اليومية المحلية في كل عدد، نعرف منها الحياة الثقافية لسكان معسكر سيدي بشر. كانت قائمة المحتويات التالية مكتوبة على غلاف عدد نوفمبر ١٩٢١ الذى عليه رسم بريشة المهاجر م.ل. ألكسييف لفلاحة مصرية على رقبتها حلى، بينما على رأسها دلو ماء:

١- السعادة. قصيدة شعرية بقلم ف. شيربينين.

٢- الطريق العظيم. بقلم ن. زاخاروف.

٣- أشباح. قصيدة نثرية. بقلم ف.شيربينين.

٤- تاريخ روسيا في السياق العالمى.

٥- من دفتر المذكرات. مذكرات شخص من القرن العشرين. بقلم ن.موكين.

٦- أحدث الاتجاهات في علم الحقوق. بقلم ن. كوشتالوف.

٧- اسكتشات من مصر. الوضع الاقتصادى للفلاح.

٨- لغة الإسبرانتو العالمية واللاجئون الروس. بقلم ن.فيلكيل.

٩- الحياة المحلية: الفيكونت اللنبى يتحدث عن اللاجئين الروس في مصر. فيلق المتدربين العسكريين الدونسكى في الإسماعيلية. المستشفى الروسى في التل الكبير. الأخبار: المسرح. الرياضة. المدرسة الروسية. الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية. المعسكر.

كان عدد صفحات هذا العدد من مجلة "فى الغربة" هو ٤٢ صفحة، وكان ثمنه ٥ قروش.

لا تحتاج محتويات العدد الموضح من مجلة "فى الغربة" إلى تعليق خاص، ولكن فقط سنناقش باختصار مضمون مقالتين. في مقالة الطبيب ن. موكين الذي قام بزيارة تشيكوسلوفاكيا يدور الحديث حول روح المساعدة السلافانية وعن الإجراءات المتعددة التي اتخذها رئيس هذه الجمهورية ماساريك والخاصة بمساعدة المهاجرين الروس البيض، وهي تقدم معلومات عن نظام الدولة في هذا البلد. أما المقالة الثانية فهي تتناول وضع الفلاح المصري، وقد تمت كتابتها عن دراية بالموضوع وبقدرة للمؤلف على تحليل الوقائع المقدمة بتعاطف واضح مع الفلاح المصري.

لم يمر صدور مجلة "فى الغربة" دون أن يلفت الانتباه بين الشتات الروسي الكبير المنتشر في جميع أنحاء العالم تقريبًا، حيث بدأت الإدارة في تلقى الكثير من الطلبات للحصول عليها: "فى الفترة الأخيرة تتلقى إدارة مجلة "فى الغربة" الكثير

من الطلبات لإرسال المجلة، نذكر منها طلبات من كل من "مكتب تصدير واستيراد الكتب الروسية"، و"معرض الكتب القديمة "روسيكا" ببرلين"، و"المكتبة العسكرية والأرشيف ببلجراد"، وممثل الجرائد والمجلات الروسية بألمانيا ف.د.يمتسيف. وقد تمت تلبية بعض الطلبيات كما تم إرسال بعض الأعداد إلى ألمانيا، وقد طلبت هيئة التحرير نظير ذلك إرسال المجلات والكتب الحديثة التي تصدر بالخارج لها"(١٤٢).

وبالفعل، ازدادت محتويات المكتبة باستمرار، وقد ساعد على ذلك أيضًا حقيقة أن الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية قد تلقت إعانات مخصصة للمكتبة، فعلى وجه الخصوص خصص مفتش اللاجئين الروس بمصر في أكتوبر عام ١٩٢١ مبلغ ٥ جنيهات للمكتبة، وقد تم طلب استخدام هذا المبلغ لشراء أعمال كلاسيكية للمؤلفين الروس: بوشكين، ليرمنتوف، تورجنيف، دوستويفسكى، جارشين، جونتشاروف، جوجول، سالتيكوف- شيدرين، وكذلك بعض من كتب الأطفال الرخيصة الثمن وكتب دراسية في تاريخ الأدب الروسى، ودليل علم حساب المثلثات الهندسة التحليلية وتحليل الرياضيات العليا والتاريخ، وأيضًا كتب في مختلف الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية(١٤٣).

كانت هناك أيضًا محاولات أخرى في معسكر سيدى بشر لتنظيم إصدار دوريات محلية لبعض فئات اللاجئين، ففى نفس عام ١٩٢١ قامت الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية بإصدار ٥٠ نسخة من العدد الأول والوحيد من مجلة الأطفال "الكاتب الصغير" الذى بلغ حجمه ١٢ صفحة وكانت به خمسة رسومات.

كانت لمجموعة المهاجرين من مالوروسيا (ملاحظة المترجم: أو روسيا الصغيرة، أى أوكرانيا) هى أيضًا مجلة خاصة بها، حيث إنهم اتحدوا بمعسكر سيدى بشر في "الجماعة الأوكرانية"، والتى بلغ عدد أعضائها في نهاية عام ١٩٢١ نحو ٨٠ عضوًا. وعلى مدى نصف عام كانت هذه المجلة تصدر مرة

أو مرتين في الشهر، وقد أصدر هذا الاتحاد ١٠ أعداد من هذه المجلة التي حملت اسم "على الأطلال" كل عدد في ست نسخ، ولم يسمح نقص الموارد المالية بمواصلة نشر هذه المجلة التي كانت تنشر أساسًا باللغة الأوكرانية بعد ذلك، كانت توجد في إطار "الجمعة الأوكرانى" مكتبة صغيرة بها قاعة قراءة؛ حيث كان من الممكن مطالعة صحف ومجلات معظمها باللغة الأوكرانية.

فى أوائل عام ١٩٢٢ وبعد انتقاله إلى هنا، بدأ اتحاد الطلبة الروس بالإسكندرية، الذى استقر بمعسكر سيدى بشر، في إصدار مجلته، حيث بدأ اتحاد الطلاب الذى كان هو الرائد في إنشاء ونشر الثقافة الروسية بين المهاجرين بالتل الكبير، في إصدار مجلته الخاصة "أوريون" والتى صدر عددها الأول في غضون عدة أشهر فقط قبل إغلاق المعسكر الروسى بسيدى بشر ومن ثم فقد أصبح هو العدد الوحيد من هذه المجلة.

بالإضافة إلى هدفيهما الرئيسى الذى يتمثل في نشر الثقافة الروسية بين المنفيين الروس ببلد الأهرام، فقد عمل كل من التنظيمين- "اتحاد الطلبة الروس بمصر" و"اتحاد الطلبة الروس بالإسكندرية (وكانا يضمان معًا ٣٠٠ فرد)- في المقام الأول من أجل منح أعضائهما الفرصة من أجل استكمال تعليمهم بالخارج، وقد نجحا في ذلك إلى حد كبير، وبالمناسبة لقد ساهمت رحلة الدكتور ن.موكين إلى تشيكوسلوفاكيا عندما أفاد في مقالاته المنشورة بمجلة "فى الغربة" عن أن الحكومة التشيكوسلوفاكية عزمت على مساعدة "روسيا في الخارج" بإعلانها استقبال ١٠٠٠ من الشتات الروسى بالخارج للدراسة بمؤسساتها التعليمية[١٤٤].

فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٢٠، بدأ الدكتور كليمنكو في قراءة الصحيفة الأسبوعية الشفهية تحت إشراف الجنرال- مايور ف.ب.ريربيرج، في المخيم "د"

بمعسكر سيدى بشر، ولكن تم توقف هذا البرنامج في أوائل شهر أكتوبر عام ١٩٢١؛ نظرًا لنقص الموارد[١٤٥].

وبالنسبة للمقالة الطويلة بجريدة "الموضوع العام" التي استشهدنا بها أعلاه، وبصرف النظر عن العاطفة المميزة لمثل هذه الإصدارات، والتى على ما يبدو ترمى إلى غرس الثقة لدى اللاجئين الروس البعيدين عن الوطن، فإنها تقدم حقائق ضرورية جدًّا ونادرة عن حياتهم بالإسكندرية.

أشارت أيضًا جريدة "الموضوع العام" إلى جمعية المحاربين ومشوهى الحرب الروس التي ضمت حوالى ٢٠٠ شخص، وكان ضمن الغرض من إنشاء هذه الجمعية وكذلك جمعية التعاون المتبادل للضباط الروس بالإسكندرية (التى تكونت في نهاية عام ١٩٢١، وضمت حوالى ٥٠ عضوًا فقط) توفير الدعم المادى لأعضائها، وكانت هاتان الهيئتان كثيرًا ما تنظمان أمسيات خيرية من أجل جمع الأموال، وقد وجهت جمعية التعاون المتبادل للضباط الروس بالإسكندرية اهتمامًا كبيرًا لتعليم الأولاد (كتب ديما كون في مذكراته أن "غالبية الأطفال كانوا ينتمون لعائلات عسكرية، سرعان ما اتحد رؤساؤها).

كان القوزاق الروس ممثلين هم أيضًا بمعسكر سيدى بشر، وبصفة خاصة بقرية القوزاق بالإسكندرية التي بلغ تعدادها ١٠٠ شخص، وكانت تتبع الحكومة الدونسكية بمدينة صوفيا. كانت هذه الجمعية تهدف إلى توحيد كل القوزاق الروس بالخارج وحماية مصالحهم.

كما كان يوجد بمعسكر سيدى بشر أيضًا عدد من الاتحادات الصغيرة من ضمنها الجماعة البولندية التي كانت تضم ٤٠ عضوًا فقط كانوا يريدون العودة إلى بلادهم، وقد تطابق هدفهم هذا مع تطلعات القيادة البريطانية التي تنفذ رغبة

حكومتها التي أعلنت عن إعادة مواطنى كل من لاتفيا وليتوانيا وبولندا إلى أوطانهم(١٤٦).

وفقا للاجئين الروس، فإن المهارة التي أبدتها إدارة القيادة البريطانية قد وفرت المساعدة اللازمة للاجئين الروس وفى الوقت المناسب بمعسكر سيدى بشر، حيث كانت تأمل في استرجاع الأموال التي تنفقها في نهاية المطاف من الحكومة الروسية، كانت إضافة إلى الهيكل المرن للتنظيم الداخلى الذى وضعه الروس أنفسهم، والذى أوردناه أعلاه.

يمكن أيضًا الإشارة إلى جماعة محبى الطبيعة- "الخضر" في العصر الحديث -حيث كان لها ميثاقها الخاص، ولكن لم يتجاوز عدد أعضائها ١٥ شخصًا، ولكن على ما يبدو فإنها لم تتمكن من الاهتمام بالقضايا البيئية؛ لأن المشاكل اليومية وأيضًا، على الأرجح، الحنين إلى الوطن والبعد عنه شغلت أعضاءها تمامًا، ولم تسمح لهم بفك الارتباط بها والمشاركة في أنشطة الخدمات العادية، ومنها توجيه الاهتمام إلى قضايا البيئة، وقد وجدت جماعة محبى الطبيعة منذ الأول من فبراير عام ١٩٢١، ومع ذلك فقد كانت هذه الجماعة نشيطة جدًّا ورتبت العديد من الرحلات إلى الإسكندرية وضواحيها. وبصفة خاصة، كان محبو الطبيعة يزورون بحيرة ماريوت ومحاجر المكس وغيرهما من الأماكن.

وعلى الرغم من عدم وجود نشاط رياضة بدنية جماعية بمعسكر سيدى بشر، وقد يكون ذلك نتيجة للأسباب الموضحة أعلاه، فقد كانت تمارس به الرياضة، ولم يخل الأمر من وجود فريق لكرة القدم بمعسكر سيدى بشر ضم ٦-٧ من الإنجليز و٥-٧ من الروس، وفى نهاية عام ١٩٢١ كان يخطط من أجل تكوين منتخب روسى بحت لكرة القدم، وإذا لم يكن قد تم إجلاء معسكر سيدى بشر لكان قد تم، على الأرجح، تكوين هذا الفريق.

جاء نبأ بجريدة "في الغربة" بعددها رقم ٥ الصادر في يناير عام ١٩٢١، والتى ذكرناها أعلاه، يفيد بأنه قد أقيمت عدة مباريات في أكتوبر – نوفمبر ١٩٢١، ففى ١٨ أكتوبر فاز فريق معسكر سيدى بشر بمباراته مع العسكريين البريطانيين بنتيجة ٣:١، أما في ٢٨ أكتوبر فقد لقى الهزيمة من فريق البريد المصرى ٠:١، وفى ٣٠ أكتوبر لعب فريق سيدى بشر مباراة مع الهنود انتهت بنتيجة ٣:٢ لصالحه خلال احتفالات شعبية كبيرة، وفى ٢ نوفمبر انتهت مباراته مع الفريق الثانى بأبى قير (الطيارين) لصالحه ٤:١، وفاز فريق سيدى بشر في يومى ٥ و٧ نوفمبر بمباراتين على فريق أبى قير، أما في ٩ نوفمبر فقد سحق منتخب الهنود الذى كان يلعب في صفوفه ٦ ضباط إنجليز و٦ جنود هنود بنتيجة ٤:٠[١٤٧]، وقد استمرت المباريات الودية للاعبى كرة القدم بمعسكر سيدى بشر مع الفرق السكندرية بنتائج متفاوتة حتى إغلاق المعسكر[١٤٨].

كانت أنشطة الفرق الثقافية الخاصة والفرق الفنية بمعسكر سيدى بشر أوسع نطاقًا، وقد لاحظها منذ البداية الصبى الروسى ذو التسعة أعوام ديما كون: "كان قائد المعسكر إنجليزيًا وكذلك كل أفراد إدارته، ولكن سرعان ما أصبح الروس ينظمون المعسكر أيضًا بأنفسهم. وهكذا ظهرت المدرسة الروسية وبدأت العروض المسرحية والحفلات الموسيقية وغيرها من الأنشطة". اتفق معه أيضًا دميترى فلامبوريانى: "إن إدارة المعسكر الإنجليزية قد قدمت بكل جوارحها المساعدة للمهاجرين، ودون دعمها لم يكن على الأرجح ممكنًا أن تكون هناك لا المدرسة ولا الأستوديو ولا الكنيسة ولا المسرح.

لقد تم تأسيس المسرح بفضل الجهود المستمرة الدءوبة للفنانين ولمحبى الفن، وبمجرد أن تم ترتيب المسرح تحت مظلته الخاصة حصل فورًا على شعبية بجدارة. بالطبع لم يكن مظهره فاخرًا، ولكن تصميمه الداخلى وديكوراته وستارته،

وكذلك تمكُن الفنانين والموسيقى والغناء كانت كلها روسية، وكانت كلها تذكرنا بروسيا البعيدة"(١٤٩). وكان المسرح يتسع لستمائة متفرج.

قدم الكثير من الفرق عروضهم على خشبة هذا المسرح، وقد تمتعت الفرقة المسرحية- الموسيقية الروسية "بايان" بشعبية كبيرة، كانت تضم ٣٥ فنانًا، وكانت عروضها تقدم مقابل أجر ما عدا مرتين فقط في الأسبوع فكانت تقدم مجانًا. كانت من بين العروض التي تقدمها الفرقة مسرحيات كلاسيكية روسية: "العم فانيا" لأ.ب.تشيخوف، "فى مكان كثير الحركة" و"أيام صعبة" لأ.ن.أوستروفسكى، كما كانت توجد هناك أيضًا عروض للأطفال. كانت الفرقة تتألف من أندرييف، أفاناسييف، فالويف، جونكو، أنتونينكو، أولجين، بانينا، بيوتوخ، سافينوف، سميرنوف، كولديش، شيستوفسكى، وكان الفنان كيلديش يلعب الأدوار الكوميدية جيدًا، فكان يؤدى كل ظهور له إلى انفجار الجمهور من الضحك(١٥٠).

صحيح أن أداء الفنانين لم يكن بالمستوى المطلوب في بعض الأحيان، فقد كتب ناقد بمجلة "فى الغربة" بعد مشاهدته لعرض "أيـــام صعبة" بالمسرح في يوم ٩ أكتوبر عام ١٩٢١ أن العرض "مضى دون ارتفاع خاص فى جودته، ولكنه كان محتملاً، ولوحظ غياب الانسجام في التمثيل وضعف معرفة الأدوار"، ولكن العرض الموسيقى في ٩ أكتوبر الذى قدم للإنجليز بقيادة م.كوزنتسوف نال بالفعل تقييمًا إيجابيًا(١٥١).

تألفت الفرقة الموسيقية النحاسية الروسية بمعرفة الإنجليز بما في ذلك شراء آلات النفخ النحاسية، حيث كانت تضم ١٨ موسيقيًا، وكان يقود هذه الفرقة م.نيكيتين الذى كان يقود أيضًا فرقة آلات البالالايكا الوترية الروسية والتى كان أعضاؤها يصنعونها بأنفسهم، كانت فرقة البالالايكا تتكون من ١٤ فردًا، وبالطبع كان العازفون الروس على هذه الآلة الوترية التي تشابه وفى الوقت نفسه لا تشبه

الآلات الوترية المحلية بقمصانهم وبراعتهم وحدتهم يثيرون دهشة المصريين. وقد أشارت جريدة "لاريفورم" إلى أن فريق البالالايكا تمتع دائمًا بشعبية بين السكندريين، وها هى فرقة البالالايكا المكونة من ١٥ فردًا تصاحب المغنية الروسية ليديا بريأبراجينسكوى في يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٢١ في حفلها بالنادى السكندرى "أسخيليوس-أريون"[١٥٢].

أما الأوركسترا السيمفونى فقد تألف من ٨ موسيقيين، وكان متخصصًا بصفة أساسية في موسيقى الحجرة، وكان يكسب لقمة عيشه خارج المعسكر، فكثيرًا ما قدم عروضه بالحفلات المنزلية. وفقًا لأخبار الجرائد السكندرية فإن هذه الفرقة السيمفونية المكونة من الموسيقيين الروس كانت كثيرًا جدًا ما تدعى إلى مسارح وفنادق وكازينوهات المدينة، ففى الثانى من شهر يونيه قدم الأوركسترا السيمفونى الروسى حفلاً آخر للجمهور المحلى بفندق نيلسون في أبى قير بشرق الإسكندرية، والذى يطل على منظر رائع للبحر، وكثيرًا ما كانت تزوره هذه الفرقة"[١٥٣].

فيما بعد، ربما بعد غلق المعسكر الروسى بسيدى بشر، أصبحت هذه الفرقة تحمل اسم "المهرجان الروسى"، واستمرت في تقديم عروضها بنجاح بالمسارح الموسيقية بالإسكندرية وبغيرها من المدن المصرية الكبيرة، عارضة مختلف برامج حفلاتها الموسيقية، وهكذا قدم هذا الأوركسترا السيمفونى بأكبر كازينو بالعاصمة الشمالية "سان استيفانو" في الجزء الأول من البرنامج "السيمفونية الحماسية (الجزء ١-٢) لب.إ. تشايكوفسكى، و"فى سهوب آسيا الوسطى" لبورودين، و"إنترمتسو رقم ١" لكالينيكوف، و"رومانس" لرحمانينوف، وآرياس من "صادكو" (الجزء ٢) لريمسكى كورساكوف. أما في الجزء الثانى فقدم "شهر زاد" لريمسى كورساكوف، و"عيد الفصح"، و"افتتاحية حول موضوع الكنيسة الروسية" لريمسكى كورساكوف"[١٥٤].

ومع ذلك، كانت القوة الرئيسية الموسيقية المحلية أو بكل الإسكندرية، على حد سواء، هى فرق الكورال الروسية. كانت توجد عدة فرق؛ أولها فرقة الكورال الروسية المختلطة تحت قيادة كورتين. كان عدد أعضائها ٢٥ فردًا بينهم ١٣ رجلاً و١٢ امرأة، وكان برنامجها يتألف من أغان روسية.

تفوق أيضًا فريق الكورال من الرجال، حيث تألف من ١٦ فردًا بقيادة أفاناسييف. وفى النهاية كان يوجد أيضًا فريق الكورال الكنائسى بقيادة جلاجوليف، والذى كان نادرًا ما يخرج خارج حدود معسكر سيدى بشر، وكان عدد أعضائه يتراوح ما بين ١٢- ١٥ فردًا.

حتى ذلك الوقت لم يكن الغناء الكورالى قد اكتسب أية أهمية في مصر، وإلى حد ملحوظ فإن نشاط فرق الكورال الروسية بسيدى بشر قد وضع بداية المحاولة الجادة لتطبيق هذه الثقافة الموسيقية على ضفتى النيل، لذلك يمكن تمامًا فهم انفعال د. فلانبوريانى العاطفى الذى كتب في مقالاته "روس في مصر": "والبدو، هؤلاء الرعاة النعسانون، كانوا مأسورين بقوة الكورال المكون من ٤٠ صوتًا، كل منهم أفضل من الآخر. كانت هذه بداية اتجاه جديد فنى لم يكن معروفًا قبل ذلك بمصر، فأتقنوه بسرعة وأحبوه": ثم أكمل: "تمتع فريق كورال أفاناسيف بنجاح كبير، وفيما بعد تم إسناد قيادة فرقة كورال البطريركية لقائده"[١٥٥]. كان ذلك يمثل تعارضًا كاملاً لما يسمى "صوت صارخ في الصحراء"، لقد وضعت فرق الكورال الروسية بمعسكر سيدى بشر بشكل واضح بداية لفن الغناء الكورالى بأرض مصر، فهو لم يكن معروفًا من قبل على ضفتى النيل.

كانت فنون الهواة بمعسكر سيدى بشر تعبر عن نفسها وفقًا لكلمات د. فلامبوريانى "فى الأمسيات والحفلات الموسيقية والعروض الفردية، وكانت تحظى بنجاح كبير وشعبية".

ثم يواصل د. فلامبوريانى بعد ذلك: "كانت الرغبة في توصيل فنهم إلى الأجانب والأمل في أنه سوف يحوز إعجابهم، وأنه يمكن أن يحسن ظروف الحياة التي جرّت الروس إلى خارج حدود المعسكر. كان سيرجى فاديف وفيدور فوكرام وز. شوبرت ول.بريأبريجينسكايا وكثيرون آخرون روادًا لهذه الحركة"(١٥٦).

فى الواقع، أكثرت الصحافة السكندرية من تقديم أخبار بها ثناء حول أداء هذه الفرق والمغنيين الفرديين. نقرأ في جريدة "لاريفورم": "حفلة موسيقية كبيرة. سوف يقام حفل موسيقى كبير اليوم ٢٩ يونيه بقاعة البعثة الأمريكية لليديا بريأبراجينسكايا مع التينور الغنائى وعازف البيانو لونتوس. بعد الأغنيات الأوبرالية والأغانى العاطفية سوف تشدو السيدة بريأبراجينسكايا بأغانى الغجر التي تمت ترجمتها خصيصًا إلى اللغة الفرنسية. سعر التذكرة ٥٠ قرشًا"(١٥٧).

بعد قليل من الوقت، تفيد هذه الجريدة نفسها: "سوف تقدم الراقصة الأولى بمسرح الأوبرا الموسكوفى زينانيدا شوبرت حفل وداع غدًا -٢١ يوليه- بمسرح الهمبرا بمصاحبة اللامع أيجناتوف والباريتون الأوبرالى فوخرام والتينور الغنائى أليفى، والبرنامج المتنوع للغاية يعد بتحقيق نجاح كبير"(١٥٨).

كان مجتمع الروس هذا يتكون من توليفات مختلفة وكان مستمرًا في إدهاش السكندريين على مختلف خشبات المسرح: "في ٢ سبتمر عام ١٩٢١ سوف يتم إقامة حفل موسيقى كبير لليديا بريأبراجنسكايا بقاعة احتفالات كازينو سان استيفانو تحت رعاية لجنة المرأة المصرية، وهى سوف تغنى، بعد بعض المقتطفات المختارة من الأوبرات، أغانى الغجر العاطفية الروسية المترجمة حديثًا إلى اللغة الفرنسية بواسطة دميترى فلامبوريانى، وسوف يتم قريبًا طبع هذه الأغانى وعرضها للبيع في الحفلات في الكازينو، وسوف يشارك في الحفل: فيدور فوكرام، وفنانة الأوبرا الأولى زينانيدا شوبرت مع زميلها الراقص ف. إيجناتوف"(١٥٩).

وفي وقت لاحق أسست زينائيدا شوبرت الفرقة الروسية "بان" التي بدأت عروضها لأول مرة في "أوليمبي" و"كونكوردى"، وقد تمتعت هذه الفرقة بشعبية كبيرة، وقدمت عروضها من نوعية "الخفاش" التي تم عرضها؛ نظرًا لارتباطها ببعض الأحداث السياسية التي تؤثر على البلاد"(١٦٠). يدور الحديث هنا عن موجة جديدة من نضال الشعب المصرى من أجل التحرير الوطنى في عام ١٩٢١.

ومن الواضح أن مؤلف الكتيب الذى سبقت الإشارة إليه (روس في مصر)- دميترى فلامبوريانى- قد شارك في عروض سكان معسكر سيدى بشر بنشاط، وقد تبين أنه شاعر موهوب حوّل أغانى الغجر العاطفية إلى قصائد شعرية باللغة الفرنسية.

تبع هذا العرض تعليقات مثيرة للاهتمام: "حظى الحفل الموسيقى الذى نظم مساء الأمس بسان استيفانو للسيدة ليديا بريأبراجنسكايا بمشاركة زينائيدا شوبرت وفاسيلى إيجناتوف وفيدور فوكرام بنجاح باهر، وإن عدم وجود أماكن شاغرة يعنى الكثير"(١٦١).

بعد عدة أيام نشرت الجريدة تعليقًا آخر: "تمتع الحفل الموسيقى للسيدة ليديا بريأبريجانسكايا الذى أقيم في يوم الجمعة الماضى بكازينو سان استيفانو بنجاح ضخم. كانت القاعة التي اكتظت بجمهور مختار برز فيه وجود عدد كبير من السيدات المصريات، مزينة بشكل رائع.

بعد عدد قليل من الأغانى العاطفية لماسنى وتشايكوفسكى وكذلك بضعة مقتطفات أوبرالية ظهرت فيها مدام بريأبراجينسكايا وكأنها الكمال نفسه قامت بغناء أغانى الغجر التي تمت ترجمتها إلى اللغة الفرنسية بواسطة فلامبوريانى، وقد شارك الباريتون فيدور فوكرام في هذا الحفل الرائع، ونحن نعتقد أن السيدة

بريأبريجينسكايا سوف تغنى مرات أخرى مستقبلاً بسان استيفانو بمصاحبة الأوركسترا السيمفونى"[١٦٢].

كان يوجد في معسكر سيدى بشر متسع للاجتماعات العامة التي ضمت مهاجرى روسيا المتعددة الجنسيات في دفق واحد. كان يتم إقامة معارض تحت رعاية هذه "الفيتشا" (ملاحظة المترجم: الفيتشا هى ندوة شعبية في بعض مدن روسيا القديمة)، وكذلك اجتماعات تنظيمية وأمسيات أدبية وموسيقية، وكانت تعمل في إطاره مكتبات عامة وتعليمية وقاعات مطالعها، من بينها قاعة مطالعة ومكتبة الجماعة الأوكرانية، وكانت تعقد بيا أيضا اجتماعاتها، كما توجد أيضا مكتب ومطبعة لنشر جريدة "فى المنفى".

بناء على مبادرة هذه "الفيتشا" تم اتخـــاذ قـــرار تنظيم يانصيب في يـــوم ٦ نوفمبر عام ١٩٢١، تنظمه لجنة اليانصيب للمنفيين الروس ليكون ذلك عملاً خيريًا من أجل مساعدة اللاجئين المحتاجين[١٦٣].

لم يبق الاجتماع العام بمعسكر سيدى بشر بعيدًا عن مبادرة اللجنة الدولية بمصر لمساعدة جوعى روسيا لتنظيم الحفل التنكرى الذى أقيم في المسرح الإمبراطورى (حديقة رشيد سابقًا) على مدى ثلاث أمسيات ٨، ١٠، و١١ ديسمبر؛ وقد تم تقديم أربع جوائز قيمة لأفضل الأقنعة، وفى هذه الأيام نفسها تم تنظيم مهرجانات ضخمة للأطفال في الصباح. كانت هذه الحفلات ناجحة جدًا، وأمضى المشاركون فيها عدة ساعات يمرحون ويلهون، وفى الوقت نفسه خصصوا ساعة من ذلك الوقت من أجل الإحساس العالى بالتعاطف والتضامن الإنسانى. وفى تلك الأيام عمل الترام حتى الساعة الثانية صباحًا[١٦٤].

استمرت الحياة العامة والثقافية لسكان معسكر سيدى بشر، ونشرت في كثير من الأحيان خارج المعسكر، وبقدر الإمكان كانوا يبحثون يوما بعد يوم عن فرص

جديدة لتحقيق الاستقرار لوضعهم في مصر. تأقلم اللاجئون تدريجيًا على الحياة بالإسكندرية، وشغلوا منافذ اقتصادية أصبحت متاحة لهم تدريجيًا بشكل لا يخلو من الصعوبة، ومع ذلك فإن الإدارة البريطانية المسئولة عن اللاجئين أخرت الحكم بإعدام معسكر سيدى بشر الروسى، ولكنها لم تلغ قرارها الذى اتخذته منذ أمد طويل لنقل الروس إلى بلدان سلافانية بأوروبا.

منذ منتصف عام ١٩٢١ أصبحت الصحافة السكندرية تنظر بعناية إلى موضوع إعادة تهجير الروس من وادى النيل. في أواخر شهر يونيه ظهرت معلومات عن إجراءات تقوم بها عصبة الأمم[١٦٥] من أجل تنفيذ هذا المشروع، فقد كان مجلس هذه المنظمة الدولية ينشئ مفوضية ويمنحها سلطة إرسال المنفيين الروس الذين يبلغ عددهم مليونى فرد، منهم ١٠٠ ألف من قوات فرانجلر إلى البلد الذى يرغبون فى الذهاب إليه، وقد خصص المجلس لهذا الغرض ٢٥٠ مليون فرنك لحكومات الدول التي تبدى رغبتها في دعوة اللاجئين في مقابل المال، كما أنه تم أيضًا سؤالها عن المبالغ المالية التي ستحتاج إليها من أجل هذا الغرض كودائع روسية ببنوكها[١٦٦].

من المثير للاهتمام أن السلطات المصرية كانت تراقب عن كثب التطورات في روسيا السوفييتية وحولها؛ فقد كتبت جريدة "لاريفورم" السكندرية أن مجلس وزراء إيطاليا قد درس بعناية الاتفاقية التجارية الموقعة من قبل بين مجلسى وزراء كل من فوروفسكى وروما، وأنه سوف يتم إدخال بعض التصحيحات على القرار السابق بخصوص هذا الموضوع من أجل إنعاش العلاقات التجارية بين موسكو وروما[١٦٧].

كان الاهتمام بروسيا وبوضعها الحالى وبحالة شئونها الدولية من قبل الصحافة المحلية مفهومًا تمامًا، ولم يكن وجود اللاجئين الروس على أرض مصر يلعب الدور الأخير في ذلك الاهتمام.

كان الظهور المتزايد لممثلى النظام السوفييتى على مسرح السياسة العالمية- في المحافل الدولية وعلى مستوى العلاقات الثنائية- يتسبب في رد فعل الرأى العام المصرى، بصفة عامة، والسكندرى بصفة خاصة على هذا النوع من الأحداث حيث أصبح من الواضح أن السوفييت سينتصرون. وفى هذا الصدد، ظهر بشكل متزايد مصطلح "روسيا السوفييتية"، الذى حل محل كلمة "روسيا"، على صفحات الصحف القاهرية والسكندرية[١٦٨].

لم تكن التقارير المتواترة بالصحف المحلية عن الإجراءات الجارى تحضيرها من أجل إعادة توطين اللاجئين الروس والتحضير المتأنى من جانب الإدارة البريطانية والسلطات المحلية لذلك الأمر عشوائية؛ لقد كانت تعكس موقف السلطات بالقاهرة، سواء المصرية أو البريطانية، فقد كانت تعبر عن مصالحها.

لم يمض وقت طويل- أكثر قليلاً من شهر- إلا وكان المراسل الخاص بجريدة "المقطم" الموالية للبريطانيين بالإسكندرية يفيد بأنه "وفقًا لمصدر مطلع، فإن الحكومة المصرية تعتزم دراسة مشروع إنشاء "إدارة المهاجرين" التي ستكون مستقلة في إطار وزارة الشئون الداخلية لضمان مراقبة فعالة للأجانب المقيمين بمصر، وبعد الاتفاق مع وزارة الشئون الخارجية، سوف تقوم هذه الإدارة بفتح ثلاثة مكاتب ببورسعيد والقاهرة والإسكندرية، لكى تتم الدراسة الوافية لأوراق المهاجرين وتحديد هويتهم، وكذلك لمعرفة الغرض من حضورهم إلى مصر"[١٦٩]. وإلى حد كبير فمن المرجح أن ذلك كان جزئيا نتيجة لمكاتبات أ.أ. سميرنوف مع

م.ن. جيرسوم، وبصفة خاصة طلب الأول من الأخير بخطابه المؤرخ ٨ نوفمبر ١٩٢٣ (يرجع للمرفقات)، كما سوف نرى فيما بعد، فإن تلك المكاتب ما زالت مفتوحة في المدن الثلاث التي سبق ذكرها.

لم يكد يمر أقل من أسبوعين بعد نشر الخبر السابق، إلا وكانت الصحافة المصرية السكندرية المطلعة قد أعلنت بالفعل أنه "وفقًا لمصدر مطلع فإن السلطات العسكرية سوف تتوقف عن منح الإعانات للاجئين الروس الموجودين منذ فترة بمعسكر سيدى بشر، وقد تساءلت إحدى الصحف الرئيسية في ذلك الوقت- "وادى النيل"- حول هذا الموضوع عما يمكن أن يفعله المنفيون الكثيرون الذين سوف يتم إلقاؤهم بهذه الطريقة لكى يتلاعب بهم القدر على هواه، وعما إذا كان من الأفضل لهم إعادة تهجيرهم؟"(١٧٠).

استهلت هيئة تحرير الجريدة (فى هذا العدد نفسه) هذا الموضوع بمعلومات خاصة كان يمكن أن تخفف وأن تلغى أثر الأنباء عن مصير سكان معسكر سيدى بشر الروسى: "لم تتم الموافقة على قبول الروس في البرازيل، فبمجرد وصولهم إليها تم ترحيلهم على سفينة إلى القسطنطينية"(١٧١).

واصلت "لاريفورم" الحديث عن هذا الموضوع في أعدادها اللاحقة فأشارت في مقال "المنفيون الروس في كورسيكا"" إلى أن السفينة "بوجميستر فون مال"، التي أعادت إلى أوديسا عدة مئات من المنفيين الروس، واقفة بلا حراك في أجاكيو"(١٧٢). وفى اليوم التالى أفادت الجريدة بأن "بورجميستر فون مال" قد غادرت أجاكيو في اتجاه القسطنطينية حاملة على سطحها ١٢٠٠ من اللاجئين الروس، ثم أضافت بعد ذلك أن وزير خارجية فرنسا قال إن فكرة إرسال هذه الباخرة هى سوء فهم حيث إن الحكومة الفرنسية لن تعيد المنفيين الروس بالقوة أبدًا إلى بلد السوفييت(١٧٣).

واصلت الصحافة السكندرية متابعتها عن كثب "للاجئيها" الروس، فهكذا أفادت جريدة "لاريفورم" في يوم ٢٧ سبتمبر عام ١٩٢١ أنه وفقًا لما جاء ببعض الصحف، فإن السلطات العسكرية تنظر في إمكانية إلغاء المساعدات التي كانت تقدمها للمنفيين الروس بمعسكر سيدى بشر.

وقد أفاد المراسل الخاص بجريدة "وادى النيل" بهذا الخصوص من القاهرة بأنه قد تم الاقتراح على الحكومة المصرية بدفع إعانة شهرية عامة لهؤلاء المهاجرين قيمتها من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ جنيه مصرى، حتى يتمكنوا من تلبية احتياجاتهم المتواضعة[١٧٤].

وبالنسبة لإجمالى المصروفات التي خصصتها الحكومة البريطانية للصرف على المهاجرين الروس بوادى النيل، فإنه طبقًا لمعطيات ٤ نوفمبر ١٩٢٠ فقد تم صرف ١٣٤٢٠ جنيهًا مصريًا شهريًا للإنفاق على ٢٥٩٧ شخصًا، ثم زاد هذا المبلغ إلى ٢١ ألف جنيه. وفى هذه الحالة تستشهد جريدة "فى الغربة" بأنه وفقًا لوكالة الأنباء البريطانية "حتى الآن، لم يتقدم أى شخص باقتراح لإشراك هؤلاء الناس، الذين يتمثل ذنبهم الوحيد في سوء حظهم في الحياة، في حياة العاملين العامة في البلاد، على قدم المساواة مع بقية المواطنين الأحرار، كما أنه لم تمنح لهم حتى الآن إمكانية عودتهم إلى وطنهم"[١٧٥].

قدمت الحكومة البريطانية نفسها اقتراحًا بخصوص مصير "هؤلاء المنفيين البؤساء"، حيث إنها شاركت بدور نشط في مصيرهم[١٧٦]. ولكن خفتت الآمال في أن تقوم الحكومة الروسية بتغطية مصاريف الصندوق البريطانى أكثر مع مرور الأيام والشهور. استنادًا إلى تقرير اللورد ألندى عن عام ١٩٢٠ فإن هزائم الجيش الأبيض بهذا الشكل أصبحت تزعج دافعى الضرائب الإنجليز الذين أصبحوا يطرحون بشكل متزايد تساؤلاً في الصحافة البريطانية عن جدوى التكاليف المرتفعة للإنفاق على اللاجئين الروس، بما في ذلك في وادى النيل.

كتبت جريدة "فى الغربة" في إشارة إلى التقرير المذكور للمفوض البريطانى بمصر: "لذلك فإن الجهود الرئيسية للسلطات كانت موجهة نحو إعادة التوطين". وكانت الصعوبات ومد فترة وجود اللاجئين بمصر بسبب صعوبة العثور على وسائل النقل. في يوم ٨ أكتوبر أبحرت الباخرة "خيرسون" متجهة إلى القسطنطينية- شبه جزيرة القرم وعلى سطحها ١٠٣٨ لاجئًا، وقد تم تزويد السفينة بالفحم والمواد الغذائية على نفقة الصليب الأحمر الروسى، كما قام كل من الصليب الأحمر الإنجليزى والروسى بتوفير الملابس الدافئة(١٧٧).

فى هذه الحالة، قامت حكومة صاحب الجلالة بإصدار الأمر للسلطات الإنجليزية والسلطات المحلية بألا توضع أمام اللاجئين أية صعوبات في حالة رغبتهم في العودة إلى روسيا وفى الوقت نفسه أن تمتنع عن المساعدة في ذلك.

وفقًا لمعلومات وكالة رويترز فقد تم في بداية شهر نوفمبر ١٩٢١ الإعلان في مجلس العموم ببريطانيا العظمى أنه منذ بداية شهر أغسطس من العام نفسه غادر مصر ٧٠ من اللاجئين الروس، وأن التمويل السنوى لهؤلاء المنفيين بكل من قبرص ومصر يكلف الخزانة البريطانية ١٢٠ ألف جنيه إسترلينى(١٧٨).

تابعت الصحافة السكندرية عن كثب عملية إعادة توطين الروس التي طالت، فقبل أسبوع ذكرت "لاريفورم" (٢٣-٢٤ /١٠/١٩٢١) أنه قبل عدة أيام أعلنت السلطة العسكرية عن إلغاء الدعم للاجئين الروس الذين لا يزالون بمعسكر سيدى بشر، وقد قدمت الحكومة اقتراحًا لتحديد المبلغ النهائى على شكل إعانات شهرية للمنبوذين الروس والتى يمكنها أن تدعمهم حتى يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم.

أنذرت السلطات العسكرية مسبقًا اللاجئين الروس بأن آخر تأجيل لهم سيكون حتى نهاية ديسمبر؛ حيث يجب أن يجدوا مكانًا لهم، وأنه عند انتهاء هذه المهلة سوف يتم اتخاذ التدابير اللازمة من أجل إعادة توطينهم.

ومع ذلك، وفقًا لمذكرات القائد السابق لقلعة سيفاستوبول اللواء ف.ب.ريربيرت الذى أقنع زوجة قائد القوات المسلحة البريطانية في مصر الليدى كونجريف التي كانت تشرف على المهاجرين الروس، بألا ترسل اللاجئين الذين ليست لدى معظمهم ملابس دافئة في فصل الشتاء إلى أوروبا(١٧٩).

ذكر فيدور بيتروفيتش، وهو أحد أهم الأشخاص بمعسكر سيدى بشر: "ما يقرب من شهر واحد قبل السفر جاءت إلى ذهن بعض الحكماء من سكان معسكراتنا فكرة أنه من غير اللائق من جانبنا جميعًا، نحن الذين أنقذنا الإنجليز من موت أكيد بنوفوروسيسك، ألا نرسل رسالة وداع وشكر لكل من ملكى إنجلترا ومصر ونحن نغادر الإسكندرية"(١٨٠). اتفق ريربيرج مع هذه الفكرة وقام بنفسه بصياغة هذه الرسائل لملكى إنجلترا ومصر والليدى كونجريف، "التى أظهرت دائمًا تجاهنا العطف والاهتمام"، وكذلك خطاب امتنان لكل مجموعة التربويين بالمدرسة الثانوية، وقد أعلن اللواء ريربيرت عن ذلك عبر جريدته الشفهية في حضور ٥٠٠ شخص استقبلوا هذا النبأ بالتصفيق(١٨١).

تمت تصفية معسكر سيدى بشر في مطلع صيف عام ١٩٢٢، وقد تذكر ديما كون تلك اللحظة كما يلى: "أنا لا أتذكر كم من الوقت طال ذلك، عامًا أم عامًا ونصف العام، وقد يكون أكثر من ذلك، ولكن فقط في ذات يوم قال الإنجليز إنه سوف يتم ترحيل الجميع إلى يوغوسلافيا وبلغاريا، ولكن من يرغبون في البقاء ويمكنهم إطعام أنفسهم، فهم أحرار في البقاء وتنظيم حياتهم بمصر، وهكذا تبين أننا بقينا في مصر ضمن أقلية من حوالى ١٠٠٠ روسى"(١٨٢).

٢,٣. المجتمع الروسى بعد معسكر سيدى بشر: تعداد أعمال المهاجرين ونوعها.

شغل المنفيون الروس المتبقون بعد تصفية معسكر سيدى بشر أماكن مواطنيهم الذين غادروا المعسكر من قبل، وكذلك أماكن غيرهم الذين لم يكن ليم أية علاقة بمعسكر سيدى بشر، وكانوا يعيشون بالإسكندرية قبل وصول سفن النقل من نوفوروسيسك في فبراير- مارس ١٩٢٠.

كان تعداد الجالية الروسية بالعاصمة الثانية لمصر يتغير باستمرار في اتجاه النقصان، ويمكن توضيح هذا الاتجاه من أقوال أحد الروس السكندريين الذى التحق بالعمل بشرطة المدينة، ففى هذا الصدد يتذكر الكاتب أ.ل. ماركوف والصحفى (اسمه المستعار هو شاركى): "فى العشرينيات، تمكنت أنا أحد أوائل الروس الذين قدموا إلى الإسكندرية من الاستقرار بالتحاقى بالعمل بشرطة الميناء، وهو ما كان مرتبطًا براتب دائم وبضع إمكانيات لمساعدة مواطني بلدى، وبالمناسبة فإن منزلنا سرعان ما تحول إلى مقر سفر الروس المسافرين عبر مصر... فقد كان يوجد هنا من يسعون جاهدين إلى الجحافل الأجنبية ومن فروا منها: رحالة سيرًا على الأقدام أو على الدراجات، ومن خدموا بالأسطول البحرى الصينى وسلاح الفرسان بباراجواى، والهاربون من قوات كمال والجيش الأحمر، وأناس كانوا مسافرين فقط إلى أفريقيا الجنوبية وأمريكا وأستراليا للبحث عن عمل أو هاربون من عمل..."[١٨٣].

أعداد الجريدة السكندرية "لاريفورم" التي اطلعت عليها والتى صدرت في خلال الفترة الجارى دراستها تحت عنوان "الحركة في الميناء" تتيح إمكانية متابعة وصول الروس لمصر ومغادرتهم لها. ففى يوم ١١ إبريل عام ١٩٢١ وصل إلى الإسكندرية الزوجان كليبانوف[١٨٤] على السفينة المصرية "حلوان". هكذا

كانت مصر عامة والإسكندرية خاصة ما زالتا تجذبان المنفيين من روسيا الذين لم يستقروا لسبب أو لآخر في أوروبا، وقد حل هذا المصير بعائلة سيريكوف من بيتروجراد التي رمى بها القدر في عام ١٩٢٠ إلى القسطنطينية بعد هزيمة الجيش الأبيض، وفى عام ١٩٢١ غادرتها إلى الإسكندرية[١٨٥].

وفي هذا العام نفسه لحق والد دميترى كون بعائلته بعد هزيمة قوات فرانجل، وقد كتب دميترى كون في مذكراته: "كيف وجدنا. لم أعد أذكر، ولكن تم ترحيله على سفينة حربية فرنسية"[١٨٦]، كان أناتولى ديميتريفيتش ضمن عسكريين آخرين من الجيش الأبيض الذين وصلوا إلى الإسكندرية مع الموجة الثانية بعد استسلام أوديسا[١٨٧].

كما يتضح لنا، فإن مصر كانت تتمتع بشعبية خاصة بين اللاجئين، ولم يكن ذلك من أجل لا شيء على ما يبدو، وقد كتب أحد المتدربين العسكريين من فيلق الدون في مذكراته: "أتذكر السنتين اللتين عشتهما بمصر، ويتضح لى أنه قد بقى في ذاكرتى الكثير من تلك الحياة، التي أصبحت الآن بعيدة. كان عمل مكثف يسير تحت تأثير ما خاص بالثقافة المصرية ورمال الصحراء والحرارة، وقد ترك لنا هذا البلد الغامض الكثير من المواد للتفكير، حيث روى لنا العــرب قصصًا كمــا لو كانت منسوخة من "ألف ليلة وليلة"، وحيث تمر الجمال ويسير البدو على الطرق السريعة الرائعة، كما تخفى النساء وجوههن وراء حجاب، والفلاحون بأرديتهم الملونة يركبون الدراجات حافيى القدمين، وتمتد بساتين النخيل في بحار الرمال... لقد أصبحت مصر بمثابة الأم بالنسبة للمتدرب العسكرى..."[١٨٨].

وتجدر الإشارة إلى أنه كان يمكن أن يكون عدد اللاجئين الروس هنا أكبر لو كانت ظروف استقبالهم هنا تسمح بذلك، وقد ذكرت مجلة "فى الغربة" ذلك اعتمادًا على تقرير المندوب السامى البريطانى اللنبى للملك عن عام ١٩٢٠: "إن

الشعور بالمصاعب الغريبة الغذائية والضغط الأقصى من جانب مؤسسات الحجر الصحى وقدرتها قد اضطرت الحكومة أن تصدر أوامر خاصة لحظر استمرار تدفق اللاجئين، بغض النظر عن الاعتبارات السياسية، وقد كانت هناك بعض الاستثناءات لإعطـاء فـرصة تـواصل العائـلات"، وقد يكون مثال لذلك لم شمل أسرة كون.

كما ذكرت ت.د.كون للمؤلف في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٩ عند حضورها من جلاسجو: "إن فوفا (فلاديمير أناتولوفيتش ديفوف- والد إيلين وابن أخ سيرجى فلاديميروفيتش ديفوف) قد ولد في القسطنطينية في عام ١٩٢٠ ووصل مع والديه إلى مصر عبر بلغاريا في العشرينيات- عن طريق الصدفة تمامًا- حيث إن والدته كانت تعرف زوجة قنصل يوغوسلافيا بمصر، وقد حصلت هذه الأسرة عن طريقه على إمكانية الاستقرار بمصر. كانت الحياة في بلغاريا صعبة جدًا...".

لقد كتبت الصحافة السكندرية عن ذلك في وقتـه، فقـد أفـادت صحيفـة "لاريفورم" ناسبة الخبر إلى الجريدة القاهرية "لو جورنال دى كير" (المترجم: جريدة القاهرة): "يبدو أن اللاجئين الروس، الذين تم ترحيلهم مؤخرًا من معسكر سيدى بشر إلى بلغاريا، لم يجدوا جنة الأرض في البلد الذى تم ترحيلهم إليه بالقوة لكى يبحثوا فيه لهم عن مأوى. إن لجنة التحرير الروسية تدرك المضايقات التي يتعرض لها في بلغاريا المهاجرون الروس الذين زادوا من مخلفات جيش فرانجل".

وتضيف هذه الصحيفة نفسها: "بعد الاتصالات الودية بين رئيس مجلس وزراء بلغاريا والحزب الشيوعى التى تلت المفاوضات الودية مع المندوب السوفييتى بمؤتمر جنوة "راكوفسكى" تصاعدت حملة ضد المنفيين الروس كان لها صدى بالصحافة، وتم تلفيق وثائق بهدف إثبات إعداد الروس لانقلاب عسكرى ضد السوفييت وبلغاريا نفسها. تم القبض على الجنرال الروسى بوروف الذى أصيب

بضربة خنجر في الشارع وكثير من الجنرالات الآخرين وكبار الضباط، بينما تم ترحيل آخرين.

أغلقت صحيفتان روسيتان وتم ترحيل أحد المحررين إلى صربيا، بينما قام الجنود البلغار بتفتيش النساء الروس بلا أى حرج، وكان الروس يعانون من المعاملة الفظة بالشوارع، وكان من يتم ضبطه والقبض عليه يتعرض للضرب ولكل أنواع الإذلال، ولكن لم تتخذ أية إجراءات لمكافحة البلطجة ولم يكن للإجراءات غير المشروعة أى أساس، كما أنه لم يقدم أى واحد من الروس للمحاكمة. يقول اللاجئون الروس إنهم لم يقوموا بأي عمل عدائي ضد البلد الذى يستضيفهم، ولكنهم لا ينسون أن روسيا هى التي دفعت بدمائها ثمن استقلال بلغاريا في عامى ١٨٧٧-١٨٧٨"[١٨٩].

وفى ضوء هذه العلاقة، فقد استمر وصول اللاجئين الروس إلى مصر، بالرغم من أن ذلك لم يكن بطريقة منظمة، وقد رفضتهم سلطات الاحتلال والسلطات المصرية حيث إنهما لا يمكنهما التعامل مع مجموعات كبيرة من اللاجئين في ظل الظروف السابق ذكرها، وكان الوصل إلى مصر قد أصبح صعبًا حقًا.

بدأت سلسلة كبيرة من المراسلات شاركت فيها القنصليتان الروسيتان بكل من أثينا ومصر ومديرية مكتب الجوازات بسبب عازف الكمان خروشوف الذى رغب في الحضور من اليونان إلى مصر مع زوجته وابنته في عام ١٩٢٣، وكسب لقمة العيش بإقامة حفلات موسيقية بكل من القاهرة والإسكندرية، وفقط عندما أدرك المكتب أن أسرة خروشوف ستحضر من أجل مجرد جولة فنية لمدة ثلاثة أشهر وأن القطب اليونانى السكندرى بيناكى أخذ على عاتقه توفير موارد

مالية لإقامة هذه الأسرة بمصر وللسفر منها، وعندئذ فقط حصل الموسيقى وعائلته على الإذن للدخول إلى وادى النيل.

وعلاوة على ذلك، فعلى الرغم من عمل القنصل الروسى أ.م.بيتروف بمصر لأكثر من ١١ عامًا بالإسكندرية فإنه قد تمكن بصعوبة بالغة من الحصول على إذن لحضور ابنه ذى التسعة عشر عاما طالب الدراسات العليا بالمدرسة البحرية ببنزرت إلى مصر عابرًا في طريق عودته إلى تونس بعد فترة انقطاع بسبب الأحداث السياسية بالقاهرة، عن طريق السفير الفرنسى جايار والوزير المفوض الروسى أ.أ.سميرنوف، كما أنه كان على ألكسندر ميخايلوفيتش أيضًا بذل جهد كبير حتى تتمكن أمه وابنته من الحضور إليه، وذلك باستخدام علاقاته مع المفوض السامى البريطانى بالقاهرة اللنبى ودعم أ.أ.سميرنوف: "أرجو منكم أن تعضدوا طلبى لدى السلطات من أجل الإذن لوالدتى أناستاسيا بيتروفا أرملة اللواء والتى تبلغ من العمر ٦٤ سنة وابنتى أناستاسيا بيتروفا البالغة من العمر ١٤,٥ عامًا والموجودتين الآن بموسكو لدخول مصر للعيش معى، وإبلاغ هذا القرار للقنصلية العامة البريطانية بالإسكندرية، والتى سوف تسافر بدورها في مهمة لموسكو بحيث يمكننى عن طريقها إرسال الأموال اللازمة للسفر لأسرتى، وقد سبق أن زار أفراد أسرتى المذكورون مصر وأمضوا بها شتاء وربيع عام ١٩١٤، وطبقًا للمعلومات التي وصلتنى فإن الظروف التي تعيش فيها أسرتى بموسكو لا تطاق على الإطلاق"[١٩٠].

جاء الروس في تلك الفترة إلى مصر ليس فقط نظرًا لانهيار الحركة البيضاء بجنوب روسيا وبشبه جزيرة القرم، حيث كانت توجد أسباب أخرى أيضًا أدت إلى سفر اللاجئين الروس إلى وادى النيل، فعلى سبيل المثال فعند عودة مستشار الدولة ف.ب. فون إيجيرت[١٩١] وزوجته من رحلة عمل بالقوقاز وفيلنوس

استقلا الباخرة "ساراتوف" على أمل الوصل إلى الوطن، ونظرًا لعدة أمور اضطرا إلى السفر بحرًا إلى مصر حيث بقيا إلى آخر حياتهما (١٩٢).

استمرت حياة الروس بالإسكندرية بالشكل نفسه عند حضورهم إليها بعد أن جالوا في العالم ثم بعد تركيهم لهذه المدينة بكثافة في أعوام ١٩٢٠- ١٩٢٢، وكان ذلك على الأرجح بسبب بعض الاستقرار لوضعهم بالمدينة وانخفاض أعدادهم. ولعل أبرز مثال على ذلك هو وصول أفراد عائلة جولينيشيف - كوتوزوف إلى العاصمة الشمالية عندما أحضر حفيد القائد الروسى العظيم م.أ.كوتوزوف عن طريق إسطنبول وبيروت بناته أولجا وفالنتينا وأنسيلما والصغرى سنًا يفدوكيا إلى الإسكندرية، ثم بعد ذلك تفرقن، فمن سافرت منهن إلى شيكاغو ومن سافرت إلى فانكوفرت، وإلى القدس، بينما بقت يفدوكيا (دوللى) وحدها بالإسكندرية حيث توفيت في نهاية الثمانينيات. لقد كسبت عيشها بأن أعطت دروس الموسيقى وصاحبت بالعزف (سوف نناقش بالتفصيل عمل الروس السكندريين بالموسيقى لاحقًا). وقد مات المستشار- المحلف بالمحكمة نفسه جولينيشيف- كوتوزوف في عام ١٩٢٧ وتم دفنه بمقابر الأرثوذكسية بالشاطبى في مدينة الإسكندرية، وتم دفن ابنته بالقرب منه ولكن بالمقابر اللاتينية(١٩٣).

لقد كتب "المالك الروسى" للإسكندرية ألكسندر ميخايلوفيتش بيتروف عن عملية "إلى هنا وإلى هناك" هذه مخاطبًا الدبلوماسى الروسى سيرجى بافلوفيتش رازوموفسكى المقيم بالقاهرة في نهاية عام ١٩٢٥: "إن هاجس الرحيل يسيطر على لاجئينا، فكثيرًا ما يحدث أن نرى من استقروا بشكل لائق نسبيًا فجأة يتركون مكانهم مندفعين، تحت تأثير شائعات أو أخبار منشورة أو رسائل يتلقونها، ويتركون أعمالهم التي أقاموها، ويسافرون إلى بلد بعيد مع أسرهم أو دونها؛ بحثًا عن الأفضل، وأحيانًا حتى دون أن تكون معهم نقود كافية للطريق، ودائمًا بلا

وسائل للعيش في المكان الجديد حتى يجدوا عملاً، وهم عادة ما يقعون في محنة. وكثيرًا ما ظهر في الإسكندرية لاجئون تقطعت بهم السبل في منتصف الطريق المستهدف، والذين يبحثون عبثًا عن موارد لمواصلة رحلتهم، ولكن الجزء الأكبر منهم يكون مضطرًا للبقاء هنا لمدة شهور يعيشونها في بؤس وهم يخيطون التنانير لدى الجمعيات الخيرية أو الأفراد، بل حتى يتسولون لدى أبناء وطنهم الأكثر حظًا"(١٩٤).

كان الدبلوماسي بيتروف على حق نسبيًا، حيث إنه هو الذي وُجد باستمرار في مكان واحد بالإسكندرية منذ عام ١٩١٠ (مات بها في عام ١٩٤٦)، وعمل قبل ذلك بالسفارات والقنصليات الروسية في الشرق الأوسط، لم يضطر لأن يغادر مكانه إلى مكان آخر للبحث عن سبل العيش، وهو لم يجرب الإحساس باليأس والقنوط مثل أبناء وطنه الذين لم تكن لديهم إمكانية العمل باستمرار، والذين كانوا يصدقون مختلف الشائعات فيجولون في العالم بحثًا عن مكان يكون على الأقل أكثر استقرارًا وطمأنينة.

ولكن كانت الحركة العكسية من مصر بالطبع أكثر كثافة، لذا فمجرد وصول الطيارين ماكسيموف ونايدينوف إلى وادى النيل تم تجنيدهما منذ عام ١٩٢٠ للعمل بجدة والحجاز لمدة عامين(١٩٥). ولكن ها هو طيار آخر ن. م. سيريكوف والد ت.ن.مونتى التي سبق ذكرها، فقد بقى في مصر لمدة طويلة (سنوات حياته ١٨٩٦- ١٩٨٠).

في عام ١٩٢٠ غادر الإسكندرية أيضًا الكاتب المحب للطبيعة ن.أ.بايكوف الذى عاش من مارس العام نفسه بمعسكر التل الكبير ثم في معسكر سيدى بشر: "عندما تم تشكيل الحكومة البيضاء المركولوفية(١٩٦) في الشرق الأقصى، وكان على البلاشفة تطهير الإقليم البحرى، عرض الإنجليز على المهاجرين الروس

بمصر الذهاب إلى فلاديفوستوك، فأبدى ٧٥ شخصًا فقط من ثلاثة آلاف لاجئ رغبتهم في الذهاب، وكان نصفهم من النساء والأطفال من مختلف الأعمار"[١٩٧].

أفادت صحيفة "لاريفورم" السكندرية، العالمة تمامًا بالأمور، بعدديها الصادرين في ٢٦- ٢٧ يونيه عام ١٩٢١ بعمودها الذى ينشر بانتظام "إحصائيات الميناء" أن كلاً من قاضى المحكمة الدولية مولوستفوف، والسيد بزوروفى وابنته (شخصية بارزة بين المهاجرين الروس بمصر)، وشبكين، وعائلة لوزيانوفيتش قد غادروا الإسكندرية على السفينة "حلوان"، ونحن نعتقد أن هؤلاء الناس رأوا أنه من الضرورى مغادرة هذا البلد؛ نظرًا لما كان عليه في السابق وضعهم المريح السابق لمدة طويلة ومكانتهم الاجتماعية العالية نسبيا.

وفى هذا الصدد، فإن قائمة المهاجرين الروس المتوفين التي قدمتها للمؤلف تاتيانا نيقولايفنا مونتى (سيريكوفا) مفيدة للغاية، وقد كتبتها والدتها أولجا دميتريفنا سيريكوفا (عاشت في الفترة ١٩٠٣-١٩٨٧). بالطبع هذه القائمة بعيدة تمامًا عن الاكتمال، ولكنها تمثل الوضع القائم حيث يمكن بواسطتها الحكم على جغرافية الروس السكندريين الذين جالو في العالم كله ووجدوا لنفسهم مأوى أخير خارج حدود مصر. القائمة تضم فقط ٣٢٠ اسما توفى ٤٢ شخصا منهم خارج حدود مصر أى أكثر قليلاً من ١٣%، أكثر من نصفهم أنهوا مشوار حياتهم في سويسرا، و١٢% في إنجلترا، و١٠% في أمريكا، بينما توفى بضعة أفراد في النمسا وكندا واليونان، كانت الغالبية في كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية من اليهود الروس. بالطبع، كانت جغرافية المغادرين لمصر أوسع من ذلك بكثير، وتبين أن ثلاثة من هذه القائمة ظهروا في روسيا، ولكن في الواقع كان عددهم أكبر بكثير.

والآن فلنستعرض موضوع تعداد المهاجرين. حتى تصفية معسكر التل الكبير ونقل اللاجئين إلى معسكر سيدى بشر ومغادرتهم على السفينة "خيرسون"

وسفن أخرى إلى الاتحاد السوفييتى وبلاد أخرى، ووصول "الموجة الصغيرة" من شبه جزيرة القرم بعد هزيمة جيش فرانجل، وأخذ عدد الجنود والضباط الجرحى والمرضى من ساحة القتال في الحرب العالمية الأولى في الحساب، فإنه يمكننا بشكل كبير افتراض أن تعداد الروس في مصر، في ذروة الهجرة، كان يمكنه أن يصل إلى حد كبير إلى حوالى ١٠-١٢ ألف شخص[١٩٨]، وفى هذه الحالة نذكر عدد المهاجرين، وأن عدد المهاجرين وفقًا لتعداد عام ١٩١٧ قد وصل إلى ٤,٢ ألف شخص (انظر الجدول رقم ٢)، وأنه كان يوجد بالإسكندرية وحدها ٢,٣ ألف شخص، وأنـــه قـــد جـــاء من نوفوروسيسك وحدها في شهرى فبراير ومارس ٤,٥ آلاف شخص على متن خمس سفن.

بصفة عامة، فإن تحديد تعداد الجالية الروسية في أى من البلاد، ومنها مصر، أمر صعب للغاية. توجد بهذا الخصوص بيانات متعددة تتعلق بإجمالى تعداد الأشخاص من ذوى الأصول الروسية ببلد الأهرام، وكذلك أعضاء الهجرة الروسيـــة. لقـــد سبق أن قمنا باستعراض تاريخ هذا الموضوع حتى أعوام ١٩١٧- ١٩٢٠، وعندما قام مركز المعلومات الأمريكى بالسؤال عن عدد الروس في مصر، أجاب أمين الأرشيفات الروسية بمصر، وهو أيضًا مدير "المكتب الروسى" بالقاهرة سيرجى بافلوفيتش رازوموفسكى (١٨٧٥- ١٩٤٧)، بأن عددهم يتراوح بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ شخص في أول أكتوبر عام ١٩٢٩.[١٩٩] أما في عامى ١٩٣٦- ١٩٣٧، فطبقًا للجنة نانسينسكى المسئولة عن اللاجئين على المستوى العالمى، فقد قدرت تعدادهم بمصر ليكون ٣٥٠ شخصًا فقط[٢٠٠]. هذه الأرقام ليست صحيحة. فمن الجائز أن الحديث يدور حول هؤلاء الروس الذين كانوا مسجلين في ثلاثة "مكاتب روسية" بالقاهرة والإسكندرية وبورسعيد، ويعتقد أن حتى عدد المهاجرين البيض كان أكبر، بغض النظر عن الحديث عن إجمالى تعداد الروس في هذا البلد، وقد أشار الوزير المفوض المبعوث أ.أ.سميرنوف في عام ١٩٢٣ إلى أن تعداد الروس في مصر يصل إلى ٣٠٠٠ شخص[٢٠١].

بصفة عامة يمكن الثقة فقط في التعداد القومي، في ظل ظروف مصر وهنا أيضا بقدر من المجاز. يتعلق الأمر بالتعداد العام للسكان في أعوام ١٨٨٢، ١٨٩٧، ١٩٠٧، ١٩١٧، ١٩٢٧، ١٩٣٧، ١٩٤٧، و١٩٦٠. الإحصاء القومي المصرى الذى أجراه الأوروبيون (الإنجليز، الفرنسيون، والإيطاليون- أميتشى بييم، بوانى بييم وغيرهم) في نهاية القرن التاسع عشر يتميز بسمة حديثة وعلمية تماما[٢٠٢].

بالفعل، يشير تعداد عام ١٩٤٧ إلى أن ٩٠٢ شخص ولدوا بروسيا يعيشون في مصر، ومنهم ٣٤٨ مصريًا و٥٥٤ أجنبيًا، والأخيران هما بالفعل روس أما الأوائل فهم روس حصلوا على الجنسية.[٢٠٣] كما يتضح، فبخلاف المنطق فقد كان يوجد بمصر في عام ١٩٤٧ مواطنون روس أكثر مما كان قبل ذلك بعشرين سنة، وعلى أية حال فعند مطلع عام ١٩٥٢، كان عددهم ما زال كافيًا، ويتحدث عن ذلك المصريون المعاصرون. إذا كانوا كثيرين أم قليلين، وعلى فرض حتى بضعة أشخاص، فلا يجب نسيانهم، وكما قال سولجنيتسين: "لقد حان الوقت لجمع الحجارة".

جدول رقم ٥: الأعمال التي اشتغل بها الروس في مصر في عام ١٩٢٧

الصناعات التحويلية	النقل	الخدمات العامة	أعمال حرة	خدمات خاصة	تجارة
٢٨٧	١٠٦	٥٣	٢٠٤	٨٧	٢٩٨

المرجع: التعداد العام لسكان مصر في عام ١٩٢٧، الجزء ١، القاهرة، ١٩٣١، ص.٢٣٨-٢٣٩ (باللغة العربية).

أما ما يتعلق بمجالات العمل، فطبقًا للتعداد العام لسكان الإسكندرية في عام ١٩٢٧، احتلت التجارة المكانة الأولى بين أعمال الروس (٢٨%)، وجاءت بعدها الصناعات التحويلية (٢٧%)، أما المركز الثالث فكان للأفراد ذوى الأعمال الحرة (تقريبا ٢٠%)، وهو ما يشير إلى المستوى العالى لاشتغال الأشخاص بالأعمال

الذهنية، كما كان عمل عدد كبير نسبيًا من الروس في مجال النقل ١٠/١ من جميع الأعمال، وجاءت الخدمات الخاصة في المرتبة الأخيرة التي مثلت نسبتها بين السكان القادرين على العمل ٥%، وهو ما كان مفترضًا تمامًا نظرًا للمستوى الثقافى والتعليمى العاليين نسبيًا للمهاجرين البيض الروس، وكان هذا الوزن النوعى نفسه تقريبًا لكل من فئات الأعمال الموضحة أعلاه ينطبق على السكان الروس النشطاء اقتصاديًا في الواقع السكندرى.

المعلومات المقدمة أعلاه تتفق تمامًا مع البيانات المقدمة في مختلف المراجع. تقدم صحيفة "فى الغربة" توزيعًا تقريبيًا على مختلف المواقع بالإسكندرية لأول ٦٠٠ مهاجر من معسكر سيدى بشر الذين وجدوا أعمالاً لهم في يناير ١٩٢٢، فتكتب الصحيفة: "... المهارات التقريبية كما يلى: موظفون بالترام (مشرفون، كمسارية، سائقون) مثلوا ٥-٦%، موظفو الأعمال المكتبية ٣- ٤%، عمال الأعمال الدنيا ٤-٥%، فئة الفنانين والممارسة الطبية ١%، من عملوا في مجال الدخان ١%، موظفون بالمفوضية الإنجليزية ٢٥%، العمالة النسائية (مربيات، خادمات، خياطات، مصممات أزياء) ٤-٥%، مختلف التخصصات الفنية (بما في ذلك الفنيون والمهندسون والميكانيكيون والسائقون) ١٢- ١٥%، أما الباقون فيمثلون فئة المهن والأعمال غير المحددة أو العشوائية"[٢٠٤].

أشار أمين أرشيف البعثة الروسية بمصر س. ب. رازوموفسكى (انظر الملحق ٤) في ١ أكتوبر ١٩٢٩ إلى أن التخصصات الغالبة بين اللاجئين الروس كانت: سائقى سيارات النقل والأجرة، المدرسين والمعلمين، الكتبة في المحاكم والبنوك والمؤسسات الحكومية... إلخ. تقدم مجلة "فى الغربة" في هذا العدد نفسه القيم التقريبية لرواتب الروس في المدن المصرية الرئيسية، ومن ضمنها الإسكندرية: "تجدر الإشارة إلى أنه من بين المهن أو الحرف التي تم سردها أعلاه فإن نصفها تقريبًا يمثل تلك الأعمال التي يمكن أن يعادل أجرها بالكاد الحد الأدنى

لمتوسط نفقات الحياة للأوروبى بمصر، ومعظم هؤلاء العاملين يعيشون في الإسكندرية، القاهرة، بورسعيد، السويس، السودان، أو يعملون بأبى قير (المؤلف: إحدى ضواحى الإسكندرية)، وفى حالات أخرى تمكن بعض اللاجئين من أن يجدوا لأنفسهم أجورًا لائقة إلى حد ما في المعسكر نفسه بالعمل لدى الإنجليز. الفئة العليا تمثل في المتوسط ٢٥-١٥ جنيهًا (الأطباء، الكتبة)، أمـــا الفئة الدنيا فتمثل ١-٣ جنيه (الممرضات، الممرضون، الطباخون في المعسكر، رؤساء أعمال، وكانوا كلهم يحصلون على الحصص الإنجليزية المخصصة لهم"[٢٠٥].

فى هذا العدد نفسه من صحيفة "فى الغربة" الذى صدر في يناير يقدم مخططًا آخر للأعمال التي اشتغل بها الروس السكندريون: "يقسم العمال الروس بالإسكندرية إلى عدة فئات طبقًا لنوعية عملهم: الذين يعملون في مجال السجائر والسائقين والميكانيكيين وموظفى الترام (المشرفين والكمسارية والسائقين)، العمال بمختلف المصانع، والحرفيين المهرة في مختلف المؤسسات وعدد قليل من الموظفين في الهيئات والمكاتب والورش وغيرها. وعامة، كقاعدة عامة، يجب أن نفترض أن كل هذه الأعمال منخفضة النوع، ومن النادر أن يحصل شخص ما على وظيفة ذات أجر أفضل وأكثر احترامًا مثل وظائف المدرسين أو مجرد حراس في المدارس الثانوية أو فنيين أو مهندسين أو موظفين في هيئات ما... إلخ.

وبعد ذلك يجيء وصف رائع لامع لأحد المنفيين الروس الذى يعمل في مجال تجارة التجزئة؛ حيث إنه يعمل في "أحد أقسى أنواع الأعمال"- الدخان.

ننقل فيما يلى حرفيا مقالة بإمضاء س.ي.س.: "من الصباح الباكر جدًا إلى وقت متأخر من الليل يمكننا أن نقابل شخصيات روسية تقليدية في شوارع الإسكندرية في القمصان الروسية، والستر البريطانية، والسترات العسكرية، وأحيانًا في أنواع مبهمة للغاية من الملابس مع صوانى من السجائر على أكتافهم، هؤلاء

هم الدخاخنية الروس الذين يتنافسون مع العرب من أجل الحياة نصف جياع. وليس من النادر أنه يمكن رؤية الأشرطة الشهيرة لآلايات دوبروفولسكى على أكتاف هؤلاء الناس المحترفين المثيرين للفضول.

ها هى سدارة جنود جيش كورنيلوف تمر بسرعة على خلفية المحلات التجارية، وهناك تاجر حديث يتنقل من مقهى إلى آخر وهو يحافظ على قواه، وهنا عند البورصة يجلس معوق يده مصابة مكتئبًا في انتظار المشترين. أما بالقرب من ذلك فتمضى حياة أخرى: تسرع السيارات، تسير سيدات أنيقات الملابس. ومن المهم أن تصعد أسهم البورصة إلى أعلى.

عادة ما يبدأ الدخاخنية عملهم بقدر ضئيل من المال يجمعونه بصعوبة بالغة وبحرمان أنفسهم، وفى بعض الحالات المناسبة الخاصة كانوا يحصلون على المال من الرئيس السابق لاتحاد المدينة والمحافظة لتموين الجيش السيد. ماسلوف الذى يمنح القروض بضمان ملكية أو شخصية راعية قوية ويتقاضى نسبة ١٢% من الرأسمال الممنوح، كان يتم تحصيل القروض والنسب بعناية، وأحيانًا كان يتم اللجوء إلى تدابير متطرفة مثل مصادرة الأملاك وغيرها. كان يكفى في البداية امتلاك حوالى خمسة جنيهات، ولكن لكى تكون التجارة جيدة يلزم مبلغ ٩- ١٠ جنيهات، حيث إنه بلا سجائر غالية الثمن وتنوع كبير لم يكن من الممكن تحقيق نجاح. كان بعض اللاجئين الذين لم يحصلوا على قرض من الرئيس السابق لاتحاد المدينة والمحافظة لتموين الجيش المشار إليه يبدءون العمل بجنيهين. ومن الواضح أن مثل هذا العمل لا يمكن أن يكون إلا في حالة مزرية".

ويواصل كاتب المقالة، الذى على ما يبدو كان على دراية مباشرة بباعة السجائر المتجولين، مدخلاً القارئ إلى العالم النفسى المزدحم للعلاقات المتبادلة بين التاجر والعالم المحيط به وهو يرسم بشكل دقيق فوتوغرافى كفاحه المضنى اليومى

من أجل الوجود والبقاء في الأرض الأجنبية، فيكتب: "فى موسم الصيف بالإسكندرية، من شهر مايو إلى نوفمبر، يكسب الدخاخنية من ١٥- ٣٠ إلى حتى ٥٠ قرشًا في اليوم، ويتوقف هذا المبلغ على مهارات البائع التجارية وخبرته وصحته وإتقانه للغة. وبالنسبة للأشخاص الذين لديهم عدد قليل من السلع، فعليهم الجرى في المدينة من الساعة الثامنة إلى الواحدة ظهرًا، ثم من الرابعة إلى الثانية عشرة مساء من أجل كسب ٣٠ قرشًا. أما التجار الأكبر فيطلب منهم جهد أقل: من العاشرة إلى الحادية عشرة صباحًا، ثم من الرابعة إلى الحادية عشرة مساء فترة كافية تمامًا.

إن عمل الدخاخنى صعب، ليس بدنيًا فقط، ولكن أيضًا فيما يخص الناحية الأخلاقية، حيث توجد خلافات مستمرة مع المنافسين العرب، وأحيانًا إهانات، بل عراك. يتعامل المجتمع الأوروبى بتعاطف، ويشترى من الروس السجائر عن طيب خاطر، ولكنه لا يميزهم بشكل خاص بين العاملين الأوروبيين الآخرين، أما المجتمع العربى، الذى ينسب الروس إلى الكتلة الإجمالية الأوروبية، فكان يقاطعهم أو في أحسن الأحوال يتعامل معهم بلا اكتراث، إلا في حالات قليلة. ولكن، حقيقة، كانت توجد حالات فردية كما يلى: شخص عربى رائع يتناول علبة سجائر ويقطع الغلاف وهو مستعد لدفع النقود، ولكن يطير إليه بائع سجائر عربى ويصرخ شيئًا بلغة غير مفهومة لنا، فيلقى الشارى العربى بالعلبة التي تم فتحها في صندوقك ويشترى من مواطنه. تحتج إن استطعت ذلك، ولكن لا أحد يهتم بذلك، وينظرون إليك كأنك شخص غير طبيعى، ولكن تكون علبة السجائر قد تلفت. هذا العمل هو الأكثر صعوبة من الناحية الأخلاقية؛ حيث يتم الطرد باستمرار من المطاعم والمقاهى ودور العرض وغيرها.

خارج الموسم، ينخفض المكسب إلى ١٠- ١٥ قرشا في اليوم، وبالإضافة إلى ذلك تكون هناك منافسة قوية للغاية. يكسب جيدًا ذلك الذى كوّن زبائن دائمين في محلات تجارية محددة ومنازل وقنصليات ومكاتب أو من الأغنياء، ولكن على أية حال فإن قطعة الخبز صعبة جدًا بهذه الطريقة".

٢,٤. وضع الجالية الاجتماعي والسياسي

كما سبق ذكره، فإن الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة قدمتا مساعدة كبيرة للروس الذين وجدوا لأسباب مختلفة بمصر، وزادت هذه المساعدة بشكل كبير للروس البيض الذين كانوا في وضع أكثر سوءًا من هؤلاء الذين وصلوا إلى هذا البلد قبل فبراير- مارس ١٩٢٠، وقد استمرت شبكة القنصليات والممثليات القنصلية والممثلين الواسعة التي أنشئت قبل عام ١٩١٧، والتى شملت بلد الأهرام بأسره(٢٠٦) تؤدى أعمالها حتى بعد ثورة أكتوبر.

على غرار الكثير من الدبلوماسيين القيصريين الذين لم يتقبلوا هذه الثورة، فإن موظفى الممثليات الروسية بمصر أصبحوا يتلقون تمويلاً من قبل السلطات المحلية، وفى الوقت نفسه زاد تدفق اللاجئين من أعباء العمل على الممثلين الدبلوماسيين الروس، فقد تطلب المزيد والمزيد من الأموال.

وقد قامت الحكومة الإنجليزية- المصرية على مدى ست سنوات من عام ١٩١٧ إلى ١٩٢٣ بدفع رواتب الموظفين الروس شهريًا، وكذلك الأموال اللازمة لاستمرار عمل القنصليات، وهكذا كتب المبعوث فوق العادة والوزير المفوض السابق أ.أ.سميرنوف في أوائل عام ١٩٢٠ عن تغير الوضع: "إن تدفق اللاجئين الروس إلى مصر من كل أطراف روسيا بعد سقوط كولتشاك ودينيكين وفرانجل قد تطلب بالطبع توسيع مجال نشاط الوكالة الدبلوماسية والقنصليات، وقد دفع أيضا إلى إنشاء لجان قضائية جديدة، وعلى الرغم من الموقف الأكثر إيجابية والدعم من

قبل البعثات الدبلوماسية للدول الأخرى وكذلك من قبل الحكومة المصرية، فإن الصعوبات التي تواجه نشاط المؤسسات الروسية المذكورة أعلاه هي مجرد الجانب المالي من الأمور.

لقد توقفت منذ عام ١٩١٧ كل اعتمادات روسيا لممثلياتنا في الخارج، وبفضل القروض بنصف معدل المخصصات السابقة التي منحتها الحكومة الأنجلو-مصرية في السنوات الأولى والقروض الصغرى التي استمرت الحكومة المصرية في منحها حتى الآن، أمكننا الحياة ولكن بصعوبات كبيرة حتى اليوم"[٢٠٧].

بعد منح الاستقلال الرسمي لمصر في فبراير عام ١٩٢٢، لم تعد إنجلترا تتدخل بشكل ظاهر في الشئون الداخلية للبلد، جاء في إحدى الوثائق الأرشيفية:- "نظرًا لاستقلال مصر واكتساب السلطان لقب صاحب الجلالة ملك مصر، فإن الوكالة الدبلوماسية قد غيرت تسميتها إلى البعثة الدبلوماسية الروسية". وقد وصل أ.أ.سميرنوف إلى النتيجة التالية: "بالكاد يمكن الاعتماد على استمرار المزيد من القروض المقدمة من هذا البلد بسبب تغيير الوضع السياسي في مصر وتضاؤل تأثير الإنجليز"[٢٠٨].

ومع ذلك استمر وجود الممثلين الدبلوماسيين الروس في مصر حتى أكتوبر ١٩٢٣ وكانوا يمولون من مصادر مختلفة، ويرجع ذلك إلى أنه منذ عهد "كاترين الثانية" عندما تمت إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فقد كان لروسيا بمصر حقوق خاصة، ما يسمى "الاستسلام"[٢٠٩]، وكان ينظر لروسيا في مصر باعتبارها "الأمة الأكثر تفضيلاً" وكان الروس يتمتعون بامتيازات؛ مثل الإعفاء من الضرائب، وضمان الملكية، وعدم اختصاص السلطات المحلية بمحاكمتهم.. إلخ. وفقًا لأ.أ.سميرنوف "نجحت أنا شخصيا، منذ ذلك الوقت (عام ١٩١٧) حتى اليوم، في الحفاظ الكامل على ممثلية السلطات الشرعية للدولة الروسية في البلد التي توجد

بها شهادات الاستسلام لمواطنى ١٧ قوة عظمى، ومنها روسيا، وذلك بحكم القانون الذى ما زال قائمًا ويمنح أساسا متينًا لوجود الهيئات الروسية الدبلوماسية وممارسة نشاطها"(٢١٠).

ومع ذلك، فمنذ خريف عام ١٩٢٣ اتخذت حكومة مصر المستقلة رسميًا قرارًا بشأن سحب حقوق "الاستسلام" من الروس؛ فمن ناحية فإن الخط العام للسياسة الخارجية لحكومة الوفد الهادفة لتعزيز استقلال مصر قد فرض هذا الإجراء، ومن ناحية أخرى فإن الجهود الشديدة للدولة السوفييتية قد لعبت دورها وبداية الاعتراف الدولى بها في رابالو، وكذلك حركة المعارضة العامة "للسلطة الشرعية الروسية" ممثلة في شخص أ. أ. سميرنوف، والحملة المكثفة في الصحافة التي بدأت عند حلول صيف عام ١٩٢٣؛ من أجل عدم الاعتراف بالقضاة الروس في البعثة الدبلوماسية، وقد حصلت الوكالة الدبلوماسية الروسية والقنصلية العامة الروسية بمصر في ذلك الوقت على هذا المسمى(٢١١).

فى أول نوفمبر عام ١٩٢١ تم في مصر تأسيس اللجنة القضائية الروسية للقضايا الجنائية، حيث إنه لم تكن هناك إمكانية لإرسال المجرمين الجنائيين لمحاكمتهم بدائرة أوديسا القضائية، كما كان الحال قبل الحرب العالمية الأولى، مما تطلب ضرورة محاكمتهم محليًا؛ لأنه "كان من المستحيل السماح بأن يبقوا بلا عقاب أو أن يبقوا رهن الاعتقال المؤقت لمدة غير محددة".

تم وضع مشروع تأسيس اللجان القضائية الجنائية على أساس دقيق للقوانين، فكانت الحكومة المصرية والمفوضية البريطانية على معرفة بالتدابير المتخذة، وبدأت المحكمة الجنائية الروسية في العمل فنظرت قضايا المواطنين الروس، و"لاقت تأييدا كاملاً من جانب المحاكم المصرية المختلطة"، ولكن عدم الموافقة

على قرارات هذه المحكمة بين الروس أنفسهم أصبح حجة لاتهام البعثة الدبلوماسية الروسية بعدم الشرعية.

أفاد أ.أ.سميرنوف في خطابه لرئيس الحكومة المركزية في الخارج بباريس م.ن.جيرس، واصفًا الحالة الخاصة لهذه التصريحات: "في منتصف شهر مايو أثارت الصحافة المحلية هنا ضجيجًا مدويًا بسبب القضية الجنائية لمواطنى روسيا الأرمينيين الأب والابن ديفليتيان المرابيِن.

وقد سبق محاكمة الأرمينيين من قبل بسبب الغش والربا أمام محكمة محلية، ولكن لم يتم تنفيذ الحكم؛ حيث إنهما أعلنا عن جنسيتهما الروسية.

وقدما الدليل على ذلك، ثم تمت محاكمة الأب والابن ديفليتيان أمام لجنتين وحكمتا عليهما بالسجن مع حرمانهم من بعض الحقوق ومنها إدارة مكتب القروض.

أثارت قضية الأب والابن ديفليتيان ضجة قوية، وقدم لى محاميهما المواطن الروسى كوسروف- زوجراب وأيضًا لوزير الشئون الخارجية مذكرة تثبت أن محاكمنا تعتبر غير شرعية في غياب حكومة ومصدر حى للسلطة، بل إنها من وجهة نظر القانون الروسى لا يمكن أن يكون لهـا وجـود، وأنـه لا يمكن أن يتم النطق بعقوبة باسم القانون، وأن تفويضى لم يعد له وجود منذ ست سنوات، وكذلك أنه لا يمكن للسلطات الاعتراف بعد الآن بالسلطات الدبلوماسية والقنصلية.

من جهتى، كتبت مذكرة لوزير الشئون الخارجية وقدمت نسخة منها للمندوب السامى البريطانى، وأرى من واجبى أن أقدم طيه نسخة من هذه المذكرة. لقد دحضت فيها هجمات زوجراب وبينت الأسس القانونية الدقيقة التي تمنحنى الحق في تأسيس لجان قضائية، وفى الوقت نفسه علت أصوات في الصحافة المصرية ضد المحاكم الروسية والاعتراف بالسلطات الروسية بمصر"[٢١٢].

وهنا لعب غضب المصريين دوره المشروع من الاحتيالات وغيرها من الجرائم التي ارتكبت في البلاد بواسطة المواطنين الروس المماثلين للمحتالين ديفليتيان، اللذين قاما فقط بسكب الزيت على النار في ظل الوضع الصعب السائد في مصر نتيجة لتصاعد حركة التحرير الوطنية.

بالطبع فإن الاشتباكات داخل الجالية الروسية لم تكن هى السبب الوحيد لإلغاء الامتيازات، حيث إن أ.أ.سميروف يرى، دون مبالغة في أهمية هذه الخلافات، أن السبب في المقام الأول يتمثل في السياسة الوطنية للحكومة المصرية: "نظرًا للمزاج العام في البلد، من الواضح أن مثل هذا الاستنتاج الذى تم لصالح المشاعر القومية يتحدث بوضوح وتحديد ضد الامتيازات، وقد أتيح لى عدة مرات الاستماع إلى شكاوى وزراء من الامتيازات التي تخنق البلد "تمسكها من حلقها" ورغبتهم في التخلص من هذه الأغلال في أقرب وقت ممكن؛ لذلك فإنهم يرون أن الإضافة التي تمت في قرار مجلس الوزراء تمثل خطوة أولى نحو إلغاء الامتيازات"[٢١٣].

لقد أكد الوزراء المصريون مرارًا للمبعوث أن هذه ليست مجرد شائعات، ولكن في يوم ٦ أكتوبر ١٩٢٣ تم اتخاذ قرار مجلس الوزراء فيما يتعلق بالمواطنين والممثليات الدبلوماسية الروسية وتم نشره في ١١ أكتوبر، وهذا القرار يتكون من بندين:

١- عدم اعتراف الحكومة المصرية بالممثليات الدبلوماسية والقنصلية بمصر.

٢- التوقف عن دفع الإعانات للصرف على المكاتب الدبلوماسية والقنصلية الروسية (انظر الملحق رقم ١).

علق أ. أ. سميرنوف في رسالته بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٢٣ على هذا القرار، الذى لم يتم إعلامه به رسميًا، على النحو التالى: "توجد خلاصة مرفقة بهذين البندين يفترض أنها تنبع من أساس القرار، وهى تفيد بأن الروس الموجودين الآن في مصر هم في نفس حالة مواطنى البلدان الأخرى غير المتمتعين بالامتيازات. لماذا؟ وكيف يستخلص مثل هذا الاستنتاج من بندى القرار الذى يبدو أنه يحتاج إلى تفسير أوسع لكل التغييرات اللاحقة له ووضع نظام ما آخر لتفسير معنى "المواطنين الروس" والذى يبقى غير مفهوم؟ وفى الوقت نفسه، فإن ما يتعلق بهذه الإضافة من حيث محتواها لا تنبع من بندى قرار مجلس الوزراء بل حتى إنها تناقضهما بشكل صارخ"[٢١٤].

وفقا لأ.أ. سميرنوف، فإن مساواة الروس بمواطنى البلدان الأخرى غير المتمتعة بالامتيازات تغفل أن الأخيرين لهم مبعوثون وقناصل في البلاد (كما هو الحال على سبيل المثال فى حالة الصرب والتشيك والفرس) أو حتى على الأقل قنصل (كما في حالة اليابانيين) لضمان حقوق الجالية والأحوال الشخصية، ولإصدار جوازات السفر والشهادات وصياغة الوثائق.

"عند عدم الاعتراف بحكومتنا فإن المواطنين الروس يحرمون من شيء آخر تمامًا، حيث إنهم يكونون بلا حقوق ويكونون في وضع لم يحدث من قبل حتى الآن ولا يمكن مساواتهم بالأجانب الآخرين"[٢١٥]. واصل أ.أ.سميرنوف رعايته وحمايته للجالية الروسية فتوجه بنداءات إلى كل من السلطات الإنجليزية وممثلى القوى العظمى الأخرى وإلى سلطة الهجرة المركزية بباريس وإلى المنظمات الدولية وغيرها.

لم يرفض الإنجليز مساعدة الروس في "كل حالة على حدة"، ولكنهم أعربوا بوضوح تام عن موقفهم المؤكد وهو "عدم التدخل"، وقد أشار أ.أ.سميرنوف، وهو

يخاطب المفوض البريطانى السيد سكوت، إلى أنه حتى سحب الحماية، عندما كانت إنجلترا مسئولة عن كل ما يحدث في مصر، فهى لم تكن تعترف فقط بصحة تفويضات السفير الروسى، بل إنها كانت تمنح معونة من أجل الصرف على الهيئات الدبلوماسية. فلماذا الآن لا ترغب إنجلترا في دعم الروس؟ أجاب السيد سكوت: "مصر الآن حرة، ولا يجب أن تتدخل بريطانيا في شئونها الداخلية، وبالإضافة إلى ذلك فيجب رغمًا عنا أن نأخذ في الاعتبار وجود سلطة البلاشفة منذ ست سنوات، ومن ناحية أخرى فإنه لم تظهر حتى الآن عناصر معارضة البلاشفة تتمتع بقوة مقاومة كافية، ولذلك يجب أن نعتبر أن جزءًا من الماضى قد مات"[٢١٦]. ولم يبق الكثير من الوقت حتى تعترف بريطانيا العظمى بروسيا السوفييتية.

وفيما يتعلق بالممثلين الدبلوماسيين للدول الأخرى، ففى رأى أ.أ.سميرنوف أن الزملاء الأجانب تعاملوا معه "بتعاطف كبير، لاسيما بالنظر إلى الشكل الحاد وغير اللطيف[٢١٧] الذى تم فيه اتخاذ قرار مجلس الوزراء، وأنهم وافقوا على الفور على إبلاغ طلبى لحكوماتهم"[٢١٨]. وبطبيعة الحال كان ألكسى ألكسندروفيتش نفسه مدركًا أنه ليس من المحتمل أن أيًا من القوى العظمى سوف يقف بنشاط بشأن حماية المهاجرين الروس في مصر، وقد أبلغه المبعوث الأمريكى في اليوم نفسه الرد السلبى الذى حصل عليه شفهيًا من واشنطن: "نتعاطف تمامًا مع وضع الروس، ونجد أنه من الخطأ بالفعل سحب حقوق الامتيازات منهم، ولكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا ترى أنه من الممكن أن تتدخل بنشاط في هذا الأمر، نظرا للوضع الذى تحتله إنجلترا بمصر"[٢١٩]. وقد توقع المبعوث السابق ردًا مشابهًا من جانب فرنسا أيضًا، حيث إن يديها كانتا مقيدتين أيضًا بخصوص

موضوع المغرب. "بالكاد سوف تقرر إيطاليا التدخل بشكل محدد لحمايتنا، أما ما يخص بريطانيا العظمى، فإنها استنادًا إلى تصريحات السيد سكوت، لا ترغب في الخروج عن المسار المخطط له، ولاشك في أنها تواجه مختلف الصعوبات التي تتورط فيها حكومة مصر الحرة" (انظر الملحق ١).

وبهذا الشكل فإن الروس في مصر أصبحوا "فى أسوأ وضع بين من ليست لهم حقوق "الحصانة" وفى أكثر الأوضاع إهانة، والتى لم يكن فيها أبدًا أعضاء الدول المسيحية في بلد مسلم..."[٢٢٠]. وهم الآن قد وقعوا تحت رقابة شيوخ الأحياء وأصبحوا عرضة للمحاكمة أمام المحاكم المحلية، وفى حالة القبض عليهم يجب احتجازهم في السجون المحلية، وقد تم إخطار كل الأجهزة الحكومية بأن الروس في مصر لن يعودوا يتمتعون بحقوق الامتيازات وأنه ينبغى معاملتهم مثلما يتم التعامل مع المواطنين المصريين، وأن البعثة الروسية والقنصليات لم يعد لها وجود اعتبارًا من يوم ٦ أكتوبر، ومن ثم فإن أية وثائق ومستندات تمنحها بعد هذا التاريخ تكون غير قانونية وباطلة.

بالطبع، كان القرار الذي اتخذته السلطات الأنجلو- مصرية، له تأثير هائل على عقول الناس وتصرفات أعضاء المجتمع الروسي، فقرر من يتمتع منهم ببعد نظر أكبر، وبالأحرى من حضر إلى وادى النيل منذ وقت بعيد سابق للأحداث، أن يقطع علاقاته بها حتى لا يتعرض لأخطار إضافية. وهكذا تحسبًا لكارثة وشيكة، فإن المواطن الروسى كرينيننشوجا بنتسيون فلاديميروف الذى هاجر إلى مصر في سنوات الثورة الروسية الأولى وعاش في الإسكندرية في ٢١ شارع شريف، وامتلك "محل ترزى"، أرسل منذ شهر يوليه طلبا إلى المبعوث سميرنوف: "إنى أرغب في تغيير جنسيتى إلى جنسية بلد آخر، إذا كان لا يوجد ما يمنع ذلك من جانب السلطات الروسية. ولكن كما أوضح لى، فإن منح الموافقة على الانتقال إلى

جنسية أخرى خارج اختصاص القنصلية في ضوء ما ورد أعلاه، وبالنظر إلى أنه لم يعد هناك وجود لوزارة الخارجية لا يمكننى ذلك. إن سعادتكم تمثلون أعلى سلطة روسية موجودة الآن بالنسبة للمواطنين الروس الذين لا يتبعون البلاشفة، وأنها قد تصرفت على هذا النحو من قبل مرارًا وتكرارًا على أساس القوانين المتعلقة بإنشاء الوزارة، على سبيل المثال عند تأسيس اللجان القضائية الروسية في مصر. ٢٣ يوليه ١٩٢٣"(٢٢١).

عمقت أحداث عام ١٩٢٣ أكثر الانقسامات في معسكر اللاجئين والتى كانت موجودة من قبل. وفي هذا الصدد فإن المعلوملت التي تقدمها مجلة "فى الغربة"(٢٢٢) عن تقرير عام ١٩٢١ عن معسكر سيدى بشر مفيدة للغاية، حيث إننا نرى أنه يمكن تمامًا تطبيقها على الفترة اللاحقة لإقامة اللاجئين الروس، الذين أصبحوا الآن مهاجرين روسًا في الإسكندرية.

كان اللاجئون المنتمون إلى معسكر سيدى بشر عبارة عن كتلة متنوعة من البشر. "لقد مضى منذ زمن بعيد ذلك الزمن الذى كان فيه مجرد الوجود في صفوف جيش من المتطوعين يمكن فيه تحديد وجه الأشخاص المنتمين إليه. أدى كل من انهيار ما يسمى بالحركة البيضاء ونقد توجهاتها الأيديولوجية والسياسية والاجتماعية، والكشف عن جوانبها المظلمة، إلى تمايز حاد في صفوف القوم الذين كانوا وكأنهم يناضلون من أجل فكرة واحدة، ومن أجل سبب وطنى مشترك. أوجدت هذه العملية البطيئة ولكن المستمرة من التمايز في المعسكرات مختلف الفصائل؛ وفقًا للموقف السابق والنظرة إلى العالم والانتماء الحزبى والوضع السياسى الحالى.

تحطم محيط اللاجئين إلى عدد من التيارات المتعارضة التي لن تجتمع مساراتها بعد ذلك، حيث بقى البعض على الضفة اليمنى، بينما آخرون ذهبوا إلى

الضفة اليسرى، وهذه بطبيعة الحال ليست أحزابًا سياسية ولا جمعيات بينها حدود واضحة يربطها نظام وبرنامج واحد وأنشطتها المشتركة، وإنما هى على الأرجح مجموعات من المؤمنين يحسون ويفكرون ومجهزون نفسيًّا بالطريقة نفسها، متقاربين من حيث المعتقدات والرغبات والغرائز. وهذه المجموعات، ما عدا عدد قليل منها، لم تكن تعمل بنشاط إنما كانت فقط تتشاجر حول القضايا السياسية وتناقش بحماس شديد أساليب إنقاذ روسيا"[٢٢٣].

ثم تواصل المجلة الكتابة أنه على الرغم من تنوع الميول ووجهات النظر السياسية، كان الجزء الأكبر من اللاجئين يميل إلى الديمقراطية، ولم يكن ينتمى إلى المدافعين عن المواقف المتطرفة، وطبقًا لتعداده كان هذا الجزء يمثل أكبر المجموعات التي ما زالت لم تحل لنفسها القضية الرئيسية- هل تنضم إلى روسيا الجديدة التي لا تزال داخل الحدود الإقليمية الراهنة، أم تعيش بأحلام روسيا التاريخية القديمة؟

"بالنسبة لها فإن مسار سياسة روسيا المستقبلى ليس واضحًا، فهى لا تعرف هل سيحدث ذلك في عمليـــة التدخـــل الجديدة، التي لا ترغب في المشاركة فيها، أم أن ذلك سوف يتم من خلال تطور البلشفية، إذا كانت قادرة على التطور؟ ومن هنا ينبع تكتيكها: ثقل الانتظار الذى ليس به ازدهار بعد"[٢٢٤] .

كان اللاجئون الروس السكندريون الذين وقعوا في مجال رؤيتنا ينتمون إلى أكبر طبقة من المعتدلين الروس، وكان يحتل مكانة مشرفة بينهم بحق بيتر ياكوفليفيتش دوبرينيا- كونيوخوف، وقد تحدث عن آرائه المعتدلة والمخلصة كل من مونوتى (سيريكوفا) ت.ن. وكون ت.د.. فى وقت لاحق أصبح بيتر يكوفليفيتش أحد الممثلين البارزين للمهاجرين بمعسكر سيدى بشر، وكان مسئولاً عن المدرسة الروسية.

لقد جاء إلى هناك وتعرض لانتقادات عنيفة من جانب معسكر اليمين الذى اتهم مدير المدرسة بأن له آراء يسارية. كان، بصفة خاصة اتحاد الملكيين الذى تشكل منذ معسكر التل الكبير من ٣٩ شخصنا[٢٢٥]، وقد توجه أعضاؤه مرارًا وتكرارًا للجنرال ريبيرت ف. ب. مبينين له أن "بلشفى يربى ابنه في المدرسة"، وقد أجابهم الجنرال بأن كل الأيقونات بكنيسة المعسكر "ب" موقعة باسم "البلشفى" دوبرين– كونيوخوف، و"أنه لم ير في الكنيسة ولو لمرة واحدة أولئك الملكيين الذين أقاموا حملة ضد مدير المدرسة"[٢٢٦]، وقد اضطر بيتر ياكوفليفيتش دوبرينيا– كونيوخوف إلى أن يتحدث بصراحة عن طريق مجلة "فى الغربة" مدحضًا لتلك الحملة حيث نشر بها "رسالة مفتوحة": "يضطرنى إلى كتابة هذه الرسالة اقتناع راسخ بأنه يجب أن تكون المدرسة بعيدة عن السياسة، كما أنها يجب أن تكون أعلى من أية ميول شخصية وأية مكاسب مالية.

هناك حملة في المعسكر ضدى بصفتى مدير المدرسة الروسية بسيدى بشر، ويقولون إننى بلشفى وإننى أحضر السياسة إلى المدرسة، وإننى مزقت الأعلام من على المسرح، وإننى لست على دراية بالمعارف، كما أننى لست صالحًا لكى أكون معلمًا.. إلخ. من الواضح أن هناك رغبة في السيطرة على المدرسة والقيام بالأعمال بشكل مختلف.

أتوسل إلى الأشخاص الذين يديرون تلك الحملة ضدى أن يتقدموا لى مباشرة بمطالبهم حـــتى يحصلـــوا منى على النصح والإرشاد عن كيف يتخلصون منى إلى الأبد".

ب.دوبرينيا- كونيوخوف

سيدى بشر، نوفمبر عام ١٩٢١[٢٢٧].

لقد كتبنا سابقًا أن اليساريين الروس كانوا أقوياء ومؤثرين في الإسكندرية، وعلى الأرجح، لقد حافظوا، بل عززوا وضعهم بعد عام ١٩١٧، فأولاً استمرت بعض اتحاداتهم في الوجود وهى محافظة إلى حد ما على هياكلها الأولية بعد ثورة أكتوبر والحرب العالمية الأولى، كما حدث ذلك مع اتحاد الروس السياسيين المهاجرين الذى أشرنا إليه (وهنا، نحن لا نميل إلى المبالغة في درجة تنظيمهم ووزنهم السياسى وأهميتهم في حياة الجالية الروسية).

وفى هذا الصدد، توجد أمثلة ملموسة؛ فعلى سبيل المثال من المعروف أن مواطن أوديسا إدوارد زيديرمان الذى انتقل إلى الإسكندرية قبل ثورة أكتوبر تحدث أمام مظاهرة من عدة آلاف من الأشخاص في أول مايو عام ١٩١٩ بالعاصمة الشمالية، وقد واصل الأوديسى السابق نشاطه "التخريبى" بعد ذلك أيضًا، وقد اكتسب شكلاً اضطر القنصل أ.م. بيتروف لإبلاغ شرطة الإسكندرية التي بدورها أبلغت وزارة الداخلية في شهر أغسطس عام ١٩٢١ بأن إ.زيديرمان الذى يملك محلاً لبيع الكتب بشارع أنستازى ينشر المطبوعات البلشفية بين المهاجرين الروس.

ثانيًا، في الفترة التالية للثورة، ولسبب أو آخر، جاء من روسيا إلى الإسكندرية أشخاص جدد يعتنقون الأيديولوجية البلشفية والاشتراكية، ووفقًا لمعلومات السياسى البارز والباحث الاشتراكي والشيوعى الكبير رفعت السعيد، فإن ملازم أول الجيش الأحمر ألكسندر نيقولايف الذى وقع في أسر قوات دينيكين وتم نقله إلى مصر قد ساعد بنجاح ي.زينديرمان في نشر المطبوعات الاشتراكية في أوساط المهاجرين، وقد علم مخبرو الشرطة أنه يباع في المحل المذكور ما يصل إلى ٥٠٠ عنوان من المطبوعات البلشفية، وأن زيديرمان قد نجح في ترجمة كتاب "دعوة للشباب" إلى العربية، هذا الكتاب الذى لم يكن إلا خطبة لينين الشهيرة

بمؤتمر الكومسومول.[٢٢٨] وعلى ما يبدو، لم يكن ذلك هو المثال الوحيد لتعاون المهاجرين "القدامى" و"الجدد" الموالين للاتحاد السوفييتى.

وأخيرًا، لم تتم دراسة موضوع علاقات المهاجرين الروس بالحزب الشيوعى المصرى والحركة الشيوعية العالمية بشكل كامل، كما لم يتم التأكد حتى النهاية من الحقائق عن وجود اتصالات بينهم والتى يمكن أن تسلط من جديد الضوء على مشاركة المهاجرين في الحركة النقابية والعمالية الواسعة نسبيًا بمصر في الفترة من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٤.

وفيما يتعلق بمشاركة الروس في الإضرابات ببلد الأهرام، فإن رفعت السعيد نفسه يقدم معلومات عن مشاركة المهاجرين الروس في الإضراب الشهير بمصنع شركة "إيجولين" بالإسكندرية في عام ١٩٢٤، ومن المعروف أن إضراب العمال السكندريين انتهى باستيلائهم على هذه الشركة، وقد أدى ذلك إلى استغلال حزب الوفد الحاكم هذا العمل العنيف كذريعة لحظر الحزب الشيوعى المصرى والاتحاد العام للنقابات الذى يتزعمه.

لا يمكن تأكيد أنه كانت هناك معارضة واسعة، لاسيما أنها كانت منظمة، ضد السلطة الروسية "القديمة" الممثلة في شخص أ.أ.سميرنوف ومعاونيه القناصل في القاهرة والإسكندرية وبورسعيد، والتى كان لها أساس سياسى خطير. على الأرجح يدور الحديث هنا حول أنه كان من المفهوم أنه قد بقى للسطة السابقة مجرد أيام وشهور معدودة، لذلك فقد استغل الكثيرون هذا الوضع وربما اتحدوا مؤقتًا.

وقد كتب أ.أ.سميرنوف مخاطبًا م.ن. جيرس[٢٢٩] في باريس: "إن الجالية الروسية في مصر قلقة للغاية بشأن سحب حقوق الامتياز منها وعدم وضوح وضعها، وكما يمكن التوقع فإن قادة الأحزاب اليسارية أنفسهم، بصفة خاصة،

يتحركون بنشاط سعيًا للاستيلاء على السلطة على الجالية، أو على الأقل أن يضعوا أنفسهم جزئيًا مكان القنصليات غير المعترف بها. على ما يبدو كانت تصلهم المعلومات في الوقت المناسب وبشكل موسع من مصادر البلاشفة عن قرب سقوط السلطة الروسية الموجودة هنا ونجحوا في تشكيل حزبهم إلى حد كبير"[٢٣٠].

كان في نية المعارضين عقد اجتماع عام للجالية في يوم ١٦ أكتوبر، كانوا يريدون فيه اتهام الدبلوماسيين بإهدار المال العام، وأن ينتقدوا نشاطهم السياسى والإدارى، ولكن كما يشير رئيس البعثة الدبلوماسية الروسية: "وجدت مثل هذه المطالب معارضة من جانب الجزء الحكيم من الجالية وزادت الهوة بين مؤيدى وجهات النظر المختلفة".[٢٣١] وبالإضافة إلى ذلك فإن الشرطة المحلية، التي لم يكن يوحى لها المبادرون بفكرة عقد الاجتماع المزمع بقدر كبير من الثقة، قد منعت عقده، وكان ذلك على ما يبدو ليس بدون تأثير من العميد السابق للسلك الدبلوماسى في القاهرة.

ومع ذلك، فإن القوى العاقلة بالجالية وجدت فرصة للتعبير عن احتجاجها على أعمال، وفقًا لتعبير أ.أ. سميرنوف، المكتب: الأنجلو- مصرى"، التي تهدف إلى حرمان الجالية الروسية من وضع "خارج الحدود" (المترجم: خـــارج الحدود أو *extraterritoriality* هـــى حـــالة الأفراد أو الكيانات القانونيـــة، والمـــؤسسات، أو الأهداف التي سحبت نتيجة تطبيق القانون المحلي ورهنًا (جزئيًا أو كليًا) لقوانين الدولة التي يحملون جنسيتها). عقدت رئاسة جمعية المواطن الروسى في القاهرة، التي تم تأسيسها في عام ١٩١٧، في يوم ٤ نوفمبر ١٩٢٣ جمعية عمومية حضرها أكثر من ٢٠٠ شخص، وشارك فيها ممثلو مدينة الإسكندرية، وقد رأسها مدير العيادة الروسية ك.إ.فاجنر الشهير والذى تحترمه كل الجالية الروسية بمصر.

وقد جاء في التقرير الذى أعدته رئاسة الجمعية العمومية: "إن أى جاويش (المؤلف: رتبة دنيا في الشرطة) يكون من حقه الحضور إلى شقتنا ومعاملتنا وكأننا

فلاحون، ولجهلنا باللغة العربية سوف سنكون بـــلا حـــول ولا قوة عندما يستدعوننا أو يأخذوننا إلى الكراكول (المؤلف: قسم الشرطة)، وإذا أضفنا إلى ذلك أى دور يلعبه "البقشيش" و"بكرة" (المؤلف: أى غدا، بمعنى وعد لن يتحقق أبدا)، فإننا سوف نفهم بسهولة كل جوانب سحر النظام الذى ينتظرنا"(٢٣٢).

ومع ذلك، فإن احتجاجات أ.أ.سميرنوف وأعضاء الجالية الروسية الآخرين لم تحرز أية نتيجة. ولكن تصورات أ.أ.سميرنوف التي ذكرها في خطاب إلى م.ن.جيرس عن أن يشارك الدبلوماسيون الروس في العمل في المكاتب الخاصة بأحوال المواطنين الروس بالحكومة المصرية قد تحققت بمساعدة الأخير، على الرغم من أن ذلك لم يكن فورًا ولكن بعد ثلاث سنوات، وقد قامت السلطات المصرية بتحقيق ذلك كما فعل الآخرون: "حتى الألمان الذين اعترفوا بالبلاشفة– والصينيون الذين رفضوا الاعتراف بالممثلين الروس– قد وزنوا النتائج المترتبة على هذا الفعل وحافظوا، بطريقة أو بأخرى، على الهيئات الروسية، أو اعترفوا بالجديد منها وألحقوا بها الوكلاء الروس السابقين"(٢٣٣).

أدى وضع المنفيين الروس في مصر إلى تفاقم العملية التي لا رجعة فيها والتى بدأت بالاعتراف التدريجى بروسيا السوفييتية والذى أدى إلى حد كبير إلى خسارة الدبلوماسية الروسية التقليدية تأثيرها السابق في هذا البلد ولعب الزمن في صالح روسيا السوفييتية. ذكر أ.أ. سميرنوف في خطابه إلى م.ن.جيرس أنه منذ أواخر مايو عام ١٩٢٣، أصبحت تظهر في الصحافة المصرية "إشارات ملحة عن الوصول المرتقب لممثل البلاشفة إلى مصر". وفى الحقيقة، حصل المبعوث السابق على تأكيد من وزارة الشئون الخارجية على أن هذه الشائعات الصحفية لا أساس لها، وأنه ليس في نية الحكومة الاعتراف بالبلاشفة والسماح لممثلهم بالحضور إلى مصر"(٢٣٤).

ومع ذلك كان من الصعب خداع أ.أ.سميرنوف الذى عاش في البلد ما يقرب من عقدين من الزمن، واكتسب خبرة واسعة في العمل بها، لذلك فقد أخطر بثقة م.ن.جيرس: "إننى أدرك، مع ذلك، أنه في هذا الوقت تمامًا جاء إلى هنا وكيل البلاشفة السيد جالوب ومن قبله السيدة ليوتشيا مورينا، وهى يهودية من موسكو، بتفويض قوى جدًا وواسع النطاق. وعلى ما يبدو فهما نجحا في ترتيب لقاءات مع بعض موظفى الوزارة من الصف الثانى"(٢٣٥).

وفيما يتعلق بالاعتراف بالبلاشفة وإقامة علاقات دبلوماسية مع روسيا السوفييتية، فقد كان الوضع على النحو التالى.

منذ يناير عام ١٩٢٣ في مؤتمر لوزان الخاص بالشرق الأوسط، قام مفوض الشعب للشئون الخارجية ج.غ.تشيتشيرين بإثارة موضوع تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الوفد المصرى، وقد أعلن أعضاء الوفد، الذين كانوا في الواقع يؤيدون هذه المبادرة، بأنه لا توجد لدى النظام المستعمر البريطانى أية اسباب قانونية تجعله يقف ضد إقامة علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفييتى ومصر بعد حصول الأخيرة على استقلالها الرسمى في عام ١٩٢٢، وقد كتب مفوض الشعب للشئون الخارجية في ٢٥ أبريل عام ١٩٢٣مخاطبًا سفير الاتحاد السوفييتى في إيطاليا ف.ف.فوروفسكى: "بالتأكيد سوف تلتقون المصريين في لوزان، فرجاءً استغلوا هذه الفرصة لكى تبدءوا أخيرًا العمل وتسلموا الحكومة المصرية دعوة لإقامة علاقات دبلوماسية"(٢٣٦) وفى المحادثات مع الوفد المصرى وكذلك في خطابه إلى ف.ف.فوروسكى ركز ج. ف. تشيتشيرين على الاهتمام بالعلاقات التجارية ذات المنافع المشتركة.

بعد مقتل ف.ف.فوروسكى في مايو عام ١٩٢٣، أصبح السفير السوفييتى الجديد في إيطاليا إ.إ. يوردانسكى مسئولاً عن تقرير هذا الأمر، فأرسل رسالة

لوزير الشئون الخارجية واصف غالى بك، اقترح فيها "إقامة علاقات سياسية وتجارية بين البلدين، خاصة مع أخذ العلاقات الاقتصادية القوية التي ربطت بين روسيا ومصر على مدى سنوات عديدة"(٢٣٧).

وعلى الرغم من أنه نتيجة للانتخابات البرلمانية في مصر تم تأسيس حزب الوفد الوطنى إلا أنه لم يقرر إثارة موضوع إقامة علاقات مع الاتحاد السوفييتى رسميا، وكذلك فيما بعد عندما جاء حزب الوفد إلى السلطة.

ومع ذلك، فقد عقدت اجتماعات بين الدبلوماسيين السوفييت والمصريين في أنقرة ولندن وباريس في خــلال أعــوام ١٩٢٠ - ١٩٢٤، وكان الجانب المصرى لا يمانع في إقامة علاقات بين البلدين، ولكنه أثار بإصرار كبير مسألة ضرورة اعتراف الاتحاد السوفييتى بعدم سريان نظام الامتيازات وامتناعه عن القيام بدعاية ثورية في مصر وعن مبدأ تصدير الثورة.

تخلى الاتحاد السوفييتى عن حق التمتع بالامتيازات، وكان ذلك متسقًا مع سياسته، إذا تذكرنا أنه بعد ثورة أكتوبر مباشرة أعلنت الحكومة السوفييتية عن المعاهدة السرية لتحالف "أنتانت"(*)، أما بخصوص الدعاية الشيوعية فكان ذلك أمرًا أكثر تعقيدًا بقدر كبير، حيث إنه كان يتم في هذا البلد أيضًا تنفيذ شعار تصدير الثورة العالمية له.

كان الحزب الشيوعى المصرى والمؤتمر العام لعمال مصر، الذى كان يشرف عليه الحزب، قد قاما بإرسال أعضائهما إلى موسكو؛ حيث التحقوا بالدراسة بجامعة إ.ف.ستالين الشيوعية لعمال الشرق، وبعد التخرج في الجامعة، كانت

(*) entente- تحالف عسكرى سياسى للدول الإمبريالية في عام ١٩٠٧ لمواجهة الاتحاد الثلاثى الذى ضم ألمانيا، والنمسا- المجر، وإيطاليا) - . (المترجم)

الكوادر التي تم إعدادها بها تسافر إلى مصر وتشارك بنشاط في الأنشطة الثورية، وكان يتم القبض عليها ومحاكمتها وإلقاؤها في السجون.

بعد إرسال الشيوعيين إنذارًا "خطابًا مفتوحًا" في عام ١٩٢٤ لحزب الوفد الحاكم أعربوا فيه عن رغبتهم في السيطرة على حركة التحرير الوطنية بالبلاد والاستيلاء بمبادرة منهم على مصنع "إيجولين" لعصر الزيت، وجهت حكومة الوفد ضربة قوية للغاية للحزب الشيوعى المصرى وللمؤتمر العام لعمال مصر في يوم ١٣ مارس عام ١٩٢٤، قد أفاد النشطاء الشيوعيون الباقون على قيد الحياة بأنه بقى فقط ٢-٣ من أعضاء اللجنة المركزية أحرارًا: "إننا محطمون بمعنى الكلمة فنيًا ومعنويًا"[٢٣٨].

أدى كل من الحماس الثورى الذى تحول إلى عقيدة وقد زاد حجمه كل من الكومنتر(*) والبروف إنترن(**) والكريستنفورم الذين دفعوا الشيوعيين للمواجهة مع حزب الوفد والمجتمع المصرى، وقد وصل الأمر إلى أن اصدر مفتى البلاد فتوى تدين الشيوعية والبلشفية.

كما أزعجت السلطات الاستعمارية والمصرية حقيقة أنه، وفقًا لتقارير الصحافة المحلية، فإن السكان حرصوا على معرفة التغيرات التي تحدث في الاتحاد السوفييتى، ومن منظور اليوم فقد وجدت حالة تناقض: فمن جهة، رغبت قيادة الاتحاد السوفييتى في إقامة علاقات دبلوماسية مع مصر، أما من جهة أخرى فكان يتم إعداد كوادر ثورية بجامعة إ.ف.ستالين الشيوعية لعمال الشرق مما كان يدفع هذه الدولة بعيدًا عن روسيا السوفييتية.

(*) منظمة دولية وحدت بين الأحزاب الشيوعية بمختلف البلاد. (المترجم)

(**) منظمة دولية للنقابات الراديكالية تم تكوينها في موسكو في يوليه عام ١٩٢١. (المترجم)

اضطرت المواجهة مع حزب الوفد ومحاكمة الشيوعيين المصريين في عامى ١٩٢٤- ١٩٢٥، وكذلك حقيقة تعليم شباب المصريين في موسكو ثم إرسالهم إلى مصر للقيام بنشاط ثورى، سلطات هذا البلد إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة. "بعد الكشف عن الحركة الشيوعية بمصر، قررت وزارة الشئون الداخلية تعزيز الرقابة على موانئ البلاد وحدودها، وهو ما تحدثنا عنه من قبل.[٢٣٩]

وقد تم وضع هذه الرقابة من أجل منع دخول شخصيات لا توجد معها وثائق شخصية سليمة بكل حزم ودون مرونة كما يحدث في العالم كله.

كما سينشئ وزير الشئون الداخلية مكتبًا خاصًا بالعريش من أجل غربلة المسافرين إلى مصر، وسوف تكون المساعدة التي يقدمها هذا المكتب مهمة جدًا بالنظر إلى أن غالبية الشيوعيين الذين يتسللون إلى مصر يستخدمون الممر الفلسطيني.

ومن ناحية أخرى، فإن مفتشى الأمن العام سوف يكونون دائمًا موجدين في القطارات بين العريش والقاهرة لكى يراقبوا ركابها ويراجعوا وثائقهم الشخصية"، وتواصل جريدة "لاريفورم": "ومن بين التدابير التي اتخذتها الحكومة المصرية للقضاء على الدعاية الشيوعية أنه من حق سلطات الموانئ المصرية السماح فقط للروس الحاملين لجوازات سفر مختومة بتأشيرات الدخول من قبل السلطات القنصلية المصرية مع وجود ضمانات جدية بالنزول إلى البر.

وها هى السفينة الروسية "تشيتشيرين" قد رست للتو إلى مينائنا (المؤلف: الإسكندرية)، وتراقبها الشرطة حتى مغادرتها"[٢٤٠].

استمرت مراقبة السفن السوفييتية والتعامل معها بيقظة حتى بعد ذلك، وقد أفادت جريدة "لاريفورم" نفسها: "بعد ظهر الأمس ظهرت سفينة تحمل العلم السوفييتى أمام الإسكندرية، وعلى الفور أخطر البكباشى سالم بك واليوزباشى إبراهيم أفندى لطفى معالى وزير الشئون الداخلية إسماعيل باشا صدقى بذلك.

أعقب ذلك أمر فورى بمنع السفينة من الدخول إلى الميناء أو إنزال أى شخص، وبالإضافة إلى ذلك انتشرت قوارب الشرطة حول السفينة.

كان يوجد على هذه السفينة، بالإضافة إلى ٣٤ راكبًا يعتزمون النزول، بضائع خاصة بتاجر في الإسكندرية"[٢٤١].

سرعان ما تبع ذلك بعض التساهل مع السفن السوفييتية التي تصل إلى الإسكندرية: كما سبق، لم يكن من الممكن نزول الركاب أو البضائع في الإسكندرية، ولكن كان يمكن للقبطان الذهاب إلى الشاطئ[٢٤٢].

بطبيعة الحال، لم يكن يمكن لهذا الحذر أن يتجاهل المهاجرين الروس في مصر، حيث إن السلطات المحلية كانت تشتبه في وجود صلات لهم مع الكومنترن والحزب الشيوعى المصرى، ولم يكن ذلك دون سبب، ثم قامت بترحيل ٢٥ مهاجرًا في يوليه ١٩٢٥ إلى روسيا. أرسل مفوض الشئون الخارجية ج. ف. برقية احتجاج لزميله المصرى ذو الفقار باشا معبرًا عن آماله الواثقة بأنه لن يتم تكرار مثل هذه الحوادث في المستقبل".[٢٤٣] ولكنها تكررت، فقد استمرت السلطات الأنجلو- مصرية، كما في السابق، في إركاب اللاجئين الروس الذين ليست لديهم تأشيرات دخول بالقوة على السفن السوفييتية بكل من الإسكندرية وبورسعيد.

تعرضت أيضًا فروع الشركات السوفييتية بالإسكندرية "أركوس" و"روسوتيورك" وشركة الملاحة البحرية "سوفتورفلوت"، التي حافظت بصعوبة على النفس الأخير للتجارة بين مصر وروسيا السوفييتية لتمييز اقتصادى وسياسى، بل حتى إنجازاتها المتواضعة تعرضت لاختبارات قاسية، فكان الجانب المصرى يفرض أحيانًا (ليس دون تأثير من جانب سلطات الاستعمار البريطانية ورجال الأعمال) ضرائب مزدوجة، أو يتم تفريغ شحنات السفن السوفييتية (لأسباب أمنية) على الطرق الخارجية لميناء الإسكندرية، أو كان يتم منع تام لنشاط الممثليات التجارية

السوفييتية بالإسكندرية بسبب حدث سياسى ما؛ لذلك لم تصل نسبة مصر في دورة التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتى في أفضل الفترات إلى ٣%، حيث كانت أقل بكثير من المستوى الذى كانت عليه قبل الحرب.

أدى حرمان اللاجئين من حقوق الامتيازات إلى فقدهم لكل حماية لهم، وسبق ذلك قرار من اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا ومجلس مفوضى الشعب لجمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية الاشتراكية في ١٥ ديسمبر ١٩٢١ بأن جميع الأشخاص الذين سافروا من البلاد بعد يوم ٧ نوفمبر ١٩٢١ دون إذن السلطة السوفييتية أصبحوا لا يحملون بالجنسية الروسية، وهكذا أصبح المنفيون الروس وكأنهم معلقون في الهواء، مشردون تمامًا.

٢,٥. الدبلوماسيون الروس في الهجرة

أصبح وضع اللاجئين الروس لا يطاق على الإطلاق بسبب وفاة أ.أ.سميرنوف[٢٤٤] في ٥ فبراير عام ١٩٢٤، فقد كان ألكسى ألكسندروفيتش حقًا "أبا" للجالية الروسية، وقد فعل الكثير للمجتمع السكندرى، وليس لمجرد أنه عاش وقام بأعمال السفير لمدة ٥-٦ شهور ساخنة في السنة في جو الإسكندرية البارد نسبيًا مثل كل حاشية الخديوى وجهاز موظفى الدولة، تقريبًا لم يتم اتخاذ أى قرار أو عمل أية خطوة بخصوص الروس في العاصمة الثانية لمصر دون علم الوكيل الدبلوماسى والقنصل العام أ.أ.سميرنوف الذى شغل هذا المنصب في البلاد طوال ما يقرب من ٢٠ سنة، وقد عاش المبعوث بالإسكندرية في مقر إقامته الصيفى بحى بولكلى بالرمل على شاطئ البحر في الجزء المتوسط من المدينة.

ترجع أصول الدبلوماسي إلى مدينة بطرسبورج، وبعد تخرجه في كلية الشرق بجامعة العاصمة في تخصص "الصف العربي- الفارسي- التركي- التتري "تم تعيينه موظفًا "إضافيًا" على الهيكل الوظيفي بإدارة آسيا في وزارة الشئون الخارجية في ٢٨ أكتوبر عام ١٨٨١. تزامن تعيين سميرنوف بوزارة الشئون الخارجية مع تدهور الوضع في الدول العربية بأفريقيا، حيث استولت فرنسا على تونس وحولتها إلى مستعمرة، واندلعت في مصر ثورة أحمد باشا عرابي المناهضة للاستعمار والتي انتهت بالاستعمار الإنجليزي للبلاد، ويمكن أن نقول بمنتهى الثقة إنه كان على الدبلوماسي الشاب الاصطدام فورًا بمشكلات أكبر ولاية بالإمبراطورية العثمانية؛ حيث كانت هذه المشكلات محل اهتمام كبير لدى دوائر المجتمع وكذلك لدى الدوائر الدبلوماسية في روسيا.

تم تعيين سميرنوف في فبراير عام ١٨٨٥ مساعدًا لسكرتير السفير الروسي بالقسطنطينية؛ حيث عمل بها أكثر من عشر سنوات، وفي مارس ١٨٩٧ تم نقل سميرنوف إلى وظيفة السكرتير الأول بالبعثة الروسية في اليونان التي كانت في ذلك الوقت في حالة حرب مع تركيا.

نتيجة لعمله لسنوات عديدة وخدماته الجليلة للعرش القيصري تم منحه في يوم ٦ ديسمبر عام ١٩٠٢ بمرسوم إمبراطوري لقب "كامرهير" (المترجم: يعادل لقب شامبرلين بفرنسا) القصر الإمبراطوري. وفي عام ١٩٠٣ تمت ترقيته إلى وظيفة نائب مدير إدارة بمجلس الدولة.

أثبت سميرنوف أنه عالم بموضوعات الإسلام والعرب، وأنه ممثل سياسي لروسيا واسع المعرفة وذو ثقافة ممتازة فتم اختياره عميدًا للسلك الدبلوماسي بالقاهرة، وبقي كذلك حتى عام ١٩٢٣.

إدراكًا من الحكومة الإمبراطورية لأهمية مصر المتنامية بصفتها مركزًا إقليميًا تم رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الروسي والذى طبقًا له أصبح أ.أ.سميرنوف مبعوثًا فوق العادة ووزيرًا مفوضًا[٢٤٥].

خلال مسيرته تم منحه العديد من الأنواط الروسية والأجنبية (منها أنواط الجبل الأسود والأنواط التركية والفارسية والبلغارية واليونانية).

تم تعيين أ.أ. سميرنوف وكيلاً دبلوماسيًا وقنصلاً عامًا بمصر في ٣١ يناير ١٩٠٥، وقد حضر كمارهير القصر الإمبراطورى إلى مكان عمله في يوم ٢٣ أبريل، وانغمس فورًا في حياة مصر السياسية الصاخبة. وترأس البعثة الدبلوماسية للإمبراطورية الروسية بعد هزيمة روسيا في الحرب الروسية اليابانية، وقد نقلت الحكومة القيصرية على وجه السرعة الأسطول والقوات المسلحة إلى الشرق الأقصى عبر قناة السويس، ولكن وفقًا لاتفاقية القسطنطينية فإن قناة السويس مغلقة أمام السفن الحربية للدول المتحاربة، ثارت بسبب ذلك قضايا صعبة تطلبت من القنصل العام حذا أقصى من الطاقة واللباقة.

خلق الإنجليز "الأسياد في مصر" الكثير من المشاكل التي لم تبق أى آمال لفرض السيطرة على هذا الممر المائى[٢٤٦].

كانت الحكومة الإمبراطورية مدركة لذلك، لذلك تصدت بكافة الطرق للخطط الإنجليزية، واعتبرت أن ذلك الموضوع أحد الاتجاهات الرئيسية في نشاط الممثلية الدبلوماسية بوادى النيل. توجد معلومات تفيد بأنه في النصف الأول فقط لفترة عملها، تمكنت من تحقيق مرور ٧٠ سفينة حربية ونقل عليها ١٢٣ ألفًا من أفراد الرتب الدنيا. وقد كتب حول هذه المساعدة الكبيرة "التى لم تكن سهلة على الإطلاق في بعض الأحيان وحساسة للغاية" كتب رئيس "لجنة بورسعيد لترحيل العسكريين من الشرق الأقصى" العقيد ف. أ. أرتامونوف بهيئة أركان الحرب

للمبعوث تقريرًا بتاريخ ٢٢ يونيه ١٩٠٦ جاء فيه: "في ختام مهمتي بمصر، أرى أن من واجبي الأخلاقي أن أطلعكم على التعاون الكامل من جانب قنصلي السويس وبورسعيد الذي قدماه بخصوص موضوع الإجلاء..."(٢٤٧).

وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض الدوائر الإسلامية في مصر التي استرشدت بالأتراك الشباب رحبت بحماس بانتصار اليابانيين الذى كان يمثل بالنسبة لهم انتصار الشرق المستعبد على الغرب، على الرغم من أنه كان من الواضح وجود قوتين استعماريتين كبيرتين- روسيا واليابان- تتواجهان في هذه المعركة الشرسة. لم تكن المشاعر المناهضة لروسيا في مصر ذات طابع جماهيرى، ولكنها على الرغم من ذلك جلبت الكثير من المتاعب خلال الحرب العالمية الأولى عندما تم تكثيف الدعاية المؤيدة لتركيا في البلاد.

خلق تصاعد حركة التحرير الوطنية المصرية صعوبة معينة لعمل سميرنوف بالقاهرة، حيث إنها لم تكتسب فقط سمة مناهضة البريطانيين ولكن بصفة عامة لكل الأجانب، وترافقت الموجة القوية لتصاعد حركة التحرير مع قضية "دنشواى" الشهيرة. ففى يوم ١٣ يونيه ١٩٠٦ أصابت مجموعة من الضباط الإنجليز وهى تصطاد الحمام بالقرب من قرية دنشواى بمحافظة المنوفية زوجة إمام مسجد القرية(*)، فقام الفلاحون بضرب البريطانيين بالعصى والحجارة؛ مما أدى إلى وفاة أحدهم، وحكمت المحكمة على أربعة فلاحين بالإعدام شنقًا وعلى ١٢ منهم بالسجن لمدد مختلفة وعلى ٨ بالعقاب البدنى. أثارت محاكمة سكان قرية دنشواى حملة احتجاج وطنية قوية أدت إلى أعمال أخرى مناهضة

(*) هناك روايات عدة لقصة حادثة دنشواى تذكرها كتب التاريخ المصرية وهى تختلف قليلاً عن هذه الرواية فى أن الضباط لم يصيبوا زوجة إمام المسجد وإنما تسبب طلقهم النارى فى إشعال النار فى الحصاد - المحرر

للبريطانيين، وهو ما أحس به المبعوث الليبرالى[٢٤٨]. وقد سارعت هذه الأحداث بشكل ملحوظ إلى تعامل سميرنوف مع عالم الواقع المصرى والدخول فيه.

يبين تحليل أول البرقيات والتقارير أنه شهرًا بعد شهر، وسنة بعد أخرى، كان سميرنوف ينغمس أكثر في مكنون ما يحدث من عمليات في بلد الأهرام، وفى غضون سنة أو سنتين أصبح يرسل مذكرات تحليلية وتحاليل رائعة للواقع الدينى والاجتماعى والسياسى لمصر، وكذلك عن الوضع الدولى المرتبط بها.

بدأ أ.أ. سميرنوف في العمل بمصر في ظروف مستقرة لسياسة الإمبراطورية الروسية نحو هذه الولاية الأكبر العثمانية، والتى عمل بها عشرات السنوات. منذ أن دعمت روسيا الحركة الانفصالية لعلى بك الكبير في الستينيات والسعينيات من القرن الثامن عشر، وإنشاء أول قنصلية روسية في عام ١٧٨٤ بناء على قرار من كاترين الثانية، شجعت روسيا التطلعات السياسية لمصر نحو قدر أكبر من الاستقلال عن الباب العالى، ولم تكن للإمبراطورية الروسية أية خطط توسعية حيالها. كانت روسيا تحتاج إلى مصر المحايدة وقناة السويس المحايدة لنقل البضائع والمستوطنين والجنود إلى الشرق الأقصى.

تميزت العلاقات الثنائية بالمساواة في الحقوق والاحترام المتبادل والصداقة، على الرغم من مشاركة الباب العالى في الحروب بين مصر وتركيا. وهكذا جاء في تقرير رسمى لوزارة الخارجية للقيصر عن عام ١٨٧٨[٢٤٩]: "فى التعليمات الموجهة من وزارة الشئون الخارجية لنائب رئيس الإدارة ليكس لفت انتباه ممثلنا أساسًا إلى حقيقة أن يحاول بقدر الإمكان إضعاف تأثير إنجلترا الذى اكتسب وزنًا حاسمًا في مصر؛ لذلك فقد تم إصدار الأوامر له بتجنب التدخل المباشر في شئون حكم مصر، ولكن بأن يحاول الحصول على تأثير شخصى على الخديوى ووزرائه، وأن يعمل على أن يتم فهم أنه على الرغم من الأسلوب العدائى لتعاملهم

أثناء الحـــرب الأخيـــرة، فـــإن الحكومة الإمبراطورية لا تزال متعاطفة مع مصالح مصر".

قبل سنة واحدة بالضبط من وصول أ.أ. سميرنوف إلى القاهرة، كان نيقولاى الثانى نفسه قد وافق على هذه السياسة تجاه بلد الأهرام؛ لذلك جاء في برقية سرية لوزارة الشئون الخارجية (تنطبق أيضًا على مصر) بتاريخ ٢٤ أبريل عام ١٩٠٤ موجهة إلى المبعوث الروسى في برلين الكونت أ.أ.أوستن- ساكين أنه "ليس لروسيا مصالح مباشرة في مصر"، وقد أدخل نيقولاى الثانى على ورقة هذه البرقية تصحيحًا على جملة رئيس مؤسسته للعلاقات الخارجية بقلم أزرق: "ما عدا القيمة الخطيرة لقناة السويس، الضيعة القيصرية، ٢٦ أبريل ١٩٠٤"[٢٥٠].

لم يبق على أ.أ. سميرنوف إلا الامتثال الصارم لهذا الحكم الصادر من وزارة الشئون الخارجية وسلوك الحاكم الروسى المطلق، كما أثرى كامرهير القصر الإمبراطورى مضمون وشكل العلاقات بين روسيا ومصر بقدر كبير. جذب عدم تدخل روسيا في الشئون الداخلية لمصر اهتمام حكامها منذ فترة طويلة، فكانوا نظرًا للضغوط الإنجليزية - الفرنسية، وبعد ذلك الإنجليزية وحدها ومساعدتهم يعتمدون كثيرًا على عون القناصل العاملين الروس.

أدت هذه السياسة المستقرة للدبلوماسية الروسية تجاه مصر إلى طفرة كبيرة في التعاون بين البلدين، فقد بدأت تتطور العلاقات في مجلات الجيولوجيا وعلم الآثار والسياحة والطب وعلم المصريات والدراسات العربية، كما تطور التعاون الاقتصادى والتجارى، وعمق تداخل الثقافات والآداب بين الجانبين، وتم تبادل الزيارات بين الأشخاص من الأسرتين الملكيتين: أسرة رومانوف، وأسرة محمد على.

كان المبعوث مدركًا لضرورة وجود علاقات حسنة مع رئاسة أكبر ولاية تركية واستفاد من ميثاقه المزدوج، فأقام علاقات وثيقة جدًا مع الخديوى والأمراء،

وقد اتخذ الكثير من الإجراءات الفعالة من أجل تنظيم وتنفيذ زيارات أعضاء أسرة محمد على الحاكمة لروسيا، ويدين له بالذات الأمير المصرى محمد على، شقيق الخديوى عباس حلمى الثانى، بدرجة كبيرة لقيامه بزيارات إلى سيبيريا والشرق الأقصى في طريقه إلى اليابان باستخدام طريق السكة الحديدية العابر لسيبيريا والذى كان قد تمت إقامته للتو، وكذلك إلى القوقاز وآسيا الوسطى في عام ١٩١٠.

وفيما يلـــى مـــا كتبـــه أ.أ. سميرنوف بهذا الشأن لوزير الشئون الخارجية أ. ب. إيزفولسكى: "لقد زارنى في الآونة الأخيرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على، شقيق الخديوى، الذى قام في أواخر الصيف برحلة إلى اليابان مرورًا عبر كل من روسيا وسيبيريا، وقد أعرب لى الأمير عن امتنانه للترحيب الذى تم به استقباله بروسيا، وعلى جميع وسائل الراحة التي تم توفيرها له خلال الرحلة، وطلب منى الأمير أن أنقل امتنانه لسعادتكم.

وأخيرًا، تذكر الأمير محمد على استقبال الإمبراطور ألكسندر له هو وشقيقه الخديوى الحالى عندما كانا صبيين[٢٥١]، وقال إنه أثناء هذه الزيارة شعر دائمًا بأنه ضيف الإمبراطور، وأنه يرغب بشدة في معرفة الإمبراطور لتقديره العميق ولإحساسه بالإخلاص.

يعتزم محمد على القيام برحلة في الصيف القادم إلى آسيا الوسطى وإلى القوقاز، وقد طلب منى إبلاغ سعادتكم بذلك، على أمل في أن الحكومة الإمبراطورية لن يكون لديها شيء ضد مثل هذه الرحلة، وهو يقدم الشكر مسبقًا على كل التسهيلات والراحة التي سوف يكون من الممكن تقديمها له"[٢٥٢].

من المفارقات الغريبة، أن المعارضين الرئيسيين لأ.أ.سميرنوف أثناء أدائه واجباته الرسمية كانوا مواطنيه الروس. كما ذكرنا سابقًا، كان من "أضجر" المبعوث بصفة خاصة هم الثوريون الروس في عامى ١٩٠٧ و١٩١٣، عندما

وقف المجتمع متعدد الجنسيات، القوى جدًا والمنظم جدًا، وبصفة أساسية بالإسكنرية، بكل شدة ضد ترحيلهم من مصر فحدث ما يلى في الإسكندرية في عام ١٩٠٧: أهين وأذل رئيس البعثة الدبلوماسية الذى يقوم بواجبه الرسمى والوطنى نظرًا لخلع شعار القيصر من بوابة القنصلية وقيام كتل بشرية بالدوس عليه بأقدامهم فتقدم باحتجاجات مضنية للورد كرومر، وفى نهاية المطاف تمكن من الحصول على اعتذار رسمى من السلطات الأنجلو- مصرية ووضع الشعار في موقعه الأصلى وترحيل الثوريين إلى أوديسا يرافقهم رجال الدرك[٢٥٣].

كما أشرنا من قبل، كان المبعوث يعتبر أن إحدى أولويات عمله الرئيسية في وادى النيل هى العمل بنشاط لمقاومة رغبة إنجلترا في تحويل مصر إلى مستعمرة لها، وفى هذا الصدد فإن الممثل الدبلوماسى الروسى كان يعتبر أنه من غير المقبول إلغاء المحاكم المختلطة الموجودة في البلاد، حيث كان يرى أنه تختبئ تحت غطاء تبسيط التشريعات والعدالة حسابات سياسية عميقة بأن يتم أولاً استبدال المحاكم المصرية ثم الإنجليزية بها. كان المبعوث يقف باستمرار أيضا في مواجهة قيام سلطات المستعمرين الإنجليز بإلغاء نظام الامتيازات، حيث إنه كان يعتبر أن إبطاليا ليس في وقت مناسب، لأن إلغاءها يساهم في تحقيق خطط الإنجليز لأن يصبحوا أسيادًا مطلقين بوادى النيل. ولكن كان للتاريخ رأى مختلف، فبالرغم من اتساق أعمال الجالية الروسية برئاسة أ.أ.سميرنوف في موضوع منح مصر السيادة، فقد تم حرمانها من الامتيازات، بل إن الإنجليز لم يلغوها فقط، بل بفضل مناوراتهم السياسية (منح استقلال صورى لمصر، وإشهار دستور جديد أبتر) زادوا بشكل كبير من وجودهم في هذا البلد.

أوصى سميرنوف الحكومة بأن ترد بالرفض على اقتراح الإنجليز بالحصول على مضيقى البوسفور والدردنيل في مقابل الموافقة على ضم بريطانيا العظمى

لمصر. إلى حد كبير، بسبب هذا الموقف الحازم والثابت لممثل الدبلوماسية الروسية بالقاهرة، حافظت مصر رسميًا على حالة الحكم الذاتي السياسي في الإمبراطورية العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى.

جلبت الحرب العالمية في أعوام ١٩١٤- ١٩١٨ اختبارات جديدة لأ.أ. سميرنوف، حيث بدأ يصل من جبهاتها إلى مصر مئات من المواطنين الروس الجرحى والأسرى، وكان يجب ترتيب أمورهم كلهم، فأنشئت في مصر "اللجنة الروسية لمساعدة ضحايا الحرب بالإسكندرية" برئاسة القنصل أ. م. بيتروف، حيث بدأت أعمالها في ١٣ أكتوبر عام ١٩١٤، وكانت ترسل دوريًا نسخًا من محاضر اجتماعاتها إلى سميرنوف الذى كان يشرف مباشرة على أعمالها.[٢٥٤] يدور الحديث عن أحجام هذه الأعمال الإضافية في رسالة القنصل بيتروف بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩١٨ لسميرنوف: "بالإشارة إلى تقاريرى السابقة يشرفنى أن أبلغ الوكالة الدبلوماسية، استنادًا إلى تقارير من السلطات المدنية البريطانية وقنصليتنا ببورسعيد، أنه قد وصلت إلى المدينة الأخيرة دفعة جديدة من الأسرى الروس المحررين يبلغ عددها ٥٨٦ شخصا..."[٢٥٥].

ومع ذلك، لم يكونوا هم الوحيدين الذين جلبوا متاعب إضافية للممثل الدبلوماسى الروسى في بلد الأهرام، فنتيجة لهجوم القوات التركية في فلسطين تحت قيادة مشرفين ألمان، فر إلى مصر مئات بل آلاف من اليهود معظمهم من أصل روسى، حيث يتضح من خطاب سميرنوف بتاريخ ٢ فبراير ١٩١٥ لصديقه المقرب وشريكه في فكره رئيس مكتب الشركة الروسية للملاحة والتجارة (روبيت) وإلى رئيس جمعية المسرح الروسى أ. إ. مولتشانوف: "...الآن الأعمال هنا كثيرة، فاليهود الهاربون من فلسطين الذين وصل عددهم حتى الآن إلى حوالى أربعة آلاف من المحطمين والجوعى، وهم يمثلون مصدر قلق كبير"[٢٥٦].

حفظت بأرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية قوائم كثيرة لهؤلاء التعساء الذين جاءوا إلى وادى النيل.(٢٥٧) حاول عدد من المهاجرين اليهود مغادرة أراضى مصر فورًا إلى أستراليا وشمال وأمريكا جنوبها وإلى أوروبا، ولكن كان يوجد منهم من ربط مصيره مع مصر، لذلك فقد كانوا دائمًا يوجدون على مرأى من السلطات القنصلية الروسية الذين كانوا طوال عملهم يحاولون بقدر الإمكان مساعدة اللاجئين اليهود. كانت كل هذه المسائل تحت رقابة المبعوث الصارمة.

فى هذا الصدد، توضح الوضع تمامًا تلك الوثيقة التي أرسلها أ.أ.سميرنوف إلى الدبلوماسى الروسى ج.ج. مالك المسئول عن لجنة مساعدة اللاجئين الروس بمشاركة مباشرة ومبادرة من المبعوث: "إن موقفكم بالنسبة للمبالغ التي أنفقتها لجنة مساعدة اللاجئين الروس التي ترأسونها كان يمثل مرارًا وتكرارًا موضوع أكثر الأحاديث جدية بينى وبينكم، وإنفاقكم خلال شهرين مبلغ ٢٩٠ جنيهًا مصريًا على السيارات والولائم التي صاحبت وصولكم إلى المعسكرات، وتجاوزاتكم اختصاص الرئيس على هواكم في تقديم المنح من نقود، اللجنة أصبحت مثار أحاديث وجذبت اهتمام الإنجليز..."(٢٥٨).

تزايد اكتئاب ألكسى ألكسندروفيتش سميرنوف، وقد كتب عن ذلك بصراحة في رسائل ما قبل الحرب: "أشعر بوحدة شديدة، حيث ليس لدى الحق للحديث مع أحد، كما كتب مخاطبًا أ. ي. مولتشانوف في يوم ٢٧ أبريل: "١٩١٣" أتذكر بفرحة كبيرة الأمسيات الرائعة التي أمضيتها هنا معكم، ومهما طالت فترة جلوسنا معًا يتبقى شىء لم نَقُلْه لبعضنا. ببساطة لقد استعدت شبابى في خلال إقامتكم هنا. من الصعب التآلف مع الناس قرب الشيخوخة، ولكن دقة التفاهم المتبادل تسهل من التوافق، وقد تأثرت جدًا نتيجة لسفركم من هنا، وشكرًا يا عزيزى أناتولى

يفجرافوفيتش على هذه اللحظات وعلى موقفكم الودود، أتمنى لكم ولماريا جافريلوفا (المؤلف: ممثلة روسية شهيرة م. ج. سافينا)، أتمنى لكم كل خير والاستمرار في الولاء الروحى الصادق".[٢٥٩] كان المبعوث يقصد إقامة الزوجين في مصر في نهاية عام ١٩١٢.

تقارب أ.أ. سميرنوف مع عائلة مولتشانوف إلى حد كبير جدًا: بالإضافة إلى تبادل الخطابات المستمر، والتعامل بخصوص موضوعات العمل (كان يوجد بالإسكندرية عدة وكلاء للشركة الروسية الملاحة والتجارة التي كان يرأسها مولتشانوف)، كان في كل إجازة يزور الزوجين بكاربوفكا بالقرب من مدينة بيترسبورج، كما أن الأخيرين حلاً في ضيافة سميرنوف في أشهر الشتاء، وفى هذه المرة أيضًا دعاهما المبعوث لقضاء شتاء ١٩١٣/١٩١٤ بمصر، ولكن لم يحدث ذلك. "... لقد خدعتماني!... كنت طوال الشتاء أنتظر حضوركما، ولكنى انتظرت بلا جدوى. قضيت الشتاء في صخب؛ حيث كان يوجد الكثير من السائحين والرحالة من علية القوم، لقد تعبت إلى حد كبير. إن شاء الله، سوف أكون في أوائل أكتوبر ببترسبورج وسوف أجيء إلى كاربوفكا. فليحفظكم الله! تمنياتى القلبية، أ.أ.سميرنوف"[٢٦٠].

ولكن لم يكن من المقدر حدوث ذلك، فقد قطعت الحرب زيارات كبار الضيوف والأصدقاء الذين كانوا ينوعون حياتهم الروتينية، والذين كان يمكن الترويح عن النفس معهم بتبادل الأحاديث الصريحة، وهو ما يمثل نقصًا رهيبًا في خلال الإقامة الطويلة بالخارج.

لم تضف الأخبار القادمة من وزارة الخارجية الروسية والقرارات السياسية التي اتخذها رئيسها س.د.سازونوف لا التفاؤل ولا حتى الاطمئنان والثقة إلى مزاج أ.أ.سميرنوف، بل على العكس أدت إلى تفاقم مشاعر قلقه على مستقبل مركزه الوظيفى، كتب عن كل ذلك لأ.ى. مولتشانوف وبصراحة: "كما كنت أتوقع ذلك،

فلم نتلق أى شىء في عيد الفصح، لا أنا ولا أى أحد من مرءوسيّ الذين قدمتهم، في الوقت نفسه الذى تم فيه مكافأة كل أصدقاء سازونوف بشكل غير معقول، حيث تم تكريم كل من سفيربييف ونوراتوف بنوط "أنا"، وكلاهما أصغر منى سنًا بكثير... إنه لأمر محزن عندما ترى أنه مهما اجتهدت يتخطاك آخرون ولا تستطيع أن تفعل شيئًا حيال ذلك. وفى الوقت نفسه يصبح من المخجل أن تعمل في مجال الدبلوماسية، حيث إن علاقتها بالجبل الأسود وتبعيتها للنمسا شىء مخزٍ والتبرير المخجل أمام الدوما- كل ذلك بغيض تمامًا. أشتاق تمامًا لشىء جديد موهوب وقوى.. أكتب لكم بصراحة مدركًا أن حزنى هذا سيقابل بتعاطف من جانبكم"(٢٦١).

كتب أ.أ. سميرنوف وصيته في عام ١٩١٦، وحيث إنه ليس لديه عائلة وأطفال، فقد ترك كل شىء لشقيقاته ولشقيقه وأولادهم. كانت شقيقات ألكسى ألكسندروفيتش أولجا (سميرنوفا) وماريا (نوفاكوفا) وناتاليا (بيكوفا) في ٢٠ نوفمبر ١٩١٦، وقت كتابة الوصية، في مدينة بتروجراد، أما شقيقتاه الأخريان إليزافيتا (كريلوفا) وألكسندرا (شيل) فكانتا في مدينة خاركوف، بينما كانت الشقيقة الأخرى أنا (تشيركاسوفا) بمدينة يكاترينبورج. أما مكان إقامة الشقيق الوحيد للمبعوث (مرة أخرى وفقًا للوصية) فلاديمير ألكسندروفيتش سميرنوف الذى كان يشغل منصب نائب مدير إدارة، وهو منصب رفيع بوزارة الشئون الداخلية فكان هو أيضًا ببطروجراد(٢٦٢).

استقبل أ.أ.سميرنوف ثورة فبراير البرجوازية بروسيا بفهم وكرامة، فبعد مظاهرة احتفالية حاشدة أمام القنصلية العامة، استقبل وفدًا من المشاركين فيها برئاسة المندوب الروسى بصندوق الدين المصرى السيد بروزور الذى قدم له نداءً مرفقًا به نص برقية موجهة للسلطات الجديدة بروسيا صاغه المشاركون في

المظاهرة: "نحن المواطنين الروس من كل القوميات المواطنين بمصر، نعبر عن تعاطفنا العميق وثقتنا المطلقة بالأشخاص الذين يوجهون الآن مصير روسيا إلى مستقبل جديد والأخوة بين الشعوب المناضلة تحت لوائها، ونرسل تمنياتنا الحارة إلى جيشنا المجيد وقادته الذين لا يقهرون!".

كتب المبعوث في رسالته لميليوكوف بتاريخ ٢٥/١٢ مارس ١٩١٧: "لقد أعربت، ردا على الوفد، عن ثقتي الكاملة في النتائج الناجحة للأزمة الحالية؛ حيث إن أسماء الأشخاص القائمين على رأس الحكومة يستحقون هذا الاطمئنان لهم. وقد أضفت أن السلطة موجودة في أيدٍ أمينة وأن الرغبة في الانتصار على العدو تضاعفت عشرة أضعاف في روسيا الحرة..."[٢٦٣].

لم يعترف المبعوث سميرنوف بثورة أكتوبر ولا بروسيا السوفييتية، وأطلق على مجلس مفوضي الشعب تعبير "عصابة من المغتصبين الذين استولوا على الوطن بعد سقوط السلطة الشرعية"[٢٦٤].

بذلك، من مفارقات القدر أن الجالية الروسية كانت هي الأولى بين ١٧ جالية أجنبية كبيرة بمصر التي لها حقوق "خارج الحدود"، احتاج إلغاؤها إلى نمو الحركة الوطنية للبلد، وذلك على الرغم من أن موقف قادتها كان بصفة عامة مناهضا للبريطانيين حول مسألة الحكم الذاتي واستقلال دولة مصر.

وفي هذا الصدد كانت أول ضربة من قبل القدر السياسي الغدار موجهة له هو بالذات- السفير ألكسي ألكسندروفيتش سميرنوف.

لن تكون قصتنا كاملة دون الإشارة إلى نشاط أ.أ.سميرنوف الأدبي، ذلك الدبلوماسي "التيوتشوفي" الطراز،[٢٦٥] فبالإضافة إلى مسيرته الدبلوماسية، تجدر الإشارة إلى نجاحاته الكبيرة في مجال الأدب، وبصفة خاصة الشعر، وقد وصلت

إلينا مجموعة أشعاره التي كتبها عندما أكمل دراسته بالكلية الشرقية بجامعة سانت- بيترسبورج، يدور الحديث هنا عن القصائد الغنائية التي كانت مكرسة غالبًا للفتاة الحبيبة إلى قلبه في شبابه فيرا شيرفود [٢٦٦].

كان يكتب النثر أيضًا، وتنتمى إلى أعماله النثرية المبكرة ملاحظاته حول سفره إلى جبل أتوس[٢٦٧]. التي وصف فيها بوضوح حياة سكان ذلك الجبل الذين تعرف عليهم عندما كان سكرتيرًا بالسفارة الروسية في القسطنطينية. كان هذا الدبلوماسى قد زار معظم الأديرة العشرين الواقعة بشبه جزيرة أتوس: "كان الجبل المقدس واقفًا بمعزل عن الاضطرابات السياسية ببيزنطة، وكان يعيش حياة روحية مطلقة، ولم يكن هناك أى تأثير للغرب اللاتينى عليه، وكانت غزوة اللاتينيين الكاثوليك الصليبيين فضلاً عن غارات القراصنة، قد أدت فقط إلى بناء جدران ضخمة بها أبراج دفاعية حول الأديرة.

وجد جبل أتوس نفسه تحت الحكم التركى، ولكن لم يتأرجح في عقيدته، وبسقوط الإمبراطورية البيزنطية انتهت حقبة الأديرة اليونانية، ولكن لم يدمر الإسلام المقدسات الأرثوذكسية: حصل جبل أتوس على مختلف الامتيازات أيضًا من الأتراك، فتم الحفاظ على حكمه الذاتي واستمر في حياته النسكية.

بالنسبة لنا نحن الروس، فإن جبل أتوس يجب أن يكون عزيزًا بصفته جزءًا متبقيًا على قيد الحياة من العالم الروحى الذى كانت أشعته أول ضوء أنار ظلام روسيا الوثنية. إن كلا من دير كييف- بيتشيرسكايا ودير ترويتسى- سيرجييفسكايا هو فرع من ذلك العالم مزروع في تربة مختلفة ونما فيها...".

أشار الدبلوماسى الشاب إلى أنه "لا يوجد على جبل أتوس أية أبقار أو إناث حمير أو فراخ رومية أو دجاج، وأنه قد تم إبعاد كل إناث الحيوانات بعيدًا عن حدود الجبال المقدسة، وأن بيض الدجاج كان يجلب من الجزر المجاورة"[٢٦٨].

ولكن لم يغفل انتباه سميرنوف حقيقة أن هناك في الأراضي المقدسة لجبل أتوس التي في نواح كثيرة تذكرنا بروسيا "المتعبدين الروس بقمصانهم الواسعة وصنادلهم مع حقائب الظهر على أكتافهم والعصى في أيديهم، والكهول ذوى الشعر الشائب وفتيان من الشباب وأطفال..." ، الرهبان المحليين يغتنون ثم يبنون قصورًا رخامية في الجزر القريبة.(٢٦٩)

فى وقت لاحق، ولرغبة ألكسى ألكسندروفيتش في توسيع فهمه للبلدان المحيطة وتعميق معرفته التي حصل عليها بكلية الشرق بجامعة سانت-بيترسبورج، وأيضًا مع استخدام حظه الدبلوماسى الذى منحه أعلى منصب دبلوماسى في مصر التي تقع بين ثلاث قارات، فقد واصل التعرف على العالم الأوروبى- الآسيوى- الأفريقى المحيط به. بالطبع لم يمكنه تفويت فرصة زيارة البلد الأسطورى المجاور السودان، الذى كان يعتبر جزءًا مما كان يسمى في ذلك الوقت السودان الأنجلو- مصرى والذى زال سريعًا، ولكن على الرغم من ذلك كان مربحًا جدًا لبريطانيا العظمى، وكذلك لطبقة رجال الأعمال البرجوازيين المصريين التي كانت تجمع قواها ببطء.

فى يوم ٥ أبريل عام ١٩١٢، أخطر أ.ى.مولتشانوف بأن: "الجو قد أصبح بالفعل حارًا عندنا، وقد مر الشتاء- ولله الحمد- فقد كان لدى الكثير من الأيام المملة والصعبة، ومع ذلك فقد تمكنت من الهروب والسفر إلى السودان في شهر يناير. سافرت أيضًا من الخرطوم إلى الجنوب- عن طريق النيل الأزرق- حتى شنعار، وعن طريق النيل الأبيض إلى أبو جونما، ثم عدت عن طريق البحر الأحمر عبر بورسعيد، وقد رأيت الكثير من الأشياء الشيقة: طبيعة غريبة علينا، سكانًا عراة شبه بدائيين، تماسيح وأفراس النهر، طيور مائية غريبة... والبلد نفسه المثير، للاهتمام والذى له مستقبل كبير"(٢٧٠).

جذبت مهارة أ.أ. سميرنوف الأدبية انتباه المعاصرين، فشهد أحدهم، الذى جاء إلى القاهرة في عام ١٩٠٨، بأنه شخص "ليس غريبًا على الأدب" ووصف قصته الشعرية التاريخية "سكليرينا" (سانت بترسبورج، ١٩٠١) بأنها "مقالة شعرية أنيقة عن آداب الشرق، لفتت أنظار الجمهور والنقاد في وقت واحد"[٢٧١].
ذاعت شهرة مجموعة أشعار أ.أ.سميرنوف "من غسق الماضى"؛ حيث ضمت قصصًا وروايات "ناتاشا" و"الساحرة" و"رجل في وشاح أبيض" و"ليلة" و"فى أعماق الأزرق السماوى". حاول الأديب سميرنوف التوغل في أعماق عالم أبطاله، وقد نجح في ذلك وبصفة خاصة في الوصف النفسانى لشخصياتهم ودوافع تصرفاتهم[٢٧٢].

لا تخلو تجربة اشتراك أ.أ.سميرنوف في مجموعات الأشعار، جنبًا إلى جنب مع أساتذة الشعر في أوائل القرن العشرين من الإثارة، ويمكن الاطلاع على قصائده في تقاويم الشعر الروسى في هذه الفترة، وقد ضمت إحداها أعمالاً للشعراء ك.بالمونت، أ.بيلى، أ.بلوك، س. كيتشيتوف، ف.سولوجوب، ف، خوداسوفيتش، وكان الجوهر الرئيسى لأعمال التقويم موضوعًا ساخنًا جدًا هو "المدينة، المصنع، الحضارة" معبرًا عن الحنين إلى الهواء النقى وإلى الطبيعة الحرة، وقد كرس أ.بيلى لذلك الموضوع قصيدة "فى الشارع": "من خلال المداخن الصفراء المتربة/ أجرى فاتحًا مظلتى/ وتبصق مداخن المصانع/ دخانًا في الأفق النارى"، كما كرس بلوك إحدى القصائد المطبوعة به "مصنع" للبيئة، كما أن أ.أ. سميرنوف نشر قصيدة قصيرة في التقويم نفسه:

انظر: تغطيه ظلال منقوشة،

كما لو كان نزوة جن أسطورى غاضب،

مليء بالأضواء من رأسه إلى أخمص قدميه،

يقف مصنع في ضباب الليل.

اصغ: في صمت منتصف الليل،

أتسمع كيف يتسارع نفس طويل؟

تارة يرتعش من ثقل النحاس،

وتارة يندفع "مولوخ" من ثقل الفكر.

فى فكين حديديين لوحش نارى،

يستعبد الناس نهارًا وليلاً،

ينسون الأحلام ولا يأملون في الخلاص،

يعرفون فقط صيحة: "إلى الأمام!"

حلم غامض لأبخرة المستنقعات

هيئة مصنع في ثياب غريبة،

وهو يلقى حوله الظلال متشائمًا،

يضيء، يضيء بنار لا تنطفئ".

وقد ضمت المجموعة الشعرية قصائد سميرنوف "البطل الشمسى"، "ميليساندا"، "الأمير يهوذا"، "القوة المالكة" و"المدينة الصغيرة"(٢٧٣).

فى أعوام ١٩١٧- ١٩١٩ نشر المبعوث في القاهرة أشعاره الغنائية المفضلة المنتقاة من بين أعماله التي ألفها على مدى أربعين سنة، والتى حاول من خلالها فهم حياته التي عاشها فلسفيًا(٢٧٤). تبين المجموعة المختارة من الأشعار أن ألكسى

سميرنوف قد بدأ يكتب الشعر في سن مبكرة، ويضم الجزء الأول أشـــعارًا تمـــت كتابتها في عام ١٨٧٢، عندما أتم مؤلفها السنة ١٥ من عمره فقط:

لا، لن يتحلل جسدى،

أنا لا أريد الموت،

لا أريد أن أفهم

أسماء الموت وظلمة النسيان

أنا- ملك الأرض، أنا- تاج الخلق،

الشمس في يوم مشمس!...

هل لذلك منحت الوعى،

من شرارة النار المقدسة؟

لكى أعيش وأحب وأتعذب؟

لا، لن أطفئ المشتعل-

فأنا لا أريد الموت!

سانت- بترسبوررج ١٨٧٢[٢٧٥].

دون الدخول في تحليل الأعمال المبكرة للشاعر ألكسى سميرنوف، حيث إن ذلك ليس ضمن خطتنا، نلاحظ أن أفكار الدبلوماسى المخضرم الناضجة تمامًا، متأصلة في القصيدة المقدمة أعلاه، وهى مقدمة على هيئة شعر جيد مع قدر من التفلسف.

لسوء الحظ لا يوجد بين الأشعار التي في حوزتنا ما هو مخصص لموضوع مصر، ولكن يمكن أن يكون للقصيدة المقدمة فيما يلي صلة بالأحاسيس عند التأمل في آثار وادى النيل القديمة.

أكروبولوس

فى الأسفل، عند سفح التل الرمادى،

وهو ملىء بالأيام المجيدة

يرقد بلد- بلد قديم

كله في وهج الشمس والظلال.

قمم تلال ضبابية بعيدة

ساحل خليج ممتد،

وطريق "إليفزينا" بعيد

يتلوى وسط الزيتون على المنحدر.

توقفت الحياة في الحرارة الشديدة...

والهواء الساكن... والرياح نائمة...

وأسرار الماضى في راحتها

لا يظهرها رخام الألواح القديمة...[٢٧٦].

اتفقت نغمات التشاؤم في شعر المبعوث أثناء سنوات الحرب مع مزاجه الحزين الذى أمسك بخناقه في خلال هذه الفترة، عندما كتب وصيته ***Then Finish "the Last Song"***

أنهي الأغنية... تزحف الساعة الأخيرة،

انس هذه الليلة، فقد أزاح النهار الحلم بعيدًا...

الأيدى العطشى تسعى متسائلة: من يمكن أن تحتضن؟

لا يمكن الحفاظ على الحلم... لقد احتضنت الفراغ

إلى صدرى وأنا مليء بالكدر![٢٧٧].

كثيرًا ما كان يجرى نشر أعمال الكاتب أ.أ.سميرنوف في روسيا وخارجها، وبصفة خاصة في مصر، وحتى الآن ما زالت بعض هذه المطبوعات محفوظة في المكتبات الروسية[٢٧٨]. وفقًا لروايات المعاصرين، وبصفة خاصة الدبلوماسى السفير الحالى لروسيا الاتحادية بالمملكة العربية السعودية والمستشار بجمهورية مصر العربية، والذى كان في ذلك الوقت متدربًا بوزارة الخارجية بالقاهرة أ.أ.باكلانوف، فإنه كان يمكن في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى العثور على كتاب أ.أ.سميرنوف بين أكوام الكتب المعروضة بميدان الأوبرا بالقاهرة.

ربما يمكن أن يكون مثالاً واضحًا على إبداع المبعوث الروسى جزء من خطابه إلى أ.ى. مولتشانوف، والذى تمت الإشارة إليه سابقًا، وطلب فيه أ.أ.سميرنوف المساعدة على نشر أعماله على شكل ملحق للمجلة الروسية "نيفا" ذات الشعبية الكبيرة جدًا: "منذ فترة طويلة وأنا أنوى اللجوء إليكم يا عزيزى أناتولى يفجرافوفيتش بطلب، فربما تعرف شخصًا، وربما يكون لك تأثير لدى هيئة

تحرير "نيفا"، حيث إننى كنت أود أن يجعلوا أعمالى الشعرية الكاملة هدية ملحقة بالمجلة. بالطبع لن تكون الطباعة فاخرة، ولكن عدد النسخ ضخم، ويتم التوزيع على نطاق واسع- وإن صح التعبير "فى ذلك مجد". وبالإضافة إلى ذلك فهم يدفعون نقودًا ليست سيئة، والآن عندما يقدمون أعمال مامينا- سيبيرياك وبودين باعتبارها هدايا، فقد يكون من الممكن لى أنا أيضًا التجرؤ لكى أكون مرشحًا، فإن ذلك بلاشك سيزيد من شعبية اسمى، وبعد ذلك سيكون من الأسهل علىَّ الشروع في النشر لدى ناشرين أكثر احترامًا، على سبيل المثال لدى أ.أ. ليفينسون... لقد تجمع لدى قدر من الأشعار والنثر والفكاهات وكتابات عن الرحلات والملحوظات تكفى لإصدار ٤- ٥ أجزاء من مختلف المواد. كيف تجد وجهة نظرى هذه؟ ولكنى أعتقد فقط أنه ينبغى الإسراع في ذلك، حيث ربما يجب إقناعهم مسبقا...".(٢٧٩).

كان المصريون هم أيضًا يعرفون "ازدواجية" سميرنوف باعتباره كاتبًا ودبلوماسيًّا، فوفقًا للنعى المنشور بالمجلة الأسبوعية ***"L'Illustration Egyptienne"*** بتاريخ ٢٠/٤/١٩٢٤: "إن وجود عدد كبير من المسئولين المصريين بجنازته يدل على الاحترام الكبير الذى كان يحظى به الدبلوماسى والأديب الراحل أ. سميرنوف".

استهلك النضال من أجل بقاء الجالية على قيد الحياة، بعد ثورة أكتوبر وبعد الإجراءات المعادية للروس والتى اتخذتها السلطات الأنجلو- مصرية، إلى حد كبير جدًّا قوى وصحة "أب" الجالية الروسية، ففى هذه الفترة بالذات أصيب أ.أ.سميرنوف بالمرض المسمى "مرض النيل" الذى يتسبب فيه أساسًا الحياة الطويلة المستمرة دون انقطاع في مناخ حار ورطب، وقد كافح الدبلوماسى هذه المشكلة بشكل ناجح إلى حد ما، ولكن للأسف وقع له حادث مؤسف: ففى أثناء عبوره أحد الشوارع المزدحمة بالناس على دراجته صدمته سيارة فأصيب المبعوث السابق

بكسر أحد عظام كعب قدمه. كانت العملية الجراحية التي قام بها فريق الأطباء الروس برئاسة ك.إ.فاجنر ناجحة، ولكن كان التحام الجرح يسير بصورة سيئة؛ نظرًا لسابق إصابته "بمرض النيل"، وسرعان ما حدثت له مضاعفات ثم تسمم دمه ووافته المنية.

توفى ألكسندر ألكسندروفيتش في مساء يوم ١٨ فبراير عام ١٩٢٤ بشقته بالمنزل رقم ١٤ شارع الشيخ أبو سابا بحى عابدين في وسط القاهرة. وقد جرت مراسم جنازة سميرنوف في يوم ١٩ فبراير بكنيسة القديس قسطنطين والقديسة هيلينا الأرثوذكسية اليونانية ببولاق أمام الزمالك، وقد أنشدت جوقة بقيادة الوصى على العرش العقيد السابق ف.ف. فاسيليف القداس بالهيكل وقداس ومراسم دينية بكنيسة مار جرجس.

وفقًا لرغبة سميرنوف تم وضع شاهد متواضع على قبره بدون ذكر من كان المرحوم، وكان كامرهير القصر الإمبراطورى قد ذكر في وصيته التي كتبها باللغة الفرنسية منذ ٢٠ نوفمبر عام ١٩١٦: "إذا مت بمصر فأرجو عدم تحنيط جسدى، وفى حالة الرغبة في نقل رفاتى إلى روسيا بعد إجراء عملية التحنيط المؤقتة، لا يجب كذلك تحنيطه، وأنا لا أعارض على الإطلاق بقاء رفاتى إلى الأبد بمصر. وسوف يعطى جورج بن لطف الله[٢٨٠] مبلغًا من أجل الجنازة والشاهد وشراء مكان بالمقابر، بحيث تكون الجنازة متواضعة تمامًا. أرجو عدم وضع باقات الزهور وعدم إلقاء كلمات، وأن يكون الشاهد بسيطًا للغاية على هيئة لوحة عليها صليب مكتوب عليه "ألكسى سميرنوف، ولد في ٤ سبتمبر عام ١٨٥٧، وتاريخ الوفاة. يا إلهى، هذه كانت مشيئتك".

لقد كتبت هذه الوصية بنفسى ووقعت عليها أنا ألكسى ألكسندروفيتش سميرنوف في ٢٠ نوفمير عام ١٩١٦. كاتب الوصية: المبعوث الإمبراطورى فوق العادة والوزير المفوض ونائب الإدارة كامرهير جلالة الإمبراطور. توقيع"[٢٨١].

هكذا أنهى هذا الرجل غير العادى الذى فعل الكثير لمواطنى بلده للعلاقات الروسية المصرية حياته بشكل متواضع ومأساوى.

أدى العثور على قبر مواطن بلدنا العظيم الذى حمى مصالح الروس بمصر في أعوام ١٩٠٥- ١٩٢٤ إلى إعادة الاهتمام بشخصه، فأعادت سفارة روسيا بالقاهرة والقنصلية العامة وممثلية مركز روسيا بالخارج بالإسكندرية ترميم شاهد قبر ألكسى سميرنوف وكذلك بضعة عشرات من قبور روس موجة الهجرة الأولى بالمقابر الأرثوذكسية بالقاهرة القديمة والشاطبى بالإسكندرية.

جـــرى افتتاح اللوحة الرخامية الجديدة والكنيسة الروسية المجددة في يوم ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٢ بحضـــور سفير روسيا بجمهورية مصر العربية المرحوم ن.ف. كارتوزوف الذى ألقى كلمة، والقنصل العام ن.ف. خولوف عضوىْ البعثات الدبلوماسية والقنصليات بكل من عاصمتى مصر، وممثلى وسائل الإعلام، وكذلك الكثير من مواطنى روسيا والضيوف، وقد تم أثناء الافتتاح وضع أكاليل الزهور وإقامة قداس أداه مطران الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بجمهورية مصر العربية وكل أفريقيا ديميترى (نيتسفيتاييف)، وقد ألقى كلمة كل من نائب القنصل بالقنصلية العامة بالإسكندرية ومدير المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية ج.ف.جارياتشكين.

يعود الكثير من الفضل لحقيقة أن "أب" مستعمرة المهاجرين الروس بمصر نجح في كثير مما كان عليه القيام به، من ضرورة توفير الرعاية اللازمة والعاجلة لهم، إلى الدبلوماسيين الروس الذين شاركوا مبعوثهم قدره. كان مساعده الأول هو

القنصل بالإسكندرية ألكسى ميخايلوفيتش بيتروف، وفى القاهرة- الدبلوماسيان س.ب.رازومــوفسكــى ون.إ.فينــوجــرادوف، وفـــى بورسعيد القنصل بالنيابة أ.ي.نيسين.

بعد وفاة أ.أ.سميرنوف أصبح سيرجى بافلوفيتش رازوموفسكى الذى ولد في عام ١٨٧٥ (توفى بالقاهرة في ١٩٤٧/٩/٢٠) هو الشخصية الرئيسية بالبعثة الروسية[٢٨٢] بمصر، وفى المقام الأول بالقاهرة. كان القنصل الإمبراطورى يعمل بمدينة يافا قبل الحرب العالمية الأولى، ثم تم نقله منها إلى القاهرة وإلحاقه بالوكالة الدبلوماسية، وبعد تصفيتها في عام ١٩٢٣ أصبح "حارسًا لأرشيفات البعثة الروسية بمصر"، ومن المرجح تمامًا أنه على ما يبدو أنه قد ساهم في نقل الأرشيفات الدبلوماسية الرئيسية للبعثة لممثلى السفارة السوفييتية بعد إعادة العلاقات الروسية (السوفييتية)- المصرية في عام ١٩٤٣، وقد رأس المكتب الروسى في القاهرة في مايو ١٩٢٦، ولكنه رأسه لسنة واحدة فقط لسبب غير معروف، ثم سلمه إلى ن.إ.فينوجرادوف. كان رازوموفسكى متزوجًا، وقد دفنت زوجته هى أيضًا بهيكل مار جرجس بالقاهرة القديمة (١٨٧٨-١٩٤٠).

كان رئيس القنصلية بالإنابة بالقاهرة منذ وجود أ.أ.سميرنوف هو نيقولاى إيفانوفيتش فينوجرادوف (١٨٨١- ١٩٣٥)، وقد كان ينتمى إلى الطبقة المتوسطة بمدينة موجايسك، وعند تخرجه فى معهد لازاريف للغات الشرقية بجامعة موسكو الحكومية والقسم الدراسى بالإدارة الأولى في وزارة الخارجية في عام ١٩٠٨، تم تعيينه في "الرتبة العاشرة في العمل الحكومى"[*] واعتبارًا من شهر يونيه عام

(*) كان قد أصدر القيصر بطرس الأول في عام ١٧٢٢ قانون نظام الخدمة في الإمبراطورية الروسية، يحدد تسلسل الرتب طبقًا للأقدمية والتتابع وعمل الرتبة، وكان في البداية يتضمن ٢٦٣ وظيفة، واعتبارًا من الرتبة ١٤ كان العاملون يعتبرون من النبلاء. (المترجم)

١٩١١ طالبا بالسفارة الروسية في القسطنطينية، وفى ديسمبر ١٩١٠ سكرتيرًا ومترجمًا بالسفارة في سراييفو، ومن مايو ١٩١٢ رأس قنصلية بالإنابة في مدينة سكوتارى باليونان، وفى سبتمبر ١٩١٢ تم إرساله إلى سيتينا بكرواتيا لتعزيز أعضاء البعثة الدبلوماسية بها، وفى يناير ١٩١٤ تم إرساله مترجمًا إلى البعثة الدبلوماسية بالحبشة، حيث بقى إلى أن رحل إلى القاهرة في عام ١٩٢٠[٢٨٣].

بعد وفاة ن.إ.فينوجرادوف في عام ١٩٣٥، رأس "المكتب الروسى" بالقاهرة العقيد م.ف.سكارياتين الذى رحل إلى أوروبا في نهاية الأربعينيات، وقد حل محله ب.ف. أنتاكى. وفقًا لبعض التقارير فقد استمر "المكتب الروسى" بالقاهرة حتى عام ١٩٦٣ عندما تناقصت الحاجة الفعلية لوجوده؛ نظرًا للانخفاض الكبير لتعداد الجاليات الروسية في كل من الثلاث مدن الرئيسية: القاهرة، والإسكندرية وبورسعيد.

وأخيرًا كان ألكسى ميخايلوفيتش بيتروف- الشخصية الرئيسية لمجتمع الروس السكندرى لأكثر من ثلث قرن- قد ولد في موسكو في ٢٢ سبتمبر/٤ أكتوبر ١٨٧٦ في عائلة من أسلاف أقطاب نبلاء مقاطعة تامبوف، وكان والداه من الأورثوذكس- والده النقيب أركان حرب ميخائيل إيفانوفيتش بيتروف وأمه أناستاسيا ديميترييفنا أندرييفسكايا. وكان والده يمتلك ضيعة مساحتها حوالى ١٠٠ دسياتينا(*)، بينما كانت أمه تمتلك أرض مساحتها ٩٠٠ ديسياتينا في المقاطعة نفسها [٢٨٤].

يرجع نسب[٢٨٥] العائلة التي تحمل لقب بيتروف حاليًا، من ناحية الأم، إلى أندريه إيفانوفيتش لوبوخين مستشار الملكة وأول حاكم لمقاطعة تولا في عهد كاترين الثانية، والذى تزوج ابنة إيجناتى كيريلوفيتش أندرييفسكى وهو من كبار الملاك بمقاطعة موسكو. أما من جهة الأب فيرجع نسبها إلى عائلتى بيتروف

(*) الدسياتينا وحدة قياس المساحات، وهى تعادل ١,٠٩٢٥ هكتار. (المترجم)

وجيتكوفى، وهما من كبار الملاك بمقاطعتى ساراتوف وتولا. كما يتضح فإن بيترف كان سليل عائلات نبيلة من وسط روسيا.

عند تخرجه فى المدرسة الثانوية التقليدية في عام ١٨٩٤ التحق بالدراسة في معهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وتخرج فيه في عام ١٨٩٧، وقد جاء بشهادة تخرجه بمعهد لازاريف للغات الشرقية: "أنه نظرًا للنجاحات الباهرة لبيتروف ألكسندر ميخيلوفيتش في علوم الأدب العربى والأدب الفارسى واللغة التركية التتارية وتاريخ الشرق، والأدب الروسى والممارسة العملية للغة التركية واللغة الفارسية والخط الشرقى واللغة الفرنسية، مع سلوكه الممتاز، فقد تم منحه حق الرتبة العاشرة (انظر الرسم التوضيحي).

АТТЕСТАТЪ.

По Указу ЕГО ИМПЕРАТОРСКАГО ВЕЛИЧЕСТВА, отъ Совѣта Специаль-
ныхъ Классовъ Лазаревскаго Института Восточныхъ Языковъ данъ сей аттестатъ
Александру Михайловичу Петрову, потомственному дворянину, сыну полковника,
родившемуся *двадцать второго сентября тысяча восемьсотъ семьдесятъ шестого года,*
православнаго вѣроисповѣданія, въ томъ, что онъ, поступивъ по аттестату зрѣлости
Тамбовской гимназіи въ Августѣ 1894 года въ число студентовъ перваго курса Спе-
ціальныхъ Классовъ Лазаревскаго Института Восточныхъ Языковъ, въ Маѣ 1897 года
окончилъ полный курсъ въ сихъ классахъ и за оказанные имъ **отличные** успѣхи въ
наукахъ—***арабская словесность, персидская словесность, ту-***
рецко-татарскій языкъ, исторія востока, русская словес-
ность, практика: турецкаго языка, персидскаго языка и
арабскаго языка, восточная каллиграфія и французскій
языкъ,— при **отличномъ** поведеніи, опредѣленіями Совѣта Специальныхъ
Классовъ, 24 Мая 1897 года и 31 Октября 1898 года состоявшимися, на основаніи
§§ 164 и 173 ВЫСОЧАЙШЕ утвержденнаго 16 Декабря 1872 года Устава Лаза-
ревскаго Института Восточныхъ Языковъ, а также ст. 1103 и 1112 Св. Зак. Т. XI
ч. 1-й изд. 1893 года, удостоенъ права на чинъ ДЕСЯТАГО КЛАССА (X), въ како-
вомъ и утверждается при поступленіи въ Государственную службу, согласно ст. 1079
того же тома Св. Зак., § 178 Устава Института и 68 ст. Св. Закон. изд. 1896 года
Т. III Устава о службѣ по опред. отъ Правительства. Право же его, Петрова, на
поступленіе въ военную службу и на производство потомъ въ офицеры опредѣляется
существующими по Военному Вѣдомству правилами, на основаніи ст. 64 пунк. 1-й (по
жеребью), ст. 195 пунк. 1-й (вольноопредѣляющимися) и прилож. къ ст. 61 Устава о
воинской повинности (изд. 1897 года), какъ лица, окончившаго курсъ учебнаго заведенія
перваго разряда. Москва. Ноября 23 дня 1898 года.

№ 2594

Директоръ Лазаревскаго Института Восточныхъ Языковъ, Ординарный Профессоръ ИМПЕРАТОРСКАГО Московскаго Университета, Дѣйствительный Статскій Совѣтникъ и Кавалеръ



شهادة إتمام م.أ.بيتروف للدراسة بمعهد لازاريف للغات الشرقية بجامعة موسكو

أتم أ.م.بيتروف في الفترة من عام ١٨٩٧ إلى عام ١٨٩٨ برنامج القسم الدراسى بالإدارة الآسيوية بوزارة الخارجية، وكان مسئولاً عن علاقات روسيا مع بلدان الشرق الأدنى والأوسط والأقصى وآسيا الوسطى وشبه جزيرة البلقان، وبعد اجتيازه امتحان التخرج تم تعيينه طالبًا بالسفارة في القسطنطينية، أو بمعنى آخر تم إلحاقه بالسفارة متدربًا.

سمح له في ديسمبر بقبول وارتداء الوسام التركى "عثمانى من الدرجة الرابعة"، وفى مارس عام ١٩٠١ تمت تسميته "مستشارًا مدنيًا" من الرتبة التاسعة نظرًا لتفانيه طوال خدمته، وفى سبتمبر عام ١٩٠٣ تم تعيينه سكرتيرًا للقنصلية العامة بالقدس، وفى مارس عام ١٩٠٥ تم منحه الرتبة الثامنة (مستشار اسمى) نظرًا لخدماته طوال عمله، وفى مارس من العام نفسه سمح له بقبول وحمل وسام صليب القدس الذهبى مع جسيمات من الشجرة المانحة للحياة" وتسميته "صليبى القلب المقدس".

حصل في عام ١٩٠٦ على التكليف التالى بتعيينه نائبًا للقنصل في مقاطعة "فيليبوبول" (المترجم: مقاطعة حربية إدارية باليونان)، وفى يوليه عام ١٩٠٩ تمت ترقيته إلى الرتبة السابعة (مستشار القصر)، وفى العام نفسه تم تقليده وسام "المقدسة أنا" من الدرجة الثالثة وسمح له جلالته بقبول وحمل "وسام أمير الجبل الأسود دانيل " من الدرجة الرابعة.

وأخيرًا بقرار عالٍ خاص بالفرع المدنى رقم ٥٠ تم تعيينه في ٢٦ يوليه عام ١٩١٠ قنصلاً بالإسكندرية؛ وفى أكتوبر عام ١٩١٢ تم منحه الوسام البلغارى "نظرًا للخدمات المدنية" من الدرجة الثالثة. أما في مارس ١٩١٣ فقد تمت ترقيته إلى درجة مستشار بالرتبة السادسة.

آخر الأوسمة التي حصل عليها أ.م.بيتروف هو وسام "القديس ستانيسلاف" من الدرجة الثانية والوسام البخارى "النجمة الذهبية من الدرجة الثانية في عامى ١٩١٤ و١٩١٦ على التوالى.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه قد تم تقليد أ.م.بيتروف الميدالية البرونزية- الفاتحة في ذكرى مرور ٣٠٠ عام على حكم سلالة رومانوف؛ "نظرًا لقيامه بالتعبئة في عام ١٩١٤ بامتياز"، وكانت هذه تعبئة المواطنين الروس في الإسكندرية! وكان من الضرورى التمتع بصفات معينة من أجل تحقيق هذه النتيجة، ولكى لا يكون الحديث عن مدى صعوبة حملة التعبئة في الخارج، وبصفة خاصة بالإسكندرية، نقدم للقارئ شهادة المواطن الروسى فلاديمير بنتسيون في العريضة الموجهة إلى المبعوث أ.أ.سميرنوف، والتى سبق ذكرها: "بالنسبة لروسيا، فقد قمت بكل مسئولياتى؛ فقد ذهبت إلى القنصلية بالإسكندرية عند التعبئة في عام ١٩١٦، ولكنهم أعلنوا أننى غير لائق للخدمة العسكرية..."[٢٨٦].

فى بداية الحرب العالمية الأولى تمامًا، أعفت الحكومة الإمبراطورية الروس المقيمين بالخارج من التجنيد في الجيش، ولكن سرعان ما تم إلغاء هذا القرار بسبب الخسائر الجسيمة على الجبهة؛ لذلك بموجب المرسوم الصادر في أول مارس ١٩١٥، كان يجب على الروس الملزمين بالخدمة العسكرية العودة إلى روسيا أو الالتحاق بالخدمة العسكرية لدى الحلفاء.

كان الطريق بالنسبة للروس السكندريين يقود مباشرة إلى الجيش البريطانى الذى كان يقاتل في سيناء، فأقيم لهم معسكر خاص بالإسكندرية، كان يتم إرسالهم منه إلى مكان الخدمة العسكرية، وكان في الغالب يتم إرسالهم إلى الوحدات الإدارية، ولكن كانت توجد حالات عندما كان يتم إرسالهم فيها إلى أوروبا، ففى نوفمبر عام ١٩١٦ تم إرسال ١٦٨ من المجندين الروس على سفينة نقل إنجليزية من الإسكندرية إلى مارسيليا[٢٨٧].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد حصل أ.م.بيتروف في عام ١٩١٧ على وسام شرف "عضو عامل بالجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية" مما يعكس خدماته للمستشرقين في خلال فترة عمله بالقدس، وكذلك في مساعدة اللاجئين من فلسطين أثناء الحرب، وبالمناسبة لقد عاشوا فترة الحرب عامة في الإسكندرية، وكان القنصل قادرًا على مساعدتهم بحق، وقد قام بذلك. وفى الوقت نفسه فإن عضويته للجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية واحترام الأخيرة لأ.م.بيتروف تبين اتساع وعمق معارف خريج معهد لازاريف للغات الشرقية بجامعة موسكو بالشرق. كان الشرق يهمه ليس فقط بصفته دبلوماسيًا، بل لقد شارك بنشاط في الحياة العلمية للمستشرقين عندما كانوا يحضرون إلى مصر وإلى البلاد الأخرى التي كان يقوم فيها بمهامه القنصلية.

وبالإضافة إلى كل ذلك، فقد نال أيضًا "وسام التابع الفخرى للجنة الرحلات البحرية (كان ذلك يوجد أيضًا في ذلك الوقت!)، وهو ما يشير إلى خدماته للسياحة الروسية إلى بلد الأهرام التي كانت تنمو في ذلك الحين.

كان آخر ما سجلته البعثة الروسية بمصر بقائمة الشرف هو أن كتبت اسم المستشار بالرتبة الثالثة بيتروف في سجل شرف القنصل الروسى بالإسكندرية في أول أكتوبر عام ١٩٢٣، حيث إن أ.م. بيتروف لم يحصل على إجازة إلا ثلاث مـــرات- في عام ١٩٠٠ (شهرين)، عام ١٩١١ (٤ أشهر)، وفى عـــام ١٩١٤ (٣ أشهر)، ولكن بسبب الحرب عاد أ.م.بيتروف إلى الإسكندرية قبل انتهاء إجازته بعشرين يومًا، ومنذ ذلك الحين أصبح روسيًّا سكندريًّا نهائيًّا.[٢٨٨] مرة أخرى تشير الإجازات القليلة إلى المصير الصعب للدبلوماسى المستشرق، وبصفة خاصة الموظف القنصلى، الروسى، وكذلك إلى نظام إعداد الإدارة الآسيوية بوزارة الخارجية الروسية لكوادرها من أجل العمل في بلدان الشرق[٢٨٩]. وقد عانى تمامًا

القنصل الروسى بالإسكندرية ألكسندر ألكسندروفيتش بيتروف هو أيضا من كل هذه الصعاب (٢٩٠).

لم تكن ظروف الحياة العائلية والحياة الشخصية للقنصل السكندرى سيلة، حيث إن ألكسندر ميخايلوفيتش كان متزوجًا في المرة الأولى من ناديجدا فيكتوروفنا ماكسيموفا ابنة القنصل العام بأرضروم (المترجم: مدينة في شمال شرق تركيا) المستشار من الرتبة الرابعة مكسيموف، وقد أنجب منها في عام ١٩٠١ بمدينة القدس ابنه ألكسندر ثم بمدينة فيليبوبول ابنته أناستاسيا في عام ١٩٠٧، وتوفيت زوجته بموسكو في سن ٣٨ سنة في أكتوبر عام ١٩١٨، وفى ديسمبر عام ١٩١٩ توفى والده الفريق ميخائيل إيفانوفيتش بيتروف في موسكو.

كما سبق أن ذكرنا أعلاه، فإن مستشار القصر من الرتبة السابعة قد أرسل ابنه إلى تونس؛ حيث التحق بالدراسة هناك بالأكاديمية البحرية لا يعرف شيء عن مصيره على الرغم من طلبنا للمساعدة بخصوص هذا الموضوع من أحفاد أ.م.بيتروف)، وبعد جهود كبيرة نجح القنصل أخيرًا في إرسال (على الأحرى "انتزاع") كل من الأناستاسيتين الأم والابنة من روسيا السوفييتية إلى جانبه بمصر في نهاية عام ١٩٢١.. هكذا هم يرقدون كلهم معًا بمقبرة واحدة في الشاطبى(٢٩١) بمقابر الفئة الأولى على بعد ١٠٠ متر من مقبرة القنصل نفسه، وقد عاشت الجدة لمدة طويلة بعد حفيدتها التي انتحرت بطلقة من مسدس والدها بسبب حب غير متبادل في عام ١٩٢٤، وكان عمرها آنذاك ١٧ سنة، وقد علم المؤلف بذلك من كتاب مارى بيتروفا- أولمان، وتوفيت أناستاسيا ديميتريفنا في ديسمبر ١٩٤٢، قبل وفاة ابنها بأربع سنوات.

تزوج ألكسندر ميخايلوفيتش للمرة الثانية من ناتاليا إيفانوفنا كارياجينا، وهى قوقازية من إقليم تيرسك وقد ولدت في عام ١٨٩٢. وفقا لرواية حفيدة القنصل

إيلين ديفوف كانت قد سافرت من روسيا مع مجموعة من الحجاج متوجهة إلى القدس وبقيت بها بسبب العمليات الحربية، والتقى بها هناك أ.م.بيتروف الذى كان كثيرًا ما يسافر إلى فلسطين من أجل أعماله, وقد رزق من زواجه الثانى، بابنته ماريا في ١٦ ديسمبر عام ١٩٢٥ التي أنجبت بعد أن تزوجت فلاديمير أناتوليفيتش ديفوف ابنتها إيلين في يوم ٣/٧/ ١٩٤٦ وابنها ألكسندر في ١٩٤٧/١٢/٦، والذى تعيش معه حاليًا بجنوب أفريقيا، بينما تعيش إيلين في باريس حيث تعمل بمركز الدراسات التبتية. طبقًا لرواية ت.ن.مونتى فإن الزوجة الثانية قد توفيت في الثمانينيات من القرن الماضى، وقد تم دفنها في المقبرة نفسها التي يرقد بها رفات ألكسندر ميخايلوفيتش (٢٩٢).

تحملت القنصلية برئاسة أ.م.بيتروف الجزء الأكبر من "دعم الحياة" للجالية الروسية بالإسكندرية حتى ظهور التشكيلات الاجتماعية، حيث إن القنصلية لم تكن فقط مركزًا للحياة العامة للمواطنين الروس، ولكنها كانت أيضًا البداية المؤسسية للحلقات غير الموجودة للاكتفاء الذاتى لمهاجرى الموجة الأولى، وهى التي تنظم اندماجهم في بنية المجتمع المصرى الاجتماعية والاقتصادية. كان ذلك ضروريًا بصفة خاصة حتى انتقال المهاجرين من التل الكبير إلى سيدى بشر ببنيتهم التنظيمية والاقتصادية، وكان ذلك ينطبق بشكل خاص على الروس الذين كانوا يعيشون من قبل في الإسكندرية وكان عددهم لا يقل عن عدد المهاجرين بمعسكر التل الكبير ثم بعد ذلك بمعسكر سيدى بشر، كما أن المنفيين في العاصمة الثانية لمصر لم يكونوا أقل حاجة أيضًا لمساعدة أ.م.بيتروف فيما بعد في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى.

بعد وصول البلاشفة إلى السلطة والاعتراف التدريجى بروسيا السوفييتية في الغرب، استمر موقف القنصل أ.م.بيتروف بلا تغيير، وكما في السابق كان

أ.ك.بيتروف يطلق على مجلس اللجنة الشعبية والبلاشفة "حفنة من الأشخاص استولوا على الحكم في روسيا بالقوة" (٢٩٣).

في بداية العشرينيات تم حرمان الروس السكندريين من الحصانة السياسية مثلهم مثل كل الروس المصريين، أى من حقوق الامتياز التي تمنح للأجانب المقيمين في العاصمة الشمالية حقوق "الذين في الخارج"، وفى الثامن من أكتوبر عام ١٩٢٣ قامت السلطات الأنجلو- مصرية بإلقائهم إلى الشارع بصفة عامة، وأجبرتهم على الخضوع مباشرة للقوانين المصرية، وأن تتم محاكمتهم أمام المحاكم المصرية، وأن يكونوا تحت رقابة مشايخ الحارات.

وبالرغم من ذلك فإن أ.م. بيتروف لم يخرج من الصورة، فقد أصبح في عام ١٩٢٦ مديرًا للمكتب الروسى السكندرى الذى أنشأته السلطات الأنجلو-مصرية بإدارة الأمن العام بوزارة الداخلية. بهذه الطريقة تمكن، بوجوده في العمل لدى المصريين، من تقديم المساعدة لمواطنى بلده رسميًا. كانت المهمة الرئيسية لهذا المكتب تتمثل في تقديم تصاريح الإقامة في مصر والشهادات من الأرشيفات القنصلية وكذلك القيام ببعض واجبات التوثيق، ولم يكن من حق المكتب تناول موضوعات "الأحوال الشخصية" والحماية القانونية للروس.

كان أ.م. بيتروف وطنيًا حقيقيًا، فقد كان بجانب تقديمه المساعدة "الرسمية" للمهاجرين، يقدم لهم كل أنواع العون باستخدامه مصداقيته الشخصية وعلاقات الصداقة مع القناصل الأجانب والمسئولين الحكوميين وكبار رجال الأعمال بالمدينة، وكان يقوم بذلك بنشاط، وقد حقق نشاطه نتائج ملموسة.

كانت "جمعية القرض الحسن" تعمل بشكل جيد ونالت شعبية كبيرة بين المهاجرين، فكانت تمنح القروض لأعضائها لبدء المشاريع التجارية، فكانت بذلك تساهم في ترتيب أحوال الروس في الإسكندرية، وكان يرأسها أ.م.بيتروف، كما

رأس الكثير غيرها، وكان الدبلوماسيون الروس بالعاصمة يقولون إنها "مؤسسة مفيدة جدًّا" وكانوا يدعون إلى أن تمتثل بها الجاليات الروسية بكل من القاهرة وبورسعيد.

كان رجلاً ثريًا حيث إنه كان يمتلك في القدس منزلاً كبيرًا؛ وتعاون لسنوات كثيرة مع شركة "شل"... إلخ. وقد أقام ألكسندر ميخايلوفيتش على نفقته الخاصة كنيسة أرثوذكسية بالإسكندرية كانت قائمة إلى وقت قريب بشارع سعد زغلول[٢٩٤]. وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبح واحدًا ممن بادروا وبنوا، في عام ١٩٣٤ كنيسًا روسيًا بمقابر الشاطبى[٢٩٥].

سمحت مشاركة القنصل في حياة المنفيين الروس بالإسكندرية لهم إلى حد كبير، ليس فقط بالبقاء على الحياة في أرض غريبة، ولكن أيضًا بالمساهمة بالكثير في الحياة الاجتماعية والثقافية بالإسكندرية وفى الثقافة الروسية بل العالمية.

يرجع له الفضل، إلى حد كبير، بأنه في يناير عام ١٩٢٥ تم تنظيم معرض الرسام إ.ي.بيليبين الذى حقق نجاحًا كبيرًا، وأنه تم وضع تمثال "عروس النيل" رائع للمثال الروسى ب.أ.كليوزيليا- فرودمان بحديقة المنتزه بالإسكندرية، كما أنه نظم استقبالاً لا ينسى لراقصة الباليه أنا بافلوفا في عامى ١٩٢٣ و١٩٢٨، وكذلك جولة فنية للمغنى المشهور عالميًا فيدور شاليابين في عام ١٩٣٣ (انظر ألبوم الصور).

أدى نجاح أ.م.بيتروف في اتخاذ التدابير الموضحة أعلاه وتنفيذها إلى اكتساب القنصل خبرة في تسيير الأمور السابقة المتعلقة بالحرب العالمية الأولى، وهنا قبل كل شيء، يدور الحديث عن استقبال وإيواء اللاجئين من فلسطين والجنود الروس الجرحى والأسرى الذين أرسلهم الحلفاء من مختلف جبهات الحرب العالمية الأولى

إلى الإسكندرية، فضلاً عن تقديم المساعدة والعون في تنظيم إقامة الروس القادمين إلى الإسكندرية باستمرار، هروبًا من أهوال الثورة والحرب الأهلية في روسيا.

تدفق اللاجئون في الفترة من ديسمبر ١٩١٤ – يناير ١٩١٥ من فلسطين من حاملي جوازات السفر الروسية بأعداد تصل إلى ٤٠٠٠ فرد، فوفرت لهم السلطات المصرية السكن والمواد الغذائية، حيث إنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى روسيا في وقت مناسب، فسمحت لهم السلطات الأنجلو- مصرية بالبحث عن عمل، وعند العثور عليه بالبقاء في مصر، وقد عاش الجزء الأكبر من اللاجئين في الإسكندرية، والتحق البعض منهم بمؤسسات الدفاع.

فور اندلاع الحرب تقريبًا، تم في الإسكندرية إنشاء منظمة خاصة لمساعدة الروس المتضررين من الأعمال الحربية للحرب العالمية الأولى- "اللجنة الروسية لمساعدة ضحايا الحرب بالإسكندرية"، وقد رأسها أ.م.بيتروف بنفسه، وقد ضمت اللجنة العديد من السكندريين البارزين ومنهم المواطنين الروس: إ.ل. موتافوف، ي.ز.جينتسينشتين، د. كولوريدى – باى، وأ.إ.فوسكولو، وكان أمينها العام ي.ن.فيلكن[٢٩٦]. وقد تم إنشاء مصانع وشركات صغيرة لتصنيع أغلفة الألغام والقنابل والقذائف، وكذلك خراطيش الطلقات بمساعدة هذه اللجنة.

وهكذا، على سبيل المثال، كان عشرات من اللاجئين يعملون في إحدى هذه الشركات في عام ١٩١٥. كانت اللجنة تنظم اليانصيب، حيث كان يذهب العائد منه إلى ميزانيتها، وكانت تنظم علاج الجرحى والمرضى من أفراد طاقم الطراد "بريسفيت" الذى غرق عند مدخل قناة السويس والعناية بهم، ووفرت لهم الأطراف الصناعية [٢٩٧].

مثّل وصول الحجاج الأرثوذكس ومسئولى الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية ومسئولى البعثات الدينية برئاسة الأرشمندريت ليونيد،

الذين أجبروا على الجلاء من فلسطين وبقائهم في الإسكندرية، عبئًا إضافيًا على القنصل، وقد وصل عدد الفئة الأخيرة وحدها إلى ما يقرب من ١٠٠ شخص(٢٩٨). ويجب هنا أيضًا إضافة السياح وحجاج سيناء الذين فاجأتهم الحرب ولذلك كان عليهم البقاء لمدة غير محددة في الإسكندرية، وكان يجب رعايتهم هم أيضًا.

كانت توجد فئة أخرى من الروس كثيرة العدد تحتاج إلى مساعدة القنصل الروسى بالإسكندرية؛ المرضى والجرحى وأسرى الحرب الذين كان يحضرهم الإنجليز إلى مصر. اعتبارًا من يوم ٦ ديسمبر ١٩١٨، عندما وصلت الدفعة الأولى من هؤلاء الأفراد إلى بورسعيد، فإلى مايو ١٩١٩ كان قد وصل عددهم إلى حوالى ١١٥٠ شخصًا، وبعد تصفية معسكر التل الكبير، تم إرسال عدد كبير منهم إلى الإسكندرية، بذلك فقد أصبحوا في مرأى وتحت رعاية اللجنة السكندرية لمساعدة ضحايا الحرب برئاسة أ.م.بيتروف نفسه (٢٩٩).

فى بداية كل عام، كان القنصل ينتظره عمل ليس بسيطًا على الإطلاق، فقد كان ينتقى من بين الروس السكندريين أشخاصًا محترمين للغاية ويتحملون المسئولية ليكونوا أعضاء في هيئة المحلفين ومناوبين في اللجان القضائية في القنصلية المحددة له (انظر الملحق رقم ٣).

هكذا، في عام ١٩١٨ كان ضمن أعضائها كل من ممثل شركة "مانتاشيف وشركائه" موتافوف إيفان لازاريفيتش، والتاجر جيرتسينشتين ياكوف زوسيفيتش، ووكيل الشركة الروسية للملاحة والتجارة ألشيفسكى جيرش شمويلوفيتش، ووكيل أسطول دوبروفولسكى رودولف كارلوفيتش، وفى عام ١٩١٩ تم استبدال مدير مصنع "بــلاتتر وشــركائه" فيلمــان جــروشكين ايتسكــا- ليب رافــايلوفيتش بالتاجر إرنست يجوروفيتش(٣٠٠).

كان هجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفييتى يمثل محنة ثقيلة للمهاجرين الروس بالإسكندرية. في الحقيقة، وفقًا لرواية ي.ف.لوكونين فإن بعض الروس السكندريين اعتنقوا الأفكار الفاشية لعدد من الأسباب. فعلى سبيل المثال، كان الشرطى ماركوف، الذى سبق أن كتبنا عنه، وهو مالك "خان" عبور، يروج مع بعض زملائه الأدبيات الفاشية حتى بين أطقم السفن السوفييتية في ميناء الإسكندرية(٣٠١).

ومع ذلك، فإن غالبية المنفيين الروس اتخذوا مواقف وطنية، وهنا سيكون من المناسب تقديم قصيدة المهاجرة أ.يجوروفا "الوطن"(٣٠٢).

الوطن مغطى كله بالدماء،
فى السماء غروب قرمزى،
ويجول بها في الليل والنهار
ضجيج الغروب الضال

تبكى هناك الأم والزوجة
بأنهار من الدموع الحارقة،
تجمعت هناك سحابة قوية
وانهمر مطر غزير.

سوف تمر هذه العاصفة وتهدأ
وسوف يضيء قوس قزح في السماء
ولكن هل يمكن أن يحيى مرة أخرى
القلب الموجوع بالأحزان؟

كان ألكسندر ميخيلوفيتش يتابع بنفسه بدقة كل ما يدور في روسيا السوفييتية، بحيث لم تفوّت ملاحظته تلك الأحداث المرتبطة بالمجاعة في روسيا السوفييتية في عام ١٩٢١، عندما كان ينظم الأمسيات الخيرية والاحتفالات الأخرى من أجل جمع الأموال للجائعين بروسيا السوفييتية[٣٠٣]، كما أنه كان نشيطًا في أثناء الحرب الوطنية العظمى من أجل تقديم المساعدة لمواطنى بلده البعيدين عن طريق مختلف صناديق المساعدات.

وفقًا لأقوال حفيدة القنصل، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة تم انتخاب أ.م.بيتروف بصفته الأكبر سنًا والأكثر خبرة بين القناصل الأجانب بالإسكندرية لكى يكون عميدًا للسلك القنصلى بالعاصمة الثانية لمصر.

طوال فترة عمل ألكسى ميخايلوفيتش بالإسكندرية، وهى تربو على ثلث قرن، فلا يمكن لومه على أى شيء بخصوص علاقته بالجالية الروسية في المدينة. وعلاوة على ذلك، تقول حفيدته إيلين إن ديفوف كان رجلاً تقيًا جدًا، حيث كان يذهب بعد تناوله كل وجبة غداء إلى الكنيسة التي كما يتذكر ديما كان "كانت تقع في الشقة الكبيرة للقنصل السابق" حيث كان يصلى حتى المساء، وبالمناسبة فإن هذا الصبى قد خدم بنفسه في هذه الكنيسة الروسية الصغيرة بالإسكندرية، ويضيف ديما أنه من المثير للاهتمام أنه "فى السنوات الأولى كان الوضع مثيرًا جدًا للاهتمام، فقد كان القنصل يرتدى بذلة الاحتفالات الدينية (انظر الصور)، وكان المبعوث السابق سميرنوف كثيرًا ما يرتدى بذلة الكامرهير، كما كان الجنرال العجوز ريربيرت (المؤلف: انظر ما يلى) هو أيضًا يلبس بذلته. وفى أحد الأيام كنت أستقل معه سيارة مكشوفة فقدم له أفراد من الشرطة المصرية التحية العسكرية وهم مندهشون"[٣٠٤].

إذا كان أ.أ.سميرنوف هو "أب" الجالية الروسية عامة بمصر، فإن أ.م.بيتروف كان فعلاً يحمل هذا اللقب بالنسبة لمئات بل آلاف من الروس السكندريين.

لقد برزت هذه الفكرة بالذات في كلمات كل من القنصل العام ن.م.خولوف ومدير المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية ج. ف. جاريانشكين في يوم ٤ أكتوبر ٢٠٠١ عندما تم الاحتفال بمرور ١٢٥ سنة على ميلاد القنصل الروسى بالإسكندرية أ.م.بيتروف، و٦٠ سنة على وفاته[٣٠٥].

تم القداس الذى حضر من أجله خصيصًا من القاهرة الأب دميترى رئيس الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في مصر وكل عموم أفريقيا مع المنشدين بالجزء الأيسر من المقابر؛ حيث توجد قبور أ.م.بيتروف وزوجته الثانية ناتاليا إيفانوفا والأنستاسياتين- أم القنصل وابنته من زواجه الأول، وكذلك بالقرب من حوالى عشرين قبرًا لروس[٣٠٦]، ثم تمت مواصلة الاحتفال في الجزء الأيمن من المقابر بالقرب من المصلى الروسى حيث تم في خلال الفترة من العشرينيات إلى الثمانينيات دفن رفات أكثر من ٢٠٠ من مواطنيننا، وقد وضع القنصل العام ن.م.خولوف والقنصل أ.ب.كوجين أكاليل الزهور على قبر أ.م.بيتروف وفى المصلى. وقد وضعت عليه الزهور ممن حضر الاحتفال من أعضاء القنصليات الأجنبية بالإسكندرية وصحفيين ومواطنين روس.

فى مساء يوم ٤ أكتوبر نظم احتفال بالمركز الروسى للعلوم والثقافة ألقى فيه كل من مدير المركز ج.ف.جاريانشكين والملحق بالقنصلية العامة تيسلينكو د.ف. كلمتين، ورحبت رئيسة نادى المرأة بالإسكندرية[٣٠٧] أولجا السيد بالضيوف، بينما عرضت كل من ماريا ألكسندروفنا وإيلينا فلاديميروفنا ذكرياتهما وأجابتا عن أسئلة عديدة من الحاضرين، وقد شكرت ابنة وحفيدة القنصل أ.م.بيتروف بحرارة القنصلية العامة والمركز الروسى للعلوم والثقافة لتنظيمهم الاحتفالات اليوبيلية على شرف والدهما وجدهما وعلى دعوتهما للحضور إلى الإسكندرية.

ثم قامت كل من م.أ.أزلمان و إ.ف.ديفوف بافتتاح معرض[٣٠٨] قدمت فيه معروضات نادرة تصور حياة القنصل وأقاربه والمقربين إليه من الإسكندرية وأعماله الرامية لحماية وتحسين حياة أكثر من ٢٠٠٠ من أبناء وطنه، وإلى تنمية العلاقات الجيدة بين الروس والمصريين والمساهمات التي قدمها الروس بعيدًا عن وطنهم لثقافة البلد المضيف لهم.

يجب أيضًا ذكر معارض أخرى تم تنظيمها بالمركز الروسى للعلوم والثقافة وخصصت بالكامل أو جزئيًا لحياة أ.م.بيتروف والدبلوماسيين الآخرين بالإسكندرية، فعلى سبيل المثال في يوم ٨ فبراير ٢٠٠٤ تم الاحتفال في الإسكندرية بيوم الدبلوماسي بالمركز الروسى للعلوم والثقافة وأقيم معرض لصور ووثائق خاصة بتاريخ الدبلوماسية الروسية وحاضرها، وتم عرض مواد ذات صلة بالقنصل العام والوكيل الدبلوماسي لروسيا بمصر أ.أ.سميرنوف (١٨٥٧- ١٩٢٤) وبالقنصل الروسى بالإسكندرية أ. م. بيتروف (١٨٧٦- ١٩٤٦)[٣٠٩].

دار الحديث عن أ.م.بيتروف والدبلوماسيين الروس الآخرين العاملين بالإسكندرية في يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٤ أثناء عرض كتب مدير المركز الروسى للعلوم والثقافة ج.ف.جارياتشكين التي صدرت باللغة العربية في الإسكندرية[٣١٠].

كان سيكون من الغريب في رأينا ألا يوجد في الإسكندرية- العاصمة الثقافية لبلد الأهرام حيث ولد المسرح والسينما والتى أنجبت لنفسها وللعالم كله شخصيات ثقافية مصرية وأرمينية ويونانية ويهودية وإيطالية وسورية ولبنانية مجدت بلدها المصرى الواقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط،- دبلوماسى روسى "توتيوفى" الطراز الذى أصبحه وكانه إ.ب. أوموف (١٨٨٣/٣/١٥- ١٩٦١/٣/٧) المساعد الأول لألكسندر ميخايلوفيتش الذى عاش في الإسكندرية لقرابة نصف قرن[٣١١].

ولد إيفان بافلوفيتش وشب في ضيعة أبيه على ضفاف نهر الفولجا، واصل سليل الديسمبرى (المترجم: الذى شارك بثورة النبلاء الفاشلة في روسيا في ديسمبر في عام ١٨٢٥) وبطل بليفنا (المترجم: معركة دارت في أثناء الحرب بين تركيا انتهت باستسلام حامية قلعة بليفنا التركية في ١٠ ديسمبر١٨٧٧) المسيرة العسكرية لأسلافه في فيلق الطلبة المتدربين السيمبيرسكى، ثم التحق بمدرسة الهندسة الحربية بمدينة سانت- بترسبورج، ومن ناحية أخرى أثر كثيرًا "الوطن الصغير" على ضفاف الفولجا على تربيته، حيث كان دبلوماسى المستقبل على اتصال وثيق بسلالات مشهورة من النبلاء الذين يعيشون به، ومنهم الأدباء والمؤرخون الشهيرون: ديرجافين، كارامزين، أكساكوف والكونت سولوجوب وغيرهم.

ربما أدت غلبة هذا الجزء الأخير على تركيبة عقليته فأدت إلى تركه الحياة العسكرية وأن يلتحق، قبل قيام الثورة بقليل، بمعهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو والذى تخرج فيه أيضًا رئيسه المباشر القادم إلى الإسكندرية أ.م.بيتروف. وقد يكون التحاقه بهذا المعهد ليس صدفة في عام ١٩١٢، أى بعد عامين من وصول القنصل إلى العاصمة الشمالية لمصر.

عندما أصبح إ. ب. أوموف مستشرقًا تم إلحاقه بوزارة الخارجية وعين نائب قنصل في الإسكندرية، حيث عمل ٥ سنوات تحت رئاسة أ.م.بيتروف، ثم وجد نفسه في قصة غير مفهومة يبدو أنها متعلقة بإعفاء شخص اسمه يفجينى بيفاروفيتش من الخدمة العسكرية تدخل فيها ضابط بريطانى اتخذ قرارًا نهائيًا بالإعفاء من الخدمة العسكرية.. تحمل أوموف كل الذنب، ونتيجة لذلك قررت المحكمة القنصلية إبعاده عن العمل وإرساله إلى روسيا، ولكنه لم يتمكن من الوصول إليها بسبب اندلاع عمليات قتالية، وقد أرسل من الطريق إلى روسيا، خطابا للمبعوث أ.أ.سميرنوف فسمح له الأخير بالعودة إلى مصر، ولكن بحقوق فرد عادى، فوصل أ.ب. أوموف إلى الإسكندرية في سبتمبر ١٩١٧[٣١٢].

أملى هذه الخطوة على نائب القنصل السابق كونه قد أصبحت له بالفعل أسرة بالإسكندرية بزواجه من مسيحية ثرية من أصل لبنانى من عائلة خورى النبيلة التي لها أملاك كبيرة بمصر، وقد منح ذلك إيفان بافلوفيتش ميزات كبيرة فقد كان أغنى كثيرًا من مواطنيه الذين يعيشون بالإسكندرية. بالرغم من أن إ.ب.أوموف كان مميزًا بوضعه المالى والاجتماعى في وسط اللاجئين، فإنه لم يكن يشعر بأنه مميز وكان ينتابه شعور بالوحدة والحنين إلى وطنه مثل باقى الروس السكندريين، وتعبر عن ذلك قصيدته الشعرية "الطيور المهاجرة" ببلاغة.

الطيور المهاجرة

نحن أبناء روسيا، طيور بلا مأوى،

نحن فقراء أينما كنا، تحت سماء كل البلدان

نطير مشردين من القرى المدمرة،

إلى مصر، والجزائر، والمحيط الرمادى.

لقد شاهدونا في سميرنا في مسجد بالٍ،

وفي قصر رومانى، في نافذة قديمة،

أما أمهاتنا وأطفالنا الصغار

فهم يشتاقون إلينا في بلد خالد الذكر.

ويعذبنا اللوم الأبدى الصامت،

هيئة أمنا في ظلام الليل،

أو شبح أختنا التي تحتضر ببطء،

أو دموع طفل تحت النافذة بسبب جوعه[٣١٣].

بعد أن اشتد أزره بالزواج من أرثوذكسية لبنانية ثرية، لم يحصل إيفان بافلوفيتش فقط على إمكانية حياة مريحة في المنفى، ولكن استطاع أيضًا الاستفادة من قدراته الثقافية الكبيرة، وقد أفاده في ذلك ميله لتعلم اللغات؛ حيث إنه كان يعرف عشر لغات، منها خمس غربية (الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الإسبانية)، وخمس لغات شرقية (العربية، الفارسية، الجورجية، واللهجة السورية).

سمحت له معرفة اللغات الغربية الوقوف على قدم المساواة مع أحسن دبلوماسيي أوروبا وأمريكا، أما إلمامه باللغات الشرقية فكان تفوقًا عليهم ومنحه الإحساس بأنه في "بلده" في البيئة الشرقية. بدا أنه من شأن الزواج الناجح وإمكانية منح أبنائه تعليمًا رائعًا أن يوفر له حالة ممتازة تجعله لا يحن إلى نهر الفولجا والواقع الروسي، ولكن "قوة الثقافة والحب الذي لا يتزعزع لشعب وطنه الكائنة بداخله- كما كتب معجبًا بإبداعه- كانت أقوى وأكثر جاذبية من كل مزايا الحضارة الأوروبية وسحر بلدان الشرق"[٣١٤].

وفقًا لشهادة مؤلف مقالة تقديم الطبعة الأمريكية جيورجي جريبينشيكوف (عام ١٩٤٩): "لسنوات عديدة وإلى جانب الأشعار المكتوبة والمنشورة بمختلف اللغات الشرقية والأوروبية، فإن إ.ب.أوموف، على أية حال، قد كتب أكثر باللغة الروسية كما يتضح من المراسلات المتبادلة معه ومع أصدقائه، وقد تراكم في أرشيفه الكثير من كراسات الأشعار الروسية عن مختلف الموضوعات الممكنة، ولكنه لم يقرر أبدًا نشرها حيث إنه كان يرى أنها تحتاج لمراجعة وإعادة معالجتها وترتيبها، وقد تنازل فقط بناء على رغبة المقربين منه ووافق على اختيار أربع

كراسات من قصائده لكتابه هذا الروسى الأول لكى ينشر في توقيت الذكرى السنوية ١٥٠ لميلاد أ.س.بوشكين.

عندما قدم كاتب السطور السابقة إ.ب.أوموف بهذه الصورة بصفته أحد العاملين 'البارزين في مجال الثقافة بالخارج، كان يرى أن تقييم الكتاب الذى يقدمه يرجع تمامًا إلى مدى لطف القارئ"[٣١٥].

بالفعل، كان إيفان بافلوفيتش ممثلاً للجزء الثقافى الأكبر من الدبلوماسية الروسية في الخارج، وحتى على الرغم من كونه في حالة استثنائية بمنفى إجبارى لفترة طويلة بالخارج فإنه ضاعف إنجازاته سواء في مجال الأدب أو في المجالات الأخرى للثقافة.

وبالمناسبة تنوعت أنشطته في الحقل الأدبى، فبالإضافة لكتابته الشعر جرب قواه في كتابة الدراما والنقد الأدبى، كان إ.ب.أوموف يعشق الشعر الشرقى ولم يكن فقط يفهم أبعاد نصه الأصلى، ولكن كان ملمًا بكل تفاصيله الدقيقة و"روائحه" التي كان ينضح بها؛ لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أنه قد تطرق في مجلة "أورلون" التي كانت تصدر بمعسكر سيدى بشر إلى أحد أفضل الشعراء العرب في العصور الوسطى "أبو العلاء المعرى" فكتب عنه مقالة تحليلية وأرفق بها ترجمة لبعض قصائده. وهنا أيضًا نشر نائب القنصل السابق مقالة أخرى عن سيد كلمات الحب الأشهر بالشرق الخيام[٣١٦].

ولكن تكن تلك هى حدود "تيوتشيف السكندرى"[٣١٧]، فبتطويره موهبته المتعددة الجوانب تخرج فى كونسرفاتوار لندن في تخصص عزف البيانو، وقام بتدريس الموسيقى بالإسكندرية وقدم حفلات موسيقية.

ولكن موهبته الموسيقية ظهرت أكثر وضوحًا في أولاده، كانوا أربعة في عائلة أوموف- ثلاثة أبناء: بافيل ويوسف وألكسندر، وبنتًا واحدة: كاتيا، وفى

صيف عام ١٩٥٥ توفى ابنه الأكبر بافيل، أما ابنه بافيل فقد تابع خطى والده واهتم بالموسيقى وأصبح عازفًا مشهورًا للكمان، وبعد وفاة والديه في بداية ستينيات القرن الماضى سافر إلى لندن. أصبح الابن الأصغر مهندسًا معماريًّا، ووفقًا لرواية تاتيانا ن. مونتى فقد تزوج الفرنسية سيمون فافولون التي كانت تدرس في فصل واحد مع ت.مونتى بمدرسة فيكتوريا، بينما تزوجت أخته الكبرى من المخرج المصرى الشهير يوسف شاهين.

كانت كاتيا أوموفا فتاة موهوبة جدًا، وقد درست آلة التشيلو وكونت مع شقيقها يوسف أساس الأوركسترا السيمفونى السكندرى الذى اهتمت دائمًا الصحافة بعزفه الباهر.

وعلاوة على ذلك، فإن أوموفا كانت راقصة باليه جيدة فكانت تؤدى الرقصات الكلاسيكية، وكثيرًا ما كانت تؤدى رقصات منفردة، وكانت حفلاتها محببة للسكندريين، والذين كانوا ما زالت ماثلة في ذاكرتهم عروض العظيمة أنا بافلوفا (انظر أدناه). كما تقول تاتيانا مونتى فإن كاتيا كانت تقدم سنويًا عروضًا في أمسيات خيرية، وقد لمعت في عرض رأس السنة حيث تم سحب يانصيب وعمل بوفيه وتم تقديم الفودكا مع وجبات روسية خفيفة. كانت كاتيا دائمًا على استعداد لتقديم المساعدة، وكانت مهذبة للغاية وساحرة وتتحدث اللغة الروسية بشكل رائع، وقد توفيت فجأة وهى تؤدى تدريبات باليه في حجرة عندما سقطت فارتطمت رأسها بحافة حادة لقطعة أثاث. تواصل ت. ن. مونتى: "لقد حضرت جنازتها، وكانت الإسكندرية كلها تبكيها".

توفيت مـــؤدية رقصات الباليه الكلاسيكية وحبيبة الجمهور السكندرى في ١٧ سبتمبر ١٩٥٥ عن عمر يناهز ٢٩ سنة، وقد أشارت الصحافة المصرية إلى أن "كاتيا كانت إحدى أشهر الشخصيات بين الشباب السكندرى"[٢١٨].

كانت تلك ضربة قاسية لوالدها إيفان أوموف، وكانت قوة تأثير تلك الضربة لدرجة أنه لم يتمكن من كتابة قصيدته الشعرية *"Offrande"* ("الموهبة") المكرسة لابنته الحبيبة باللغة الفرنسية إلا بعد ثلاث سنوات(٣١٩).

وفي العام التالي، بعد وفاة يكاترينا، اقترحت والدتها ألكسندرا يوسيفنا إنشاء منحة دراسية باسم كاتيا تمنح لطلاب فصل الرقص المتميزين بالكونسرفاتوار السكندرى ممن في المرحلة السنية من ٦ إلى ١٣ عامًا على حساب صندوق تؤسسه عائلة أوموف.

حتى بدون الحط من قدر موهبة كل من أفراد هذه العائلة وقدراتهم، دعونا نقول، على أية حال، إن قدرات عائلة أوموف في إجمالها تفوقت بكثير على قدرات العائلة السكندرية العادية، بل ربما العائلة السكندرية الموهوبة. كان أفراد هذه الأسرة يمثلون ناديًا خاصًا بالمعنى الحرفى والمجازى، وكانت مؤسسة هذا المركز الثقافى بالإسكندرية هى ألكسندرا يوسفوفنا أوموفا كما كان يسميها أصدقاء إيفان بافلوفيتش الروس.

وبالمناسبة ما زال غير معروف من كان له تأثير أكبر على الآخر هل هو إيفان أوموف أم زوجته ألكسندرا يوسيفوفنا؟ على أية حال فإن الواقع أنهما وجدا بعضهما البعض حقيقة رائعة، على الرغم من بعض الاختلافات المعروفة بينهما.

يمكن تخمين شكل وشخصية "ألكسندرا يوسيفوفنا" من إحدى القصائد التي ألفها أوموف(٣٢٠)، حيث إنه للأسف لم يمكننا التعرف على شكلها وشخصيتها على الرغم من بحثنا المكثف عن معلومات وصور عنها:

أعرف امرأة روحها أمينة،

قلبها رحيم وواضحة في ترحيبها،

في خضم مسار الحياة، بخطوات صغيرة،

تمر بهدوء وصمت.

أفكار الشاعر ونغمات شوبان

تعرف الطريق إلى معبد روحها،

تقلبات العالم وتغيرات الزمن

لا تجعلها تنحنى لمذابح الآخرين.

مخلصة تمامًا لإرث الماضى،

تعيش أفضل مستقبل في الأحلام،

متواضعة بروحها، وكلمة المغفرة

لكل الإخوة الضالين موجودة على شفتيها.

وكل من قابلها يتذكر هذا الصوت،

يتذكر هذه العيون المشرقة،

والوتيرة السريعة، والشعر المجعد،

الساطع فوقها في إشراق مقدس.

وفقًا لروايات مواطنينا الروس، كانت فيللا عائلة أوموف تقع في وسط الإسكندرية بالقرب من كلية فيكتوريا (بالمناسبة قام نظام جمال عبد الناصر بتأميمها في منتصف الستينيات) وكانت مركزًا لاهتمام المجتمع السكندرى وبصفة خاصة الجزء المثقف والمتعلم منه، وكثيرا ما كانت تقام بها أمسيات ثقافية-

موسيقية وأدبية- شعرية، توجه الدعوة لحضورها لصفوة المدينة سواء كانت تنتمى للطبقات الأوروبية والأجنبية أو إلى الطبقات الوطنية من المجتمع السكندرى.. كان يشارك فيها الفنانون الوافدون وفرق المناطق الحضرية وفرق العاصمة الثانية لمصر الروسية، كان الساحران كاتيا ويوسف- فخر أمهما وأبيهما- هما "مسمار" البـــرامج المـــوسيقية، فكانا يحاولان بموهبتهما الموسيقية أداء عزف منفرد بحيث لا يخذلان فخر الأسرة، وبالطبع كان يشارك أيضًا إيفان إيفانوفيتش نفسه، فقد كان من وقت لآخر يقرأ قصائده باللغتين الفرنسية والروسية بناء على طلب الضيوف.

٢,٦. المهاجرون الروس والحياة الاجتماعية والثقافية بالإسكندرية.

لم تكن عائلة أوموف هى الوسط الوحيد بين روس الإسكندرية الذى كان يجذب انتباه المجتمع السكندرى بوجوده وبتنوع اهتماماته الثقافية، خاصة في دوائر المجتمعات الأجنبية بها، ولكن بالإضافة إلى أسر القناصل كانت توجد في الإسكندرية عائلات أخرى للمهاجرين الروس وأفراد لم يمثلوا فقط مجال جذب اهتمام أوساط المهاجرين بالعاصمة الشمالية، ولكنهم أيضًا مثلوا عاملاً معروفًا لتوحيد هذه الاهتمامات، وقد قدموا مساهمة كبيرة في الحياة الاجتماعية والثقافية للإسكندرية.

تميزت بينهم عائلة ريربيرج (انظر ألبوم الصور) التي قدمت إلى الإسكندرية على السفيينة "ساراتوف" نفسها التي دار الحديث عنها أعلاه، كان اللواء بيتر فيدوروفيتش ريربيرت (١٨٦٨- ١٩٢٨) من أبرز الشخصيات الروسية خارج الوطن بالإسكندرية، وقد مثل هو وزوجته لوبوف ستيبانوفا والتى كانت تحمل لقب فولكوفا قبل الزواج (١٨٧١- ١٩٥٠) نوعًا خاصًا جذابا بالنسبة للروس السكندريين.

ذكرت ت. ن. مونتى لمؤلف هذا الكتاب: "كانت عائلة ريربيرج هى الأقرب لى، فقد كانوا أناسا مفضلين تماما لى، جميع أفراد الأسرة. لقد عشنا معًا حتى قيام حرب عام ١٩٣٩ في فيلا كبيرة بالإسكندرية، وعشنا في ود تام. عائلة ريربيرج عسكرية مثقفة وغنية في روسيا، وقد كانت تمتلك ضيعة جميلة في نيقوبول بأوكرانيا وكانوا جيران والدى، وقد شب أبى معهم..."[٣٢١].

ترك المؤرخ العسكرى والكاتب والفنان فيدور بيتروفيتش إرثًا كبيرًا لمجتمع المهاجرين على الرغم من أنه عاش في الإسكندرية لثمانى سنوات فقط. فأولاً تميز منذ أن كان في معسكر التل الكبير؛ حيث رسم ثلاث لوحات تصور حياة اللاجئين الروس به[٣٢٢] تمثل إحداها منظرًا عامًا لمدينة الخيام التي يعيش فيها اللاجئون الروس، أما الثانية فكانت للاجئة خلف ماكينة خياطة، والثالثة للمنظر الداخلى للكنيسة، كما يوجد لديه أيضًا عدد آخر من اللوحات رسمها فيما بعد في الإسكندرية، وهى محفوظة حتى الآن عند تاتيانا مونتى، وثانيًا لعب اللواء أحد الأدوار المحورية في معسكر سيدى بشر؛ لأنه كان مسئولاً عن الإذاعة الداخلية في المعسكر؛ حيث كان يستمع إلى صوته عند صياغة الاتجاهات الرئيسية لنشاط "الفيتشا".

وثالثًا، اختبر قواه كمؤرخ عسكرى وحقق هنا بعض النجاح. في عام ١٩٢٥ انتهى من دراسة "الأسرار التاريخية للانتصارات العظيمة والهزائم غير المبررة (قصاصات مشارك في الحرب بين روسيا واليابان في عامى ١٩٠٤- ١٩٠٥)" والتى حاول فيها بقدر واضح من الموضوعية تحليل أسباب هزيمة الجيش الروسى في هذه الحرب، وقد نشر ابنه بيتر هذا الكتاب في وقت لاحق في إسبانيا، وبالإضافة إلى ذلك فإن فيدور ب. ريربيرج قد كتب مذكراته عن الثورة والحرب الأهلية في روسيا وكذلك عن السنوات الأولى من حياته في مصر ولا سيما في

الإسكندرية[٣٢٣] كما أنه حقق بعض النتائج في الأسلوب الرسائلى ذات قيمة هائلة للتاريخ، وهذا هو سبب حفظ ت.ن.مونتى لخطاباته وتقديميا لجمعية الضباط في باريس ما تعتقد أن له أهمية كبيرة للباحثين[٣٢٤].

بعد وفاة الوالد في عام ١٩٢٨ واصل المسيرة ابنه بيتر الذى أظهر هو الآخر موهبة مقترنة بالعمل الاجتماعى ونشر المذكرات عن الحرب.

أتم الابن الأكبر للواء ريربيرت بيتر فيدوروفيتش دراسته بالفيلق الموسكوفى الأول للطلبة المتدربين في عام ١٩١٦، ونحن لا نعرف مسيرته العسكرية في الفترة من عام ١٩١٧ و١٩١٨، ولكننا نعرف أنه قد واصل هذه التقاليد العائلية في عام ١٩١٩، ففى خريف هذه السنة خدم في سلاح فرسان المدفعية ضمن البطارية الثانية لسلاح الفرسان بالجيش الأبيض[٣٢٥].

بعد هزيمة الجيش الأبيض، انضم إلى عائلته التي كانت بالفعل في مصر حيث كان في الفترة من عام ١٩٣٨ إلى ١٩٥٤ ممثلاً لرابطة الحرس بسويسرا وعمل موظفًا بالمجلة الروسية "القصة العسكرية الحقيقية" عند انتقاله إليها.

كتبت تاتيانا ن. مونتى في خطاب لمؤلف هذا الكتاب: "أن بيتر فيدوروفيتش ريربيرت كان أبى الروحى، وقد كانت توجد بيننا أنا وهو أكثر العلاقات حميمية حتى نهاية حياته بسويسرا في عام ١٩٨٠. وقد كان يمثل بالنسبة لى أبا ثانيًا. كنا أنا وساندرو (المؤلف: زوج ت.ن. مونتى) كثيرًا ما نذهب إلى جنيف في ضيافته. كان مهندسًا متخصصًا في بناء حظائر الطائرات بالمطارات وقد عمل بشركة "إيسو" وسافر عن طريقها كثيرًا إلى لبنان ومالطا وأثينا وسويسرا، وقد تزوجت أخته فارفارا فيدوروفنا ضابطًا بحريًا بالإسكندرية حيث كانت تدرس اللغات في المدارس السكندرية، وعندما حدثت حركة انقلاب ناصر غادرا البلد وسافرا إلى

أمريكا، كان شقيقهم الأصغر نيقولاى فيدوروفيتش متزوجًا من المهاجرة تامارا فوجود، وقد تركا هما أيضًا الإسكندرية وعاشا ما بقيا لهما من الحياة بكندا".

كان بيتر فيدروفيتش معرفًا أيضًا بصفته واحدًا من المساعدين الأساسيين للقنصل أ.م.بيتروف، وفى عام ١٩٣٤ شارك بنشاط في تشييد الكنيسة الروسية بالشاطبى (انظر ألبوم الصور)، بصفة خاصة.

كانت الإسكندرية "محظوظة" بالمؤرخين العسكريين الروس، وكان هناك واحد منهم هو بريتسيل ألكسى ياكوفلوفيتش، وهو من مواطنى ومواليد مدينة سان-بترسبورج (توفى بالإسكندرية في عام ١٩٤٠، وتم دفنه في الشاطبى)، أما زوجته ريما قنطنطينوفنا فهى من مواطنى فوجاج ومن مواليد عام ١٨٨٧ بسان-بترسبورج، وقد توفيت بالإسكندرية في عام ١٩٦٩[٣٢٦].

كان ألكسى ياكوفلفيتش نفسه عقيدًا بحرس واحد من أقدم أفواج الجيش الروسى- فوج إيزمايلوفسكى، ولذلك فقد كرس الفترة الأخيرة من حياته في الإسكندرية لدراسة تاريخه،. لذلك فقد بدأ يصدر في العاصمة الشمالية لمصر مجلة "صفحات إزمايلوفسكية مواد عن تاريخ حرس فوج إيزمايلوفسكى". لم يكن فقط يحرر مقالاتها ولكنه كان أيضًا يكتب بعض موادها بنفسه، وكان بصفة عامة يعتمد على زملائه السابقين الذين استقروا في مختلف أنحاء العالم: في لندن، ونيويورك، براج، برلين، بلجراد، وفى أماكن أخرى.

صدر ٣٠ عددًا فقط من مجلة "صفحات إزمايلوفسكية"، كان يصدر في البداية من ٤ إلى ٥ أعداد في السنة كل من ٥٠-٦٠ صفحة، ثم بعد ذلك أخذ أ.ي.بريتسيل يطبع ١٥-٢٠ نسخة باستخدام آلته الكاتبة التي لم تكن دائمًا سليمة تمامًا، ولكن كان كل عدد أصبح يضم ٢٠٠ صفحة.

كان يتم توزيع المجلة فقط على زملاء عقيد حرس الفوج الإزمايلوفسكى السابقين[٣٢٧]، وكان يوجد الكثيرون من مثل هؤلاء الروس السكندريين من كبار الضباط والجنرالات يعيشون في الإسكندرية.. كان أعضاء الحركة البيضاء قد اعتادوا على النظام وتحمل المسئولية والضبط والربط وبلا جدال جلبوا فوائد لوطنهم الثانى، كان من بينهم الفريق ألكسندر ألكسيفيتش بيزكروفنى (١٨٦٦-١٩٤٨)، واللواء أندريه أندريفتش فاسيليف (توفى في عام ١٩٣٣)، وبوريس إيفانوفيتش نوفيكوف (توفى في عام ١٩٢٧، عن عمر يناهز الستين)، وأنطون فاسيليفيتش خوبرسكى (توفى في عام ١٩٢٠).

لا يُعرف شيء عن حياة هؤلاء الناس، حتى عن فترة إقامتهم بالإسكندرية، ولكن يوجد القليل من الاستثناءات؛ فعلى سبيل المثال أركان الحرب أ.أ.فاسيليف الذى يوجد قبره بجانب الكنيسة بالمقابر الأرثوذكسية اليونانية بالشاطبى قد عمل كمسريًا بالترام السكندرى[٣٢٨]. أما جسد اللواء أ.ف.خوبرسكى فيرقد بالمقابر العسكرية الإنجليزية بالشاطبى، وعلى الأرجح أنه توفى في المستشفى العسكرى في عام ١٩٢٠.

ومن الجدير بالإشارة أن اللواء (جيلمجولتس نيقولاى فيدوروفيتش (انظر الأشكال التوضيحية) وفقًا لما ذكرته تاتيانا مونتى، كان يقيم مع زوجته ألكسندرا نيقولايفنا بجانب منزلهم بالإبراهيمية؛ حيث طبقًا لرواية تاتيانا مونتى كان يعيش بهذا الحى الكثير من الروس، وقد توفى ن.ف.جيلمجولتس في ديسمبر عام ١٩٣٧، وتم دفنه في الشاطبى.

وكما روت تاتيانا مونتى عن ذكرياتها فإن حى الإبراهيمية قد تعرض لقصف شديد في أثناء الحرب العالمية الثانية "دمر الكثير من المبانى بأكملها وقتل كثير من الناس، وقد أنقذتنا معجزة، ثم سرعان ما انتقلنا إلى حى رشدى. وقد

تركت أيضًا ألكسندرا نيقولايفنا منزلها، وسرعان ما توفيت"[٣٢٩]، وتم دفنها في مارس ١٩٤٢ في الشاطبى.

كما يتضح فإن مصير الضباط والجنرالات الروس في الإسكندرية كان مختلفًا، فبعضهم قد نجح ليس فقط من الناحية المادية ولكن أيضًا في الإبداع، وعلاوة على ذلك فقد أضافوا إسهامًا كبيرًا في تنمية الفكر العسكرى الروسى التاريخى وضاعفوا تراثه الإبداعى والبحثى، بينما آخرون كانوا يلمون فقط بمعارف التكتيكات العسكرية البحتة والفنون التنفيذية فلم يتمكنوا من استخدامها في مصر، ويبين ذلك بوضوح تام مثال الجنرال فاسيليف الذى كرر بالفعل سباقات الصراصير التي نظمها الجنرال شرنوطا بالقسطنطينية في رواية بولجاكوف "سباق"، وهو قد عمل كمسريًا في مستودع الترام بالإسكندرية.

وعلاوة على ذلك، فإن الأمر لا يتعلق فقط بكبار ضباط الجيش والهيئة العامة للفيلق ولكن أيضًا بأعضاء مثل هذه الأنواع من القوات الجديدة مثل الطيران. لقد سبق أن ذكرنا أنه عند وصول بعض الضباط الروس والطيارين من الخطوط الأمامية إلى الإسكندرية في عام ١٩٢٠ وجدوا أنه لا يوجد طلب عليهم في طيران الجيش البريطانى المحتل بمصر، وقد غادروها في ذلك العام نفسه، وكان المصير نفسه تقريبًا ينتظر الطيار العسكرى ن.م. سيريكوف والد تاتيانا نيقولايفنا سريكوفا- مونتى.

ولدت ت.ن.مونتى- سريكوفا في يوم ١٧ سبتمبر عام ١٩٣١ بالإسكندرية. الأب- سريكوف نيقولاى ميخايلوفيتش (١٨٩٦- ١٩٨٠) مواطن من كييف، وكان واحدًا من أوائل الطيارين العسكريين في روسيا. الأم- أولجا دميتريفنا أندريفسكايا (١٩٠٣- ١٩٨٧) مولودة في تفليس، وهى ابنة جنرال بالجيش الروسى، كانوا يعيشون قبل الثورة والحرب الأهلية بمدينة سانت- بيترسبورج في ميدان

دفورسوفايا بالمبنى القديم لهيئة الأركان ("إذا وقفنا ووجهنا مواجه للقصر الشتوى تكون شقتنا على يسار القوس").

وفقًا لما ذكرته ت.ن.مونتى "التحق نيقولاى ميخايلوفيتش في عام ١٩١٦ بمدرسة الطيران في شبه جزيرة القرم وأظهر قدرة استثنائية، وسرعان ما نجح في الاختبار وحصل على لقب طيار- قائد طائرة، وتم إرساله إلى الجبهة الجاليكية في تشكيل كازاكوف الشهير، وسرعان ما أسقط في معركة جوية طائرة "ألباتروس" معادية وهو يطير بطائرته طراز "نيو- بور" فحصل على أول وسام "صليب جيورجى"، وقد شارك كثيرًا في العمليات القتالية وفى إحدى المرات أفلت من ثلاث طائرات "ألباتروس" وانطلق إلى أعلى فبلغ ارتفاعًا قياسيًا يبلغ ٦٣٠٠ متر.

وبسبب هذا الإنجاز- تكمل ابنته- منح وسام "صليب جيورجى" الثانى، وفى نهاية عام ١٩١٧ بينما كان على الجبهة الجاليكية انتقلت فصيلته إلى الوحدات الأوكرانية. وفى صيف عام ١٩١٨ جاء إلى شبه جزيرة القرم في إجازة لزيارة مدرسة الطيران". غادر ن.م.سيريكوف في صيف عام ١٩٢٠ مدينة سيفاستوبول وجاء إلى القسطنطينية، وفى عام ١٩٢١ كان بالفعل موجودًا بمصر.

أما ما يتعلق بالعائلة نفسها، ففى وقت مبكر من عام ١٩١٨، وفقًا ت.ن.مونتى نفسها، فقد هربت على عجل إلى الجنوب، "بقي كل شيء في هيئة الأركان العامة بمدينة بيتروجراد بما في ذلك الكثير من السجاد الذى تم شراؤه في بلاد فارس، حيث كان والدى يعمل في الملحقية العسكرية".

لم تعجب مصر والد الأم فتوجه على الفور مع زوجته إلى فرنسا، بينما بقيت الأم تاتيانا نيقولايفنا وبدأت العمل بوصفها مربية في أسرة عربية، أما أب المستقبل فقد التحق في البداية بالعمل سائقًا عند أحد الباشوات المصريين، سرعان ما التقيا وتزوجا، لم يتمكن نيقولاى ميخايلوفيتش من العمل طيارًا حربيًا في

التشكيلات الصيفية لجيش الاحتلال البريطانى- أى لدى الحلفاء السابقين، فبدأ العمل في شركة الإسكندرية لإنتاج وبيع الكيروسين.

تكمل تاتيانا نيقولايفنا روايتها: "عندما كنت صغيرة كان يعيش في الإسكندرية حوالى ألفين من المهاجرين الروس، كانت طفولتى نوعًا من الطفولة السحرية: حكايات خرافية، لعب، تقاليد وأعياد... استأجر والدى مع مجموعة من الآباء الروس الآخرين فيللا بحديقة كبيرة أقام بها حوالى عشرة أشخاص، ولم يكن منهم من أقاربنا.

كنت أسمي جيراننا "العمة تانيا" و"العم بيتيا" وكذلك "الجد" و"الجدة" بينما كان جدى وجدتى بفرنسا، كنا نعيش في فقر، كان قد جاء من روسيا ضباط معظمهم من الملاك، ولم يكونوا معتادين على العمل البدنى، بل إنهم لم يكونوا يجيدون عمل أى شيء مفيد، لذلك فقد قرروا العيش في أسرة واحدة كبيرة؛ حيث إن ذلك أسهل، ولكن على الرغم من الفقر كنا نعيش معًا في ود ومرح، كان جميع سكان الفيللا أشخاصًا مثقفين، وكان الأجانب يتقابلون معهم طوعًا، وكانوا أحيانًا يدعون والدى للتسامر ولعب التنس أو البريدج.

استمر هذا لسنوات عديدة إلى أن ظهر الرئيس جمال عبد الناصر الذى قام بثورة في عام ١٩٥٢ وطرد الملك فاروق، خاف المهاجرون الروس بشكل جدى، حيث إنه سبق أن عانوا من ثورة في روسيا وكانوا يخشون من أنه لا يمكن انتظار خير من ذلك، بدأ الناس في الرحيل كل في اتجاه- إلى كندا، وأستراليا، وأمريكا، وغادر غالبية المهاجرين من الأجيال الأكبر سنا مصر، أما جيلى فقد كان يحصل على تعليمه في ذلك الوقت في الخارج؛ حيث إننا كنا ندرس بمدارس أجنبية، وفى الغالب لم يعد أحد تقريبًا بعد تخرجه، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نعيش وحدنا"[٣٣٠].

تخرجت تاتيانا نيقولايفنا بالمدرسة الثانوية الفرنسية بالإسكندرية، وفى الوقت نفسه كانت تتلقى دروسًا في اللغة الروسية، والتى كانت تدرسها لها يلينا ألكسندروفنا كاربانينكو(٣٣١). بذلك تعلمت قواعد اللغة الروسية، وقد قوى الحديث باللغة الروسية في البيت معرفتها باللغة الأم، وهى تتحدث بها الآن بطلاقة وتقريبًا دون لهجة ("يسرنى الحديث بالروسية!").

تزوجت تاتيانا سيريكوفا من يونانى غنى، وكانت حتى ذلك الوقت تعمل طوال ٥ سنوات بموجب عقد باعتبارها مربية بحضانة أطفال التنظيم التبشيرى الفرنسى (أخبرت مؤلف كتاب "الإسكندرية الروسية": "الأطفال- شيء مرعب- وقد استهلكونى تمامًا! وهنا قرأت في جريدة إعلان ساندرو مونتى").

ساندرو مونتى هو الزوج الحالى لتاتيانا نيقولايفنا. في حديثها معنا روت أنها بدأت تعمل مع ساندروفى عام ١٩٥٩ وكانت متزوجة يونانيا، لقد جاء ساندرو مونتى من إيطاليا بعد تخرجه فى الجامعة ومعه فكرة إنشاء مصنع لإنتاج الأقمشة، وقد نشر إعلانًا بجريدة عن حاجته لفتاة تجيد الرسم، قبل هذا الوقت كانت علاقتها بزوجها قد بردت كثيرًا، ووفقًا لما ذكرته تاتيانا نيقولايفنا فإن هذه العلاقة لم تكن أبدًا وثيقة بشكل خاص، "حيث إنه كثيرًا ما لا يتم الزواج في الشباب نتيجة للحب".

وقد استجابت تاتيانا لهذا الإعلان حيث إنه كان يجب مساعدة الأسرة، عقد لها ساندرو امتحانًا، فأعجبته رسومها، وهكذا أصبحت تعمل عنده فكانت تنفذ الرسومات الفنية من أجل صناعة الأقمشة، تتذكر تاتيانا نيقولايفنا: "سرعان ما نمت علاقتنا من علاقات العمل البحتة، فأحببنا بعضنا، وتركت زوجى الأول، وكان والدى في حالة يأس حيث إنهما كانا يعتقدان أننى تركت زوجى الشرعى الثرى من أجل فنان ما، مغامر إيطالى عابر".

نجحت أعمال مصنع ساندرو وكان يوجد لديه الكثير من الزبائن الذين أعجبتهم رسومات الفنانة، فسرعان ما أصبحت تاتيانا مونتى تقوم بعمل رسومات وموديلات فساتين وملابس أخرى. كانت البداية مع الجلابيات[٣٣٢] التي كانت في الموضة في ذلك الوقت عند الأوروبيين، وأصبح هناك طلب على هذه التصميمات في البوتيكات والصالونات والمحلات التجارية، وكانت إحدى زبائنها بأحد البوتيكات هى الزوجة الأولى للملك فاروق الملكة فريدة، تقول تاتيانا مونتى "أتذكر كيف أعجبها أحد تصميماتى لفستان، ونحن أصدقاء مع شقيق فريدة إلى اليوم".

ازدهرت أعمال تاتيانا وساندرو على الرغم من أنهما عاشا وما زالا يعيشان بتواضع كبير،[٣٣٣] ويمضى الزوجان إجازتهما سنويًا بإيطاليا، وتحمل تاتيانا نيقولايفنا الجنسية الإيطالية، كما أن لديهما كثيرًا من الأصدقاء في المجتمع الأجنبى السكندرى، وهما كثيرًا ما يذهبان في زيارات ويدعوان الأصدقاء إلى منزلهما. وهما يتواصلان فيما بينهما ومع الأصدقاء باللغة الفرنسية.

تعرف هذه الأسرة كل الإسكندرية أيضًا لأن ساندرو مونتى يرأس المركز الثقافى الإيطالى "دانتى أليجيرى" غير الحكومى في المدينة، والذى يتميز بنشاط كبير: تقدم به برامج اللغة الإيطالية، وتقام به الأمسيات الموسيقية والأدبية، كما أنه كثيرًا ما يرسل المتدربين إلى إيطاليا، وتاتيانا نيقولايفنا تساعد زوجها بنشاط كبير في هذا العمل الاجتماعى[٣٣٤].

فى وقت متأخر نسبيًا، بدأ الزوجان يزوران المؤسسات الروسية بالإسكندرية- القنصلية العامة والمركز الروسى للعلوم والثقافة، حيث يكونان دائمًا موضع ترحيب، علما بأن هذه العلاقة كانت تقريبًا غير موجودة قبل بداية القرن الجديد. كان عدم الثقة والشك، بل حتى المعارضة النشطة التي نشأت في الحقبة السوفييتية، مستمرين في السيطرة على الحواس الأخرى- الفضول والنوايا الحسنة،

وقد واجه المؤلف نفسه موقفًا مماثلاً من أحد المهاجرين الروس "ب" المقيم بالإسكندرية بحي المنشية[٣٣٥].

تمضي حياتهما الأسرية بسلام وسعادة على الرغم من أنه ليس عندهما أبناء، ويوجد لدى تاتيانا نيقولايفنا رأى خاص يتعلق بذلك: "لم أرغب أبدا في أن يكون لى أبناء، ففي عالمنا، في وضعنا باعتبارنا مهاجرين لم تكن توجد هناك أية ثقة في أن أطفالى سوف يشبون سعداء، ودون ذلك لم يكن هناك معنى للإنجاب، وقد فهم زوجاى ذلك" [٣٣٦].

في ثمانينيات القرن الماضي رحل والدا تاتيانا نيقولايفنا واحدا بعد الآخر، فقد توفى والدها نيقولاى ميخايلوفيتش في ربيع عام ١٩٨٠، أما أمها أولجا دميتريفا فبعد ذلك بسبع سنوات، اشترت تاتيانا نيقولايفنا قطعة أرض لقبرى والديها في الشاطبى بجوار الملاذ الأخير لأصدقائهم من عائلة ريربيرت ("لكى يكونوا معًا في العالم الآخر أيضًا") وهى تزورهم كثيرًا جدًا، والمؤلف شاهد على ذلك مرارًا وتكرارًا[٣٣٧].

يرغب مؤلف هذا الكتاب في تسليط الضوء في هذا العمل على حياة عائلة أخرى من المهاجرين الروس بالإسكندرية، وهى أيضا نمطية بالنسبة للإسكندرية، هى عائلة كون.

ولد كل من والد تاتيانا كون التي ما زالت على قيد الحياة وجدها وأجداده بمدينة سانت- بترسبورج، تتذكر تاتيانا ديميتريفنا والدها بدفء خاص: لقد كان رجلاً مرحًا وكان يحب كتابة الشعر، وكان يغنى مع صديقه بالإسكندرية- يورا مازاراكى (كانا يقرأان جوميليف ويغنيان المارشات والأناشيد)، ويتمازحان ويتشاقيان.

كانت حياتهما بالإسكندرية ممتعة وسهلة؛ شواطئ، أجانب، صحة تدفقت حتى سالت من الحافة.

ثم كان يجب التفكير في التعليم، كان ديما يدرس بمدرسة الليسيه بالإسكندرية على مضض، صحيح أنه يتحدث عن ذلك بشكل مختلف: "كان والدى يتابع نجاحاتى، وسرعان ما أدرك أن الأمور في هذه المدرسة سيئة للغاية، وعلى أية حال فقد كنت تلميذًا ضعيفًا جدًا فى الفصل التحضيرى، وكنت بالكاد أدرس في الذيل وأنتقل من فصل إلى آخر، ثم سرعان ما التحق بالإدارة وعمل كثيرًا في مكان وإن كان صغيرًا إلا أنه كان على الرغم من ذلك محترمًا. عشنا نحن الأطفال حياة مرحة، فكنا نتجمع عند بعضنا البعض ونذهب للسباحة وننظم النزهات (انظر ألبوم الصور)، وهكذا كان الروس يعيشون عامة.

كنا نجتمع كثيرًا بصفة خاصة عند عائلة ريربيرج، كان يحدث ذلك في الرمل في فيللات عامة لم أشاهد مثلها بعد ذلك في أى مكان. بالطبع كان يملكها أغنياء كنا لا نعرفهم.

كانت الحياة في الإسكندرية في ذلك الوقت ممتعة جدًا، فقد كان يوجد بها الكثير جدًا من الأجانب، وكانوا كلهم يعيشون في مجتمعاتهم، ولكنهم كانوا بالطبع يختلطون مع الآخرين، كان اليونانيون هم الأكثر عددًا. كان يوجد بينهم فقراء وخبازون وبقالون، بينما كان يشتغل الأغنياء في القطن الذى كانت كل الحياة الاقتصادية للبلد قائمة عليه، وكانوا ببساطة يعيشون في قصور".

يميز دميترى الإيطاليين والفرنسيين ويصفهم آخذًا في الاعتبار علاقاتهم بالروس: "كان الإيطاليون كثيرين، وكانوا يعملون في البنوك كما كانوا حرفيين، كان للفرنسيين مدارس منفصلة للفتيان وللفتيات. كان يوجد الكثير من المدارس الكاثوليكية ولكن كان الروس يخافون إرسال أطفالهم إليها حتى لا تغريهم

الكاثوليكية. أما في مدارس الليسيه فلم تكن تدرس أية كاثوليكية، ولذلك كان بها الكثير من اليهود.

وهكذا كان الكثير من اليهود يذهبون إلى الليسيه، كانت الأمور هناك تسير بشكل جيد جدًا ولكن كان بها إفراط في العمل فكان لدينا الكثير للقيام به وبجدية. كانت مدرسة الليسيه عبارة عن مبنى جميل مقسم إلى نصفين؛ أحدهما للفتيان والثانى للفتيات، وكان معظم المدرسين بها فرنسيين وكان تأهيلهم جيدًا، وكان يوجد في كل فصل ٤٠ شخصًا حيث يتم العمل فقط مع الخمسة تلاميذ الأوائل، أما الآخرون فكانوا يتدبرون أمورهم بأنفسهم"[٣٣٨].

وبعد ذلك يذكر د. كون أنه لم يكن يولى اهتمامًا كبيرًا بالتربية البدنية وممارسة الرياضة في المدارس الفرنسية، وكذلك في الإنجليزية، وقد كانت ممارسة الرياضة مهمة جدًّا بالنسبة للشبان الروس وبصفة خاصة للفتيان. تعلم ديما كون في سن الخامسة عشرة فقط الطفو فوق الماء، ثم منذ السابعة عشرة من عمره أصبح بطل الليسيه الفرنسى في السباحة، كما أنه كان يجرى ويحصل على نتائج جيدة؛ فكان يحتل المركز الثانى أو الثالث في مسابقات الجرى السنوية بالمدرسة.

مارس الروس في الإسكندرية التربية البدنية والرياضة بنشاط كبير، وهو ما سبق أن أشرنا إليه في مثال معسكر سيدى بشر، وكانت الصحافة السكندرية تكتب عن هذه النتائج لاحقا: "التنس. الإسكندرية. نادى سبورتنج. فازت الآنسة ألكسندرف على الآنسة ديجاردى بنتيجة ٦:٢، ٦:٣"[٣٣٩]. وأشارت هذه الجريدة نفسها في ١٦ مايو ١٩٢٥ الآنسة ألكسندرف تفوز في المسابقات الفردية وكذلك في المسابقات الزوجية (مع زيرلندى).

اهتز مصير دميترى كون في المستقبل بشدة، مثله مثل غيره من المهاجرين، وقد اضطر إلى الذهاب إلى كثير من أنحاء العالم ليتحقق أخيرًا موقفه

في الحياة، وفى مصر أيضًا اضطر في أحيان كثيرة إلى تغيير مكان إقامته بسبب العمل، وهذا ينطبق حتى على الإسكندرية حيث كان ينتقل من مكان إلى آخر.

ويتذكر ديما نفسه هذه الفترة من حياته هكذا: "لا أتذكر كم سنة عشنا في السيوف، هكذا كان يسمى هذا الجزء من حى الرمل، ثم انتقلنا إلى حى مصطفى كامل، كان مكانًا جميلاً. كنا نسكن فيللا صغيرة تبدو كقلعة بحديقة، وأعتقد أن والدتى ذهبت للعمل في القاهرة في ذلك الوقت، وسرعان ما قابلت سيرجى فلاديميروفيتش ديفوف (انظر الأشكال التوضيحية) وطُلقت من أبى، بقيت مع والدى، كانت تخدمنا بدوية عجوز، فكانت تنظف المنزل وتطبخ الأطباق الروسية. لم أكن ألوم أمي؛ حيث إننى لم أكن أفهم الكثير وعمرى ١٦ عامًا؛ ولذلك لم أكن قادرًا على الحكم، كنت أذهب إلى أمي في العطلات وفى أعياد الميلاد والفصح، كنت أحب جدًا هذا الوقت؛ لأنى تعرفت على أقاربنا البعدين من عائلة كرينفاكسينى[٢٤٠] وعلى ابن خالى يورى مازاراكى، كان كل هؤلاء الأصدقاء الجدد يحضرون في الصيف إلى الإسكندرية، كان عندى قارب مسطح طوله ثلاثة أمتار، وكنا نستقله على الشاطئ ونركب الأمواج، وسرعان ما أصبحت خبيرًا في ذلك. كنا نمضى طوال اليوم من الصباح إلى المساء على الشاطئ.

كان يوجد بحى مصطفى كامل مقر صيفى للإنجليز وثكنة عسكرية بريطانية، وكان المدنيون البريطانيون قليلين بجانب العسكريين، كما كان القوميات الأخرى توجد بما فيه الكفاية، كان كازينو سان استفانو شهيرًا جدًا وكنا نمضى فيه أيضًا الكثير من الوقت. كانت توجد به موسيقى ورقص وروليت وسينما مفتوحة في الهواء الطلق، كان الدخول يكلف ١٠ قروش وكان الحضور جيدًا جدًا. كانت تحضر إلى هناك كل الإسكندرية في الخامسة مساءً. كان في المدينة الكثير من دور العرض، وكنا نذهب إليها هى أيضًا. في ذلك الوقت كان الممثل رودولف

فالنتينو مشهورًا، وكنت أرغب في تقليده. للأسف كانت الفتيات الروسيات أكبر منا سنًا بحوالى ٣ أعوام وكنا نثير اهتمامهن، كما أننا أيضًا لم نكن نعير لهم اهتمامًا.

مرت السنوات، واقتربت نهاية المدرسة، كان كل الروس يدرسون جيدًا وبصفة خاصة البنات. كنت أمثل استثناء لذلك؛ حيث كان على الذهاب إلى مدرسين خصوصيين للتغلب بشكل ما على الرياضيات والفيزياء.. عندما كان أبى في مثل سنى كان يدرس بشكل ممتاز للغاية، لذلك كان كثيرًا ما يصل إلى حالة سخط على فكانت توجد لدينا مشاكل مستمرة بسبب ذلك. على أية حال، وبشكل ما، حصلت على شهادة الثانوية العامة التي تسمح بالالتحاق بالجامعة، في ذلك الوقت كان كل الفتيان الروس يريدون أن يصبحوا مهندسين، ولكنى كنت ضعيفًا في مادة الرياضيات، ولم أكن حتى أستطيع التفكير في ذلك.

أخرجنى أبى من كلية فيكتوريا التي كان طريقها يؤدى إلى إنجلترا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن الدراسة بها كانت مكلفة جدًا. فيما كان يخص تعليمى اللاحق، كان يفكر بشكل رئيسى في بلجيكا، ولم يكن يريد حتى السماع عن فرنسا؛ لأنه كان يرى أنها منحرفة للغاية بالنسبة لشخص صغير في السن. كان أبى يريد منحى بالضرورة تعليمًا عاليًا وكان يريد، بشكل خاص، أن يكون ذلك بالجامعة، ولكنه من ناحية أخرى لم يكن يريد حرمانى من الاختيار، ولكن كان يجب أن يكون الاختيار عمليًا لذلك استبعد دراسة الحقوق لأن عددًا كبيرًا الناس أصبحوا محامين وكان عددهم كبيرًا للغاية، كما أنه كان يجب بعد التخرج العمل لدى محام تقريبًا مجانًا، وكانت لا تزال هناك حاجة إلى بعض المال.

أصبحت العلوم السياسية تثير اهتمامى، ولكن بما أنى لم أكن أحمل جنسية فلم أكن أستطيع أن أعول عليها، كما أنها أولاً وثانيًا كانت مرتبطة بفرنسا، وهنا دفعنى والدى إلى العلوم الاقتصادية، وكان يرى أن إنجلترا هى الأنسب لها.

راسل أبى صديقه القديم ببريطانيا العظمى الرائد سوخ الذى كان خيالاً متقاعدًا وكان ضابطًا بالجيش البريطانى بفرقة الفرسان ١٨/١٣، وقد تخرج فى كلية إيتون. أوصى له صديقه بكامبريدج، ولكن بالاستفسار رأى أبى أن ذلك ليس في متناول يدنا من حيث التكلفة. عندئذ نصح سوخ بجامعة اسكتلندا، وسرعان ما راسلنا أدينبورج حيث كانوا يقبلون الحاصلين على الثانوية العامة، ولكنهم كانوا يطلبون اجتياز الأجانب لامتحان في اللغة الإنجليزية، فبدأت الاستعداد له مع مدرس من جلاسجو"[٣٤١].

أنهى ديما كون هذه الفترة من حياته بالشكل التالى: "... فى أحد الأيام ألبسنى والدى ملابس جميلة وأقام صلاة وداع في منزلنا ثم أرسلنى إلى أدنبرة، أبحرت من الإسكندرية على متن سفينة إلى مارسيليا ثم واصلت رحلتى بالقطار إلى باريس، حيث أقمت عند أقاربنا، وفى ديسمبر عام ١٩٣٠ وصلت إلى أدنبرة[٣٤٢]، هنا قابل دميترى المدرسة إديت فتزوجا في عام ١٩٤٠، ولكن لم تناسب الحياة باسكتلندا الزوجين الشابين فسافرا إلى مصر حيث يعيش والداهما.

ثم بدأ دميترى أناتوليفيتش في البحث عن حياة أفضل في الشرق العربى، وهو ما كان سمة الكثير من الروس الذين استقروا منذ البداية في الإسكندرية، وعلى الأرجح يمكن أن يمثل مصير إيفان ألكسندروفيتش روبينسكى أحد أفضل الأمثلة على ذلك[٣٤٣].

نزل إلى الإسكندرية مثل العديد من الركاب الآخرين من على سطح السفينة "ساراتوف" في عام ١٩٢٠، وبقى بالإسكندرية لبضع سنوات، في البداية جاء إيفان روبينسكى إلى المعسكر السكندرى بسيدى بشر الذى كان قريبًا من المحطة الجوية العسكرية البريطانية، وقد نجح في العام نفسه في العثور على وظيفة دون المرور على التل الكبير.

بعد بعض الوقت انتقل إلى سوريا حيث اكتسب خبرة خاصة بدمشق في وقت صعب لهذا البلد أثناء فترة أعوام ١٩٢٢- ١٩٢٥، كان يعمل في مكتب محاسبة بإدارة مسح الأراضى واستصلاح الأراضى الزراعية "بدول سوريا والعلويين ولبنان العظيم" في أعوام ١٩٢٤- ١٩٢٥.

وفى عام ١٩٢٦ انتقل إلى لبنان المجاور حيث حصل على وظيفة بإحدى مؤسسات التعليم العالى التي ما زالت حتى الآن مرموقة في هذا البلد- الجامعة الأمريكية الخاصة ببيروت.

في عام ١٩٣١ أصبح أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا مشاركًا في عام ١٩٣٩ ثم أستاذًا في العلوم الهندسية في عام ١٩٥١، كان نشاطه التدريسى ببيروت متنوعًا للغاية، وقد سافر عدة مرات إلى أوروبا وأمريكا حيث عرض إنجازاته العلمية. لم ينس المعهد المركزى للديناميكا الهوائية فأرسل إليه هذه الإنجازات العلمية، عن طريق القنصلية السوفييتية. تقاعد إ.أ.روبينسكى في عام ١٩٥٥ وبقى في وظيفة باحث علمى بالجامعة الأمريكية حتى عام ١٩٦٣.

لقد ترك بصمة واضحة في تاريخ التعليم الجامعى بوطنه الثانى لبنان، وبصفة خاصة شارك في تخطيط وبناء منشأة بلبنان لإزالة ماء النفط باستخدام الغازات، ويرجع إليه الفضل أيضًا في صناعة العديد من أجهزة القياس، وتقديرًا لنشاط إ.أ.روبينسى العلمى والتقنى المتعدد الجوانب ونشاطه التعليمى منحته حكومة لبنان "وسام الأرز"، بينما منحته وزارة التعليم "ميدالية الجمهورية البرونزية"، وقبل موته بفترة قصيرة جاء إلى موسكو وكتب مذكرات موجزة لسيرة حياته الذاتية.

تزوج إ.أ.روبينسكى في فبراير عام ١٩٢١ من مواطنة مدينة - تفليس إيرينا براون، وهى ابنة مهندس إنجليزى يعمل بالقوقاز، رزقا بثلاثة أطفال:

أندرو، إيليا وتاتيانا، وقد دفن في بيروت بمقابر الأشرفية وأجريت مراسم جنازته بكنيسة القديس دميترى.

بالطبع حيث إن ديما كون لم يكن له مثل هذه الإنجازات والأعمال التي كانت لإ.أ.روبينسكى فقد اضطر إلى التجول في جميع أنحاء العالم للبحث عن عمل لائق بعد أن درس أولاً إمكانيات البلدان المجاورة. دعونا ننتقل إلى مذكرات أخته تاتيانا كون التي تم منحها لمؤلف هذا الكتاب.

تتذكر تاتيانا: "فى بداية عام ١٩٤٩ حصل والدى على وظيفة في لبنان حيث أمضينا سنة واحدة، وفى عام ١٩٥٠ قبل عرضًا للعمل بجامعة القاهرة ليكون مدرسًا للاقتصاد بها، كان والدى يتحدث اللغة العربية بطلاقة على الرغم من أنه لم يكن يكتب أو يقرأ هذه اللغة، كنا نعيش عند جدى وجدتى في شقة بالطابق الخامس بوسط القاهرة على مقربة من ميدان التحرير الحالى، بشارع الشريفين[٣٤٤]، كان يعمل عندهما طباخ رائع اسمه محمد، وقد علمه جدى سيريوجا إعداد الأكلات الروسية، بينما تعلم منه أيضًا طهى الكفتة واللحم ومحشى الكرنب والفطائر والحساء والعجين المحشو باللحم. وكانوا يعدون دائمًا فى عيد الفصح كعكة "الكوليتش" والبيض الملون.

عملت جدتى رقيبًا على الأفلام الغربية لدور العرض العربية. أما جدى فكان يرمم لوحات المتحف المصرى، وكان كثيرًا ما يقوم بذلك بالمنزل، وكنت أحب مراقبته ومشاهدة طريقة عمله، وأنا أحب الآن الرسم باستخدام الألوان الزيتية. كنت أحب جدى جدًا فقد كان مرحًا جدًا، ولكنه كان في الوقت نفسه صارمًا للغاية: لسبب ما كان دائمًا غاضبًا في وجهى. كانت جدتى مثل كل الروس (المؤلف: من النبلاء) تحب لعب الورق. كانت مدرستى في القاهرة هى "دير القلب

المقدس"، كانت أمى تعمل في المدرسة الإنجليزية "مدرسة الجزيرة الإعدادية" (السيدة بولين)، كانت متاجرى المفضلة هى جروبى وشيكوريل. وقد اخترنا الحياة مرة أخرى بين الروس"(٣٤٥).

بالنسبة للإسكندرية، لم يكن روسيوها السكندريون "القاهريون" ينسونها، فتتذكر تاتيانا دميتربيفنا كون:" كنا نذهب في الصيف إلى الإسكندرية حيث كان يعيش جدى في ذلك الوقت في شارع تيجران باشا بالمنزل رقم ٩٠ بالطابق الأول (حى كليوباترا بالرمل)، كانت لدينا شقة بالطابق الأول، وكنا نستحم يوميًا في البحر، كان جدى قد أصبح قادرًا على الحديث بشكل معقول باللغة الإنجليزية، بينما كانت أمى قد أصبحت تفهم الروسية جيدًا بينما كانت تخجل من الحديث بها.

حصل والدى في عام ١٩٥٢ على وظيفة جيدة في السودان: محاسب أول بالحكومة المحلية. بقينا في الخرطوم لمدة ثلاث سنوات، ثم تم نقله إلى شركة قناة السويس حيث شغل بها أيضًا وظيفة محاسب أول، وهكذا عدنا مرة أخرى إلى مصر، وأقمنا مرة أخرى بالقاهرة، وكنا كثيرًا ما نذهب إلى الإسكندرية، وفى نهاية المطاف استقر بنا المقام في فايد على شاطئ خليج السويس.

تنهى ت.د.كون- روبيرتس مذكراتها الموجزة كما يلى: "وقعت أزمة السويس المعروفة في عام ١٩٥٦ ففقد أبى عمله بشركة قناة السويس، وكان علينا العودة إلى إنجلترا. التحق أبى موظفًا حكوميًا، أما أنا فقد تخرجت في المدرسة ثم الجامعة، وكانت مواد تخصصى هى اللغة الروسية وآدابها واللغة الفرنسية وآدابها، وبعد ذلك دافعت عن أطروحة في موضوع "نظرية المعلومات". بدأت العمل في المكتبة البريطانية ثم بعد ذلك باسكتلندا"، عملت تاتيانا دميتريفنا في الفترة الأخيرة بمكتبة جامعة جلاسجو بقسم "أوروبا الوسطى والشرقية" وكانت إحدى أكبر المكتبات السلافية بأوروبا الغربية.

لم تنته بذلك رحلات دميترى كون "السندبادية" فقد حصل على وظيفة بالبلد المجاور لمصر– ليبيا: حيث أصبح يدرس الاقتصاد بطرابلس ثم في بنغازى، وبعد سنوات قليلة قدم استقالته وسافر إلى أثينا حيث كان يعيش بعض أقاربه، ومات هناك في عام ١٩٨٩، كانت أم تاتيانا دميتريفنا قد توفيت قبل ذلك بعام. كان زوجها نورمان روبيرتس (انظر ألبوم الصور) أستاذًا لعلوم الحاسب الآلى بالجامعة الإنجليزية في اسكتلندا، ولكنه استقال من منصبه منذ عدة سنوات، وهو يعمل الآن مستـــشارًا، وهو من مواليد ويلز الشمالية.

يمكن الاستمرار طويلاً في عرض قائمة العائلات الروسية البارزة التي قامت بإسهامات كبيرة في الحياة اليومية للروس في العاصمة الثانية لمصر وفى الحياة الثقافية لمصر بأكملها، كما يستحق الاهتمام أيضًا الروس الذين لم يكونوا أسرًا ولكنهم كانوا ظاهرين على خلفية الحياة الاجتماعية للجالية الروسية بالإسكندرية ومصر ككل.

أولاً يجب الإشارة إلى ب. ى.دوبرينو– كونيوخوف الذى ينتمى إليهم (توفى في أبريل عام ١٩٥٤ وتم دفنه بالشاطبى بالإسكندرية)، كما أشرنا من قبل، كان بيتر ياكوفلفيتش كيميائيًا من حيث تعليمه (ملازم أول بسلاح المهندسين في الجيش العامل)، وكان كثيرًا ما يثير استياء الروس السكندريين، كان يعمل في تثقيف شباب المجتمع الروسى بمعسكر الطلاب المتدربين بمعسكر الإسماعيلية، ورأس مدرسة معسكر سيدى بشر، كان يكتب الشعر ويرسم، وقبل وفاته سلم ثمار إبداعه لجامعة الإسكندرية دليلاً على اعترافه بفضل مصر وامتنانه لها لتوفيرها المأوى وحق إقامة المنفيين الروس بمصر عامة، وبصفة خاصة بالإسكندرية[٣٤٦]. كان المهاجرون الصغار يحبونه جدًا كما يتضح من أدلة وافرة، وقبل كل شىء مما روته تاتيانا كون[٣٤٧].

لم يكن ممكنا للمؤلف تجاهل حياة ونشاط سكندرى وقاهرى في الوقت نفسه مثل المدير السابق لعيادة جامعة موسكو ك.إ.فاجنر (انظر ألبوم الصور)[٣٤٨]. لقد ولد في عام ١٨٦٢، وهو بولندى الأصل. وقد ظهر كونراد إدواروفيتش[٣٤٩] قبل المهاجرين البيض الآخرين، قبل ثورة أكتوبر في عام ١٩١٧. تشير المعلومات الموجودة بمصادر الإنترنت إلى سنوات "عمله بالجامعة"- ١٨٩٧- ١٩١٦، وقد يكون قد جاء إلى مصر في عام ١٩١٦ بالذات، وقد يكون قد استفاد من الطريق الذى فتحه الأطباء الروس في بلد الأهرام من قبل[٣٥٠].

كان ك. إ. فــاجنر موجــودًا بالإسكندرية قبل وصول الجزء الأكبر من العسكريين الروس البيض، وحضورهم من معسكر التل الكبير. على أية حال، فقد قام بنشر إعلان في الصحافة السكندرية تم إعلانه منذ ٨ يوليه ١٩٢١: "سوف يقضى مدير عيادة جامعة موسكو الأستاذ الدكتور فاجنر موسم الصيف بالإسكندرية وسوف يستقبل المرضى يوميًا من الساعة ١٠,٠٠ إلى ١١,٠٠، ومن الساعة ١٦,٠٠ إلى ١٨,٠٠ بشارع محمد باشا الفلكى. تليفون ٥٧-٧"[٣٥١]. يدل هذا المثال مرة أخرى على أن معسكر سيدى بشر لم يكن هو المكان الوحيد الذى كان يتركز فيه المنفيون الروس في الإسكندرية[٣٥٢].

كما سبقت الإشارة أعلاه، فإن ك.إ.فاجنر كان أحد منظمى عملية تأسيس العيادة الروسية بمصر، وكان قد "اكتسب شعبية واسعة"[٣٥٣] في مصر قبل ذلك. لقد لعب في مصر دورًا مهمًا للغاية في مستقبل واحد من المثقفين الروس البارزين الذين أجبروا على مغادرة روسيا، وكان كثيرًا ما يلقى كلمات على رأس الاجتماعات العامة للمهاجرين ومع ذلك لم يقطع الصلة بحبيبته الإسكندرية. فلنلجأ مرة أخرى إلى الصحافة السكندرية: "سوف يستقبل الأستاذ الدكتور فاجنر المرضى في الأحد الأول من كل شهر، أى ٤ يناير، ١ فبراير، ١ مارس، ٥ أبريل، ٣

مايو، ٧ يونيه من الساعة ٩ إلى ١١ صباحًا و ١٦ إلى ٠٠ : ١٧ مساءً بشارع النبى دانيال. تليفون ١٨-٥١"[٣٥٤]، كان البروفيسور يعالج مرضاه السكندريين بالرغم من أنه كان يرأس العيادة الروسية القاهرية.

لم يكن ذلك صيف مصر الحارق، عندما كان يختبئ الناس من حر القاهرة على "الساحل الشمالى" ولكنْ شتاء سكندرى غير سار بهطول أمطاره ورياحه على فترات متقطعة، على الأرجح في ظل عمله بالعاصمة الشمالية كان الدكتور فاجنر يعلن مرضاه الذين كان يخدمهم باستمرار ولذلك فقد نشر هذه الإعلانات في الجرائد السكندرية ليخبر زبائنه بمواعيد الاستقبال في المستقبل.

استمر بروفيسور جامعة موسكو كونراد إدواروفيتش فاجنر في ممارسة هذا العمل حتى أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، عندما سافر إلى وطنه بولندا، ثم اختفت آثاره بعد ذلك.

مهما أشرنا إلى دور العائلات الروسية البارزة في الإسكندرية فبطبيعة الحال كانت الكتلة الواسعة من الروس في العاصمة الثانية لمصر هى "العمود الفقرى" الرئيسى للجالية والتى بمساعدتها استراحت حياة الجالية ككل.

فى هذا الصدد، فإن المعلومات التي قدمتها تاتيانا مونتى للمؤلف في عام ٢٠٠٠ فريدة تمامًا من نوعها. وهكذا، كانت توجد بين المعلمين الذين كرسوا حياتهم لتربية وتعليم الأطفال الروس والعرب والأجانب بالإسكندرية الأختان ليبيديفا– أولجا إيجوريفنا وتاتيانا إيجوريفنا. كانت الأولى تدرس الموسيقى في المدارس الإنجليزية، أما الثانية فكانت تعلم الرقص، وتعبر تاتيانا نيقولايفنا مونتى عن امتنانها الخاص ليلينا ألكسندروفنا كاربانتكو التي توفيت عن عمر يناهز الثمانين عامًا في عام ١٩٧٦ وتم دفنها بقبر منفصل بالمقابر اليسارية بالشاطبى (ليس بعيدًا عن والدى تاتيانا مونتى).

كانت ي.أ.كاربا ننكو باعتبارها مربية موهوبة تبذل جهدًا كبيرًا ليس فقط لتعليم أطفال الروس السكندريين (وليس فقط الروس) ثقافتهم الوطنية، ولكن أيضًا لتسهيل وتخفيف معاناتهم في الغربة، وبالمناسبة فإن أختها ماريا ألكسندروفنا وزوجها كانا جيولوجيين وأمضيا وقتًا طويلاً في الرحلات الميدانية بمصر العليا، كانت أولجا ألكسندروفنا بك (١٨٦٦- ١٩٤٦) تدرس الرسم في مدرسة الليسيه الفرنسية التي كانت تدرس بها تاتيانا مونتى.

لم تكن شعبية الفنانين الروس المحليين تقل عن شعبية المعلمين والمدرسين الروس، ولكن في الحقيقة كان حجم أعمالهم الفنية وجودتها أقل من أعمال إخوتهم بالقاهرة(٣٥٥). كان من بينهم رسام الأيقونات ك.ب.نيكيتين الذى توفى في عام ١٩٦١ عن عمر يناهز ٦٩ سنة (تم دفنه بالشاطبى). كان ف.أ. مولوكانوف أيضًا يعمل في رسم الأيقونات (١٨٩٠- ١٩٥٣) وتم دفنه هو أيضًا بالشاطبى.

كان تمثيل الموسيقيين الذين سبق أن تحدثنا عنهم جزئيًا عندما قدمنا الإعلانات من الصحافة السكندرية، جيدًا جدًا. كان من بينهم ألكسندر بلوتنيكوف وهو عازف بيانو ومدرس موسيقى رائع، ونتيجة لذلك انتقل في وقت لاحق للعيش بأمريكا. وغيره كثيرون.

ولكن ربما كان الأطباء الروس، من الموجة الأولى للمهاجرين، يحتلون مكانة خاصة لدى السكندريين المعاصرين وإلى اليوم باعتبارهم ممثلين للمهنة الأكثر إنسانية. وقد دار الحديث عن أحدهم نصف السكندرى ونصف القاهرى من قبل. وكان ضيوف المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية يتذكرون طبيبًا آخر إلى وقت قريب، هو ن.د. دوباكين. لم يكن من الممكن ألا يكون الأمر كذلك، حيث إنه كان على الأطباء أن يتعاملوا أولاً مع فئات الروس المحرومين من المنفيين

الروس السكندريين الذين لم يكونوا أثرياء على الإطلاق، وربما يكون هذا سبب ضم "مؤرخة" الجالية الروسية بالإسكندرية أولجا دميتريفنا سيريكوفا لاسم دوباكين في كشفهـا للسلـوك الطبيب، وقـد توفى نيقولاى دميتريفيتش طبقًا للقائمة في أبريل عام ١٩٧٣.

كان يوجد على شفاهيم اسم ك.ي.تيبلوف الذى عالج سكان الإسكندرية لأكثر من ثلث قرن، وقد توفى قسطنطين ياكوفلقيتش في نهاية يناير ١٩٥٤، وقد عاشت زوجته زينائيدا لمدة نصف عام فقط بعده. وقد تم دفنهما هما الاثنين بالشاطبى، كما أن الدكتور م.د.ترويتسكى (١٨٨٧- ١٩٥٣) وترويتسكايا[٣٥٦] (توفيت في عام ١٩٤٧ عن عمر يناهز ٤٧ سنة) يرقدان في الشاطبى.

لم يكن طبيب الأنف والأذن والحنجرة أ.أ.أدليفانكين (توفى في نهاية عام ١٩٦٨، وعاشت زوجته بعده لمدة ثلاثة أسابيع فقط) شخصية أقل أسطورية من ن.د.دوباكين وك.إ.فاجنر بالنسبة للسكندريين، وقد شارك الدكتور أدليفانكين فى افتتاح العيادة الروسية بالقاهرة وعملها، ولكنه سافر بعد بضعة أشهر إلى الإسكندرية حيث فتح عيادته الخاصة المتخصصة فى الأذن والحنجرة"[٣٥٧]، وقد كان يتبادل مع ك.إ.فاجنر أماكنهما.

ظهر أحد أول إعلانات الطبيب أدليفانكين في الصحافة المحلية بالإسكندرية في يوم ١٠ فبراير ١٩٢١: "الدكتور أدليفانكين. دبلوم روسى. أخصائى أنف وأذن وحنجرة، يستقبل المرضى بعيادته في شارع الرمل، رقم ١٠، من الساعة ١٠:٠٠ إلى ١٢:٠٠ ومن الساعة ١٦:٠٠ إلى ١٨:٠٠"[٣٥٨]، ومنذ ذلك الحين وعلى مدى ما يقرب من نصف قرن خدم أدليفانكين مرضاه السكندريين بإخلاص، وترك أثرًا

عميقًا في ذاكرتهم: كان كثيرًا ما يتحدث السكندريون عن ممارسته الطبية الرائعة حتى في بداية الألفية الثالثة.

يتعامل الأطباء السكندريون باحترام شديد مع ذكرى الأطباء الروس البارزين الذين عملوا في عيادة الأطباء الروس بالقاهرة، وكان لهم من خلال مقالاتهم المنشورة في الإصدارات الطبية ومحاضراتهم بالندوات ونشاطهم الإكلينيكى العملى تأثير كبير على جيل كامل من الكوادر الطبية المصرية.

في هذا الصدد، كانت هناك أهمية كبرى لصدور العدد الأول من مجلة "نشرة العيادة الروسية" في عام ١٩٣٤، والتى لعبت بصفة عامة دورًا كبيرًا في عمل هذه العيادة وفى عمل المجتمع الروسى في مصر الذى كان قد تشكل قبل ذلك الوقت، وقد أعلنت هيئة التحرير شعارها في هذا العدد: "باسم التعاليم القديمة في الطب وباسم تفوق علم جامعاتنا القديمة التي تمثل نبتات الحضارة، وباسم معلمينا آباء الطب المقدسين وباسم الطب الروسى والعلم الروسى نتجرأ على إشعال مصباحنا المتواضع"(٣٥٩).

قبل يوم إصدار العدد الأول من المجلة أرسل نائب وزير الداخلية رئيس القطاع الصحى بمصر محمد خطابًا إلى مدير العيادة بللين اعترف فيه بإنجازات الأطباء الروس في مصر، وأنه يعتقد أن ظهور مثل هذه المجلة مرغوب فيه بالتأكيد حيث إنه بنشرها أعمال الأطباء الروس وأبحاثهم في مصر تبين بشكل أكبر قدرتهم على الأداء الأكاديمى وقيمتهم، وينتهى الخطاب بأمنيات النجاح للمجلة الجديدة، وقد تم نشره بالكامل في النشرة. ثم تمت بعد ذلك مواصلة الاتصالات أثناء زيارة وفد رئيس القطاع الصحى بمصر كذلك المناقشات الطويلة معه والتى كانت من نتيجتها إقامة علاقات ودية.

ويتعامل في الوقت الحالى الأطباء السكندريون باحترام كبير مع نشاط أحد رؤساء العيادة الروسية وأشهر شخصية بالمجتمع الطبى الروسى والذى أصبح في وقت لاحق أمين متحف كلية الطب بجامعة القاهرة بولجاكوف بوريس فاسيليفيتش(٣٦٠)، وقد عرض مرارًا وتكرارًا رئيس قسم المفاصل بكلية الطب بجامعة الإسكندرية الأستاذ الدكتور محمد جاد على مؤلف هذا الكتاب السفر إلى القاهرة والاطلاع على الوثائق ذات الصلة بالنشاط الطبى لب.ف.بولجاكوف، وفى رأيه أن هذه الخطوة كانت ستزيد من تصور عمل الأطباء الروس بمصر عامة وفى الإسكندرية بصفة خاصة، وتقدم الفرصة لتعميق معارف التقاليد الطبية الروسية في هذا البلد(٣٦١).

ولا يوجد أدنى شك لدى المؤلف أن العاملين بالعيادة الروسية بالقاهرة، وحتى هؤلاء الذين لم يقوموا بالمراسلة المستقلة في الفترة من العشرينيات إلى الخمسينيات وبعد ذلك، مثلوا حلقة وسيطة حيث سد أعضاؤها الفجوة الموجودة وقد واصلوا هذه التقاليد الطبية الروسية في بلد الأهرام والتى أسسها الأخوان فورونوف في بداية القرن العشرين والتى تطورت كثيرًا بفضل عمل الأطباء السوفييت في الستينيات من القرن العشرين.

يعطى المثقفون السكندريون، وليس الأطباء وحدهم، نشاط الفيزيولوجى الروسى الشهير ج.ف.أندريب (١٨٨٩- ١٩٥٥)، وهو تلميذ إ.ب.بافلوف، حقه من التقدير. جاء الدكتور أندريب من إنجلترا إلى مصر في عام ١٩٣١ بناء على دعوة، فرأس قسم الفيزيولوجيا (وظائف الأعضاء) بكلية الطب بجامعة القاهرة حيث أجرى أشهر أبحاثه في مجال هذا العمل العصبى. وبالإضافة إلى ذلك فقد "ربى مجموعة كبيرة من الفيزيولوجيين المصريين الموهوبين" ومنهم أطباء كلية الطب بجامعة الإسكندرية(٣٦٢).

لم يقتصر المهاجرون الروس بهذه المساهمة في تنمية الإسكندرية، حيث توجد حقائق ملموسة ومعروفة أصبحت متاحة بسبب تدخل الثقافة الروسية في منطقتها السكندرية، ولكن توجد أيضًا تحف فنية خفية لم تصبح معروفة بعد للعامة بفعل ظروف معينة، ومن بين الأخيرة على وجه الخصوص توجد حقيقة لم يتم التحقق منها تمامًا بعد عن مشاركة المهندسين المعماريين الروس في بناء الإستاد الرئيسى بحى محرم بك بالإسكندرية، وبطبيعة الحال بقى الكثير لنعرفه عن مساهمة الروس في ثقافة الإسكندرية ومصر ومن خلالهما في الكنوز العالمية للحضارة، ولكن الحقيقة تبقى حقيقة، وهو أن هذا التأثير كان موجودًا. عمومًا، يدور الحديث حول التأثير المعقد للثقافة الروسية، وهو يتعلق ببعض مجالات تدخلها في مصر، لا سيما في المعنى الضيق لكلمة "الثقافة"، وقد كرس الفصل الأخير من هذه الدراسة لهذا الغرض.

الباب الثالث

الثقافة الروسية بالإسكندرية

بدأ التفاعل الثقافي بين روسيا ومصر منذ زمن قديم نسبيًا، وشمل عدة مجالات، كان من أهمها مجال الأدب لكونه شكلاً رائدًا للتداخل المتبادل بين الثقافات، وهنا تجدر الإشارة إلى نشر الأعمال الأدبية الكلاسيكية وترجمتها لكل من أ.م.جوركى، وأ.ب.تشيخوف ول.ن.تولستوى وف.م.دوستويفسكى والأدباء الكلاسيكيين الآخرين الذين جسدوا للمصريين الأدب الروسى والثقافة والتقاليد الروسية، وبصفة عامة الشخصية والعقلية الروسية، وبلا شك كان الناشرون والمترجمون وبصفة عامة المثقفون ذوو التعليم العالى ببلد الأهرام يعرفون إبداعات الشعراء الروس البارزين أمثال أ.س.بوشكين من خلال الطبعات الغربية، ولكن كان مثل هؤلاء المصريين المتعلمين قليلين في بداية القرن العشرين، ونحن نتحدث عن ذلك الوقت بالذات؛ لأن العرب سمعوا فيه لأول مرة عن وجود الكلاسيكيين الروس الذين تم ذكرهم أعلاه جوركى وتشيخوف وتولستوى ودوستويفسكى الذين كانوا في تلك الفترة في أوج مجدهم في روسيا.

يوجد أيضا وجه آخر لهذا الحوار الثقافى الذى تبين أنه أغنى مما سبق عرضه، فأولاً توجد الموضوعات المصرية في إبداعات شعراء وكتاب روسيا، في الواقع كان الموضوع رقم ١ بالنسبة لهم هو الإسلام والقرآن الكريم. عند معرفتهم لهما، قدم الأدباء معلومات عن المشرق العربى وعن مصر وأبدعوا أعمالهم

البارزة التي كان يقرؤها المثقفون في الإمبراطورية الروسية فزادوا وعمقوا معارفهم وفهمهم للعالم الإسلامى البعيد والغامض[٣٦٣].

ومع ذلك، لم يكن الأدب وحده هو أساس الحوار الثقافى الروسى- المصرى، فقد تطورت أيضا صور أخرى للتفاعل الثقافى كان أهمها الموسيقى والفن االموسيقى- المسرحى الذى بلغت فيه روسيا آفاقًا عالية. وهنا، بطبيعة الحال، يقف في المكان الأول المسرح الموسيقى والأوبرالى، كما أن فن الباليه أدى بشكل كبير إلى زيادة إمكانية التفاعل الروحى، وأخيرًا أدت الجولات الفنية وحفلات الملحنين والفنانين الروس إلى وادى النيل إلى زيادة كبيرة في مستوى العلاقات الثقافية الروسية- المصرية في الفترة الزمنية التي يدرسها هذا الكتاب.

ساهمت الفنون التشكيلية في زيادة التداخل المتبادل للثقافات في بلدينا، فأولاً: الفنانون الروس الذين سافروا إلى مصر القديمة اكتسبوا خبرة وجمعوا موضوعات للإبداع كما بدأ هواة جمع الأعمال الفنية الوطنيون عملهم بنشاط. وثانيًا: نتيجة للعمل الدءوب للجميع، فقد اقتبسوا واستخدموا الأشكال الفنية المصرية في المعمار الروسى التي كان يتزايد ظهورها بسانت- بطربورج وموسكو وفى المدن الكبيرة الأخرى.

فى كثير من الأحيان لم يكن هذا التبادل الثقافى متعادلاً، ولكنه كان يسير ولم يكن من الممكن إيقافه.

بطبيعة الحال كانت القاهرة تهيمن هنا؛ حيث إن النفائس الثقافية والتاريخية الأساسية للحضارة المصرية كانت موجودة بها- الأهرام، وأبو الهول، والآثار الإسلامية الثقافية والتاريخية، ومع ذلك فإن الإسكندرية هى أيضًا جذبت انتباه الروس بماضيها: الأبنية التي اختفت ولكن كانت لا تزال تثير الخيال- منارة فاروس، مسلة (إبرة) كليوباترا، وكذلك الإشاعات الملحة، التي كانت تظهر من

وقت لآخر، عن المحاولات الفاشلة للعثور على مقبرة الإسكندر المقدونى، وقلعة قايتباى وعمود السوارى (بومبى) وجبانة كوم الشقافة وغيرها، والتى ما زالت قائمة حتى الآن.

٣,١. الثقافة الروسية بالإسكندرية

سرى تأثير الثقافة الروسية على المجتمع المتعدد الثقافات في الإسكندرية من خلال رحلات الفنانين الروس القادمين من روسيا إلى هذه المدينة، ثم بعد ذلك عن طريق المهاجرين الروس، وبصفة خاصة في أوروبا، والمهاجرين من القاهرة وكذلك بفضل اللاجئين الروس الموهوبين من نفس العاصمة الشمالية لمصر.

كان التوسع الثقافى الروسى في الإسكندرية سهلاً، وكذلك التعرف على معالمها التاريخية والفنية في الفترة المشار إليها كون الدخول إلى مصر كان يتم بشكل رئيسى عن طريق هذه المدينة- الميناء (و نادرًا عن طريق دمياط ورشيد وبورسعيد)، لذا كان على مواطنينا قضاء بضع ساعات أو أيام على الأقل في العاصمة الثانية للبلاد.

أدى التبرير الأيديولوجى والقاعدة العريضة للتمازج الوثيق نسبيًا بين الثقافتين إلى التقارب بين مفكرين من البلدين، هما الكاتب ليف تولستوى والمصلح محمد عبده، وحدث ذلك في بداية القرن العشرين، فعندما سمع محمد عبده عن طرد الكاتب الروسى العظيم من الكنيسة أرسل له في ربيع عام ١٩٠٤، عن طريق المستشرق الإنجليزى سيدنى كوكريل، رسالة تأييد أشاد فيها محمد عبده بتعاليم ليف تولستوى وبتأثير وجهات نظر الكاتب على "جميع الناس المستنيرين"، و"على كل من يسير على طريق الصالحين ومن خرج عنه"، و"على الفقراء والأغنياء"..

إلخ، وأعلن مفتى مصر في نهاية خطابه أن طرد ليف تولستوى من الكنيسة هو مجرد دليل على صواب قضيته.

رد عليه تولستوى برسالة طويلة في ١٣ مايو عام ١٩٠٤ عرض فيها جوهر معتقداته الفكرية والأخلاقية، وقد أسعده التواصل مع شخصية مستنيرة من الشرق العربى تعترف في رأيه بنفس المثل الإنسانية الأخلاقية التي يؤمن بها هو نفسه. لم يتلق تولستوى ردًا، ولكن بدلاً منه أخبره صديقه القديم كوكريل أن محمد عبده قد توفى فجأة.

كانت المراسلات بين هذين الرجلين العظيمين والتى توقفت بسرعة في البداية بوفاة المصلح المصرى، والتعارف بينهما، والتقارب الطبيعي بينهما رمزية للغاية لتاريخ التواصل المتبادل بين الشعبين الروسى والمصرى[٣٦٤].

كانت الموضوعات الرئيسية عن الإسكندرية والتى تناولها بعمق معلمو الأدب الروسى، وبصفة خاصة الشعراء، قبل مراسلات هذين العملاقين، تتعلق بصفة عامة بالإسكندر المقدونى وكليوباترا، وهذه الأخيرة على نحو بعيد الأثر.

كان أحد أول الموضوعات المتعلقة بالإسكندرية وما تناوله ألكسندر سيرجى بوشكين الذى سحره الشرق في أشعاره التي كرسها "لكليوباترا" والتى تضمنتها روايته الشعرية "ليالى مصرية":

وها هو النهار قد اختفى.

ويشرق قمر ذهبى القرون،

غطت القصور السكندرية

ظلال حلوة،

تدق النوافير، تشتعل المصابيح،

تدخن بخور خفيفة،

وبرد حسى شغوف

يستعد لآلهة الأرض،

فى مرقدها الفاخر الظليل،

بين عجائب مغرية،

تحت مظلة ستائر أرجوانية،

يلمع سرير ذهبى.

وبعد ذلك يسأل بوشكين: لماذا ملكة مصر القديمة حزينة في "عاصمتها الرائعة" حيث "تحكم في هدوء"؟ ولكنه لا يعطى جواباً، وهو يكرر مرة أخرى وصف "قصر مليء بالعجائب"[٣٦٥].

فى وقت لاحق، اتضح رأى الباحثين في أنه لم ينه قصيدته "كليوباترا"، وقد اجتذب ذلك ف. ي. بريوسوف[٣٦٦] وهو أحد أكبر الأدباء الروس في الربع الأول من القرن العشرين وزعيم الرمزية الروسية، مما جعله يتجرأ على تـــكملة قصيدة أ.س.بوشكين هذه. وقد كتب فاليرى ياكوفلفيتش بنفسه عن ذلك: "لم يكمل بوشكين قصيدته".

لقد بين لنا كم هو شديد الإغراء، وكم هى رهيبة للإنسان تلك القوة المستترة في الشهوة، لقد بين لنا كيف أن الناس على استعداد للدخول إلى تلك الهاوية السوداء حتى ولو كان يلزم أن يدفعوا حياتهم ثمنًا لذلك، لقد ألمح لنا عن التقارب بين العاطفة الغامضة والموت. ولكن بوشكين لم يكمل الكلمات التي بدأها... وقد

أخذ بوشكين سر قصيدته معه"... عرض ف.بريوسف فهمه لكليوباترا في قصيدة تحمل هذا الاسم نفسه، وليس من الواضح في الحقيقة إذا كان يمكن اعتبار كلماته تكملة منطقية لقصيدة أ. س. بوشكين "ليالى مصرية":

كليوباترا

أنا كليوباترا، كنت ملكة،

فى مصر، حكمت ثمانية عشر عامًا.

فنيت روما الخالدة، ولا يوجد لاجيدوف،

رفاتى بائس لا يحفظه قبر.

فى أفعال العالم أثرى الضئيل،

كل أيامى سلسلة احتفالات،

ووجدت الموت كعاهرة عنيفة...

ولكنى أنا فوقك، أحكمك أيها الشاعر!

مرة أخرى، كما كنت مع الملوك،

أغريك، كنت منجذبًا لظل زائف،

مرة أخرى أنا امرأة في أحلامك.

أنت خالد بفن السلطة الخارقة،

وأنا خالدة بالسحر والعاطفة.

كل حياتى أشعار ترن لقرون.

نوفمبر ١٨٩٩

جذب المصير غير العادى لحاكمة مصر هذه انتباه العديد من الشعراء الروس من الدرجة الأولى- أ.بلوك (١٨٨٠-١٩١٨)، إ.بونين (١٨٧٠- ١٩٥٣)، أ.أخماتوفا (١٨٨٩- ١٩٦٦) وغيرهم، وأقلقهم لفترة طويلة، فأهدوا ذكراها صراحتيم الشعرية وكتبوا قصائد تحمل الاسم "كليوباترا نفسه".

فى أثناء دراسة التراث "السكندرى" للشعر الروسى يقف اسم ف.ى. وحده شامخًا، ولا يتعلق ذلك بأنه ذهب إلى الإسكندرية فقد جاء إليها أيضًا إ.أ.بونين.

كان فاليرى ياكوفلفيتش من حيث التعليم مؤرخًا، لذلك بطبيعة الحال أثارت اهتمامه عمليات الصعود والهبوط التاريخية المرتبطة بكليوباترا والإسكندر المقدونى من وجهة نظر مهنته، وقد جذبت مصر القديمة أيضًا انتباهه لأنه كان دائمًا يبحث عن المصدر الأول للحضارة الإنسانية وهو يؤمن بأن وادى النيل، جنبًا إلى جنب مع أطلانتيس، هو ذلك المكان الذى ولدت فيه الحضارة الإنسانية.

قائمة الاسكتشات الشعرية لأ.ي.بريوسوف كبيرة بما فيه الكفاية: "من قيصر لكليوباترا"، "موت الإسكندر" (فى مدينة الإسكندرية//حيث عاصمة البحرين//يخطط لإقامة عرش//بطليموس المراوغ//)، "عمود الإسكندرية".. إلخ.

من الواضح أن هناك مساحة كبيرة في الشعر الروسى لمؤسس العاصمة الشمالية لمصر الإسكندر الأكبر، ولكن أكثرها نجاحًا هو ما كتبه الشاعر المهاجر الروسى ي.ك.تيرابيانو [٣٦٧].

الإسكندرية

هنا بمصاحبة صوت قيثارة سكاماندر،

من غيوم البحر والأمطار،

سارت إلى مصر أفواج ألكسندر

لتصنع منه إلهًا وملكًا وزعيمًا.

"هنا فوق البحر - قالت لنا الأسطورة-

الملك القادم من بلدان الشمال،

الملهم، في حرارة الخلق.

وضع خطة لبناء مدينة.

رش الجير، ولكنه لم يكفِ

أمر بالمواصلة بالدقيق،

طار إليه سرب طيور خفيفة الأجنحة

نقر الدقيق على يده..."

هكذا، من طحان ملكى

اجتذب العالم إلى أعلى نصيب،

وقفت المدينة على طول رصيف واسع

تكنس السماء بمنارتها.

يونانى، يهودى، وسورى من جاد،

جاءت الزوارق من أنهار متمردة

ودخلت "بهجة الإسكندر"

إلى قرن ألكسندر الرائع..."

تيرابيانو ي.//"تتابع"، باريس، ١٩٤٦، ص٢٥٣- ٢٥٤.

تعتبر السنتان ١٩٠٦- ١٩٠٧ مميزتين للكتاب الروس، فقد زار العدد الأكبر منهم مصر في هاتين السنتين؛ فعلى سبيل المثال حضر إلى مصر في الوقت نفسه كل من إ.بونين ون.جوميليف. ولكن حقيقة، لم يترك لنا الأخير أشعارًا عن الإسكندرية، وبالمناسبة في عام ١٩٠٧ ظهر في وادى النيل الشاعر ك.بالمونت أيضًا، وهو ما يدل على فترة "الولع بمصر" في روسيا.

ويدل على ذلك الولع بمصر في "العصر الفضى" لروسيا "الأغانى السكندرية" لميخائيل كوزمين[٣٦٨]. في هذه المرة لم يتم استخدام "الإسكندر المقدونى" ولا "كليوباترا"، ولكن بطبيعة الحال تفهم هذه الأسماء عندما يقدم ميخائيل كوزمين أشعاره عن الإسكندرية "المباركة ثلاث مرات" و"الحكيمة ثلاث مرات" و"العظيمة ثلاث مرات":

عندما يقولون لى: "الإسكندرية"

أرى بيوتًا بيضاء الجدران،

حديقة صغيرة مزروعة بالزهور،

وشمس مساء خريفى باهتة

وأسمع صوت ناى بعيد.

عندما يقولون لى: "الإسكندرية"

أرى نجومًا فوق المدينة الهادئة،

وبحارة سكارى في الأحياء المظلمة،

وراقصات يتراقصن،

وأسمع صوت دفوف وصراخ جدل.

عندما يقولون لى: "الإسكندرية"،

أرى غروبًا شاحبًا أحمر فوق البحر الأخضر،

ونجوم شعثاء تتلألأ،

وعيون ملونة تحت حواجب كثيفة،

أراها أيضًا،

عندما يقولون لى: "الإسكندرية!"

القصيدة المقدمة أعلاه هى جزء من "مقدمة" يليها الجزء الأساسى من قصيدة غنائية ومنها "الحب"، و"أنا"، و"الحكمة"، و"مقتطفات"، و"أغانى كانوبية" وفى النهاية "الختام"، وهذه "الأغانى السكندرية" مشبعة بحب رقيق ومشبعة بالاهتمام بعاصمة مصر الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وقد جلبت له أول نجاح في مجال الأدب، كما أنها أدهشت بعض الشيء بحريتها غير المتوقعة وعدم اكتمال ما تحكيه وإخلاصها على الرغم من أن عمر المؤلف كان في ذلك الوقت أكثر من ثلاثين سنة.

قدم الكاتب الروسى ماكسيميليان فولوشين فورًا بعد ظهور "الأغانى" ميخائيل كوزمين "كإحدى الموميات المصرية التي عادت إلى الحياة والذاكرة بطريقة ما سحرية، إلا أنه ليس من موميات مصر القديمة، فهذه الوجوه كثيرًا ما تشاهد في بورتريهات الفيوم... كما أن لكوزمين عينين كبيرتين سوداوين، وكذلك نفس اللحية الناعمة الحادة ووجهًا شاحبًا بارزًا مصنوعًا من الشمع، ونفس هذا الشارب الرفيع الممتد على الشفة العليا دون أن يغطيها... قصير القامة، ضيق الكتفين، مرن الجسم كامرأة.

بروفيله يونانى رائع، بروفيل منحوت بدقة وبجرأة، جبهته على خط واحد مع أنفه وتجويف عميق جرىء يفصل بين الأنف والشفة العليا وتتحول إلى قوس فم رفيع.

ولكن طبيعة أصالة وجه كوزمين التي لا جدال فيها تصنع انتهاكًا مميزًا للنسب التي تشاهد فقط في المزهريات اليونانية: عيناه مزروعتان على عمق كبير ومنخفضتان بالنسبة لقصبة الأنف كما لو كانتا منقولتين إلى الخد، إذا نظر إليه من الجانب.

ليس هناك شك في أنه قد توفى في الإسكندرية وهو شاب ووسيم وتم تحنيطه تمامًا..."[٣٦٩].

وقد كرره كتاب روس آخرون، على سبيل المثال إ.ف.جولليرباخ الذى ذهب إلى أبعد منه فقال: "أنا لا أصدق (بصدق وإصرار) أنه نشأ وترعرع في ساراتوف وبيترسبورج. إن ذلك قد جاءه في الحلم فقط في الحياة "المحلية"، لقد ولد في مصر ما بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة ماريوت في وطن إقليدس، وأوريجانوس وفيلو بالإسكندرية المشمسة في عصر البطالمة، لقد ولد من أب هيلينى وأم مصرية، وفقط في القرن الثامن عشر سكبت في عروقه دماء فرنسية،

وفى عام ١٨٧٥ دماء روسية. لقد تم نسيان ذلك في سلسلة من النسخ، ولكن بقيت في الذاكرة حياة اللاوعى" [٣٧٠].

ختام

أخ، أنا أغادر الإسكندرية

لن أراها لفترة طويلة!

سأرى قبرص، أيتها الإلهة العزيزة،

سأرى صورًا وأفيس وسميرنا،

سأرى أثينا- حلم شبابى،

كورينث، وبيزنطة البعيدة،

وتاج كل الأمانى،

وهدف كل الرغبات-

سوف أرى روما العظيمة!

سوف أرى كل شيء، إلا أنت!

أخ، أتركك أنت، يا سعادتى،

ولن أراك طويلاً!

سأرى جمالاً مختلفاً،

سأنظر طويلاً في عيون مختلفة،

وسأقبل شفاها مختلفة،

وأعطى حبى لشعر مجعد مختلف

وسأقبل أسماء مختلفة

فى انتظار لقاءات في مختلف الحدائق

سوف أرى كل شيء، ما عدا أنت!

١٩٠٥- ١٩٠٨

وفقًا لتقييم لادا ج.بانوفا التي درست بدقة التراث الأدبى لم.ي.كوزمين في بحثها الأساسى: "فإن المؤلف قد وصل إلى ذروة معينة لإبداعه فى"أغانٍ مصرية"(٣٧١).

كان المجال الأهم لتبادل الإثراء الروحى الروسى- المصرى هو فن المسرح الموسيقى، وقد ضاعف الباليه بشكل واضح فرص الحوار الثقافى بين البلدين، وهو الذى وصلت فيه روسيا كما هو معروف إلى أعلى القمم.

هنا كانت أعلى قمة تخص أنا بافلوفا العظيمة والتى جاءت إلى مصر ثلاث مرات في الفترة ١٩١٠-١٩٢٣، وقد زارت وادى النيل لأول مرة وخلال جولة حول العالم في عام ١٩١٠، ولكنه لا توجد لدينا معلومات عن إقامتها بالقاهرة والإسكندرية في ذلك الوقت.

أثار أداؤها المتفاني اهتمامًا بالرقص في العالم كله، وبالنسبة للجماهير الروسية للفن الموسيقى فقد أصبحت أنا بافلوفا "أنا الربانية" إلى الأبد ورمزًا للفن الروسى في القرن العشرين، وقد ارتبط إبداع الراقصة الروسية البارزة ارتباطًا وثيقًا بمصر وتاريخ الفن والثقافة والذى كانت تعرفه جيدًا وتقدره. لم يكن الأمر

يتمثل في أنها كانت تؤدى بإلهام عظيم الأدوار الرئيسية في لبطلاتها الشرقيات. باليهات "ابنة فرعون" و"ليالى مصرية" وفى باليهات أخرى كانت تكشف فيها الشخصية المعقدة والشكل المثير لبطلاتها.

بالنسبة لنا، ربما يكون من المهم أنها جاءت إلى مصر مرتين خلال جولاتها المتعددة بعد الهجرة من روسيا، والأهم إلى الإسكندرية حيث أسرت بمهارتها مخيلة السكندريين وأجبرتهم على النظر بشكل جديد إلى ميراثهم الثقافى وعلى أن يقيّموا مرونتها الممتازة وكمال إتقانها لفنها تقييمًا عاليًا.

لقد زارت مصر مرة أخرى في فبراير- مارس عام ١٩٢٣ ضمن فرقة الباليه الروسى؛ حيث رقصت في أيام ٢٥- ٢٧ فبراير و١-٧ مارس في القاهرة على مسرح الكورسال بمصاحبة ألكسندر فولينين و٢٠ من فناني الباليه الروس البارزين الآخرين (كان قائد الأوركسترا الموسيقى هو تيودور ستيير) تحت الإشراف العام للمقاول الفنى توماس شافتو ***(Bandman's Eastern Circuit Lmt.)***. وكان العرض الأساسى يتضمن ثلاثة باليهات: "الخريف يرحل"، "أوندين"، "منوعات".

قالت جريدة "إجيبشان جازيت: "لم يتفوق أى من العروض التي قدمتها بافلوفا منذ حضورها إلى القاهرة، حتى رقصة "البجع"، بجماله على "الخريف يرحل" والذى يوصف بأنه "قصيدة راقصة" على ألحان شوبان... بتقديمها لهذا الباليه الرائع الجمال أثبتت بافلوفا نفسها أنها ليست فقط راقصة وفنانة رائعة ولكن أنها أيضًا فنانة الباليه الحديث.

أما الباليه الثانى "أوندين" فهو يوفر الفرصة لرؤية حقيقية لرقص وتمثيل فنى عاطفى لبافلوفا، وتنفيذ جميل للعرض.

وقد تضمن باليه "منوعات" رقصة العبد الرائعة التي أداها ألكسندر فولينين ورقصة التنين غير العادية الواقعية والتى أدتها بافلوفا، بالإضافة إلى رقصات أخرى عديدة" [٣٧٢].

كما كتبت هذه الجريدة نفسها في مقال "دور الموسيقى": "جزء كبير من سر تأثير التناغم غير العادى لأداء أنا بافلوفا وألكسندر فولنين موجود في الانسجام التام بين الراقص والمايسترو وكذلك في الإحساس الخارق بالإيقاع الذى وهب لهذين الراقصين العظيمين.

أما بالنسبة للمايسترو، فعندما ندرك أن عليه تدريب أوركسترا جديدة في كل مدينة خلال الجولة الفنية حول العالم، وأنه نظرًا للتغييرات اليومية في البرنامج يجب عليه التدريب يوميًا لكى يقدم في كل مساء عرضًا كاملاً، تتضح بعض الصفات التي لا بد أن يتحلى بها.

كان الدكتور ستيير يؤدى المهام بأكثر مما هو مطلوب، فقد كانت لديه ٣٠ سنة من الخبرة في قيادة الأوركسترات المسرحية، والجزء الأكبر منها في لندن فضلاً عن ١٣ سنة عمل فيها مع بافلوفا. وفى الوقت نفسه هذا العمل مرهق ولا شيء يعضده سوى التفانى المطلق لهذا الفن والإعجاب والتعاطف مع الذين يعمل من أجلهم، ويوجد بين هذه المجموعة من الفنانين جو من التفاهم المتبادل وحسن النية..." [٣٧٣].

من الغريب أن إيفان بيليبين الذى كان يعيش خلال الجولات الفنية المصرية لراقصة الباليه قد شارك بنشاط كبير في عروض فرقتها بالقاهرة. وفقًا لابنه بالتبنى م.ن.بوتوتسكى؛ ففى أثناء العروض تم استخدام ديكورات بيليبين ورسوماته للملابس، وبصفة خاصة أثناء عرض باليهات ن.ن.تشيريبين "قصة روسية" و"الموميات الرومانية".

من ١٢ إلى ١٨ مارس، وعلى مدى سبعة أيام، قامت فرقة أنا "الربانية" برحلة إلى الإسكندرية حيث قدمت تسعة عروض، وفي يومي ١٥ و١٨ مارس قدمت حفلات صباحية أيضًا للأطفال وكانت تباع تذاكرها بنصف الثمن، وذكرت الصحافة المطلعة في هذه المناسبة أن هذه الحفلات الصباحية قدمت لصالح "بيت المهاجرين الروس اليتامى بباريس"، والذى تم إنشاؤه في عام ١٩٢١ بمنطقة سان-كلو بالقرب من باريس والذى وضعوا به ١٥ فتاة روسية يتيمة، وقد أشارت أنا بافلوفا نفسها بارتياح إلى أن عمل هذه المدرسة الداخلية يسير بنجاح[٣٧٤]، ولكن لم يكن دخل الحفلات الصباحية الخيرية لراقصة الباليه الروسية وفرقتها مخصصًا فقط لليتامى الباريسيين، ولكن كان يذهب أيضًا جزء منه لصالح ملجأ "ليبرتى" الذى كان تحت الرعاية السامية لمحافظ الإسكندرية حسين صبرى باشا، مما كان بلا شك يشرّف كل الفرقة ويدعو إلى امتنان سكان المدينة.

Grand Theatre Mohamed Aly
ALEXANDRIA.

Under the Management of
THOMAS SHAFTO.
BANDMAN'S EASTERN CIRCUIT Ltd.
have the honour to present
the Peerless & Incomparable

Anna Pavlova

THE WORLD'S GREATEST DANCER,
supported by
ALEXANDRE VOLININE
AND HER ORIGINAL LONDON COMPANY OF
Thirty distinguished artistes in Russian Ballet.
Musical Director, Mr. THEODORE STIER.

FOR A SEASON OF SEVEN DAYS ONLY.

PROGRAMME.

Day	Date		Programme
Monday	12 March	....	Amarilla, Chopiniana, Divertissements.
Tuesday	13 „	....	Magic Flute, Snowflakes, Divertissements.
Wednesday	14 „	....	Enchanted Lake, Fairy Doll, Divertissements.
Thursday	15 „	(Matinée)	Enchanted Lake, Fairy Doll, Divertissements *(including The Swan.)*
Thursday	15 „	(Evening)	Coppelia, Autumn Leaves, Divertissements, Ondines.
Friday	16 „	....	Polish Wedding, Flora Awakening, Divertissements.
Saturday	17 „	....	Amarilla, Chopiniana, Divertissements.
Sunday	18 „	(Matinée)	The Sleeping Beauty, Divertissements and Special Divertissements *(including The Swan.)*
Sunday	18 „	(Night)	Autumn Leaves, Divertissements *(including The Swan.)* and Spec. Divertissements.

Box Plan now open.
'Phone 5106 and reserve seats.

إعلان الجولة الفنية لأنابافلوفا بمسرح محمد على في الإسكندرية

لم تكن الجولة الفنية لأنابافلوفا في الإسكندرية أقل كثافة مما كانت عليه في القاهرة، وقد أقيمت في أحد أروع مباني العاصمة الشمالية، والذى يضم مسرح محمد علــى[٣٧٥]. كان البرنامج الذى استمر أكثر من أسبوع للفرقة بالإسكندرية كما يلى:[٣٧٦]

١٢- مارس: "أماريللا"، "شوبنيانا"، "منوعات".

١٣- : "الناى السحرى"، "قطع الثلج الصغيرة"، "منوعات".

١٤- : "البحيرة المسحورة"، "الدمية الخيالية"، "منوعات".

١٥- : (فى الصباح) "البحيرة المسحورة"، "الدمية الخيالية"، "منوعات" (متضمنة البجعة).

(فى المساء) "كوبيليا"، "الخريف يرحل"، "منوعات"، "أوندين".

١٦- : "حفل عرس بولندى"، "فلورا المستيقظة"، "منوعات".

١٧- : "أماريللا"، "شوبينيانا"، "منوعات".

١٨- : (فى الصباح) "الجمال النائم"، "منوعات" (متضمنة البجعة).

(فى المساء) "الخريف يرحل"، "منوعات" (متضمنة البجعة)، وكذلك "منوعات خاصة".

رحبت الإسكندرية بحرارة بالجولة الفنية لفرقة أنا بافلوفا، وظهرت في كل أعداد الصحافة المحلية تقريبا ردود فعل رائعة على كل عروضها على الإطلاق[٣٧٧]. وقد وصف المراسل السكندرى لجريدة "إجيبشان جازيت" القاهرية في عددها رقم ١٥ الأحداث بمسرح محمد على كما يلى: "فى مساء يوم الثلاثاء بمسرح محمد على مرة أخرى تم إثبات مدى جاذبية الفنانة الشخصية المغناطيسية أنابافلوفا التي لا تقاوم والتى يمكن أن تقدمه للجمهور. كان المسرح ممتلئًا بجمهور أنيق فتنته الموسيقى وجمال المسرح وفن الراقصين الفذ. لقد كان كل راقصة يرافقها فنان حتى أطراف أصابع قدميه أو قدميها، أو قد يكون من الأدق أن نقول أطراف أصابعه أو قدماها.

كان أول باليه قدموه هو "الناى السحرى" لدريجو، وكان أداء الآنسة بوتسوفا والسيد فولنينين وباقى الفرقة المكونة من ثمانية راقصين جميلاً، وكان الباليه التالى هو "قطع ثلج صغيرة" على موسيقى تشايكوفسكى، وقد أدت باقلوفا وفولينين الأدوار الرئيسية وفى النهاية خرجا من وراء الكواليس مرارًا وتكرارًا. تألف الجزء الثالث من البرنامج من مجموعة منوعات شملت رابسودي ليست رقم ١، و"رقصة الساعة" من باليه "لا جيوكوندا: لبونتشيلى، وقد شارك في هذه الرقصات كل أعضاء الفرقة، وعندما تم إسدال الستار في آخر مرة، تخيلنا أن الجمهور غادر المسرح على مضض"(٣٧٨).

لم يكن أبناء الإسكندرية الأصليون وحدهم المتحمسين لروائع أناباقلوفا وفرقتها ولكن أيضا أعضاء الجاليات الأجنبية في البلد، ويمكن للمرء تصور أى فرحة أحس بها الروس السكندريون! وقد جسد إيفان أوموف، الذى سبق أن ذكرناه، رد فعله في قصيدة شعرية كرسها لمواطنة بلده العظيمة نتيجة لنجاحها الذى أسعده بحق، وقد قارن فيها نفسه بالبجعة المرهقة "ذات الجناح المكسور" التي تحتضر في الغربة، ولكنها مع ذلك لا تنسى وطنها فتتذكر "ربيعها" على الرغم من أنها تغنى "لمعان الأرض الأجنبية".

بجعة تحتضر

أناباقلوفا

أوه، بجعة! بجعتى مرهقة!

مريضة، بجناح مكسور،

أنت بعيدة عن قرى وطنك،

تستقبلين الموت في أرض غريبة،

ما زلت تدركين الجمال

وتمجدين حسن الأرض الغريبة

ولكن لا تنسِى مايو في الوطن

والربيع الذى يقترب من بعيد

وعلى مياه النيل الضحلة الساخنة،

ما زلت تتذكرين سكون مستنقعات الغابات،

حيث تنحنى فروع الصفصاف،

حيث تشرب الغابات الأمطار،

تحتضرين في المنفى في هدوء

وتضربين بجناح مكسور

وتغنى لجمال بلد غريب

وتبكين الماضى سرًا(٣٧٩).

فى الواقع استمرت الجولة الفنية لأناباقلوفا حتى يوم ٢٠ مارس، وفى الحقيقة لم يكن حفل راقصة الباليه في يوم ٢٠ مارس عاديًا؛ ففى هذا اليوم نظم منظمو الجولة الفنية بالإسكندرية حفلاً تنكريًا شاركت فيه أنا بافلوفا وفولينين وبعض أعضاء فرقة الباليه، وقد شمل البرنامج نمرًا مشوقة و"يانصيب" وتقديم جوائز لأفضل أزياء، وكان ثمن تذكرة دخول السيدات ٤٠ قرشًا وللرجال ٨٠ وفى اللوج ٣٥٠ و ٥٠٠ قرش(٣٨٠).

أشارت الصحافة المصرية لهذه الحفلة الأخيرة بالإسكندرية بدفء بشكل استثنائي: "مساء الأمس ودعت بافلوفا وفرقتها معجبيها السكندريين ببرنامج تضمن "الخريف يرحل"، "البجعة"، وكذلك أشياء أخرى محببة، ونحن في مصر ممتنون لها ولفولينين كثيرًا، وكذلك للآنسة بوتسوفا وأعضاء فرقتها الآخرين، وأيضًا للسيد تيودور ستيير الذى بدأ بهيكل يتألف فقط من ٢-٣ من الموسيقيين، وبين لنا كيف يمكن تكوين أوركسترا موسيقى رائع باستخدام المواهب المحلية... تسافر الفرقة الآن إلى أوروبا لتحصل على راحة تستحقها بجدارة. لقد قدموا عروضهم لعدة أشهر بدون راحة[٣٨١]. والسيدة بافلوفا تنوى السفر إلى لندن إلى منزلها في "جولدرز جرين"، وهى لن تفكر مرة أخرى في عمل مضن لمدة أربعة- خمسة شهور. ومع ذلك، فستسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لكى تبدأ بروفات باليهات جديدة سوف تقدمها هناك في خلال الصيف.

علاوة على ذلك تتحدث الصحيفة عن سمات الجمهور السكندرى والقاهرى: "نأمل في ألا تكون (المؤلف: بافلوفا) أصيبت بخيبة أمل من الجمهور في القاهرة والإسكندرية، لقد قالت إنها وجدت أنه بصفة عامة بالفعل قادر على التقدير، وربما يكون أكثر اهتمامًا بالفن مما كانت تتوقع، وكما قالت لنا، فإنها وجدت أن القاهرة بدت لها أكثر حماسًا من الإسكندرية، فعلى الأقل أعرب الجمهور في العاصمة عن سعادته بأسلوب أكثر وضوحًا ومسموعًا أكثر. وقد جذب انتباهها ثراء زينة الجمهور السكندرى ومجوهراته الجميلة[٣٨٢].

كانت الجولة الفنية في عام ١٩٢٨ أقل حجمًا ولذلك كتب عنها أقل، ولكن كما سبق في هذه المرة أيضًا تم التصفيق كثيرًا لأنابافلوفا في القاهرة والإسكندرية[٣٨٣].

تركت زيارة فرقة أنابافلوفا لمصر بصفة عامة، والإسكندرية بصفة خاصة، على المصريين انطباعًا دائمًا، فأولاً بينت بشكل قاطع عظمة الباليه الروسى، وثانيًا

زرعت في نفوس سكان وادى النيل الحب لهذا النوع من الفنون. يمكننا القول إنه لأول مرة تمكن المصريون من التعرف على جمال الباليه المذهل بمثل هذا المستوى العالى من المهارة.

بعد الجولة الفنية لأنا بافلوفا اجتذب هذا الشكل من الفنون عددًا كبيرًا من المؤيدين في بلد الأهرام، وأصبح الباليه الروسى يحظى بتقدير عال هنا، وظهر في القاهرة والإسكندرية روسيات بدأن في تنمية فن الباليه على أسس دائمة، وبطبيعة الحال كان عددهم أكبر في القاهرة؛ حيث كان يوجد المسرح القومى للأوبرا والباليه، وحيث كانت توجد فرص أكبر للعمل، وعلى سبيل المثال كانت نينا فيتلين الراقصة الأساسية لهذا المسرح في منتصف العشرينيات، كثيرًا ما كانت تزور الإسكندرية عارضة على سكانها مهارتها. وفقا لمعلومات ي. ف. لوكونينا فإن ن.أ.بول التي فازت في مسابقة "ملكة جمال روسيا" في عام ١٩٣٢، التي تنظمها كل عام هيئة تحرير مجلة "روسيا المصورة" بباريس، حصلت على عقد عمل في دار الأوبرا الملكية بالقاهرة باعتبارها راقصة باليه أولى، بعد جولة ناجحة في مدن مصر الكبيرة (٣٨٤).

ومن المفيد الإشارة إلى مصير أ.ن.ستريكالوفسكايا زوجة نيقولاى أحد الإخوة ستريكالوفسكى المعروفين جدًا في مصر. كانت قد هاجرت مع أسرتها بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧، في البداية إلى أستونيا ثم إلى فرنسا حيث تخرجت فى مدرسة الباليه، وقبل الحرب العالمية الثانية، انتقلت الأسرة إلى القاهرة (حقيقة مثيرة للانتباه!) حيث رقصت هى نفسها في البداية، ثم بدأت بعد ذلك في تعليم الآخرين الباليه بمبنى مدرسة الرقص الحديث بميدان الأنتكخانة ثم في النادى الروسى بشارع عماد الدين(٣٨٥).

عاشــت الــراقصة ز.نيكيتينا (تــوفيت في عام ١٩٧٣ عن عمر يناهز ٧٣ سنة)[٣٨٦] في الإسكندرية بصفة دائمة، وكانت تعلم أطفال الإسكندرية فن الباليه، وقد تعلمت منها أيضًا كاتيا أوموفا الموهوبة النادرة بالجالية الروسية، التي توفيت في مقتبل العمر، وقد سبق الحديث عنها.

بفضل ذلك التقليد الذى أرسته أنا بافلوفا الذى استمر حتى العصر السوفييتى واستمــر بشكل وثيق بعد ذلك ("... نحن نتفوق على العالم كله في مجال الباليه!")، لا يزال اهتمام السكندريين بهذا النوع من الفن مستمرًا حتى يومنا هذا، فما زالت مدارس الباليه بالعاصمة الثانية مكتظة بالفتيات السكندريات، ويتميز بشكل خاص في هذا المجال المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية والذى تم فيه إنشاء مدرسة الباليه في ديسمبر عام ١٩٩١.

حتى وقت قريب كانت مؤسسة هذه المدرسة والمشرفة الدائمة عليها هى مصممة ومعلمة الرقص لاريسا يفجينيفنا بينتشوكوفا، ومنذ إنشاء المدرسة وحتى الآن تعلم فيها أكثر من ٣٠٠٠ طفل مصرى، وكان عدد التلاميذ الثابت بها يمثل ١٠٠- ١٢٠ فردًا. وقد أدى تلاميذ المدرسة تقريبًا كل الرقصات الأكثر شعبيًا من الباليهات الكلاسيكية وكذلك الرقصات الحديثة والشعبية الروسية والمصرية والشرقية، وقد شارك تلاميذ مدرسة الباليه بالمركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية في كل مسابقات الباليه المصرية لمختلف مجموعات المراحل السنية جنبًا إلى جنب مع الفنانين المحترفين، وكانوا دائمًا يفوزون بجوائز أو يحصلون على شهادات تقديرية من المسابقة، ففى السنوات الأخيرة احتلت راقصات الباليه الشابات مرتين المركز الأول في مثل هذه المسابقات، وأربع مرات المركز الثانى، وثلاث مرات المركز الثالث، كما تمت مكافأة خمسة من تلاميذ المدرسة بشهادات تقديرية من المسابقة، وقد شارك بعض تلاميذ المدرسة في المسابقات الدولية مثل مسابقات فارنا وسالونيك.

كانت دائما ما تكون أناباقلوفا في مركز الاهتمام في مختلف الاحتفالات المكرسة للباليه بالمركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية، وقد تم الاحتفال بمناسبة مرور ١٢٠ سنة على ميلاد أنا بافلوفا وأقيم معرض صور فوتوغرافية للرقصات التي قامت بأدائها أثناء وجودها بالإسكندرية[٣٨٧].

عندما تم افتتاح مكتبة الإسكندرية الجديدة (ألكسندرينا) في عام ٢٠٠١ وطرح سؤال أمام ممثلى مختلف الدول لاختيار الرمز الثقافى الذى سيمثل بلادهم في تلك المكتبة، لم يكن هناك أدنى شك لدى القنصلية العامة والمركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية أن أنا بافلوفا يجب أن تكون هى من يمثل الثقافة الروسية في "ألكسندرينا"، وهذا هو سبب وضع تمثال لها، صنعه النحات ى.أ.بيزبورودوفوى، يبين الراقصة العظيمة أثناء أدائها لرقصة "التنين"[٣٨٨].

كما سبق ذكره، كانت فنون الموسيقى والمسرح الموسيقى من أهم أشكال التفاعل الثقافى الروسى- المصرى، وهنا كان التفوق لفن الأوبرا الموسيقى الذى في الحقيقة لم يصل إلى مستوى تأثير الباليه الروسى من حيث تأثيره المباشر على الثقافة المصرية، ولكن كانت جولاته الفنية وحفلاته قد بدأت قبل ذلك بكثير في القرن التاسع عشر.

لاحظت الصحافة المصرية الحقيقة التالية قبل بداية القرن العشرين: "وصل لتوه عازف البيانو الروسى سيرجى بارتينيف[٣٨٩] إلى القاهرة لتقديم حفل موسيقى"[٣٩٠]، وفى اليوم التالى قالت الصحيفة إن عازف البيانو سيرجى بارتينيف بالكونسرفاتوار الإمبراطورى قدم حفلاً رائعا بالقاعة الكبيرة بفندق "كونتيننتال" بمصاحبة ممتازة من عازفى الموسيقى بفرقة الأوبرا الخديوية، وقد حظى الحفل بنجاح كبير وحضره الأمراء محمد على وعثمان باشا وطوسون باشا[٣٩١].

نشرت هذه الجريدة بعد عامين إعلانًا آخر عن فنانين وموسيقيين روس: "سوف يستضيف اليوم السبت مسرح زيزينيا بالإسكندرية الحفل الثالث والأخير للكابيللى الروسى الشهير المايسترو دميترى سلافيانسكى- أرجينوف بالاشتراك مع الآنسة مارجريتا سلافيانسكايا- أرجينوفا والسيدة أولجا سلافيانسكايا- أرجينوفا، وقد اجتذب البرنامج المثير جدًا الانتباه الشديد لجمهور كبير. ملابس رائعة. حفل موسيقى رائع"[٣٩٢].

فى بداية القرن العشرين، يقدم الروس أعمالهم مرة أخرى بالإسكندرية كما في السابق حيث أقامت المغنيتان فيرا وأولجا تسيرنيتسكيا حفلاتهما في مارس عام ١٩٠٧، وقد أعجب الجمهور المصرى بصفة خاصة بغنائهما أغنيات من أوبرا جليكى "الحياة من أجل القيصر"[٣٩٣].

تقريبًا في ذلك الوقت نفسه، جاء إلى وادى النيل ف.إ.شاليابين لأول مرة حيث إن "الولع بمصر" قد أصابه هو أيضًا. تمت زيارة فيدور إيفانوفيتش في فبراير عام ١٩٠٣[٣٩٤]. لم تكن هذه الزيارة جولة فنية ولكن رحلة "فى القديم"، بقى المغنى في الإسكندرية مجرد عدة ساعات، بينما تمكن من البقاء في القاهرة لمدة أطول حيث تعرف على الأهرامات وأبى الهول وعلى معالم تاريخية أخرى بالعاصمة، وعلى متحف الآثار المصرية القديمة، ثم سافر بعد ذلك إلى مصر العليا، إلى الأقصر وأسوان، وبالإضافة إلى كل ما يفكر فيه السائح الأجنبى في القاهرة، حضر ف.إ.شاليابين أوبريت إنجليزى بمسرح حلوان بالعاصمة، لم يكن راضيًا عما رآه وسمع في المسرح فقال لمرافقيه: "ربما في يوم ما سوف تتم دعوتى أنا أيضًا للغناء في هذا المسرح"[٣٩٥].

دعى فيدور إيفانوفيتش إلى مصر بعد ثلاثين سنة بالضبط من زيارته الأولى لها، أى في عام ١٩٣٣، وقبل خمس سنوات من وفاته. نظم هذه الجولة الفنية مدير

الفرقة الشهير ألكسندر ليفيتوف، وهو نفس من تولى تنظيم حفلات أنا بافلوفا ببلد الأهرام قبل ذلك بخمس سنوات، في هذه المرة قام بتنسيق أعماله مع صاحب مسرح "ألهامبرا" دجنجليانو.

في البداية كان من المفترض، أن يغنى ف.ن.شاليابين في "تريومف" الذى يملكه ألكسندر أبتكمان بالقاهرة، وقد استقبل الأخير الفنان الروسى العظيم بميناء الإسكندرية، ثم لسبب ما، قد يكون على الأرجح نتيجة لإرهاق المغنى، تم إلغاء ذلك، وتم الاكتفاء بالجولة الفنية في مصر بحفلين في العاصمة الشمالية في يومى ١٥ و١٦ فبراير عام ١٩٣٣.

وصل شاليابين، الذى كان يعيش في فرنسا، من مارسيليا إلى الإسكندرية على ظهر الباخرة "ماريوت- باشا" التي كانت تمتلكها شركة "ميسادجير ماريتيم". أعلن عن قيام ف.إ.شاليابين برحلة إلى مصر قبل موعدها بشهر فتم تنظيم حملة إعلانية ضخمة، بدا وكأن مدينة الإسكندرية تعيش فقط في انتظار حفل المغنى العظيم المرتقب. على الرغم من كبر سن المغنى (٦٠ سنة) ومرضه، فقد قدم حفلات كثيرة في عامى ١٩٣٠- ١٩٣١؛ حيث قام بجولات فنية إلى أشهر المسارح في العالم وغنى أحسن أغانيه وأشهرها من أوبرات "بوريس جودونوف"، و"الأمير إيجور"، و"روسلان وليودميلا" وغيرها، بكل من مسارح "متروليجين أوبرا" بنيويورك، و"لا سكالا" بميلانو وغيرها. كان الجمهور السكندرى ينتظر هنا أيضًا كل هذه الأغنيات الشهيرة، وقد انجذب إلى هنا محبو الأوبرا من القاهرة أيضًا.

قبل وصول ف.إ.شاليابين بفترة طويلة، ظهرت الإعلانات في الجرائد: "مسرح ألهامبرا. الحفل الوحيد للعظيم فيدور شاليابين بمصاحبة بازيلفسكى. أسعار التذاكر[٣٩٦] كما يلى:

لوج بنوار	٦٠٠ قرش
لوج أول	٥٠٠ قرش
لوج ثانى	٣٠٠ قرش
فوتيل أ	١٠٠ قرش
فوتيل ب	٧٥ قرشـــا
بلكون	٧٥ قرشـــا
صالة	٥٠ قرشـــا
صالة	٢٥ قرشـــا

كانت أسعار التذاكر التي حددها منظمو الجولة الفنية فلكية، كما أنه صحيح أن أسعار التذاكر عند تقديم أنا بافلوفا لحفلاتها كانت هى أيضًا مرتفعة للأماكن الفاخرة بمسرح محمد في العاصمة الشمالية ووصلت إلى ٥٠٠ قرش للبنوار[٣٩٧].

منذ البداية تمامًا، أعلن المغنى أنه لن يؤدى أغنيات من أوبرات، وأنه سيكتفى بأغانٍ رومانسية وأغانٍ شعبية روسية.

كانت مجموعة الأغانى التي يغنيها تشمل "جنرالان" لشومان، و"إلى أسفل البلد الأم على طول نهر الفولجا"، و"ستينكا رازين".. إلخ. كان في رأى الصحافة أن أداءه الأكثر تميزًا هو "أغنية برغوث" لموسورجسكى، وعلى الرغم من طلب الجمهور أداء عدد من أغنيات الأوبرا الشهيرة إلا أن فيدور إيفنوفيتش رفض غناءها[٣٩٨].

تسبب حفل ف.إ.شاليابين على المسرح السكندى في بعض خيبة الأمل، وبالمناسبة كان أحد مقالات ما بعد الحفل يحمل عنوان "شاليابين في ألهامبرا.. خيبة أمل". لم يكن إرهاق الفنان وعدم جاهزيته لتقديم حفل غنائى بأكمله خافيين على الصحفيين السكندريين اليقظين. أما الحفل الثانى فقد استمر ٩٠ دقيقة فقط، وتضمن عزفين منفردين لإيفان بازيلفسكى على البيانو، وكانت النتيجة العامة التي استخلصتها الصحافة: بالطبع لم يستحق الحفل هذه النقود الكبيرة، التي دفعها المشاهدون، والتى كانت تزيد عن ثلاثة أضعاف ثمن تذكرة أى من الموسيقيين المشهورين الذين قدموا عروضهم بمصر في السنوات الأخيرة"[٣٩٩].

كان الانتقاد الرئيسى من جانب الجمهور يتلخص في أن ف.إ.شاليابين لم يؤد أغنيات الأوبرا المألوفة له، وعلى أية حال فعلى الرغم من أن عمر شاليابين كان يناهز الستين فإن صوته قد أدى الأغانى الروسية الشعبية والأغانى الرومانسية بشكل سار جدًا، وهو ما سمعته مرارًا من المسنين الذين يعيشون بالإسكندرية[٤٠٠].

كانت الفنون التشكيلية تمثل أحد المجالات التي كان يسير فيها إثراء التفاعل بين ثقافتى روسيا ومصر، حيث إن الفنانين الروس وجدوا في بلد الأهرام موضوعات لإبداعهم (فيريشاجين، يفيموف وغيرهما)، وهم لم يتخطوا في ذلك الإسكندرية. في تلك الفترة التي تتم دراستها في هذا العمل، ربط إ.ي.بيليبين[٤٠١] فنه ربطًا وثيقًا بهذه المدينة.

كما سبق أن ذكرنا، سار إيفان ياكوفلفيتش على نفس طريق اللاجئين الذى سار عليه غالبية الروس في موجة هجرة شهرى فبراير ومارس عام ١٩٢٠، فبعد تراجع الجيش الأبيض وجد نفسه في مدينة نوفوروسيسك. وقد كتب بيليبين في وقت لاحق: "تحت تأثير حالة الذعر وإغراء رؤية بلاد غريبة، وهو ما كنت أحلم به دائمًا لكونى رساما، أبحرت في فبراير عام ١٩٢٠ مع موجة اللاجئين على

باخرة في اتجاه مجهول"[٤٠٢]. في البداية كان معسكر الحجر الصحى بالإسكندرية بسيدى بشر، ثم معسكر النازحين بالتل الكبير، وبفضل الإغاثة التي سبق الإشارة لها من جانب الإدارة البريطانية وشهرته في الأوساط الثقافية والدبلوماسية بمصر، سرعان ما انتقل إ.بيليبين إلى القاهرة.

حصل إيفان ياكوفلفيتش على مقدم كبير لرسم لوحة من الطراز البيزنطى لأحد اليونانيين الأثرياء فاستأجر منزلاً كبيرًا بشارع الأنتكخانة بقلب القاهرة؛ تمامًا حيث كانت توجد له ورشة عمل كبيرة وأطلق على نفسه اسم "يوان من الأنتكخانة".

تذكر الفنان في وقت لاحق: "كما كان مكتوبا في كتاب حياتى، وجدت نفسى في عالم جديد وغريب تمامًا ولكنه وضع ثمين بالنسبة للفنان، في مصر حيث عشت وعملت خمس سنوات، وأنا لن أنسى أبدًا ذلك الانطباع المدهش عندما ذهبت إلى أحياء مدينة القاهرة ذات المساجد المذهلة التي تعود إلى أول أيام الهجرة والأسواق والزحام، خيل لى أن إحدى صفحات ألف ليلة وليلة جاءت إلى الحياة، لم أكن أصدق أن كل ذلك فعلاً موجود في الحقيقة"[٤٠٣].

في البداية لم تكن حياة بليبين سهلة إلى أن أصبح يتلقى طلبات كثيرة، كتب لصديق له بباريس[٤٠٤]: "بعد محنة طويلة، استقريت في القاهرة، وجدت عملاً، ولكنهم كانوا يعطون نقودًا قليلة جدًا، حتى إننى أعيش سنوات عمرى المتقدمة وكأن عمرى عشرين عامًا كما يعيش الطلبة، وليس خمسة وأربعين عامًا. أحيانًا كان ذلك مزعجًا، حيث إنه لم يكن من الممكن شراء كتاب أحتاجه أو أية خرق قديمة ذات مناظر خلابة، ولكنى اشتريت بعض الكتب اللازمة للعمل.

كما تعلمون، توجد مصران: واحدة قديمة كلاسيكية والأخرى إسلامية، في بداية الأمر كنت مهتمًا بمصر كما تبدو لنا مفهومة أكثر وأقرب، وبالإضافة إلى ذلك، إذا أردتم الحقيقة، ما زالت على قيد الحياة، حتى الآن تقريبًا كما هى. الأحياء الإسلامية في القاهرة لها طابع خاص تمامًا، وعمارتها رائعة وبها معالم قديمة

كثيرة جدًا. وهنا توجد أسواق في كل مكان، ومحلات صغيرة وتجار، وفقراء معدمون وبدو وزنوج، وجمال، وكذلك حمير تم تلوينها، وسجاد، وحلويات. شيء تمامًا مثل فاكهة، عليك فقط الجلوس ورسم قصة خيالية شرقية.

أما مصر الأخرى القديمة، فهي مهيبة غير مفهومة ومخيفة- وهي صامتة، والكثير من الزعيق الذي يصم الآذان يؤلم الأذنين، وكل هؤلاء الناس من مختلف الألوان من الأبيض إلى الزنجي، يلبسون عمامات وطرابيش. كم هي هادئة وصامتة بقايا هذا العالم البعيد!!

لم يتمسك عملي بإحدى صور مصر القديمة أو الإسلامية فقط، فقد كان تخصصي قد أصبح "بيزنطة".

أرسم لوحة زخرفية كبيرة ٥,٥ أمتار في ٢,٥ متر سوف تزين غرفة أحد الأثرياء اليونانيين على الطراز البيزنطي. كما ترون الأبعاد غير عادية بالنسبة لي، ولكن ذلك كان شيقًا جدًا.. يظهر في اللوحة إمبراطور وإمبراطورة وموكب من الرجال والنساء ومدينة شهيرة، والكثير من الزخارف، الطراز يرجع بالتقريب للقرن السادس، إلى عصر جوستنيان".

"من المهم جدًا ملاحظة أنه على الرغم من تحيز بليبين للعصر البيزنطي وهو ما يظهر بالفعل من كل أعماله السابقة، فإنه قد أحب فن وتاريخ مصر القديمة ومصر الإسلامية، ولكن لم تكن توجد مثل هذه العلاقة المتوازنة موجودة لدى الجميع، فالبعض كان يفضل القديم، بينما آخرون كانوا يميلون للحديث، وبالمناسبة كثيرًا ما يلاحظ لدى رجال الأعمال بين شخصيات الثقافة الروسية والمتاحف الحكومية الذين يزورون توجه ذو وجه واحد هو الاهتمام الأكبر بمصر القديمة.

يبدو أن علاقة إيفان بليبين نحو الناس والبلد الذى أمضى به سنوات ١٩٢٠– ١٩٢٥ كانت تتسم بنهج "روسى" بحث نحو الفن. إذا فحصت معرضنا بعناية فسوف تكتشف هذه "الروسية" لدى هذا الفنان العظيم. انظر إلى موضوعات لوحاته وأشكالها، ستكتشف أن الشخصيات الرئيسية فيها هى "إيفان تساريفيتش" و"طائر النار" اللذان يمثلان أحد الموضوعات الرئيسية للقصص الخرافية الروسية، وهو البحث عن المثل الأعلى الذى يمثل حلم الشعب الروسى بالسعادة الأبدية وبالخير من ناحية، ومن ناحية أخرى الهروب الأبدى لهذه السعادة المثالية، يجسد إيفان تساريفيتش الشعب الروسى الذى يرغب في الإمساك بطائر النار هذا، ولكنه يقبض فقط على ذيله وتبقى في يده ريشة واحدة فقط"[٤٠٥].

أسكرت مصر إيفان ياكوفلفيتش، وهو يقول: "إن مصر هى كنز للفنان"، وهو سعيد، يعمل منذ الصباح إلى المساء في هذا العالم العجيب الخيالى. على الرغم من العمل الشاق فإن بليبين يجد الوقت لمشاهدة المعالم السياحية للقاهرة وللقيام برحلات داخل البلد، وقد سافر الفنان مرتين إلى مصر العليا، وزار الأقصر. وفى خلال زيارته الثانية زار مقبرة توت عنخ آمون التي اكتشفها كارتر للتو، قابل الناس ورسم اسكتشات والتقط الكثير من الصور، وقد كتب إيفان ياكوفلفيتش لصديق له في يناير ١٩٢٤: "لم يكن لدى إمكانية جمع التحف، لذلك أصور كثيرًا مصر القديمة والفن العربى، وما هو قريب من فؤادى ما يسمى بالفـــن القبطـــى أو الفن المسيحى المبكر في الأعمال المصرية..."[٤٠٦].

بناء على دعوة إ.بليبين حضرت إلى مصر في بداية عام ١٩٢٣ تلميذته أ.ف.شيخوتيخينا– بونوتسكايا مع ابنها مستيسلاف، وسرعان ما تزوجا.

أمضى الفنان مع عائلته صيف عام ١٩٢٤ في رحلة إلى فلسطين وسوريا، وهو يتذكر فيقول: "القدس، والبحر الميت، والجليل ودمشق هى استمرار لأساطير الشرق" (٤٠٧).

بمجرد عودة العائلة إلى مصر انتقلت، بناء على دعوة من أصدقاء، للإقامة بالإسكندرية حيث طبقًا لشهادة ابنه بالتبنى مستيسلاف كان "يختفى لوقت طويل في المعهد اليونانى- الرومانى الشهير بتماثيله ومجموعات العملات المعدنية وروائع الفسيفساء والخزف"(٤٠٨)، حيث كان يرسم الكثير من الاسكتشات والرسومات للوحات المستقبل، كانت العاصمة الشمالية بالنسبة لإيفان بليبين جذابة أيضًا، بسبب إقامة الكثير من الأوروبيين بها، بما فيهم المهاجرون الذين كان يوجد بينهم خبراء في اللوحات الفنية والفنانون البارزون، لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أنه كان يتم تقريبًا طوال العام تنظيم "بيناليات" سواء لفنانين محليين أو فنانين عالميين بصالونات العرض بالمدينة.

كانت الفترة السكندرية من حياة الفنان وعمله مثمرة للغاية. لم يكن يجتذبه نشاط التعليم فركز جهوده الرئيسية على ضبط أعماله الأولية واسكتشاته وأعماله التي لم تكتمل.

ساعده أصدقاؤه السكندريون من جماعة محبى الفن على تنظيم معرض كانت المعروضات التي قدمت به من أعمال إيفان بليبين، وكذلك ألكسندرا فاسيلفنا، وقد ظهر إعلان في الصحافة السكندرية: تنظم "جماعة أصدقاء الفن" فى الإسكندرية معرضا لأعمال الفنان العظيم بيليبين بصالونها بشارع فؤاد الأول، رقم ١٣، من يوم ٥ إلى ٢٠ يناير، ونحن نتمنى النجاح لهذا الحدث الكبير في عالم الفن"(٤٠٩).

تم عرض أعمال أ.ف.شيكاتيخينا- بوتوسكايا: لوحة مرسومة بالألوان المائية "صومعة حبوب بقرية فلاحين في الطريق إلى الأقصر"، جرافيك ورسومات من الطبيعة "بائع الحلوى"، "إ.ي.بيليبين على شاطئ البحر بالإسكندرية"، "بورتريه كهل عربى"، ومن فن الزخرفة المسرحية (اسكتشات لأزياء خاصة بحفلات الجولة الفنية لأنا بافلوفا) وغيرها[٤١٠].

حظى بينالى الزوجين بنجاح باهر، وقد كتب م.بوتوتسكى في مذكراته "ذهبت تقريبًا كل الأعمال من المعرض إلى أمريكا واليونان، وقد حصلت على تقدير عال في الصحافة المحلية"[٤١١].

أثمرت الفترة السكندرية القصيرة للفنان الكبير عن أعمال كثيرة، ومن المعروف أنه رسم بورتريه مدام جروبى مالكة محلات الحلويات الكبيرة بالقاهرة والإسكندرية التي تحمل هذا الاسم حتى الآن. كان زبائن إ.بليبين من كبار رجال الأعمال اليونانيين بيناكى وكاستاجلى كما طلب منه السكندرى مدحت باشا تصميم بانوه بمظلات. وبالإضافة إلى ذلك فقد تم عمل بانوه آخر على الطراز البيزنطى بأبعاد ٥,٥ و٢,٥ متر، ونحن لا نعرف أين توجد هذه الأعمال، ومن المعرف فقط أن بليبين قد رسم لفيللا بيناكى- أكبر تاجر قطن في الإسكندرية- بانوه "الانحناء لملك وملكة بيزنطة"، ولكن سرعان ما بيع في مزاد بعد موت صاحبه الذى لم يكن له أبناء.

للأسف، من المحتمل أن الكثير من أعمال إ.بيليبين التي نفذها في مصر قد بقيت مجهولة الاسم وهى موجودة حتى الآن هنا ضمن مجموعات خاصة، ولكن توجد معلومات عن بعض هذه الأعمال، فبصفة خاصة كتب الفنان في أحد خطاباته في عام ١٩٢٣: "لقد حصلت على طلب من مدام نجيب بطرس غالى باشا: بانوه زخرفى كبير بمساحة حوالى ٤ أمتار مربعة بأسلوب المنمنمات الفارسية. الثمن

٣٥٠ جنيها إسترلينيا"[٤١٢]، هذه اللوحة موجودة الآن في القاهرة، وتوجد في مستواها الأول وعلى يمينها فتيات يعزفن الموسيقى، وعلى يسارها جمهور المشاهدين: أمير وأصدقاؤه، وفى المستوى الثانى حديقة رائعة وقصر، وألوان كل اللوحة طبقًا لأسلوب بيليبين النمطى، وفى أسفل اللوحة توقيع باللغة الفرنسية، والأحرف الأولى باللغة الروسية والتاريخ "١٩٢٤".

لنتحدث الآن عن الأعمال الأثرية التي نفذها إيفان بليبين في خلال إقامته لمدة خمس سنوات بمصر. قام بعمل زخارف جدران الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الكبيرة في الإسكندرية، لم يسفر البحث عن جداريات وحائط أيقونات هذه الكنيسة عن أية نتائج، ولكن من المعروف أنه يوجد في كنيسة مستشفى العباسية بالقاهرة حائط أيقونات من أعمال إيفان بليبين بأسلوب القرن الخامس عشر، ويوجد على أجناب المذبح جبريل على اليمين ومايكل على اليسار، وتبدو وجوههم معروفة كما في الأيقونات الروسية القديمة بشكل مدهش، فهيئتهم تبدو مشرقـــة وكأنهـــا في عيد، وهنا توجد أيضًا الأحرف الأولى لاسم إيفان بليبين وعام ١٩٢١.

وبصفة خاصة تدهش زوار كنيسة المستشفى أيقونة مزدوجة على البوابة الملكية. مريم العذراء مرتبكة ولكنها مع ذلك فرحة على اليمين، وعلى اليمين الملاك جبريل الذى أرسله لها الله لإخبارها بالنبأ السار: "سوف تصورين في رحم خاص وتلدين ابنًا وتمنحيه اسم يسوع"، وفى الأسفل نفس الحروف الأولى والتاريخ وعلامة[٤١٣].

كان يريد إيفان ياكوفلفيتش القيام بعمل أساسى أيضًا في الإسكندرية؛ جداريات وحائط أيقونات في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالمدينة، وقد قام بالفعل بعمل اسكتش، ولكنه لم يكن لديه الوقت لإكماله؛ حيث إنه بدأ العمل في هذا

الطلب من جانب من رجال الدين السريانيين بالمدينة فقط في عام ١٩٢٥، وكان قد قرر نهائيًا قبل ذلك الوقت الرحيل عن مصر، وقد رحل إلى براج باستخدام النقود التي حصل عليها من بيع لوحاته بمعرض بليبين بالإسكندرية في أغسطس عام ١٩٢٥، ثم إلى باريس، وفي سبتمبر عام ١٩٣٦ عاد إلى مدينة مسقط رأسه على نهر النيفا. وقد قتل إيفان بليبين في فبراير عام ١٩٤٢ أثناء قصف الألمان للمدينة، "فما كان للفنان مغادرة مصر وباريس لكي يموت تحت أنقاض منزل انهار؟ سوف نجيب عن هذا السؤال بكلمات بيليبين نفسه من خطاب كتبه لصديق من القاهرة في عام ١٩٣١: "في بعض الأحيان أشتاق تمامًا للذهاب إلى روسيا، وبصفة خاصة إلى شبه جزيرة القرم[٤١٤]. لقد أصبحت قوميًا متقذا أكثر من أي وقت مضى بعد مشاهدة كل هؤلاء الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم من حاملي الثقافة، والآن بدأت أشعر بحجم ما فقدناه".

أود هنا وضع نقطة الآن. الآن لأن الجميع لم يعرفوا بوجود الفنان الروسي العظيم في مصر، فلم يعرف ذلك الكثيرون. ولكن، على أية حال، فقد فتحت صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الثقافية بين روسيا ومصر"[٤١٥].

اختلف ممثل آخر للفن التشكيلي الروسي عن إيفان بليبين هو ب.أ.فرودمان- كليوزيل الذي حظي هنا عن جدارة بسمعة وشهرة وعلم، وترك من بعده تلاميذ في مصر وفي الإسكندرية[٤١٦]. ولد صانع تمثال "عروس النيل"، الذي يقف بحديقة النزهة، بوريس أوسكاروفيتش فرودمان كليوزيل في سانت- بيترسبورج في عام ١٩٧٨. التحق من أصبح فيما بعد مثالاً بمدرسة الفن في سن ١٦ سنة، ثم تخرج في الأكاديمية السويدية للفنون التشكيلية، ثم حصل على تدريب جيد بشركة المجوهرات ذات الشهرة العالمية فابيرجي، وفي وقت لاحق شارك فرودمان- كليوزيل بنشاط في صناعة مجموعة التماثيل الحجرية "الأشخاص الروس" الشهيرة.

أحبَّ جدًا بوريس أوسكاروفيتش الباليه وصنع حوالى ٦٠ تمثالاً لفنانى الباليه من بينهم راقصة الباليه الأولى في تاريخ الباليه الروسى أنا بافلوفا, وقد حفظت إلى اليوم صورة فوتوغرافية لأنا بافلوفا وهى تقف في وضع أمام فرودمان- كليوزيل أثناء صناعته تمثال "التنين"، وهذا التمثال بالذات معروض في قاعة الذكريات بمكتبة الإسكندرية، وقد قام أيضًا في عام ١٩١٥ بعمل طبعة لقدمها، وقد حصل المتحف البريطاني على أول قطعة مصبوبة من البرونز باستخدام هذه الطبعة، والثانية وجدت مكانًا لها بالمتحف الحكومى للمسرح والفن الموسيقى بمدينة بيترسبورج.

هاجر فرودمان- كليوزيل في بداية العشرينيات إلى باريس، حيث كان يقوم بالتدريس هناك بمدرسة الفنون التشكيلية حيث كان يعمل بها أستاذًا، ثم سافر بعد ذلك إلى القاهرة ربما بسبب اندلاع الأزمة الاقتصادية العالمية العميقة بأوروبا في ذلك الوقت، ومن الجائز جدًا أنه تمت دعوته للحضور إلى مصر وأنه عرض عليه عمل جيد، وتؤكد تطورات الأحداث اللاحقة هذا الافتراض.

ومن المفهوم شيء آخر يتمثل في كون مصر والقاهرة جذابتين جدًا بالنسبة لكل فنان سواء كان نحاتًا أو رسامًا بسيطًا. كما تبين تجربة الثقافة الروسية فإن الكثير من الأدباء والموسيقيين والرسامين والنحاتين كانوا يسعون للتعرف على الشرق وإثراء فنهم وهم يحلمون برؤية عالم الشرق الفاتن والغامض والصوفى الملىء بالأسرار والألغاز، وكان من ضمنهم المثال الروسى الموهوب فرودمان- كليوزيل الذى كان قد نال شهرة عالمية.

استقر فرودمان- كليوزيل في وسط القاهرة بحى الأزبكية بالمنزل رقم ٩ في شارع جنينة، حيث كان لديه ورشة عمل، وبما أنه لم يكن متزوجًا فقد كانت تدير شئونه مديرة منزله الفرنسية مدام كارا.

دعى المثال الروسى للعمل بكلية الفنون الجميلة بجامعة القاهرة في وظيفة أستاذ ورئيس قسم النحت، وقد حل محل بوريس أوسكاروفيتش في هذا المنصب تلميذه أحمد عثمان في عام ١٩٣٧.

تخرجت أول دفعة فى كلية الفنون الجميلة في عام ١٩٣٣، وكان التسعة الأوائل من الخريجين من تلاميذ فرودمان- كليوزيل، وهنا يظهر تساؤل: هل تمت دعوته إلى القاهرة خصيصًا من أجل كلية الفنون الجميلة الجارى إنشاؤها؟

كان من بين تلاميذ بوريس أوسكاروفيتش الذين تخرجوا كل من: جمال سجينى، وعبد القادر رزق، وعبد الحميد حمدى، ومصطفى متولى، ومصطفى نجيب، وأحمد عثمان. ولم يحل الأخير فقط محل أستاذه في منصب رئيس قسم النحت بكلية الفنون الجميلة بجامعة العاصمة بل إنه كان مؤسسًا وأول عميد لكلية الفنون الجميلة بجامعة الإسكندرية والتى تأسست في عام ١٩٥٧، وقد رأس الكلية حتى تقاعده في عام ١٩٦٨[٤١٧].

بالإضافة إلى نشاط بوريس أوسكاروفيتش التدريسى أنشأ مجمع "إخناتون" للمعارض وكان أول مدير له، وقد خصص كثيرًا من وقته لأحب الأعمال إليه: النمذجة. عادة كان يصنع ٤- ٥ أشكال من نفس التمثال ثم كان يختار منها الأفضل، وكان يبين الأخطاء التي وقع فيها على الأشكال الأخرى، وقد كان محترفًا على أعلى المستويات.

كان يتكلم جيدًا باللغة العربية، وإلا ما تمكن من العيش في هذا البلد، وكيف كان يمكن له أن يحبها ولا يتحدث لغة أهلها؟ عندما توقف عن التدريس في عام ١٩٤٥ أو ١٩٤٦ وأحيل إلى المعاش، كان دائمًا يجيب عن سؤال طرح كثيرًا وهو: لماذا بقى في مصر بالقاهرة ولم يتركها إلى أوروبا؟" قائلاً: "أنا أحب مصر، فلماذا إذًا يجب أن أسافر من هنا؟"، توفى بوريس أوسكاروفيتش في يوم ٣٩ ديسمبر عام ١٩٥٩ ودفن في مصر، وعلى الرغم من البحث على نطاق واسع عن قبره، فلم يعثر عليه حتى الآن [٤١٨].

كتب الفرنسى موريس برين في كتابه "الرسامون والنحاتون في مصر الحديثة" الذى صدر منذ عام ١٩٣٥ أنه كثيرًا ما زار أستوديو المثال الروسى في الأزبكية؛ ولذلك فمن حقه الحديث عن فن فرودمان- كليوزيل. قال: "من طبيعة فرودمان- كليوزيل الاهتمام بكل شيء- فالحيوانات ليست أقل من الناس، ولكن إدراكه للعالم لم يكن فوريًا، فقد كان دائمًا يدرس الأسس في عمله: "ها أنا أعيش حتى الآن ثلاث سنوات في مصر ولكن ما زال من الصعب عليَّ صناعة تمثال جمل".

لم يكن فرودمان- كليوزيل يعترف بالحق في تغيير الشكل طبقًا لرؤيته الخاصة، ولذلك كان يطلب احترام مهارة الطبيعة والصدق، لذلك فقد أمضى وقتًا طويلاً في دراسة علم التشريح، وبمجرد ظهور الثقة بأنه قد "وصلت لحظة الحقيقة" كان ينفذها، كان تحليل المثال يسمح بصناعة المثيل وبإحياء التركيب، فكانت تماثيله "كلاب الصيد" وكأنها بالفعل تجرى و"بلاشوفا" ترقص، وكأننا نراها على خشبة مسرح البولشوى.

لم تعد توجد هناك على الإطلاق أسرار بالنسبة لبوريس فرودمان- كليوزيل باعتباره مثالاً في حركات الرقص، كان قد درس بالتفصيل عناصر وأصغر تفاصيل الرقص فكان يستنسخها بأعلى درجات الصدق في الجبس والبرونز، حتى تماثيله التـــي تمثل أوضاعًا واقفة ساكنة كانت دائمًا تتنفس الحياة"، وبعد ذلك يستنتج الفـــرنسي: "من المستحيل أن تكون أكثر صدقًا. ولا يمكن أن تكون أكثر حرفية فنية"(٤١٩).

نعم، لقد أسعد الحظ أحمد عثمان وزملاءه في شخص معلمهم الذى يستحق كل هذا التقدير العالى لمهارته الفنية وحرفيته!

وفقًا لشهادة الرسامين والمثّالين المصريين الذين عرفوا شخصيًا المثّال الروسى وكونوا معه صداقة فإن أعمال فرودمان- كليوزيل موجودة بشكل رئيسى في مجموعات خاصة لمحبى جمع التحف، وفى الوقت نفسه بقيت غالبيتها محفوظة بمتحـــف الفـــن بميـــدان التحـــرير، والـــذى تم افتتاحه في عام ١٩٤٠ وأغلق في عام ١٩٦٥.

هناك أعمال مهمة معروفة لفرودمان- كليوزيل تم تنفيذها في مصر؛ النقش البارز للقديس جرجس عند مدخل كنيسة مار جرجس الأرثوذكسية بمصر القديمة، والعمل الثانى الكبير هو تمثال نصفى لمرقص سيمايكو باشا مؤسس المتحف القبطى وأول مدير له، وهو موضوع عند مدخل المتحف بالقاهرة القديمة أيضا، والعمل الثالث هو تمثال نصفى لجمال عبد الناصر صنعه بوريس أوسكاروفيتش قبل وفاته بقليل، وقد تمت إقامته داخل محل تجارى بشارع شريف بوسط القاهرة، ولكن تم رفعه من هناك لسبب مجهول.

يبقى العمل الرئيسى في الفترة الخلاقة للمرحلة المصرية من حياته، وقد يكون الإنجاز الأهم فيها إذا لم نأخذ في الاعتبار نشاطه التدريسى وإعداد كوادر المثالين المصريين، هو تمثال "عروس النيل" الواقف بحديقة الزهور بمدينة الإسكندرية والتى تقع بين حديقة أنطونياديس وحديقة الحيوان الخاصة بالمدينة (انظر الأشكال التوضيحية).

فى رأينا أن التمثال الأخير يمثل الكمال وهو مثالى. انظروا إلى الركبتين تستعدان للقفز إلى نهر النيل بعد دقيقة، وقد تجمدت ابتسامة غامضة على وجه العروس في انتظار انتهاء الشعائر وهى تعكس في الوقت نفسه الطاعة والكبرياء والعظمة والتضحية بالنفس والكثير غير ذلك من السمات المميزة في العصور القديمة والشعب العريق بهذا البلد القديم. وقد التقط المثال الروسى العظيم فرودمان- كليوزيل كل ذلك بشكل رائع.

٣,٢. شعر المهاجرين بالإسكندرية.

الإسكندرية تراب مقدس..

كليو، إيفان أوموف

وصل تعداد الجالية الروسية بحلول شهر أبريل عام ١٩٢٠، شاملاً المهاجرين الوافدين في شهرى فبراير ومارس نتيجة لهزيمة دينيكين حوالى ٥ آلاف شخص، وبمرور الوقت انتشر جزء منهم في مختلف أنحاء العالم وتجنس جزء آخر فأصبح تعداد الجالية الروسية بمصر ٢٤١٠ أشخاص في عام ١٩٢٧، وفـــى عامى ١٩٣٧ و١٩٤٧ على التوالى ١١٧٦ و١١٧٤ (وفقًا للتعداد العام لسكان مصر).

على الرغم من فقدان حقوق الامتيازات (فى أكتوبر عام ١٩٢٣) التي كانت تمنح للأجانب الآخرين ببلد الأهرام امتيازات كبيرة، فإن المجتمع الروسى المصرى كان متماسكًا ومكتفيًا ذاتيًا، ووفقًا لقول تاتيانا كون "كانت هذه هى روسيا صغيرة".

باستخدام الدبلوماسيين الروس أ.أ.سميرنوف وأ.م.بيتروف وغيرهما من الذين لم يعترفوا بالسلطة السوفييتية لوضعهم الوظيفى وعلاقاتهم العامة والخاصة التي تكونت على مدى الفترة الطويلة لإقامتهم بمصر ساعدوا الجالية الروسية إلى حد كبير على تنظيم نفسها واستمرارالكثير من الروس في الحياة.

تم في عام ١٩٢٠ إنشاء العيادة الروسية في القاهرة، وتم إنشاء الجمعية الطبية الروسية بها. أصبحت العيادة أحد أهم مركز تواصل "الروس المصريين" وتلاحمهم ومن بينهم من كان يعيش في العاصمة الشمالية، وقد تم أيضًا افتتاح مصلى بها حل محل الكنيسة الروسية، وفى الإسكندرية تم إنشاء كنيسة أرثوذكسية باستخدام موارد القنصل العام بيتروف المالية، ثم تم بناء كنيسة صغيرة في المقابر المسيحية اليونانية بالشاطبى وتحتها سرداب لدفن الروس الذين يغادرون الحياة.

كان النادى الروسى يعمل في القاهرة وبه قاعة اطلاع مجانية، كما كانت تلقى المحاضرات في قاعة النادى وتقام بها الحفلات الموسيقية، وتعرض بها المسرحيات الدرامية والموسيقية، وتقام بها أيام الثقافة الروسية التي كان يشارك فيها بنشاط المواطنون الروس من الإسكندرية. كانت تقدم الجمعية الفنية الروسية الحفلات الموسيقية والمسرحيات.

جنبًا إلى جنب مع المنظمات الاجتماعية الثقافية "المصرية العامة" والاحتفالات التي كانت تقيمها، كانت الإسكندرية هى أيضًا مكتفية ذاتيًا ومستقلة في هذا المجال. في عام ١٩٢١، تم هنا إنشاء الجمعية الثقافية والتعليمية الروسية التي

أصدرت مجلة "فى الغربة" وصحيفة: "المهاجر" بسمات مصرية عامة، كانت تصدر من هنا أيضًا مجلة اتحاد الطلبة الروس- مجلة "أوريون". ضم الاتحاد حوالى ٣٠٠ طالب، وكانت له فروع في القاهرة والتل الكبير.

كما كانت توجد في العاصمة الشمالية مكتبة لخدمة محبى الأدب الروسى، وكان يرأسها محب كبير للأدب والفن، ولم يكن هو نفسه غريبًا عن الإلهام الإبداعى، وهو من الشخصيات الروسية المهاجرة بالإسكندرية المثقفة جدًا، والتى تحظى باحترام كبير- ب.ي.دوبرينيا- كونيوخوف.

كانت توجد "نواة ثقافية" تقريبًا في كل تجمع روسى كبير توحد المواطنين الروس من حولها وتجذبهم إليها، وهى تساعدهم على اكتشاف ما لديهم من مواهب إبداعية، وقد صدرت في الإسماعيلية مجلة "دونسكى في الغربة" حيث استقر فيلق الطلاب المتدربين الدونسكى في أعوام ١٩٢٠- ١٩٢٢.

تركزت قوى الإبداع حول هذه المجلات قوى الإبداع؛ حيث فتحت مجلة "دونسكى في الغربة" الطريق إلى حياة الإبداع لتلاميذ فيلق الطلاب المتدربين الدونسكى ي.ف.جونتشاروف ون.ن.فوروبيوف الذين كانوا ينشرون فيها ذكريات فيلق الطلاب المتدربين الدونسكى ثم كبرا وأصبحا شاعرين مشهورين، لم يكن يفخر بهم فقط المهاجرون القوقاز ولكن أيضًا مواطنوهم الروس عامة بوطنهم التاريخى، وقد جرب الموهوبون الروس المهاجرون قواهم في المجلة المشار إليها "فى الغربة"، وكان نائب القنصل إيفان أوموف يقوم بالنشر فيها هو الآخر، كان للشعراء الروس المصريين علاقات مباشرة بجمعيات أدباء المهاجرين البيض الكبيرة بكل من باريس وبرلين وبلجراد ومراكز الهجرة الأخرى.

سعى المهاجرون الروس لنشر تجاربهم الشعرية في الخارج وكذلك مباشرة بمصر، يجب أن أقول إن إمكانياتهم للنشر كانت صغيرة، إلى درجة عدم وجود مطبعة صغيرة، كانت كتب الشعر تصدر في شكل بدائى، وكانت أحيانًا تطبع فقط على الآلة الكاتبة، وبالمناسبة فإن مجلة "فى الغربة" نفسها كانت تعانى من هذه العيوب نفسها.

ينتمى إلى هذه المطبوعات كتاب "مجموعة أشعار أولجا يجوروفا[٤٢٠] المطبوع على الآلة الكاتبة، ربما تكون قد عاشت الحرب الأهلية، وقد جاءت إلى الإسكندرية مع الجرحى في مارس ١٩٢٠ وعاشت بها في معسكر سيدى بشر، وقد بقيت قصيدتها التي كتبتها في سيدى بشر "طرق أحدهم":

يُهيأ لى أن أحدهم

طرق على النافذة.

هل أرى ذلك وأنا مستيقظة،

أم بدا لى في الحلم.

الليل أبكم

والنجوم متلألئة

صمت.. أنا وحدى..

وحدى مع الشوق

عند النافذة

معسكر سيدى بشر

١٩٢٢ (مجموعة أشعار ص١٠)[٤٢١]

أقامت أولجا يجوروفنا الجزء الأكبر من الخمسة وثلاثين عامًا التي عاشتها في مصر بالقاهرة، وكل شخص يعرف هذا البلد يعلم أنه يتم قضاء الصيف فيه على شاطئ البحر بالإسكندرية الأبرد قليلاً، وها هي أولجا كتبت هنا الكثير من قصائدها: "البحر (١٩٢٧)، "كان يلعب لى" (١٩٣٨)، "النورس" (٩ يوليه ١٩٣٩)، "عصفور" (بدون تاريخ)، "غيم" (يوليه ١٩٣٩) "شوق الوحدة..." (٢٠ أغسطس ١٩٤٥)، "لقد عامت" (١٩٤٦)، "حلم" (٨ سبتمبر ١٩٤٩) وغيرها.

وقد كرست إحدى قصائدها لأحد مواطنى بلدها- م.س.نوفيكوفابن، ابن المستشار المدنى السكندرى س.إ.نوفاكوف- الذى كان يكتب هو أيضًا وتوفى قبل الأوان، وهذه القصيدة بتاريخ ١٤ يوليه ١٩٣٨.

فى ذكرى ميخائيل سيرجيفتش نوفاكوف

صمت الشاعر.. صمتًا مبكرًا للغاية،

لم يعرف عزاء الحياة.

لم تعد هناك أغنية.. وسوف تنسى الأشعار

وهو، ربما، لا يفهم.

يا ترى هل كان إ.ب.أوموف يخص أولجا يجوروفا بقصيدته؟ لماذا لا؟ فقد كانا يعيشان في الوقت نفسه، وكان يمكن أن يلتقيا في القاهرة أو في الإسكندرية، على أرضية القصائد نفسها، والرغبة في وصف الواقع بأسلوب غنائى، لقد كتب

إيفان أوموف قصائد مؤثرة عن ممرضات مثل أولجا يجوروفا اكتسبن الخبرة اللازمة في أثناء الحرب العالمية الأولى وعايشن الحرب الأهلية[٤٢٢]:

ممرضة

فى أرض غريبة، في جنة زهور غريبة،

يا صديق طفولتى، أنا أعرفك

وأنا شائب، مريض، عبر سنوات التيه،

وخسارة وحزن واختبارات خارقة القوة،

لقد نفذت حياتك كالشمعة.

مرة أخرى أقف أمامك منحنيًا.

أنت نفسك، بلا شكوى ولا تذمر،

تتشئين أسرتك، بين المرضى

فى بلد غريب

كلك للآخرين، كما كنت في الحرب

وسط صرير الرصاص ودمدمة الشظايا

كلك شرف، كلك واجب!

سأرفعك يا أختى فوق تانية بوشكين

أغنى أغنيتك، وأسكب الدموع معك،

فى بلد غريب

كان ميل أولجا يجوروفا للعاطفية مرتبطًا دائمًا بالحنين للوطن، وعلاوة على ذلك، كان هذا الحنين اللانهائى لروسيا يؤدى أحيانًا إلى توتر شديد وحالة نفسية يمكن الخروج منها فقط عبر المشاعر في شكل عاطفى، على هيئة أشعار.

زهور الترنشان

كنت كثيرًا ما أقطف زهور الترنشان

فى أرض وطنى العزيز،

إنها تثير حزنى

هنا في هذه الحياة البغيضة.

جاء حبيبى في زيارة،

وأحضر لى باقة ترنشان صغيرة،

هادئة، يملؤها الحنان

جميلة هذه الورود.

تنظر إلى بشوق

فهنا أنا معها في الأسر

أريد الفرار

إلى أرض وطننا الأم

مصر، ١٩٤٤ (مجموعة أشعار ص٩٥).

ينقل الشاعر الدبلوماسى السكندرى إيفان أوموف[٤٢٣] هذا الشعور بالحنين للوطن بأسلوب أكثر حدة:

حلم دائم

دائمًا هذا الحلم نفسه- روسيا البعيدة!

إليك وحدك يطير حلمى،

يجذبنى جمالك الخاص،

تدعونى الحقول وغاباتك الكثيفة،

والأيام الرمادية بإيقاع المطر،

وطول أمسيات الخريف،

وقرمزية الغابات ونتوءها

والانجرافات الثلجية في فصل الشتاء!

أعيش مرة أخرى بين أحلام الصبا،

مرة أخرى، أشعر أن العالم الدنيوى ليس صغيرًا جدًا..

صوت أغانٍ بعيدة مألوفة منذ الصغر.

يمنحنى سيل دموع غير متوقعة.

فى بيئة غريبة، يبرد قلبى،

وفى حبه للوطن يعود شابًا.

تقول أ. يجوروفا عن الحلم، عندما ترغب في توضيح ما هى الغربة:

أنا نائمة

أنا نائمة في سبات عميق سلطان،

لا يهمنى في العالم شىء

كنت ساخنة طوال حياتى

أحببت، كأنما.. منذ زمن بعيد.

تعبت أنا من الحياة ومن الحزن

والآن لا توجد نار في النظرة:

لا أسمع النداء المألوف.

لا يهمنى أى شىء: أنا تعبت جدًا..

وأنام الآن.

لم أعد أعانى ولا أحب.

أنام في وكرى كحيوان وحشى.

١٣ أكتوبر ١٩٤٣ (مجموعة أشعار ص ١٢٨).

كان إيفان إيفانوفيتش يتقبل نفسه باعتباره مهاجرًا في شيخوخته بشكل حاد خاص. لقد ماتت ابنته الحبيبة كاتيا، وبدأ أبناؤه يتفرقون، أصبحت الأشعار أحيانًا هي شغلته ووقت فراغه الوحيد عندما يأتي الشتاء في الإسكندرية بأمطاره ورياحه القوية[٤٢٤]:

أوه، لو عرفتم كيف يدق قلبى بشكل مؤلم

مع صوت مطر الليل ووشوشة دمدمة أبدية،

لماذا أمك- أفضل صديق- لا تستجيب لدعوتك.

يا قلبى العجوز أنت لا تحتاج الكآبة.

أوه، لو عرفتم أن الروسى في الغربة

يساء فهمه، وحيد، يعيش دائمًا في الأحلام،

عن أشجار الزيزفون، وأشجار البلوط، والعواصف الثلجية في السهول،

عن البجع الأبيض في مروج مغمورة بالماء!

من الأشعار العاطفية لنيقولاى فويتسنكوف- "فخر" المهاجرين الروس بالإسكندرية[٤٢٥]، يمكن معرفة كيف كان المنفيون الروس يقيمون أنفسهم، وكيف كانوا يرون شبابهم، وبصفة خاصة الشباب، وما أحلامهم، كان الأخوان التوأمان نيقولاى وألكسى فويتنكوف يعملان رقيبين بالشرطة السكندرية، وكان اللاجئون الروس يشعرون بالفعل بالفخر بسبب ذلك، وتبين الأسطر التالية من قصيدة شعرية لفويتنكوف في عام[٤٢٦] ١٩٢٨ بوضوح تام هذا المزاج:

المنفى

دمر المنفى كل الحياة.

انطفأت الأحلام المبكرة.

وسحر الأيام الخوالى

تبدل بإحساس بالفراغ.

تبدل بإحساس بالفراغ.

فى ألم المعاناة الصامتة،

كأنها صورة جمال لطيف،

تذوب أحزان الذبول.

تذوب أحزان الذبول،

وهى تزيد من عذاب الفراغ،

وترسم أحلامى التي تخبو

أثر الذكريات.

كان وضع المهاجرين يؤدى إلى أنهم كانوا يملون من ذلك إلى درجة أنهم كانوا يرفضون حتى ما هو إيجابى، وما كانوا يملكون قبل الثورة والحرب الأهلية، كما أنهم كانوا يريدون التخلى عن كل الماضى، نفس نيقولاى فويتنكوف، على الرغم من أنه حقق هو وأخوه مركزًا اجتماعيًا ووضعًا ماليًا معينًا في الإسكندرية، إلا أنه كان يرغب في "إسكات الماضى":

الشباب

غرق في ضباب بارد

شبابى الوحيد.

مرت بسرعة في حركة حرة

أيام وراء أيام، وذابت الأحداث.

عديم الموهبة، وكما لو كان لا لزوم لى

قضيت حياتى على خشبة المسرح

ولم أعرف حركة الأشياء المشاغبة

ولا الهوايات والمشاعر.

لم أكن راغبًا أبدًا في أى وقت أى شىء،

فأضع ختمًا على الماضى

وحيث لا توجد لدى رغبات أخرى،

فأنا أحاول السكوت عن الماضى.

١٩٣٠

ربما بفضل حدة ووضوح هذا الشاعر السكندرى نظرًا لشبابه، فقد أصبحت علاقة الجزء الأكبر من مواطنينا السكندريين بروسيا السوفييتية وبالترتيبات السائدة بها في ذلك الوقت، مجسمة بشكل أوضح[٤٢٧].

روسيا القديمة

لوطنى

مكتوبة لموسيقى

أوتو ديوشى "توفجورود"

تتأوه روسيا القديمة المقدسة.

تتأوه.. تسكب الدموع.

فقيرة، مريضة

تدعو أبناءها.

بعد المجد المدوى

والانتصارات الماضية.

حول العالم مع مخلة

يمضى لسنوات عديدة.

دنسوا المعابد.

قتل القيصر وعائلته،

قتل المؤمنين،

يسود التعسف.

لا تدوى الشعارات

مع وجوه الأيقونات،

على درجات العرش

فيلق العدو.

يعانى الوطن

فى خرق بالية

ينادى الله

البلد الفقير.

هكذا كان الجندى السابق بالجيش الأبيض ن.فويتنكوف ينظر لروسيا الجديدة ولمكانه في تاريخ روسيا السابقة وإلى وضعه الحالى في مصر التي أوته مؤقتًا، بل ومنحته عملاً جيدًا. بينما كان الفتيان الروس الذين شبوا بالكاد في المنفى ينظرون بشكل آخر للعالم، وقد عبر عن مزاجهم يورى مازاراكى الذى سبق أن أشرنا إليه:

هدوء.. فهنا أعلام نائمة

وتتأرجح أدخنة البخور،

هنا في وميض المعبد الشاحب

تقف أعلام عسكرية.

هى كثيرة.. انحنت ونعست،

وتحلم بحكايات من الماضى..

فى وميض المعبد المقدس

انحنت الأعلام ونعست.

هس.. هدوء.. أتسمع الهمس؟

هنا اجتمع الأجداد لحراسة الأعلام،

الشاهدة على الأمجاد وأفضل الأوقات.

أتسمع همسهم الخافت؟

وعلى همس قدامى المحاربين الشائبين

نعست لافتات مألوفة.

أين أنتم يا أحفادى المحطمين

يا أبناء المحاربين القدامى الشائبين؟

الإسكندرية، ١٩٢٧.

بالطبع كان السكندريون الروس يتابعون عن كثب الأحداث التي تجرى في روسيا، وهم لم يكونوا يتابعون فقط بل شاركوا مشاركة مجدية في مختلف المناسبات الخيرية التي نظمت على سبيل المثال لصالح الجوعى في روسيا السوفييتية، وقد وصلت هذه الحملة إلى ذروتها في نوفمبر- ديسمبر عام ١٩٢١.

بأمر من السلطات المصرية أقيمت عشرة أيام من ٢ إلى ١١ ديسمبر لمساعدة الجوعى في روسيا تحت رعاية محافظ الإسكندرية هداية باشا، وقد تم تشييد قوس نصر مضيء بشارع فؤاد رقم ١ أمام البلدية وأقيمت احتفالات بمشاركة الفنانين السكندريين البارزين.

وفى يوم الأحد ٨ ديسمبر أقيمت ألعاب ترويحية مختلفة ويانصيب وأشياء أخرى. وفى يوم ٤ ديسمبر أقيم حفل راقص تنكرى للأطفال. وفقًا لما ذكرته جريدة "لاريفورم" فإن مصر لم تشاهد مثل هذا العيد الخيرى من قبل، وقد شارك في هذه الأعمال اللاجئون الروس الذين كانوا يراقبون وهم يعانون ويتألمون بسبب الوضع الكارثى لمواطنى بلدهم في روسيا السوفيتية(٤٢٨). وعلاوة على ذلك فإن هذا الموقف من مواطنى بلدهم قد تكرر أيضا في الثلاثينيات، فالسلطات هى السلطات، ولكن كان التعامل من جانب المهاجرين نحو الناس العاديين دافئًا جًدا ورءوفًا.

كانت هذه المشاركة والتعاطف واضحين بصفة خاصة أثناء الحرب الوطنية العظمى فقد كان المهاجرون يتعاطفون مع الأحداث الرهيبة التي كانت تجرى بوطنهم، وهم يحبسون أنفاسهم.

لم يكن من الممكن ألا يتفاعل الوطنى الروسى إيفان أوموف مع هذه المحن القاسية التي أصابت وطنه، فقد كتب في ذروة سير معركة ستالينجراد قصيدة كرسها للأبطال المدافعين عن مستقبل تلك المدينة البطلة(٤٢٩).

إلى بطلات ستالينجراد

أنتم خليفات للشهيدات، لزوجات الديسمبريين.

والأخوات اللاتى شاهدتهن مرتفعات مالاخوف كورجان،

والزاهدات اللاتى تذكرهن شيبكو وسيستوف،

واللاتى صبغن حبوب الجاولان بدمائهن.

هناك في الوديان، حيث الشاطئ البارد عند سفح الجبال

هناك حيث يلمع التون بالملح خلف الفولجا

أنتن مدفونات مع جراحكن السوداء

ورياح الفولجا تدلل سباتكن

أخواتى! أخواتى ! هل جاءكن في الحلم حريق ستالينجراد؟

وروسيا بالدم والدموع عند آخر الخطوط،

حيث بصحبة الرعد وصرخات الجحيم،

أحرقتن بلا كلام أحلام العذارى؟

لكن أنتن، المجهولات والشابات، اللاتى أتيتن إلى الفولجا،

لتقدمن حياتكن من أجل زملائكن الجنود،

نبكي ونصرخ طويلاً أمام ظلالكن،

الأرواح التي مرة أخرى جددت الخسارة أثناء الحياة.

مثل فقراء بائسين من أيام اضطراب قاتمة

أمام شعلة قلوب ملتهبة نقية!

وبقوة تشمل أرواح الجذب القوية

فى المرتفعات، حيث يشتعل تاج الضحايا الإناث بالمجد.

كانت أولجا يجوروفا تشارك بنشاط في الحياة العامة للجالية في ذلك الوقت الرهيب نفسه، فكانت تقرأ قصيدتها "الفولجا" في يوم الثقافة الروسية المكرسة لنير

الفولجا: لنا نحن المنفيون من روسيا// تومض أنوار الفولجا// تتدفق مياهه بسرعة// تتدفق بسرعة أيامنا// جمال ليس له مثيل// تنشر موجة الفولجا رذاذ// فولجـــا! أمنـــا الفولجـــا!// أنت جميـــل يا نهر الفولجا!" (مجموعة أشعار، ص١٠٧- ١٠٨).

كتبت هذه القصيدة الشعرية في ١٩ سبتمبر عام ١٩٤٢ في ذروة الهجوم الألمانى على ستالينجراد، حدد المهاجرون الروس توقيت يوم الثقافة الروسية لمواكبة هذه الأحداث، فأقيم في ٨ أكتوبر ١٩٤٢.

مرة أخرى تناولت الشاعرة في ٤ أكتوبر هذا الموضوع فظهرت قصيدة شعرية أخرى عنوانها "الفولجا" مجموعة أشعار ص ١٠٧- ١٠٨). عادت إلى الماضى، إلى تلك الأيام التي أمضتها مع حبيبها على نهـــر الفـــولجـــا: "الماضى لا ينسى!// هـــذا الجمـــال!// أنـــا أحتـــاجك هنا في الغربة.// في مكان ما، أنت يا حبيبى// تضىء النجوم// في سماء زرقاء// يتمزق قلبى// من ذكرى الماضى" (مجموعة أشعار، ص١٠٩):

كُتب في شهر أبريل عام ١٩٤٣ قصيدتان تحملان الاسم نفسه: "الوطن". وهى تقول في الأولى (مجموعة أشعار، ص.١٠٩):

الوطن غارق في الدماء

فى السماء غروب قرمزى،

وطوال الليل والنهار يجوب بها

صدى رعد مخيف.

بأنهار دموع حارقة

تبكى هناك الأم والزوجة،

تجمعت هناك سحابة قوية

وتحولت إلى مطر غزير.

سوف تمر هذه العاصفة وتهدأ

وسوف يومض قوس قزح في السماء.

ولكن قلبى المكسور بالحزن

هل يمكن أن يحيا ثانية؟

أما القصيدة الثانية التي تحمل تاريخ ٤ أبريل عام ١٩٤٣ (مجموعة أشعار، ص١١٠): "أتذكر ومض البرق!// حديقتنا الخضراء، الأشجار والظل// مرة أخرى ظهر وجه مألوف// في ممر مشجر مظلم- زهور الليلق// نفوس تئن!// بحزن شديد وألم...// تعود أحلام الماضى في طابور// وطنى حبيبى! الضوء والحرية!// قلبى ملىء بك فقط!".

من اللافت للنظر أن أولجا يجوروفا كتبت في عام ١٩٤٣ أشعارًا أكثر مما كتبته في أية سنة أخرى (٢٧ من ٢٥٥)، علمًا بأن الكثير من قصائد مجموعة أشعارها[٤٣٠] لا تحمل تاريخًا. بما يجعلنا نفكر لا إراديًا أن هذا التكرار الكبير مرتبط بالمعاناة الخاصة ليجوروفا في أثناء الأحداث الرهيبة التي جرت بوطنها والقسوة الرهيبة لهذه الأحداث التي انتهت بانتصار ستالينجراد.

فى رأينا أن شعر المهجر في الإسكندرية هو أحد المصادر الذى يستكمل إلى حد كبير صورة حياة المنفيين الروس، ليس فقط في العاصمة الشمالية ولكن

في جميع أنحاء مصر. وهى توصل بشكل مركز حالة الروس السكندريين النفسية والبدنية في أثناء إقامتهم في مصر, ونقدم بهذا الخصوص قصيدة إيفان بيتروفيتش أوموف "آلتى هارب"[٤٣١] باعتبارها نوعًا من الخلاصة.

آلتى هارب

انظر: ازهرت أشجار الدجاكراندا

وانطلق الياسمين المتسلق،

وأكاليل زهرة الليليا

تغطى الجليد الذى يبدو بكرًا.

ولكن وراء الفولجا، في روسيا، بعيدًا،

فى العش القديم الفقير،

تزهر زهرة زنبق متواضعة وحيدة،

وتدعو إلى فصل الربيع المنسى.

انظر إلى سطح ماء القناة الهادئ

انعكست صورة شجرة السرو الصامتة،

عند المسجد خلف ساتر الرمح،

تخشخش الذرة بجانب القطن.

ولكن ما زالت تجىء في الحلم الحقول الحبيبة،

حيث تخشخش الحنطة بجانب الشوفان

حيث انغمست أشجار الصفصاف في البرك
وابيضت المروج من الندى

انظر: مصر كثيرة السكان
فى وهج الشمس، كلها في شبكة الطرق.
هل تجرعت كأس السعادة هنا؟
هنا عالمك، وأسرتك، وعتبتك.

لكنى أفكر طويلاً على النيل،
أفكر في الأماكن الجميلة،
حيث يزحف نهر الفولجا كالملك
حيث تغرد البلابل في الغابات،
وتسعى الروح إلى الحرية
وإلى سهول الفولجا الخالية من الناس،
حيث تميل بوجهها على السحاب
الأقطاب عند الأخاديد الضخمة.

الختام

لا تقف روسيا ضمن صف تلك البلاد التي أصبح مواطنوها منذ قديم الزمان يقيمون في الأرض المصرية، فقد ظهر الروس في وادى النيل من وقت قريب نسبيًا؛ حيث كان عددهم في عهد محمد على بالعشرات فقط، ولكن مع تطور العلاقات الثقافية والسياسية والتجارية والاقتصادية بين روسيا ومصر قرب نهاية القرن التاسع عشر فإن تعداد الروس هنا وصل إلى عدة آلاف شخص.

ونظرًا لسمات بنية روسيا المتعددة القوميات فقد جاء القادمون منها ضمن ثلاثة تيارات؛ أحدها كان مكونًا من الوافدين من المناطق الإسلامية بالإمبراطورية الروسية: ساحل نهر الفولجا، القوقاز الشمالى، ما بعد القوقاز، وآسيا الوسطى. أما التيار الثانى فكان يمثله اليهود القادمون من روسيا البيضاء وأوكرانيا وبالطبع روسيا.. بينما التيار الثالث من سكان الإمبراطورية الوافدين إلى بلد الأهرام فهم باقى المهاجرين الذين قرروا العيش بمصر، وكان الجزء الأكبر منهم من الأرثوذكس.

وفيما يخص النسب الكمية بين هذه التيارات الثلاثة، فعلى مشارف نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (عام ١٨٩٧)، كان التيار الأخير يضم رسميًا ٨٠% من المهاجرين من روسيا، أما التياران الآخران فكان كل منهما يمثل ١٠% فقط، وإلى حد ما فإن المعلومات المتاحة تفيد بأن هذه النسب العامة تتوافق أيضًا مع تقسيم اللاجئين الروس في الإسكندرية نفسها، وهى قد تغيرت تبعًا للزمان والأوضاع، وقد زادت بشكل كبير نسبة اللاجئين اليهود في إجمالى عدد من غادر

حدود الإمبراطورية الروسية نتيجة مذابح فرق المائة السود وملاحقة الثوار أثناء الثورة الروسية الأولى، موضوع آخر أنهم لم يبقوا كلهم في العاصمة الشمالية لمصر إلى الأبد، ولكنهم كانوا ينظرون إليها على أنها نقطة انتقال مرحلية في الطريق إلى أوروبا وأستراليا وأمريكا.

أما بخصوص المهاجرين المسلمين، بالإضافة إلى من جاءوا للدراسة في الأزهر والمؤسسات التعليمية الدينية الأخرى بالقاهرة والإسكندرية، فقد سعى الآخرون للبقاء في مصر وكذلك بعض الدارسين، وربما يكون أكثر الأمثلة نجاحا هو تجربة إدخال أعمال النفط في الخارج وتأصيلها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين التي قام بها رجل صناعة النفط الكبير مانتاشيف عن طريق ممثله في العاصمة الشمالية موتافوف ومن حل محله، حيث عملوا الكثير من أجل تشغيل مواطنيهم الروس السابقين هنا.

عاش الروس الذين وجدوا في الإسكندرية وفى مصر كلها بسهولة نسبية في الوسط المتجانس للذين يعتنقون نفس ديانتهم من الجاليات الموجودة، ولكنهم فقدوا أصالتهم الذاتية. عرف كل من المسلمين الروس واليهود الروس زملاءهم المصريين في الديانة بعناصر الثقافة الروسية وقاموا مع الكتلة الأساسية من المهاجرين الروس بتوصيل عناصر العقلية الروسية إلى من أصبحوا الآن مواطنيهم الجدد، ولكن بدرجة متفاوتة.

ساعد على هذه العملية المستوى الثقافى العالى نسبيًا للمهاجرين الروس، والذى كان منذ هذه الفترة (قبل وصول المجموعة الرئيسية من اللاجئين في شهرى فبراير ومارس ١٩٢٠) يفوق متوسط المؤشرات المناظرة تقريبًا لكل الجاليات الأجنبية بالمدينة بلا استثناء.

بطبيعة الحال، فإن وصول المجموعة الرئيسية من اللاجئين الروس، على الرغم من العدد الكبير من الجنود البسطاء بينهم (بالمناسبة، سرعان ما ذهب الكثير منهم إلى جبهات شبه جزيرة القرم وسيبيريا والشرق الأقصى) قد عزز من المقدرة الثقافية للروس ببلد الأهرام، وقد كان اللاجئون الروس بصفة أساسية من أعلى الطبقات الثقافية في روسيا، حيث كانوا من أصحاب الأملاك والطبقة المثقفة وطلاب الكليات العسكرية والطلبة المتدربين العسكريين وغيرهم...، ويكفى تذكر تركيبة ركاب الباخرة "ساراتوف".

وفقًا لما ذكرته آخر الروس السكندريات تاتيانا نيقولايفنا مونتى (سيريكوفا) التي تنسب نفسها للموجة الأولى من المهاجرين الروس، فإن غالبية الروس كانوا "من أصحاب الأملاك والبرجوازيين والمثقفين". ولا يوجد في هذا الصدد أى مكان للمقارنة والمنافسة مع أعضاء الجاليات الكثيرة التقليدية لمواطنى دول البحر الأبيض المتوسط وكذلك من حيث اختيار مهنتهم في الغربة.

لذلك فقد كانت نوعية أعمال اللاجئين الروس في الإسكندرية مرتبطة إلى حد كبير بالتخصصات الهندسية والتكنولوجية، وقد حصل المهاجرون الذين نالوا تعليمًا هندسيًا عاليًا على عمل بشركات هندسية محترمة ومنها شركة قناة السويس: م.إ.ستاريتسكى، د.أ.كون، وكثيرون غيرهم.

وقد حظى كل من المهندسين ي.فيلبيريفيتش، بزجولدنبيرج، أ.كاشكين، ف.ميلنيكوف وغيرهم[٤٣٢] بشهرة كبيرة في الإسكندرية، ويشير فلامبوريانى مؤلف كتيب "روس في مصر" أن جزءًا من اللاجئين قد اختار العمل سائقين، ومع مرور الوقت أصبح الكثيرون منهم يمتلكون سياراتهم الخاصة، وكان ضمن قائمة المقيمين

بالإسكندرية والتى سبق تقديمها كل من: دميدوف، دميترييف، كوبلنيكوف، بيسينين، بوتابوف، سيلياندر، سيدفين، فيدورروف[٤٣٣]. وقد كرس رفيق هذه المجموعة المهنية من الروس السكندريين الشاعر نيقولاى فويتكوف بضعة سطور:

إلى الأمام

للسائقين الروس

يتصاعد الطريق متضفرًا بالتراب على البعد،

تمر بسرعة في الاتجاه المقابل، تجرى المصابيح،

تنفع السيارة وتقطع الفساحة،

الموتور يئن، ويغلى ويزعق.

يمر الناس سريعًا، تمر المنازل سريعًا،

السيارة نفسها تزيد المسار،

كأنها وحش كبير غريب،

تسرع السيارة إلى مكان ما الآن،

تصفر الرياح، لا تسمح بالمرور إلى الأمام،

وتلقى التراب في عينى وفى فمى.

الهواء قليل! أتنفس بصعوبة!

تسرع السيارة... إلى أين؟... لست أدرى!

عام ١٩٢٧[٤٣٤].

كتب دميترى فلامبوريانى أنه "قد تمت دعوة جزء من الروس للعمل في مختلف الشركات والهيئات، فعلى سبيل المثال يوجد اليوم بمخزن الترام عدد كبير من العاملين الروس"[٤٢٥]، وقد التحق للعمل بالترام كل من جنرال أركان الحرب أ.أ.فاسيليف والعقيد أركان الحرب د.أ.كون، ويبدو أن الضبط والربط وخبرة التعامل مع الناس قد لعبوا دورهم هنا، وعلى العكس كان مجموعة من العسكريين الشبان صالحين لبلدية الإسكندرية باعتبارهم رجال شرطة نموذجيين، ومنهم الأخوان التوأمان نيقولاى وألكسى فويتنكوف.

كان العسكريون الروس والأطباء المدنيون الذين جاءوا مع الجرحى والمرضى من جبهتى دينيكين وفرانجل ينتمون إلى فئات اللاجئين الروس المطلوبين بالإسكندرية، بعد أن قاموا بمداواة الأخيرين بمعسكرى التل الكبير وسيدى بشر غادر البعض منهم مصر، وبقى آخرون في القاهرة والإسكندرية وبورسعيد فخدموا الشعب المصرى بأمانة في سنوات الخمسينيات والستينيات وتركوا بعدهم عشرات من تلاميذهم ومئات بل آلافًا من المرضى الذين بَرِئوا من أمراضهم، وقد حفظت حتى الآن لوحات الذكرى على جدران الكنائس الصغيرة بمقـــابر القاهرة بكنيسة مار جرجس والإسكندرية في الشاطبى أسماء هؤلاء الأطباء الــــروس: ف.إ.بيلين، ب.ف.بولجـــاكوف، أ.أ.فـــولكنشتين، ن.إيليتشيف، ف.م.نوفوسيلتسيف، ك.ي.تيبلوف، م.د.ترويتسكى، أ.م.ترويتسكايا، أ.أ.أدليفانكين.

للأسف كان من الصعب جدًا على الكثير من اللاجئين الروس التأقلم مع الظروف الجديدة المناخية والطبيعية والثقافية والاجتماعية والسياسية العامة، وكانت توجد أيضًا أسباب أخرى لمغادرة مصر وتفضيل أوروبا أو أمريكا، كان من بينها عدم وجود إمكانية حصول الشباب على تعليم، ووفقًا لأقوال المهاجرين فلا أحد تقريبًا كان يعود إلى مصر بعد إتمام تعليمه وحصوله على شهادة، وكان أهلوهم

ينتظرون نهايتهم في الإسكندرية وحدهم، وكانوا نادرًا ما يقومون بزيارات لأبنائهم في أوروبا أو يستقبلونهم بمنازلهم في أيام الإجازات والعطلات.

لم تساعد الظروف الطبيعية والمناخية على ازدهار الجالية الروسية في الإسكندرية على الرغم من أنها كانت أفضل وأكثر جذبًا من الظروف في الغالبية العظمى من مناطق مصر الأخرى، ويرى غالبية اللاجئين الروس أن توفر بعض أسباب الراحة المادية والاجتماعية والروحية كان يمكن أن يخفف من إزعاج المناخ؛ لذلك بعد التجارب القاسية أثناء الحرب الأهلية كانت الحياة على ساحل البحر الأبيض المتوسط أو على ساحل البحيرات المرة قرب الإسماعيلية تبدو رائعة للأجيال الشابة وبصفة خاصة بعد التجوال والعناء.

ولكن لم يكن أن يستمر الوضع على ذلك طويلاً حيث إن بريطانيا العظمى لم تكن ترغب في العناية هنا "بضيوف ملك إنجلترا"، كما أن الصناديق الدولية لمساعدة اللاجئين الروس نضبت تدريجيًا، وكان الأمل في عودة هذه الموارد يتضاءل مع كل شهر ويوم بعد هزيمة الجيش الأبيض ونجاح السوفييت في إقامة اتصالات مع الغرب؛ لذلك فإن عصبة الأمم وأنتانتا وصلوا تدريجيًا إلى نتيجة تفيد بضرورة توزيع اللاجئين الروس الذين كانوا في البداية متمركزين في أماكن معينة بأسلوب أكثر تجانسًا على بلدان البلقان ومناطق العالم الأخرى "الحرة".

تبين أن مشاكل التكيف مع الظروف المحلية صعبة للغاية حتى يمكن حلها بنجاح في زمن قصير، وجد المنفيون أنفسهم في بيئة غريبة عليهم كان يوجد لهم فيها مجرد "خطافات" يتعلقون بها للتأقلم على الظروف المحلية. كانت إحدى هذه الإمكانيات المناسبة تتمثل في الوضع الديني والعرقي الخاص بالإسكندرية التي تقع على البحر الأبيض المتوسط.. كان وجود مجتمعات أجنبية هنا منذ قديم الزمان يزيد من فرص الروس بشكل كبير للبقاء لوقت ما، والبعض منهم استقر في

العاصمة الشمالية لبلد الأهرام إلى الأبد، كانت اللغة الفرنسية هى الأكثر شيوعًا هنا، وهو ما كان في متناول يد الروس الذين كانوا كما هو معروف يعطونه الأفضلية في التعامل مع الأجانب.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن وجود طبقات من أعداد كبيرة نسبيًا من السوريين الأرثوذكس في الإسكندرية، كما في الكثير من المدن الكبرى بالبلاد، أدى إلى نتائج مذهلة، فقد قامت وحدة ما لمصالح الصفوة السياسية والثقافية من المهاجرين الروس وبصفة خاصة الدبلوماسيون والدوائر القريبة منهم ولصفوة الشوام، وكانت العقيدة الأرثوذكسية هى أساس هذا الانجذاب المتبادل بجانب كل العوامل الأخرى.

لم تكن الوحدة العرقية أو القومية هى الأقوى، بل تبين أن الانتماء الدينى الواحد كان هو الأقوى. يتضح من البيانات التي سبق عرضها أنه من بين ٧٧٦ زيجة تم تسجيلها في الفترة من عام ١٨٣٧ إلى عام ١٨٩٠ في مصر، كانت زيجات الكاثوليك اللبنانيين والسوريين ١٩٥ فقط مختلطة، ولكن كان ١٥١ منها مع ممثلى كنائس كاثوليكية والكنائس المتحدة الأخرى. بمعنى آخر، كانت الزيجات المختلطة تعقد عامة بين طرفين من الديانة نفسها – حوالى ثلاثة أرباعها[٤٣٦].

وهذا الوضع يعزز زواج اللبنانية الأرثوذكسية ألكسندرا خورى بالروسى الأرثوذكسى إيفان أوموف في الإسكندرية، كما أن تشكيلة الوكلاء الدبلوماسيين الروس المسيحيين في محافظات مصر الذين ينفذون تعليمات الوكيل الدبلوماسى الروسى والقنصل العام تدل على تقارب مصالح ذوى العقيدة الواحدة.

وقد رأس الممثلية القنصلية بواحة الفيوم والتى ظهرت لاحقًا أحد أغنى وأهم الأشخاص بمصر: الأرثوذكسى اللبنانى جورج بك لطفى الصديق المقرب للمبعوث أ.أ.سميرنوف، وكان شقيقه عضوًا بالمجلس التشريعى بمصر، كان كلاهما ابن الأرثوذكسى اللبنانى حبيب لطف الله، ومقبرتهم العائلية توجد على بعد عدة عشرات الأمتار من قبر أ.أ.سميرنوف.

بالإضافة إلى الدين الواحد، كان التفاهم المتبادل بين الأرثوذكس اللبنانيين والسوريين والروس طبيعيًا لأسباب أخرى؛ فأولاً كانت ليبيا وسوريا وفلسطين في الشرق الأوسط هى الولايات الوحيدة المرتبطة بالإمبراطورية العثمانية، والتى كان يعيش فيها الكثير من الأرثوذكس. ثانيًا، كان للجمعية الفلسطينية الأوثوذكسية الإمبراطورية تأثير قوى؛ حيث إنها كانت تتركز هنا بالذات. ثالثًا، كان المنحدرون من منطقة سوريا- لبنان- فلسطين ذوى المستوى التعليمى والثقافى الأعلى في العالم العربى. كل هذه الميزات وكذلك الكثير غيرها، على سبيل المثال إلمام المثقفين المحليين باللغة الفرنسية جيدًا وكذلك كانت حقيقة أن اللبنانيين والسوريين والروس خارج حدود أوطانهم تدفعهم نحو بعضهم البعض، وبالمناسبة وليس من قبيل الصدفة، أن مأواهم البعيد والأخير في الحياة كان على الأرض المصرية.

كل العوامل المشار إليها أعلاه بالإسكندرية من ظروف مناسبة وخاصة من ناحية اللغة والمناخ المناسب، بمعنى الجيد لتعايش مختلف القوميات الأجنبية، تشهد على أن مصر كانت بصفة عامة بلدًا يمكن أن يتعايش فيها بسلام مختلف الأعراق منذ العصور الوسطى، بل وربما قبل ذلك حيث إن التسامح هو إحدى أهم سمات الشعب المصرى وصفاته.

كتب دميترى فلامبوريانى: "وها هم المصريون مرة أخرى "يتعاملون بهدوء مع بقاء بعض الضيوف الموسكوفيين عندهم ببلدهم. كان يوجد بها لاجئون آخرون: يونانيون، وأتراك، وأرمن، وسوف يكون هناك أيضًا روس. كانت توجد جاليات فرنسية وإيطالية وألمانية وسويسرية ويونانية، وقد انضمت لها الجالية الروسية.

وقد أصبح ظهور الروس ومنظر الضباط الفقراء الذين يبيعون السجائر ظاهرة عادية، ولم تكن تدعو إلى الأسف. أصبح "الموسكوفيون" الذين نادرًا ما كانوا لاجئين وكانوا يتفاخرون بكرامتهم يسيرون بدون أن يلقى لهم أحد بالاً، ولم

تعد رواياتهم تهم أحدًا، أصبحت شكواهم المستمرة تدعو إلى الملل، لقد ذهبت إلى الأبد تلك الأزمنة التي كان يعتقد فيها سكان الإسكندرية الكوزموبوليين أن كل الروس أمراء أو جنرالات أو مليونيرات.

كان يمكن أحيانًا رؤية عقيد عجوز شارك في ثلاث حملات عسكرية وحصل على الكثير من الأوسمة الروسية والأجنبية يبيع السجائر في الإسكندرية للشباب المتجولين في تكاسل الذين يقتلون الوقت في الحانات والقهاوى.

وهذا المحصل المتواضع في الترام الذى لا يتميز بأى شىء عن زملائه والمضطر لبيع التذاكر لثمانى بل أحيانًا اثنى عشرة ساعة بدون راحة كان في يوم ما ضابطًا لامعًا من الحرس، وهذا النقيب الذى شاهد ملحمة بورت- أرتور- بطل الحرب العظمى أصبح الآن سائق سيارة أجرة.

وهؤلاء الضباط الذين في إحدى حانات البورصة القديمة، ربما كانوا منذ عدة سنوات مضت يقفون بعظمة في صالونات العاصمتين الروسيتين.

كان الكثير وبصفة خاصة من بين الطبقات الأممية المتوسطة من سكان الإسكندرية يتعاملون بود مع القادمين الجدد ويقدمون لهم المساعدة.

بفضل المساعدة والمشاركة الودية من جانب السيدة ك. كومانوس والسيدة باراسكيفا والسيدة بودين والسيدة ب.بيناكى والسيد ماللبسون والطريارك فوتى وماليتى تجنبت الجالية الروسية الصغيرة المعاناة من البطالة"- هكذا أنهى دميترى فلامبوريانى وصفه للصورة الاجتماعية التي كان عليها الروس في الإسكندرية في العشرينيات(٤٣٧).

كانت مثل هذه العلاقات الوثيقة بين الروس واللبنانيين وحتى الزيجات نادرة بل يمكن أن نقول إنها كانت ظاهرة خاصة. أما بخصوص الزيجات بين روس

ومسلمين، فقد كانت بالفعل استثناءات. وفقا لشهادة ت.د.روبرتس-كون الذى سبق ذكره عدة مرات فإن الزيجات المختلطة بينهم "كانت محل انتقاد الجالية الروسية ولم تكن تغتفر". لم يتجنس غالبية الروس ولكنهم احتفظوا بتشابههم، وكان يوجد في النهاية روس اعتنقوا الإسلام، على سبيل المثال الشقيقة الكبرى لجدتى العمة ناتاشا، وإلا لما كانت ستتمكن من العمل كمربية لدى عائلة عربية غنية، وهى لم تتزوج أبدًا"[٤٣٨]، بالمناسبة كانت مثل هذه الحالات التي تم فيها تغيير الديانة نادرًا جدًّا، ونحن نعلم عن حالة أخرى للخروج من ديانة إلى أخرى؛ ففى عام ١٩٢٧ اعتنقت.خفوستوفا ليودميلا ألكسندروفنا اليهودية[٤٣٩].

كما سبقت الإشارة، كانت توجد أيضًا أسباب سياسية أثرت على قرار مغادرة وادى النيل، كان أحدها ثورة ناصر في عام ١٩٥٢، حيث إن غالبية المهاجرين الروس رأوا أنه يتم في مصر تكرار الأحداث التي سبق أن وقعت في روسيا في عام ١٩١٧، وبالإضافة إلى ذلك فقد أشارت الخطوات التي اتخذها المصريون في أثناء الحرب بين العرب والإسرائيليين في عامى ١٩٤٨- ١٩٤٩ إلى عزم الوطنيين المصريين، والتى نتج عنها مغادرة عدد كبير من اليهود المحليين للبلاد.

حدثت موجة أخرى من الهجرة من مصر في فترة العدوان الثلاثى في عام ١٩٥٦ وما يسمى "المراسيم الاشتراكية" في النصف الأول من الستينيات عندما تم اتخاذ إجراءات موسعة لتأميم المؤسسات الكبيرة بل المتوسطة من مجالات البنوك وشركات تأمين والتجارة والمواصلات والصناعة... إلخ، وتم توجيه ضربة قاضية لمن كان لا يزال مترددًا فيما يخص اتجاه التغييرات الثورية في مصر. لم يكن من قبيل الصدفة أن ظهرت على شواهد قبور الروس بالمقابر اليونانية الأرثوذكسية في

الشاطبى تواريخ موت كثيرة نسبيًا بسنوات الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. انتهت الحياة الهادئة للروس المهاجرين مع أول موجة، لمن لم ينجح منهم في السفر من البلاد. انتهت، على الرغم من أنه يمكن مشاهدة تواريخ تنتمى للستينيات من القرن الماضى على الكثير من شواهد القبور.

ومع ذلك فإن مهاجرى الموجة الأولى قد تركوا من بعدهم أثرًا عميقًا؛ وليس فقط في تاريخ الإسكندرية ولكن أيضًا في تاريخ العلاقات الروسية- المصرية الثقافية.

تتمثل النتيجة الأساسية لوجود المهاجرين "البيض" في أنهم على الرغم من الظروف الشاقة لإقامتهم في مصر عامة وفى عاصمتها الشمالية بصفة خاصة فإنهم لم يحافظوا فقط على نمو الحوار الثقافى والحضارى الروسى- المصرى على مدى ٢٠٠- ٣٠٠ عام، والذى قطعته رسميًا الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٧، بل إنه قد دفع به إلى الأمام في بعض جوانبه.

بكلمات أخرى، بفضل جهود اللاجئين الروس فلم يكن يوجد تقريبًا "موسم ميت" في التجربة التاريخية للتفاعل المصرى- الروسى حتى تجديد هذا الحوار رسميًا عندما تمت إقامة علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفييتى ومصر في عام ١٩٤٣، وبالإضافة إلى ذلك فقد حدثت طفرة معينة في بعض المجالات، وعلى سبيل المثال في مجال فن الباليه، مثلت منصة انطلاق لاستمرار تنمية العلاقات الثقافية في أثناء الحقبة السوفييتية وفى الوقت نفسه كانت دليلاً على وجود حوار "مباشر" بين بلدينا.


الملاحق

المرفق ١[٤٤٠]

وصفة سرية لسازونوف[٤٤١]

(مسودة)

٣ مارس ١٩٢٠، رقم ٣٠٧

شخصي.. سرى للغاية.

فى حالة الاعتراف بالحكومة التي أنتم معتمدون لديها وبالحكومة البلشفية واعتماد ممثل رسمى للأخيرة، يجب عليكم:

وقف الأنشطة المخولة لكم ورفض نقلها مباشرة إلى البلاشفة. ثانيًا، إعدام أرشيف السنوات الأخيرة الأكثر سرية إذا لم يكن إخفاؤه ممكنًا. ثالثًا، تدمير الشفرات. رابعًا، تسليم الممتلكات العقارية والمنقولة بقائمة جرد للحكومة المحلية. خامسًا، دفع حساب الموظفين من الأموال المتبقية لديكم. سادسًا، (هذه الفقرة لا تتعلق بالمؤسسة الموكلة لكم). سابعًا، تحفظ الحسابات المالية عن السنوات الأخيرة بمكان آمن. ثامنًا، سحب الوثائق الوراثية وغيرها من الودائع وتسليمها للسلطات القضائية المحلية أو لكتاب التسجيل. تاسعًا، إعطاء القناصل تعليمات

بخصوص ما هو موضح أعلاه عند وقوع التطورات المرتقبة. عاشرًا، عند وقوع التطورات الموضحة أعلاه عليكم السعي للمحافظة على اتصال مع حكومة الجنرال دينيكين ومعي، وفي حالة سفري قبل ذلك الوقت، فمع كبير السفراء م.ن.جيرس للحصول على التعليمات التالية لتوحيد الأعمال. حادي عشر، تدمير هذا المنشور حيث إنه يمكن أن يمنح البلاشفة معلومات مهمة.

توقيع

سازونوف

المرفق ٢[٤٤٢]

(صورة)

المفوض السامى البريطانى

بيان

نحن الموقعين أدناه لاجئون روس يعيشون في معسكر سيدى بشر بسبب وضعنا باعتبارنا جنودًا عاديين في جيش دينيكين، ونتيجة لعفو حكومة جمهوريات روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية في ذكرى السنة الرابعة لثورة أكتوبر الروسية حصلنا على الحق في العودة إلى وطننا وفقًا للشروط العامة لأسرى الحرب.

حيث إنه لدينا رغبة لا تقاوم للعودة إلى وطننا، فإننا منذ بداية هذا العام نتسكع أمام مختلف مؤسسات حكومة بريطانيا العظمى بخصوص إرسالنا إلى روسيا، وعلى الرغم من كل جهودنا فحتى اليوم لم نحصل على تلبية لهذه الرغبة.

نحن نعانى ونهلك ونتحلل أخلاقيًا وبدنيًا من الاشتياق لوطننا، في ظل مناخ غير مألوف لنا وبين ظروف حياة غريبة بالنسبة لنا.

نحن لا نفهم، ونتيجة لذلك تبدو لنا كل أوامر السلطات الإنجليزية للعفو عنا عدائية، ولا أحد يدافع عن حقوقنا، والحكومة الإنجليزية لا تمسح بحضور ممثلى مصالحنا إلينا.

لقد اخترنا مفوضين فقام القائد الإنجليزى بمعسكر سيدى بشر بإلقاء القبض عليهم ووضعهم في مخفر، واحتجزهم هناك من يوم ٢٢ إلى ٢٩ سبتمبر من العام الحالى.

فى شهر سبتمبر من العام نفسه تم وضع ١٠٢ شخص من اللاجئين الروس (أحدهم بالقوة) على الباخرة "مارشال فوش" وإرسالهم في اتجاه القسطنطينية- شبه جزيرة القرم، على الرغم من حقيقة أن الإدارة الإنجليزية كانت على علم بأنه كان لا يجب ترحيل هذه الدفعة. نتيجة لذلك أبحر ١٠٢ شخص إلى القسطنطينية ثم في الاتجاه المعاكس طوال ٣٠ يومًا مع عدم وجود ملابس دافئة معهم، وقد عانوا من البرد والجوع بل حتى النظام الذى يتبع عادة مع المحكوم عليهم الأكثر خطورة (فى القسطنطينية).

وقد حصل كوخارينكو جريجورى الذى تم ترحيله بالقوة هو و٤ أفراد من اللاجنين الروس من الحكومة السوفييتية في مارس من العام الحالى على تصريح بالعودة إلى روسيا، ولكنهم حتى الآن لم يرحلوا، ويعانون من الانتظار لمدة ٨ شهور ويقبعون في المجهول.

نحن متعاطفون تمامًا مع السلطات الإنجليزية ونشاركها رغبتها في الحد من تكاليف إعاشة الروس عن طريق توفير دخول شريفة لهم، وبتنظيم فرق حراسة من اللاجنين الروس من ذوى السمات شبه العسكرية وهو بالنسبة لنا، من ينتظرون بفارغ الصبر الرحيل إلى روسيا، شيء غير مرغوب فيه حيث إنه يحرمنا ويصعب من الاتصال بيننا، وعامةً هذا يسحقنا لأنه من المستحيل تمامًا العثور على عمل شريف، كما أن الحياة في المعسكر وهى تعزز الانحلال الأخلاقى وبلادة العقل والكسل في ظل عدم وجود أى عمل منتج وهادف، تجبرنا على

البحث عن مخرج من هذا الوضع والتخلص من الحياة البائسة التي لا معنى لها بالمعسكر، كما أن ذلك يتمشى مع تلك الأوامر ذات الضبط والربط العسكريين.

نحن ممتنون تمامًا للحكومة الإنجليزية لتوفيرها المساعدة والمأوى والرعاية للاجئين الروس الذين ألقت بهم الكوارث الهائجة إلى سطح سفينة الثورة الروسية وتركوا في مهب رياح القدر الصارم لهؤلاء الأشخاص الذين استخدمونا كلحم طرى لتحقيق أهدافهم الطبقية. بفضل المساعدة الخاصة من جانب الإنجليز في مصر لم يتم شطب الكثير منا من قائمة الأشخاص الأحياء الذين برئوا من مختلف الأمراض المعدية وغيرها من الأمراض ومن الجروح والإصابات.. إلخ. ولكننا نسعى بشكل عفوى لا يمكن كبحه للرحيل إلى وطننا وإلى أسرنا وإلى أعمالنا المعتادة وإلى قومنا.

إننا نطلب منكم، سيدى المفوض السامى البريطانى، اتخاذ كل الإجراءات التي تعتمد عليكم لترحيلنا بسرعة إلى روسيا. نطالبكم بأن توصلوا إلى علم الحكومة الإنجليزية محتوى بياننا الحالى وأن تأخذوا في الاعتبار أن غالبيتنا من المزارعين الذين لديهم رغبة في الذهاب إلى روسيا قبل بداية الأعمال الميدانية بالحقول في الربيع:

تكرموا بإعلامنا بالنتيجة على العنوان التالى: مصر، الإسكندرية، سيدى بشر المخيم "ب"، رومان ستانيسلافوفيتش إيلنيتسكى.

١- إيلنيتسكى رومان.

٢- كاراسيف إيفان.

٣- أجافونتشيك. ستيفان.

٤- لوبينكو تيخون.

٥- بونياشين سيرجي.

٦- ماكسيمينكو سيمين.

٧- نوفاتشوك لوقا.

٨- جيمايلوف فلاديمير.

٩- باريشيف ألكسي.

١٠- كرافتس خايم.

١١- كرافتشنكو فاسيلي.

١٢- كورت رومازان.

١٣- فيليبوف فيدور.

١٤- جونتشاريف فيدور.

١٥- جونتشاريف فاسيلي.

١٦- كاسيوكوف إيليا.

١٧- دانيلين دميتري.

١٨- ميشنكو جيورجي.

١٩- تشوبيتس إيفان.

٢٠- بيليك كارب.

٢١- بابتشينكو جريجوري.

٢٢- زابورسكي سيرجي.

٢٣- أبروسكى فاسيلى.

٢٤- شيستاكوف فاسيلى.

٢٥- كاربوف ميخائيل.

٢٦- تيموفييف يوسف.

٢٧- جلوخوف فاسيلى.

٢٨- زاتولوكين إيفان.

٢٩- دميترينكو ستيبان.

٣٠- كورينكوف بافيل.

٣١- ماكييف بافل.

٣٢- بايبوزان كزندرات.

٣٣- بورودين فيدور.

٣٤- شارابوف ميخائيل.

٣٥- جاشنكو يوسف.

٣٦- كليمنتيف ألكسندر.

٣٧- بوتابوف إيفان.

٣٨- جولوبوفسكى جريجورى.

٣٩- شابانوف جريجورى.

٤٠- نازاروف أفاناسى.

٤١- فوروبيوف فيليب.

٤٢- شيفلياكوف ميخايل.

٤٣- بينكوف جريجورى.

٤٤- سيمنوشكوف ألكسى.

٤٥- كورنياكوف يفيم.

٤٦- تشوريلوف دميترى.

٤٧- سميرنوف دميان.

٤٨- سميرنوف بافيل.

٤٩- فاسنينكو إيفان.

٥٠- كوفالنكو مكسيم.

٥١- سكريبنيكوف مكسيم.

٥٢- كريمينتشجسكى جيورجى.

٥٣- خاندوس إيفان.

٥٤- زانكيفيتش ألكسى.

٥٥- شتيبنبك فالنتين.

٥٦- تشيبورنوف أفاناسى.

٥٧- سميرنوف إيفان.

٥٨- بوليانتسيف بافيل.

٥٩- أخريمنكو نيقولاى.

٦٠- دفوريتسكى ياكوف.

٦١- دياكوف سيمين.

٦٢- أسييف ميخائيل.

٦٣- تسالاجوف فلاديمير.

٦٤- يرين مقار.

٦٥- بوندارنكو إيفان.

٦٦- دروبوتوف ميخائيل.

٦٧- نيقولايف باقيل.

٦٨- دوكوف بوريس.

٦٩- جانجا تيموفى.

٧٠- رود أندريه.

٧١- يليسييف بيتر.

٧٢- فيلييوف ماتفى.

٧٣- موراشكو إيبوليت.

٧٤- بيتروفسكوف جيورجى.

٧٥- دميتربيف إيفان.

٧٦- بلوخين فاسيلى.

٧٧- موليبوجا دميترى.

٧٨- كاتسينيلين- بوجين دميترى.

٧٩- شولتس بيتر.

٨٠- فومنكو سيميون.

٨١- بيزوف إيفان.

٨٢- أنطونينكو ياكوف.

المرفق ٣ [٤٤٢]

سعادة م.ن.جيرس

الإسكندرية، ١٦/٣ أكتوبر عام ١٩٢٣

رقم ١٤٥

سيدى العزيز ميخائيل نيقولايوفيتش!

كان لى الشرف أن أحيط سعادتكم علمًا بواسطة البرقية السرية التي قمت بإرسالها بمساعدة المبعوث الفرنسى السيد جاليار عن التدابير الطارئة التي اتخذتها الحكومة المصرية المستقلة بشكل مفاجئ بخصوص الروس المقيمين في مصر.

أرفق طيه جزءًا من قرار مجلس الوزراء الذى عقد في ٦ أكتوبر وتم نشره في الجريدة الرسمية.

منذ أواخر شهر مايو بدأت تظهر في الجرائد المحلية ملاحظات لحوحة عن الوصول المرتقب لممثل الحكومة البلشفية إلى مصر، ولكن في وقت لاحق تم نفى هذه الأنباء من جانب مختلف المراسلين الذين كانوا قد عرفوا بها مباشرة في دوائر المعلومات الرسمية.

وأجاب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية عن الاستفسار الذى قدمته بأنه ليس لهذه الشائعات الصحفية أى أساس، وأنه لا توجد أية نية لدى الحكومة للاعتراف بالبلاشفة والسماح بحضور ممثليهم إلى مصر.

ومع ذلك، فأنا أعرف بأنه في هذا الوقت بالذات جاء إلى هنا ممثل البلاشفة السيد جالوب، وقبل ذلك جاءت السيدة ليوتشيا مورينا، وهى يهودية من موسكو بتفويضات مهمة واسعة النطاق. وعلى ما يبدو، تمكنا من تحقيق لقاء مع بعض المسئولين من الصف الثانى بمختلف الوزارات.

أثارت الصحافة المحلية هنا في منتصف شهر مايو ضجة كبيرة بسبب المحاكمة الجنائية لأرمينيين من رعايا روسيا من روستوف هما الأب والابن ديفليتيان.

كمـا كـان لى الشرف أن أحيط سيادتك علمًا فى وقته، في عام ١٩٢١ (١-١٤ نوفمبر) عن تأسيسى لجان قضائية للنظر في القضايا الجنائية، فقد أدى عدم القدرة على إرسال المجرمين الجنائيين إلى روسيا لكى تتم محاكمتهم في دائرة محكمة أوديسا، كما كان يحدث قبل الحرب، إلى ضرورة محاكمتهم هنا؛ حيث كان لا يمكن السماح بأن يبقوا بلا عقاب أو أن يعانوا في الحبس الابتدائى بدون تحديد مدة لحبسهم.

لقد تم تشكيل اللجنة القضائية على أسس قانونية دقيقة وقمت بإخطار الحكومة المصرية والمفوضية البريطانية بالترتيبات التي قمت بها، وبدأت محكمتنا الجنائية في العمل مع الرعايا الروس وهى تحظى بتأييد كامل من جانب المحاكم المصرية المختلطة.

سبقت من قبل محاكمة الدفلتيانيين بسبب الغش والربا أمام محكمة محلية، ولكن لم يتم تنفيذ العقوبة؛ حيث إنهما أعلنا عن جنسيتهما الروسية وقاما بإثبات ذلك.

اهتمت الحكومة بقضية الدفلتيانيين فقد قال لى وزير الخارجية أكثر من مرة أن هذين الروستوفيين يمتصان دماء حى كامل مسلم، وأضاف أن حكمًا عادلاً

وصارمًا في قضيتهما سوف يكون أفضل دليل للحكومة المصرية والبرلمان القادم على حاجة البلاد لقضائنا ومؤسساتنا.

حكمت لجنتنا على الدفلتيانيين بالسجن لمدة سنة ونصف للأب وسنتين ونصف للابن، مع الحرمان من بعض الحقوق ومنها حق امتلاك سفينة وخزينة.

أثارت عملية الدفلتيانيين ضجة كبيرة فقد قدم لى محاميهما الروسى كوسروف- زوجراب ولوزير الخارجية مذكرة تثبت أن محاكمنا في ظل غياب حكومة ومصدر حى للسلطة غير قانونية، وأنها لا يمكن أن تقوم حتى من وجهة نظر القانون الروسى، وأنه لا يمكن النطق بعقوبة باسم القانون، وأن تفويضاتى لم يعد لها وجود منذ ست سنوات، وأنه حتى السلطات الدبلوماسية والقنصلية الروسية لا يمكن اعتبارها سلطات رسمية.

من جانبى، كتبت مذكرة لوزير الخارجبة وقدمت صورة منها إلى المندوب السامى البريطانى، وأرى من واجبى أن أرفق طيه صورة منها، وقد دحضت هجمات زوجروب وبينت الأسس القانونية الدقيقة التي تمنحنى الحق في إنشاء لجان قضائية، كما أضفت كلمات لوزير الخارجية عن أنه بغض النظر عن مدى شرعية مؤسساتنا القضائية فأنا أعبر عن استعدادى الكامل، نظرًا لحساسية وضعنا والإزعاجات والتوتر التي يسببها في الواقع وجود محاكمنا الجنائية، لإبرام اتفاقية مع الحكومة المصرية عن الشكل الذى يضمن العدل تمامًا بحيث يمكن به محاكمة الرعايا الروس به.

وفى الوقت نفسه، علت الأصوات في الصحافة ضد المحاكم الروسية والاعتراف بالسلطات الروسية في مصر، وقد جاءت المقالات الحقودة، وهى بالطبع مجهولة المؤلف، من زوجروب والمتواطئين معه وهى قد أصبحت تدريجيًا أكثر حدة وأكثر ثقة.

فى محادثاتى مع رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية أشرت مرارًا وتكرارًا إلى هجمات الصحافة، وسألت عما إذا كان لها أى أساس، وقد قيل لى ردًا على ذلك بنبرة مطمئنة إن كل ذلك مجرد لغو صحفى، وإنه كثيرًا ما يهاجمونهما هم أنفسهم.

وقد زارنى في أواخر شهر سبتمبر المندوب السامى البريطانى وأفادنى بأنه نتيجة لمحادثاتى معه فقد طلب تعليمات من لندن، وأنه قد جاء الآن لإخبارى أن الحكومة البريطانية وهى تقف بصلابة من أجل الاعتراف باستقلال مصر لم يكن يمكنها العثور على إمكانية للتدخل إذا ما توقفت مصر عن الاعتراف بسلطاتى بل حتى إذا حرمت الرعايا الروس من حقوق الامتيازات.

وبناء على تساؤلى كيف يمكن للأمر الأخير أن يتوافق مع البند الثالث من اعتراف إنجلترا باستقلال مصر؛ حيث إنها طبقًا لهذا البند تأخذ على عاتقها حماية المصالح الأجنبية في مصر. أجاب السيد سكوت أن إنجلترا لا تمتنع عن حماية الروس في كل حالة منفردة، عندما يكونون مظلومين.

ذكرته بأنه حتى رفع الحماية، وما دام أن إنجلترا تتحمل مسئولية كل ما يحدث في البلاد فهى لم تعترف فقط بقوة سلطاتى؛ بل إنها أعطتنى من جانبها إعانة مالية للصرف على مؤسساتنا، ومنذ سنتين عندما تمت تصفية ميزانية الحرب وبقيت بدون أية موارد تم منحنا إعانة مالية من جانب الحكومة المصرية بناء على إصرار من جانب لندن، فلماذا إذًا الآن لا تريد إنجلترا عمل أى شىء لمساندتنا؟ قال لى السيد سكوت مرة أخرى إن مصر الآن مستقلة، ولا يجب أن تتدخل إنجلترا في شئونها الداخلية. أضاف أيضًا أنه سيكون عليكم حتمًا أن تتعاملوا مع واقع وجود سلطة البلاشفة منذ ست سنوات، ومن جهة أخرى مع أن العناصر المناهضة للبلشفية لم تظهر حتى الآن قوى مقاومة، ولذلك يجب اعتبارها بقايا ميتة من الماضى.

تحت تأثير هذا الحديث والإشارات المحددة بشكل زائد بالصحافة عن أن الحملة المناهضة للسلطات الروسية والمحاكم الروسية قد انتصرت، وأنها سوف تلغى في غضون عدة أيام ذهبت إلى رئيس مجلس الوزراء (فى يوم ٧ أكتوبر) فأعلن لى أنه قد تم في اليوم السابق بالفعل – يوم ٦ أكتوبر– اتخاذ مجلس الوزراء للقرار السابق.

أرى أن من واجبى أن أضيف أننى طلبت قبل ذلك بعدة أيام مقابلة مع الملك، وكانت دائمًا تتم على الفور، وغالبًا ما كانت تستمر لمدة ساعة ونصف، ولكن في هذه المرة لم يستقبلنى الملك، وكذلك لم أتلق أية دعوة لاحتفال التاسع من أكتوبر بمناسبة تنصيبه على العرش، بل حتى إلى حفل الاستقبال بالقصر؛ حيث إننى ما زلت حتى اليوم عميدًا للسلك الدبلوماسى.

حتى الآن لم يرسل لى أى إشعار خطى عما تم، وقد تم نشر قرار مجلس الوزراء في الجريدة الرسمية، وطبقًا للمعلومات التي حصلت عليها من مصادر موثوق فيها ومن المحافظ وأجهزة حكومية أخرى فيجب العلم أن الرعايا الروس لم يعودوا يتمتعون بحقوق الامتيازات، وأن البعثة الروسية ليس لها وجود اعتبارًا من السادس من أكتوبر، وتبعًا لذلك فإن أية وثائق ومستندات تمنحها بعد هذا التاريخ غير قانونية وباطلة.

تقبل يا سيدى العزيز الثقة في عميق احترامى وإخلاصى.

ألكسى سميرنوف

سعادة م.ن.جيرس

الإسكندرية، ٤/١٧ أكتوبر ١٩٢٣

رقم ١٤٦

سيدى العزيز ميخائيل نيقولايفيتش!

يتكون قرار مجلس الوزراء في ٦ أكتوبر من بندين محددين:

١- عدم اعتراف الحكومة المصرية بالممثلية الدبلوماسية والقنصلية الروسية في مصر.

٢- وقف الإعانة المالية باعتبارها سلفة، والتى كانت تمنح لى حتى الآن للصرف على مؤسساتنا.

ومرفق بهذين البندين نتيجة يفترض أنها مستخلصة من جوهر القرار عن أن الروس الموجودين الآن في مصر في وضع رعايا البلاد الأخرى غير المتمتعة بحقوق الامتيازات.

لماذا وكيف تستخلص هذه النتيجة من هذين البندين في البيان الذى يبدو أنه في حاجة لتفسير أوسع لكل التغييرات اللاحقة وعمل نظام ما جديد للصرف على الرعايا الروس؟ فهذا لا يزال غير واضح.

مع أخذ المزاج العام في البلاد في الاعتبار يتضح أن هذا الاستنتاج قد تم لصالح الشعور القومى الذى يقف بالتأكيد وبوضوح ضد حقوق الامتيازات. إننى كثيرا ما استمعت إلى شكاوى من وزراء من حقوق الامتيازات التي تخنق البلاد

والتى "تمسكها من رقبتها" ورغبتهم في التخلص من هذه السلاسل بأسرع ما يمكن؛ لذلك فهم يعتبرون الإضافة الواردة في قرار مجلس الوزراء خطوة أولى للقضاء على حقوق الامتيازات.

وفى الوقت نفسه فإن هذه النتيجة من حيث محتوياتها لا تنبع من بندى قرار مجلس الوزراء؛ بل إنها تتعارض معهما تعارضًا صارخًا، فإنه بمساواة الروس برعايا البلاد الأخرى غير المتمتعة بحقوق الامتيازات فإنها تغفل حقيقة أن الأخيرين لديهم مبعوثون وقناصل (كما هو الحال على سبيل المثال مع الصرب والتشيك والفرس) أو حتى على الأقل قنصل (كما هو الحال مع اليابانيين) لضمان حقوق الجاليات والأحوال الشخصية لإصدار الجوازات والشهادات وصياغة الوثائق. عند عدم الاعتراف بحكومتنا يكون الرعايا الروس في وضع مختلف تمامًا لم يسبق له مثيل حتى الآن، وبلا حقوق ولا يمكن مساواتهم أبدًا بغيرهم من الأجانب.

فى تفسيراتى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية لاحظت الكثير من الخلافات، فالأول قال لى إن هذا الإجراء مؤقت، وهو يعنى على ما يبدو إقامة النظام الشرعى في روسيا والاعتراف به، ثم أضاف أن القضايا الروسية سوف تحول إلى المحاكم المختلطة. أما وزير الخارجية فلم يُشر إلى أن الإجراءات التي اتخذت مؤقتة ولا إلى المحاكم المشتركة، ولكنه تحدث معى عن المحاكم المحلية، وعندما سألته عما سبق أن ذكره لى رئيس مجلس الوزراء بخصوص الجزء القنصلى القانونى، التي على ما يبدو مثل أساس قرار مجلس الوزراء فإن وزير الخارجية أجاب بأن هذه النتيجة لم تحدث، وأن مجلس الوزراء اتخذ قراره من تلقاء نفسه تمامًا.

عمومًا يلاحظ عدم يقين تام في تنفيذ قرار مجلس الوزراء عمليًا ورغبته في تولى زمام الأمور بشكل قاطع، مع تأكيد أنهم لم يعودوا يعترفون بنا وليس في نيتهم أخذ رأينا في الاعتبار بخصوص هذه القضايا.

على الرغم من أننى لم أتلق أى إشعار خطى من الحكومة المصرية كما سبق أن أشرت أعلاه، إلا أننى وجدت أنه بعد التوضيحات الشفهية من الضرورى كتابة المذكرة المرفقة طيه لوزير الخارجية. استسلمت أمام قرار مصر المستقلة بعدم الاعتراف بالممثلية الروسية الدبلوماسية والقنصلية، والتوقف عن منح الإعانة المالية لى؛ بل حتى إننى شكرتهم على أنهم قد اعترفوا بنا وساندونا تمامًا على مدى ست سنوات، ثم أعربت عن احتجاجى على حرمان الروس من حقوق الامتيازات.

لم أتلق حتى الآن ردًا على احتجاجى، ولكن على الرغم من ذلك فقد رأيت أنه من واجبى تقديم نسخ منه لممثلى حقوق الامتيازات، وطلبت من إنجلترا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا وضع الجالية الروسية تحت حمايتهم، وفى الوقت نفسه أشرت لهم أن إلغاء حقوق الامتيازات الروسية تحرمهم من الأساس القانونى للإضافة التي أدخلت على اتفاقات يكاتيرينا الثانية والتى تم الحصول عليها بصفة خاصة " ***sur la base de la nation la plus favorise***" (المترجم: على أساس الدولة الأكثر تفضيلاً). مرفق طيه صورة مذكراتى لممثلى مختلف الدول بخصوص هذا الموضوع.

تعامل معى كل الزملاء الأجانب بتعاطف كبير، وعلى الأخص بالنظر للطريقة الحادة والشكل غير اللائق اللذين تم بهما اتخاذ قرار مجلس الوزراء، وقد وافقوا عن طيب خاطر على إخطار ممثليهم بطلبى.

ولكن أخطرنى المبعوث الأمريكى اليوم شفهيًا بالرد السلبى الذى جاءه من واشنطن عن أن حكومة واشنطن متعاطفة تمامًا مع موقف الروس، وهى تجد أنه ليس من الصواب أساسًا حرمانهم من حقوق الامتيازات إلا أنها لا ترى أنه من الممكن في ضوء الوضع الذى تشغله إنجلترا في مصر أن تتدخل بنشاط في هذا الموضوع.

ينبغى أيضًا توقع مثل هذا الرد من جانب فرنسا أيضا التي لا تزال مقيدة الأيدى بموضوع المغرب. أما إيطاليا فبالكاد يمكن أن تقرر الوقوف دفاعًا عنا، أما فيما يخص بريطانيا العظمى فإنها استنادًا لتصريحات السيد سكوت لن ترغب في الخروج على المسار الذى حددته لنفسها، وبالطبع فهى تواجه مختلف الصعوبات التي تتعثر فيها حكومة مصر المستقلة.

تقبل يا سيدى العزيز الثقة في عميق احترامى وإخلاصى.

ألكسى سميرنوف

سعادة م.ن.جيرس

الإسكندرية ٥/١٨ أكتوبر ١٩٢٣

رقم ١٤٧

سيدى العزيز ميخائيل نيقولايفيتش

إن الجالية الروسية في مصر قلقة للغاية بخصوص حرمانها من حقوق الامتيازات وعدم وضوح وضعها.

كما كان يجب التوقع بنشاط قادة الأحزاب الأكثر يسارية بصفة خاصة في محاولة للاستيلاء على السلطة الحاكمة للجالية وعلى الأقل وضع نفسها ولو جزئيًا مكان القنصليات غير المعترف بها، وعلى ما يبدو أنهم كانوا قد علموا في وقت مناسب، وإلى حد كبير من المصادر البلشفية، عن قرب سقوط السلطة الروسية المحلية هنا، وأنهم قد نجحوا بالفعل في تشكيل حزبهم بشكل كاف.

لم يعقد الاجتماع العام للجالية، الذى كانوا ينوون عقده في القاهرة في ١٤ أكتوبر، حيث إن الشرطة المحلية لم تسمح به، وذلك على ما يبدو لأن أصحاب المبادرة لا يوحون لها بقدر كاف من الثقة.

بالطبع رأت الصحافة في هذا المنع آثار تأثيرى السابق واستأنفت هجماتها على. ومع ذلك، فإنه كان يمكن أن يبدو ذلك الأمر محتملاً حيث إن الذين دعوا إلى الاجتماع أعلنوا سلفًا عن عزمهم استدعاء الدبلوماسيين والقنصليين السابقين لمحكمة الجالية، وعلى أن يطلبوا منهم تقديم كشف حساب عن إنفاق المال العام وتقديم تقرير عن تقييم أدائهم السياسى والإدارى، وقد وجدت هذه المطالب مقاومة من الجزء العاقل من الجالية وتفاقمت حالة من الانشقاق بين أنصار الآراء المختلفة.

فى ضوء القضاء على السلطة القائدة للجالية حتى الآن وعدم اليقين الكامل، فإن الإجراءات التي ستتخذها الحكومة المصرية لتنظيم الجالية سوف تواجه الكثير من المتاعب.

سيتعين على الحكومة إنشاء إدارة خاصة لإدارة الشئون الروسية وهى في هذه الحالة لن يمكنها أن تقوم بذلك بدون أفراد يعرفون اللغة والقوانين والأعراف الروسية، ويمكنهم أن يكونوا بمثابة وسطاء بين الروس والسلطة المحلية. سوف تتضرر كثيرًا مصالح الجالية إذا ما كلف المصريون بهذا العمل أيًا من الصارخين الذين يحاولون الآن بشتى الوسائل تقديم أنفسهم باعتبارهم معبرين حقيقيين عن رأى الجالية.

لذلك سوف أستخدم هنا كل ما بوسعى حتى يتم استدعاء شخصيات محترمة ذات خبرة ونشيطة للقيام بمثل هذه الأدوار، وقد يكون موظفونا بالقنصلية هم الأنسب لهذا الغرض، وهو ما طلبه منى بعض أعضاء الجالية العاقلين.

ومع ذلك، مع افتراض أنه لن ينظر إلى رأيى في ظل الحالة الراهنة للأمور بشكل خاص، أطلب من سعادتكم ألا ترفضوا من جانبكم أخذ مصالح جالية من حوالى ثلاثة آلاف شخص في مصر في الاعتبار، وأن تقوموا عن طريق المفاوضات- وخاصة مع ممثل بريطانيا العظمى في باريس- تحفيز الحكومة المصرية لكى لا تتأخر في إنشاء قسم لإدارة شئون الروس وضم أشخاص شرفاء للعمل في هذه الإدارة.

تقبل يا سيدى العزيز الثقة في عميق احترامى وإخلاصى.

ألكسى سميرنوف

سعادة م.ن.جيرس

القاهرة، ٨ نوفمبر ١٩٢٣

رقم ١٤٩

سيدى العزيز ميخائيل نيقولايفيتش

حيث إنه كان لى الشرف إبلاغكم بخطابى رقم ١٤٦ بتاريخ ١٨ أكتوبر من العام الحالى فإن قرار مجلس الوزراء المصرى بعدم الاعتراف بالممثلية الدبلوماسية والقنصلية في مصر في المستقبل يصل إلى استنتاج بأن الرعايا الروس هنا يتساوون الآن مع رعايا البلاد غير المتمتعة بحقوق الامتيازات، وقد تبع ذلك أن أوامر أعطيت للمحافظين والشرطة وتم تطبيق النظام الجديد على الفور بدون أى فترة ولو قصيرة لتصفية الموضوعات الجارية وغيرها، وللسماح للروس الذين لم يهتموا من قبل بالحصول عل الوثائق اللازمة من القنصلية ولترتيب شئونهم.

وعلاوة على ذلك فقد تم نشر قرار مجلس الوزراء المؤرخ ٦ أكتوبر بالجريدة الرسمية فقط في يوم ١١ فأصبحت الوثائق التي منحتها القنصليات منذ ٦ أكتوبر غير معترف بها، وليس منذ ١١ أكتوبر.

لن أعود مرة أخرى إلى مسألة قانونية قرار الحكومة المصرية فيما يتعلق بحقوق الامتيازات للرعايا الروس ولا لتناسب القرار نفسه مع الاستنتاج الذى نبع منه، في هذه اللحظة أهم قضية هى الوضع الحالى الذى خلقته تلك التدابير للروس.

فى الواقع لا يتمتع الروس أبدًا بتلك الحقوق الكثيرة نسبيًا التي تقدم للأجانب بجانب حقوق الامتيازات، فبادئ ذى بدء فقد حرموا من ممثليهم وشفعائهم الطبيعيين في حالة انتهاك مصالحهم أو في حالة تعرضهم إلى تعسف ممثلى السلطة المحلية.

لقد أصبح الروس بلا حقوق ولا يجدون مكانًا للشكوى، وقد كانت بالفعل هناك عدة حالات عندما أعلنت لهم الشرطة أنهم من المواطنين المحليين وتعاملت معهم وفقًا لذلك، وهو ما لم تكن بالطبع ستسمح لنفسها به نحو الألمان أو التشيك بل حتى الفرس، بدءًا ممن قبض عليه بسبب جنحة بسيطة فلم تعد تقبل شهادة قنصليته لتحديد هويته بل كان يجب أن يتعرف عليه رئيس المنطقة (شيخ الحارة) وهو عربى أمى بسيط يتعامل فقط مع بعض السكان الأصليين، وكان فساد هؤلاء الوكلاء بل بصفة عامة الشرطة المصرية ليس محل شك، وهو يمثل موضوعًا ثابتًا للمقالات الصحفية.

ولا يقل حق الحالة الشخصية في الأهمية عن حقوق الامتيازات للأجانب حيث يتم تسجيل كل وقائع الأحوال الشخصية طبقًا للقانون الوطنى (الميلاد، الزواج، الوفاة، الإرث... إلخ).

حتى المواطنين المحليين المسيحيين واليهود لديهم أنظمة لأوضاعهم الشخصية وتتولى أمور هذه الفئات رئاساتهم الروحية. أما الروس فهم الوحيدون المحرومون من هذه الحقوق الأساسية، بل إن الروس لا يمكنهم الآن التصرف في ميراثهم، حيث إن الشريعة لا تعترف بالوصايا.

من أين يمكن الآن للروس، وهم الوحيدون من بين الكثير من اللاجئين الذين ليست لديهم وثائق تحقيق شخصية صحيحة، استخراج جوازات سفر وتصاريح الإقامة وشهادات حسن السير والسلوك وغيرها؟ مَنْ سوف يمنح الروسى الذى لا يتحدث لغة أجنبية إمكانية الدفاع عن نفسه أو حتى التوضيح في محكمة محلية؟

إن كل دول العالم، حتى الألمان الذين اعترفوا بالبلاشفة والصينيين الذين رفضوا الاعتراف بالممثلين الروس السابقين قد وزنوا عواقب مثل هذا الفعل وحافظوا بشكل أو بآخر على الهيئات الروسية أو أنشئوا هيئات جديدة ضمت بها الوكلاء الروس السابقين.

الحكومة المصرية وحدها في سعيها الأعمى للتخلص من حقوق الامتياز هدمت كل شيء، ولم تقدم بديلاً للروس، ولم تتحرج من وضعهم الصعب ولا من الإحساس بأدنى درجات العدل. إن الروس لا يستحقون هذا الإجراء الذى اتخذ حيث إن جاليتنا في مصر إحدى أهدأ الجاليات، واتخاذ هذا الإجراء يجعلنا نخشى أسوأ التبعات. وعلى أية حال، فإن مثل هذا الوضع غير العادل الذى لم يسمع عن مثله لجالية مختلفة في الديانة ببلد مسلم، هو أمر غير مقبول على الإطلاق ووصمة عار للقوى التي لا تعارضه.

فى ضوء الحالة المزاجية للحكومة المصرية لا يبدو ممكنًا النجاح هنا في تليين قرارها ولو بعض الشيء. لذلك، حيث إننى أشعر بالقلق إزاء رخاء الجالية والمصالح التي دافعت عنها مرارًا وتكرارًا وآخذًا في الاعتبار الرغبة التي أعربت الجالية عنها بوضوح في الحفاظ على رئاسة الممثلين السابقين أرى أن من واجبى التقدم لفخامتكم على أمل ألا ترفضوا التأثير على الحكومة البريطانية لكى توحى للحكومة المصرية بأنه نظرًا للصعوبات التي أصبحت بالفعل تواجه تسيير الأمور الروسية، وضرورة إنشاء هيئات خاصة مماثلة لتلك الموجودة بالفعل في الدول الأخرى مع ضم الوكلاء الروس السابقين ضمن العاملين بها، مع أخذ الدور الفريد لإنجلترا في مصر سيكون من الطبيعى تمامًا أن نتوقع أن هذه الهيئات ستنشأ طبقًا للنموذج الذى تمت الموافقة عليه في بريطانيا العظمى نفسها.

تقبل يا سيدى العزيز الثقة في عميق احترامى وإخلاصى.

ألكسى سميرنوف

المرفق ٣

مسودة خطاب الوكيل الدبلوماسى في مصر للحكومة الأمريكية عن وضع الدبلوماسيين الروس والممثليات القنصلية واللاجئين الروس بالخارج وعن تقديم المساعدة المالية لهم[٤٤٤]

إن كلاً من الموقف الذى اتخذته الحكومة الأمريكية بالنسبة للسلطة السوفيتية في روسيا، وكذلك موقفها من مؤتمر جنوة والتعاطف العام للشعب الأمريكى الذى أظهره مرارًا وتكرارًا نحو الروس، والذى يشعر به في مثل هذا الوضع غير العادى نتيجة استيلاء عصابة من المغتصبين على بلادهم، يجعلانى مضطرًا لإخباركم بالتصورات التي يمكن أن تكون، وسوف تجدون أنه من الضرورى إبلاغها لحكومتكم.

لقد أصبح وضع الروس الذى نشعر به نتيجة لأسباب مختلفة منذ بداية الحرب العظمى في مصر أمرًا شديد الصعوبة بصفة خاصة منذ سقوط السلطة الشرعية في روسيا واستيلاء البلاشفة عليها.

لقد نجحت أنا شخصيًا في البلد التي يوجد بها حقوق امتيازات لرعايا ١٧ دولة ومنها روسيا منذ ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر في الحفاظ على ممثلية الخلافة الشرعية لسلطة الدولة الروسية التي ما زالت موجودة بحكم القانون وتعطى أساسًا صلبًا لوجود الهيئات الدبلوماسية والقنصلية الروسية ونشاطها بمصر.

بالطبع تطلب تدفق اللاجئين من جميع أنحاء روسيا بعد سقوط كولتشاك ودينيكين وفرانجل توسيع دائرة نشاط الوكالة الدبلوماسية والقنصليات، ودعا كذلك إلى الحاجة للجان قضائية جديدة وتأسيسها، وعلى الرغم من الموقف الإيجابي جدًّا والمساعدة من الممثليات الدبلوماسية للدول الأخرى والحكومة المصرية فإن الصعوبة البحتة في عمل الهيئات الروسية الموضحة أعلاه كانت تتمثل في الجانب المالي من الأمر.

منذ عام ١٩١٧ تم وقف كل التمويل الروسي لممثلياتنا في الخارج، وبفضل القروض بنصف معدل قيمة الاعتمادات السابقة التي كانت تمنحها الحكومة الأنجلو-مصرية والتي استمرت فيها الحكومة المصرية حتى يومنا هذا بحجم أصغر فإن هيئاتنا تمكنت من البقاء على الحياة ولكن بصعوبات بالغة حتى الآن.

بالكاد يمكن الاعتماد على استمرار منح هذه القروض نظرًا لتغير الوضع السياسي في مصر واضمحلال نفوذ الإنجليز، وفي الوقت نفسه فإن زيادة الجالية الروسية بمثل هذا العدد الكبير من اللاجئين الروس غير الراغبين- بسبب الوضع السياسي- في الوقت الحالي في ترحيلهم على نفقة الإنجليز إلى بلغاريا وبذلك يتم حرمانهم من المزيد من الرعاية من جانب السلطات العسكرية الإنجليزية لم تكن فقط لا تسمح بخفض تكاليف الصرف على هيئاتنا ولكنها أيضًا بالتأكيد تدعو إلى ضرورة أن تكون هناك موارد مالية لتلبية الاحتياجات العاجلة (المستشفيات، والجنازات... إلخ) التي كانت تدفع من قبل على نفقة الإنجليز.

إنه لأمر شبه مستحيل الإنفاق على البعثة الدبلوماسية وثلاث قنصليات[٤٤٥] باستخدام مبلغ ٤٠٠ جنيه مصري، نحصل عليه حاليًا، لأنه بمثل هذا الحجم من القرض من الضروري دفع رواتب العاملين بنسب أقل من نصف قيمتها. في الأوقات العادية بلغت الاعتمادات المخصصة للبعثات الروسية إلى ١٠٠٠ جنيه

مصرى في الشهر، ولكن الآن كما هو واضح مما تم عرضه أعلاه فإن الزيادة المفرطة في الجالية الروسية واتساع دائرة الاختصاص أديا إلى زيادة الاحتياجات من النفقات بشكل كبير بالمقارنة حتى بالمعايير السابقة، وقد أصبحت الظروف المذكورة أعلاه في غاية الصعوبة لاستمـــرار وجـــود هيئـــاتنا، وفي الوقت نفسه لا يمكن ترك الروس في مصر بدون حماية وبدون دائرة اختصاص قنصلية روسية، ويحتاج الأمر أيضًا إلى هيئة عليا للرقابة والإشراف- بعثة روسية[٤٤٦].

لقد أعربت بوضوح عن المشاعر والآمال التي وضعها الروس على أمريكا في المذكرة التي أرسلتها لكم في ٤ مايو.

أفترض أنها لم تَغِب عن دائرة اهتمامكم وغاصت في الكتابات بيانات السيد تشارلز كرين الذى زار روسيا السوفييتية والذى يعرف عامة وطننا، يبدو لى أن رأيه صحيح تمامًا في أنه لم يتم بعد إزالة ضغط النظام السوفييتى لإعادة خلق روسيا، وأن أية مساعدة في البلد نفسه لها أهمية أقل بكثير من دعم العناصر التي في الخارج (يقول تشارلز كرين: "من الأفيد صرف ١ دولار عليها بدلاً من صرف عشرات الدولارات في داخل روسيا نفسها").

توجد أدلة على أن الحكومة الأمريكية منحت الحكومة المؤقتة الروسية وقتها قرضًا قيمته ١٦٧ مليون دولار، وهى الآن تشعر بالقلق نحو الحصول على بقايا هذه المبالغ من أشخاص لا يتمتعون بثقتها وواقعين تحت نفوذ البلشفية.

حيث إننى بصفتى الممثلية الدبلوماسية الروسية في مصر تقريبًا الهيئة الوحيدة في العالم التي حافظت تقريبًا بالكامل وبنظافة على الخلافة الشرعية لروسيا أرغب في الأمل، في أن أمريكا سوف تجد أنه من المفيد مساعدتى فيما يخص ديون الدولة الروسية على الأقل من بين المبالغ التي قد يمكن الحصول عليها.

ألكسى سميرنوف

المرفق ٤[٤٤٧]

"عن وضع الروس في مصر، ١٩٢٩" القاهرة ١ أكتوبر ١٩٢٩.

السيد رازموموفسكى، *The Abet School* ، شارع فؤاد الأول

السيد مدير المكتب الوطنى للاستعلامات في نيويورك.

يشرفنى أن أرفق طيه الرد مع مرفق إضافى له. سأكون سعيدًا جدًا إذا كانت هذه المعلومات مفيدة لمساعدة أبناء بلدى.

كما لو سمحتم ترون من ردودى أنه لا توجد هيئة واحدة مركزية لشئون اللاجئين فهناك عدد من الهيئات المنفصلة المستقلة عن بعضها البعض والتى تعمل طبقًا لخطوطها، وهى أحيانًا تتعارض مع بعضها البعض؛ حيث إن كلاً من هذه الهيئات تعتبر نفسها الأكثر أهمية. لكى لا أترككم بدون معلومات قررت أن أرسل لكم هذا النموذج لكى تملئوه مخاطبين السيد بيتروف- رئيس جمعية القرض الحسن بالإسكندرية، مع مطالبته بأن يعطيكم إجابات مباشرة.

الملحق السابق بالوكالة الدبلوماسية والآن أمين المحفوظات الدبلوماسية الروسية في مصر س.ب.رازوموفسكى

مرفق:

١- عدد اللاجئين الروس وتوزيعهم على المراكز.

لا أستطيع إعطـــاء رقم دقيـــق لأنه يحدث دائمًا تفاوت مستمر. تقريبًا ٦٠٠- ٦٥٠ شخصًا. المراكز: القاهرة وضواحيها، والإسكندرية وضواحيها، وبورسعيد وضواحيها، ومنطقة قناة السويس.

٢- ما أهم احتياجات اللاجئين؟

أ- نظرًا لأنه توجد أكثر من هيئة واحدة تتعامل مع اللاجئين ولأن هذه الهيئات كانت تعمل في اتجاهات مختلفة فإنه ليس هناك مكان محدد يمكنهم اللجوء إليه للبحث عن عمل.

ب- تعليم الأطفال يتم عامة بفضل المساعدة النبيلة من قبل اثنين من الأمريكان: السيد كرين من شيكاغو، والسيد فايتمـــور، ولا أعرف المدينة التي هو منها، ولكن لا توجد أية هيئة محلية تنشغل بهذا الأمر على وجه الخصوص. يوجد تلاميذ من المدارس الروسية لم يكملوا تعليمهم بسبب نقص الموارد واستحالة حصولهم على مساعدة من أجل مواصلة تعليمهم.

ج- رعاية المرضى؛ لا توجد موارد مالية لعلاج هؤلاء المرضى الذين يحتاجون إلى تغيير المناخ ولو لشهرين أو ثلاثة، كما لا توجد نقود للحصول على حق وضع الناس في مستشفى المرضى بأمراض شديدة (التيفوس، الحميات المحلية). وتوجد حالات من الآثار المزمنة الناتجة من إصابات الحرب وسنوات من سوء التغذية.

د- الحماية القانونية؛ الروس محرومون من حقوق الامتيازات ويرتبط بذلك: أ- تساؤل عن أن "أحوالهم الشخصية" معلقة في الهواء، لا توجد جهة محددة يذهبون إليها عند وجود صعوبات في الميراث أو في الحقوق

الأسرية، ب- على عكس غيرهم من الأجانب، يجب على الروس قضاء فترات عقوبتهم في السجون المحلية وليس في الأوروبية، وهنا توجد حاجة لحماية قانونية.

٣- احتياجات أخرى:

ضرورة إدماج الهيئات المتباينة في هيئة واحدة. لا يوجد مسكن عام يمكن أن يتم فيه الإيواء القانونى للأشخاص الذين خرجوا من المستشفيات لتوهم، والمحرومين من عمل مؤقت وفى حاجة شديدة، أو الذين اضطروا للحضور إلى هنا نتيجة لظروف قسرية.

٤- الهيئات التي ترعى اللاجئين الروس:

أ - ثلاثة مكاتب لتسجيل الرعايا الروس: هيئات حكومية مصرية فتحت في عام ١٩٢٧، وهى تابعة لإدارة الأمن العام بوزارة الشئون الداخلية.

مهام المكاتب الروسية: إصدار تصاريح الإقامة في مصر، وكذلك يدخل في اختصاصاتها جزء من واجبات التوثيق، ولكن ليس من حق تلك المكاتب التعامل مع "الأحوال الشخصية" والحماية القانونية للروس. يرأسها روس يعملون لدى الجهة المصرية. توجد ثلاثة مكاتب من هذا القبيل فى: القاهرة، الإسكندرية وبورسعيد، هذه المكاتب كانت ومازالت مفيدة بالتأكيد لكل الروس، ولكن مهامها تخص كل الروس عامة وليس اللاجئين فقط.

أ - النادى الروسى في القاهرة: ***Cairo, Cercle Russe, 9 rue Kantaret el Dekka.*** ويرأسه المحامى ك.أ.تيخى.

وقد وجد هذا النادى منذ وقت طويل قبل ظهور اللاجئين، وهو يمنح قاعة مجانا لإقامة العروض الخيرية، ويمتلك مكتبة صغيرة من الكتب الفرنسية

والروسية باشتراك صغير وقاعة اطلاع، وهو يساعد -على قدر المتاح- بتقديم وجبات غداء مجانية، كما يقدم أيضا مكانا مجانا في الحالات الطارئة القصوى.

ج- ثلاث جمعيات خيرية روسية: ***Societe Russe de Bienfaisance. Cairo.*** منذ عام ١٩٢٧، معظمها من اللاجئين على الرغم من استفادتها من وجود جمعية بالنادى الروسى قبل مجيئهم. لا يوجد لها عنوان محدد، وتصل إليها المراسلات على عنوان عمل أمانة صندوق الجمعية: ***Cairo, Polyclinique russe, rue Bedak. Pour la Societe de bienfaisance.***

Societe Russe de Bienfaisance, Alexandrie, 15 Boulevard de Remleh.

Societe Russe de Bienfaisance, Port-Said. Mr. A. Staritsky, Companie du Canal de Suez.

لا تضم كل من الثلاث جمعيات عددًا كبيرًا من الأعضاء لأسباب مختلفة، وهى تمنح إعانات نقدية صغيرة للعلاج وللمعاقين وللمسنين لكى يعيشوا بها، وهى تحصل على الموارد المالية أساسًا من تنظيم العروض والحفلات الموسيقية.

د- العيادة الروسية: أسستها جمعية الأطباء الروس اللاجئين منذ ثمانى سنوات مضت باستخدام قرض قدمته في ذلك الوقت الوكالة الدبلوماسية الروسية، وفى الوقت الحالى يشارك أيضا في العمل بالعيادة أطباء أجانب، وهى توفر رعاية صحية مجانية للفقراء فقط.

العنوان: ***Adresse: Cairo, Polyclinique Russe, rue Bedak derriere de l'Opera.***

هـ- جمعية القرض الحسن للاجئين الروس بالإسكندرية: تمنح قروضًا نقدية. تم تأسيسها وإنشاؤها بمساعدة أحد الرعايا الروس السابقين.

رئيس هذه الجمعية هو أ./.بيتروف وعنوانها: *Alexandrie, Egypte. – Mr. A. Petroff, 15, Bld de Ramleh.*

جمعية القرض الحسن: مؤسسة مفيدة جدًا ولكن ليس لديها موارد مالية كافية ولذلك يجب الوقوف على قائمة انتظار. هذه الجمعية موجودة في المقام الأول للإسكندرية، وقد يكون من المرغوب فيه نشر أعمالها في اتجاهات أوسع في اتجاه القاهرة وبورسعيد.

٥- هل توجد قيود في البحث عن عمل؟

لا توجد قيود مباشرة، ولكن حيث يوجد اتجاه عام للوم الكل على ما فعله البعض لذلك لحصول الروسى على عمل، توجد شروط تضم توصيات استثنائية بل حتى ضمانات، وكثيرًا ما لا يمكن تحقيق ذلك.

الجاليات الأخرى هنا غنية، أما الجالية الروسية ففقيرة ومن ثم فالظروف هنا صعبة للروس.

٦- ما الأعمال التي يشتغل بها الروس هنا في المقام الأول؟

السواقة؛ وبصفة خاصة نقل الأحمال الثقيلة على سيارات النقل. المؤسسة الأهم هنا هى: *Cairo, Heliopolis. Mrs. Toutourine et Boklevsky*. يوجد أيضًا أصحاب سيارات أجرة، ومن يعمل لدى أصحاب السيارات، كما يوجد موظفون لدى أصحاب أعمال خاصة.

وهناك مجموعة صغيرة من اللاجئين يعملون كتبة في المحاكم المصرية المختلطة والبنوك والمؤسسات التجارية وشركة قناة السويس، وشركة المياه، ومفتشين بل محصلين بالترام، ويوجد من يلقون الدروس في المدارس، يعلم جزء كبير منهم اللغات بالمدارس الخاصة والرياضيات والموسيقى، وفى حالات استثنائية للغاية يعملون في المؤسسات الحكومية.

المرفق ٥: ألبوم الصور المعروضة بالمعرض[٤٤٨]

المهاجرون الروس في مصر، سنوات ١٩٢٠-١٩٥٠

يتكون المعرض من ثلاثة أقسام، ويضم ٧٢ من المعروضات:

القسم الأول

يعكس الوضع العام المصرى في مرحلة وجود المهاجرين الروس:

١- الطيران في فترة الحرب العالمية الأولى، ١٩١٤.

٢- ضباط الفيلق الفنلندى، ١٩١٥.

٣- اللاجئون الروس في مصر.

٤- المعسكر الروسى بالتل الكبير.

٥- مهاجر روسى يتناول وجبة الغداء بخيمته. التل الكبير. ٢٠ يونيه عام ١٩١٤.

٦- سوق يوم رأس السنة الميلادية لصالح الجمعية الخيرية الروسية، أ.ج.جيليتشكينا (جالسة)، ن.سميرنوفا وزويا بوبيليفا، ٨ يناير ١٩٥٠.

٧- عيد رأس السنة عام ١٩٥١، قامت الجمعية الخيرية الروسية بتنظيمه لصالح الجالية الروسية.

٨- بيت المهاجرين الروس المسنين بحى هليوبوليس (القاهرة)، في الصورة ب.ف.أليابيفا.

٩- لوح على قبر القنصل العام الروسى في مصر أ.أ.سميرنوف. مقابر الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية "مار جرجس" بالقاهرة القديمة.

١٠- كنيسة القديس قسطنطين والقديسة إيلينا الأرثوذكسية اليونانية ببولاق (القاهرة)، حيث تمت الصلاة على الكثير من المهاجرين الروس ومنهم القنصل العام أ.أ.سميرنوف.

١١- صلاة على الموتى في الغربة يؤديها بطريرك موسكو وكل عموم روسيا ألكسى الثانى، ١٩٩١. المقابر الأرثوذكسية- اليونانية بالقاهرة القديمة.

١٢- ضريح الستريكالوفسكيين بمقابر مار جرجس بالقاهرة القديمة.

١٣- ضريح أ.فولكوف- آخر ممثل للجالية الروسية.

١٤- ف.س.جولينيشيف. أعظم عالم مصريات، الذى أنشأ قسم علم المصريات بجامعة القاهرة.

١٥- صورة وجه فرودمان- كليوزيل، من أعمال الرسام المصرى حسين بكرى، ١٩٣٨.

١٦- أ.فرودمان- كليوزيل يصنع تمثال البالرينا الروسية العظيمة أنابافلوفا والتى جاءت إلى مصر عدة مرات.

١٧- تمثال مار جرجس عند مدخل كنيسة "مار جرجس" الأرثوذكسية بالقاهرة القديمة، من أعمال فرودمان-كليوزيل.

١٨- فى ورشة بشارع الأنتكخانة بالقاهرة، يقف إ.ي.بيليبين وأ.أ.ساندير، وفى الخلف لوحة "الانحناء لملك وملكة بيزنطة".

١٩- إ.ي.بيليبين يعمل في ورشته بشارع الأنتكخانة في القاهرة.

٢٠- إ.ي.بيليبين. بورتريه ليودميلا تشيريكوفا، عام ١٩١٩، شاركت الفنان في هجرته إلى مصر.

٢١- فلاح، أحد أعمال إ.ي.بيليبين. بيليبين في مصر.

القسم الثانى

يضم معروضات عن حياة المهاجرين الروس بمدينة الإسكندرية:

١- الإسكندرية. الميناء البحرى.

٢- الإسكندرية. شارع الرمل.

٣- الإسكندرية. شارع سعد زغلول. عام ١٩٣٠

٤- الإسكندرية. تمثال محمد على باشا.

٥- الإسكندرية. شارع شريف باشا.

٦- الإسكندرية. تمثال نوبار باشا.

٧- الإسكندرية. كازينو الرمل.

٨- اللاجئون الروس في الإسكندرية في عام ١٩٢٠.

٩- الأخوان المهاجران الروسيان نيقولاى وألكسى فويتنكوف- العرّيفان بالشرطة السكندرية.

١٠- القنصل أ.م.بيتروف في عام ١٩٣٩، الجالس ثانيًا على اليمين.

١١- شهادة إتمام أ.م.بيتروف للدراسة بمعهد اللغات الشرقية بجامعة موسكو.

١٢- قائمة طعام الغداء على شرف الأمير العظيم بوريس فلاديميروفيتش بالإسكندرية. أول مارس عام ١٩٣٨. الإسكندرية.

١٣- غداء على شرف الأمير العظيم بوريس فلاديميروفيتش بالإسكندرية في أول مارس عام ١٩٣٨، أقامه الضباط بشقة أولجا سيرجيفنا كيربيتشوفا.

١٤- مهاجرون روس بالإسكندرية.

١٥- نزهة بحى سيدى بشر السكندرى. صيف عام ١٩٢٥.

١٦- حفل أطفال تذكرى. الإسكندرية، عام ١٩٢٣.

١٧- أغانى الغجر ورقصاتهم تقدمها فرقة الجالية الروسية بالإسكندرية، الثلاثينيات.

١٨- فرقة الغناء والرقص الروسى بمدينة الإسكندرية.

١٩- الإسكندرية. في الخمسينيات.

٢٠- روسيات في الإسكندرية في مطلع الأربعينيات- الخمسينيات.

٢١- المقابر العربية الأرثوذكسية في الشاطبى. الإسكندرية.

٢٢- ضريح الأومولبين بالمقابر العربية الأرثوذكسية في الشاطبى. الإسكندرية.

٢٣- الهيكل الروسى في المقابر اليونانية الأرثوذكسية بالشاطبى. المؤلف ب.ف.ريربيرت. في عام ١٩٣٤.

٢٤- ضريح القنصل الروسى بالإسكندرية أ. بيتروف في الشاطبى. الإسكندرية.

٢٥- ضريح المهاجر الروسى الجنرال فيدور ريبيرت وزوجته في الشاطبى. الإسكندرية.

٢٦- الكنيسة الروسية بمدينة الإسكندرية. شارع سعد زغلول.

٢٧- تمثال "عروس النيل" للمثال المهاجر الروسى فريدمان- كليوزيل. النزهة. الإسكندرية.

القسم الثالث

مخصص لعائلة سيريكوفى- مونتى بالإسكندرية.

١- بيتروجراد عام ١٩١٢، شقة والد جد ت.ن. دى مونتى على الجانب الأيسر من القوس.

٢- ك.ف.جوريفيتش (جدة ت.ن.مونتى).

٣- د.غ. إدريفسكى (جد ت.ن.مونتى)، صورة عام ١٩٠٥.

٤- أحد الروس السكندريين المشهورين- الجنرال جلمجولتس.

٥- ضيعة عائلة سيريكوف بالقرب من نيقوبول- الأب، وأخته، وأصدقاء.

٦- ن.م. سيريكوف (والد ت.ن.مونتى) مع صديقه الفريق ف.ب. ريربيرج بضيعته بالقرب من نيقولايف.

٧- لاجنون روس. سيدى بشر. ١٩٢١-١٩٢٠

٨- بيع المنتجات البدوية للاجنين الروس.

٩- ف.ك. أندريفسكايا، أم ت.ن.مونتى.

١٠- والدة ت.ن.مونتى مع زوجة أبيها وابنها وابنتها.

١١- والدة ت.ن. مونتى مع والدها وزوجته.

١٢- والدة ت.ن. مونتى، ريربيرت وزوجته في عام ١٩٢٥.

١٣- والد ت.ن.مونتى في عام ١٩١٧.

١٤- ن.م.سيريكوف، الإسكندرية، الإبراهيمية، عام ١٩٣٠.

١٥- أ.د.سيريكوفا (والدة ت. ن. مونتى) في عام ١٩٧٠.

١٦- والدة ووالد ت.ن.مونتى في عام ١٩٦٢.

١٧- والدة ت.ن.مونتى مع أصدقاء وزوجة القنصل أ.م.بيتروف في عام ١٩٦٩.

١٨- ت.ن.مونتى- سيريكوفا (ليوكا) في عام ١٩٥٠.

١٩- زوج ت.ن.مونتى- ألكسندر مونتى، عام ١٩٦١.

٢٠- ت.ن. مونتى في حفل استقبال بالقنصلية الروسية في عام ١٩٧٠.

٢١- ت.ن. مونتى عند ضريح والديها بالشاطبى. صيف عام ٢٠٠٠.

٢٢- صديقة ت.ن. مونتى- زويا بوبليفا، تعيش بمدينة بوردو (فرنسا). الإسكندرية. نهاية عام ٢٠٠٠.

الهـوامـش

(1) وحيث إنه لا توجد إحصائيات دقيقة بهذا الخصوص، فإنه يوجد تفاوت كبير بين الأرقام، فعلى سبيل المثال يرى أ.ن.فيرتينسكي أنه "... على الأرجح كان يوجد في فرنسا ٢٠٠-٣٠٠ ألف، وأن عددنا في باريس كان يمثل ١٨٠٠ فرد..."، فيرتينسكي أ.ن.، الطريق الطويل، موسكو، ٢٠٠٣، ص ١٦٥.

(2) توجد حتى الآن لدى المؤلف مجموعة دفاتر عامة ضخمة للمخطوطات الأرشيفية، بها صفحات تحتوى على معلومات عن وصول المهاجرين الروس البيض إلى مصر وقد تم قصها بمقص الرقيب.

(3) كتب عضو مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتى، الذي تمت تسميته بطلاً للاتحاد السوفييتي مرتين، الطيار رائد الفضاء السوفييتى، عميد جامعة باومن التكنولوجية بموسكو أ.س.يليسييف الذي تم تعيينه في عام ١٩٨٧ رئيسًا لجماعة العلاقات الثقافية مع الجاليات الروسية (جماعة "الوطن") قائلا: "بصفة عامة، فمن المنتظر أن يتم تأريخ ودراسة تاريخ الهجرة ينتظر، وهنا توجد العديد من المناطق المجهولة ومن الصفحات التي تم تخطيها. وفي رأيي لا يجب نسيان أسماء الكتاب والرسامين والمؤلفين الموسيقيين والفنانين الروس التي سجلها تاريخ الثقافة الروسية والذين وجدوا خارج الحدود بسبب مآسيهم الشخصية حيث إنهم قد سقطوا في دوامة الانقلابات الاجتماعية"- مجلة أدلة ووقائع، موسكو، العدد رقم ٢١، ٢١- ٢٧ مايو ١٩٨٨.

(4) يدور الحديث هنا عن الوثائق الدبلوماسية لممثلي الهيئات والمؤسسات الروسية، والتي وجدت في حيازة الموظفين الدبلوماسيين السوفييت بعد إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتى ومصر في عام ١٩٤٣.

(5) تسرى على هذا الأرشيف قواعد كتلك الموجودة في معظم الأرشيفات الضخمة الأخرى في العالم؛ حيث إنه يسمح بالاطلاع على المواد المحفوظة به بعد مرور خمسين عامًا على وقوع حدث ما.

(6) يرجع على سبيل المثال إلى: "ج.ف.جارياتشكين، مصر في الأرشيفات الروسة حتى عام ١٩١٧.

(7) يرجع لتفاصيل أكثر إلى: "ج.ف.جارياتشكين، آخر قنصل عام قيصري بمصر ـ آسيا وأفريقيا اليوم. موسكو، رقم ٥، عام ٢٠٠١"، "ج.ف.جارياتشكين، لم يكن فقط دبلوماسيًا، في الذكرى ١٥٠ لميلاد أ.أ. سميرنوف، الأرشيف الشرقي، موسكو، رقم ١٧، ٢٠٠٨، ص٥٤-٦٥، " المؤلف نفسه، صفحات من الحوار الثقافي الروسي المصري، الجزء الأول، الإسكندرية، الناشر: تحديات ثقافية، ٢٠٠٣، ص١٢٥-١٣٢.

(8) ج.ف.جارياتشكين، ت.ج.جريتسكو، أ.إ.فومين، الهجرة الروسية إلى مصر وتونس (في أعوام ١٩٢٠-١٩٣٩)، موسكو، ٢٠٠٠، وحيث كانت توجد معلومات مهمة خاصة فيما يخص تواريخ الأحداث، وكذلك عن الشخصيات التي ارتبطت بالحوار الثقافي الروسي المصري، كان من الأسهل العمل مع الصحافة المحفوظة جيدًا بالصحف المصرية الجيدة "Le phare d'Alexandrie" و"La Reforme" وغيرها.

(9) أطلق ف.إ.بلياكوف مراسل جريدة "كومسومولسكايا برافدا" ثم "ترود"، الذى عاش في مصر أكثر من ٢٥ عامًا هذا الاسم على أحد مقالاته "واحدة في الإسكندرية كلها".

(10) لقد أعلن في سبتمبر عام ١٩٧٧ "بيان للمهاجرين الروس نظرًا لتوافر النية في إنشاء مكتبة كل عموم روسيا التذكارية بهدف جمع كل المذكرات الشخصية لمواطنينا مع ضرورة حفظها وطبعها وتصنيفها تدريجيًا..."، أخبار الكتب، رقم ٢٣، ٨ يونيه ١٩٩٠، ص١٠.

الباب الأول

(11) لتفاصيل أكثر انظر: ج.ف.جارياتشكين. الإسكندرية بين روسيا ومصر، ميريانا، موسكو، ٢٠٠٦، ص ١٢٩-١٨٦.

(12) حسن محمد صبحي، الجاليات الأوروبية بمدينة الإسكندرية (١٨٠٥-١٩٣٩) الإسكندرية عبر القرون، ١٩٩٠، ص ١٥٠ (باللغة العربية).

(13) أندريفسكي ف، مصر، الإسكندرية، القاهرة وضواحيها، سقارة وضفتا النيل، وصف رحلة في عام ١٩٨٠-١٩٨١، ١٨٨٤، ص٩.

(14) مفكرة جيب. عاما ١٩٤٩ ، ١٩٥٠، القاهرة، وزارة الاقتصاد الوطني، ١٩٥٣، ص١٤ (باللغة العربية).

(15) جارياتشكين ج.ف، دياتلوف ف.إ، دور الأقليات العرقية والدينية من رجال الأعمال في تكوين البنية الاجتماعية الحديثة لمصر، جريدة جامعة موسكو الحكومية، الاستشراق، رقم ١، ١٩٩٠، ص٣-١٧.

(16) كارتافتسيف ي.أ، عبر مصر وفلسطين، مذكرات رحلة، الجزء ٦، ١٨٩٢، ص١٤.

(17) Vallet J.. Contribution a l'etude de la condition des ouvriers de la grande industrie au Caire. Vallence. 1911. p.34-37

(18) Cromer. The modern Egypt. London. 1908. vol.1. p.250

(19) Politis Ath.. L'Hellenisme de L'Egypte moderne. T.1 Contribution de l'Ellenisme au development de l'egypte moderne. Paris. 1930

(20) بالمناسبة يمكن على الأرجح الظن بأن هذا الاسم هو تحريف للكلمة العربية "تجار".

21 اقتباس من: حسن محمد صبحى، العمل المذكور مسبقا ص١٤٦.

(22) "le Phare d'Alexandrie"

(23) Charles-Roux J.. L'isthme et le canal de suez. Vol.2. Paris. pp.194-424

(24) Le phare d'alexandrie. №18-19. Mais 1894

(25) ارجع إلى كوشيليف ف.س، مشكلة نشأة النظام الحزبى في بلاد الشرق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (مصر على سبيل المثال)، مجلة جامعة روسيا البيضاء، السلسلة ٣، تاريخ، فلسفة، علم السياسة، علم اجتماع، حقوق، رقم ١، ١٩٩٤.

(26) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، الصندوق ١٥١، الأرشيف السياسي، جرد ٤٨٢، ملف ٩٦٢، عام ١٩٠٨، ورقة ٣٥٩.

(27) "la Reforme". 24.06.1921

(28) من كلمة "لازاريت" ويقع هذا الحى على بعد كيلو متر واحد من البحر في وسط الإسكندرية.

(29) في عام ١٩٦٧ كان يجرى الإعداد لعرض الفيلم في مصر ولكنه لم يظهر على الشاشة بسبب طلب سفير الاتحاد السوفييتي منع عرض هذا الفيلم المناهض للسوفييت من حيث محتواه. ويذكر أنه في بداية السبعينيات، ولهذا السبب نفسه، كان يجب دفع مبالغ كبيرة للموسيقيين بالمطاعم الموسكوفية لكي يقوموا بعزف الفالس الممنوع "أغنية دولورا" من هذا الفيلم.

(30) السلسلة هى لسان صغير ممتد في البحر الأبيض المتوسط بمنطقة الشاطبى، وفي بداية السبعينيات تمركزت فيها كتيبة صواريخ سوفييتية قامت بحماية سماء الإسكندرية.

(31) التعداد العام لسكان مصر، ١٨٨٢، الجزء الأول، ص٢٢-٢٣ (باللغة العربية).

(32) بالطبع نحن لا نشكك في أنشطة ومساهمة ممثلي المستعمرات الأوروبية الأخرى بالإسكندرية، فعلى سبيل المثال لا يمكننا تجاهل نشاط الألمان، ويؤكد ذلك مؤلف Quelques celebres Allemands en Egypte. Alexandrie. 1971 لمدير المركز الثقافي الألماني (معهد جوته) بالإسكندرية أنطون ريجينبيرج. وقد كان أبرز هؤلاء الأربعة أندريه فون دومريخر-باى (١٨٦٥-١٩٥٣) الذي كان جده أول قنصل دنماركى في عهد محمد على (منذ عام ١٨١٠)، حيث أقام الدومريخريون في بلد الأهرام منذ أواخر القرن الثامن عشر، وقد قام ابنهم الذى ولد في ويست فالى والحامل للجنسية الألمانية بتأسيس شركة بالإسكندرية بمنطقة شارع سيستر، وقد نزل نابليون بونابرت في مبنى "فيكاليا" المملوك لدومريخريون بالذات، وبالمناسبة فلقد ظهر بعد بعض الوقت بمنطقة سابا باشا بالإسكندرية جده نفسه في مهمة لشراء خيول مصرية للملك ماكسيميليان.

لقد ولد أندريه دومريخريون في فيورتمبرج وحضر لأول مرة إلى مصر وعمل بها موظفًا ببنك، وفى المرة الثانية حضر أندريه إلى هنا ونظم خدمة حرس الحدود بمصر. وفى عام ١٩٠٧ تزوج الإنجليزية راسيل، وابنته إيلين وابنه أوتو أحبا مصر، مثل أبيهما. ولكنه اضطر لترك مصر بسبب الحرب ولكنه عاد إليها مرة أخرى سفيرًا لألمانيا للفترة ١٩٢٢-١٩٢٣، وفى عام ١٩٢٥ حضر إلى مصر للإقامة بها نهائيًا واستقر بالإسكندرية في الرمل حيث مات بفيلته ودفن هناك، وقد كرس ما تبقى من حياته لدراسة الصحراء الشمالية الغربية من الإسكندرية إلى مرسى مطروح، ونتيجة دراسته كانت كتابين:

١- Truckers and smugglers in the deserts of Egypt. Methuen. ed.London. 1931،

٢- Le tourisme dans les deserts d'Egypte. Larose. ed.Paris.1931. وهو قد درس في هذه الأعمال بشيء من العمق الحيوانات التي تعيش في هذا الجزء من البلد. وبالإضافة إلى ذلك فإن فون دومريخر باى قد شارك بنشاط في بناء مرسى مطروح المدينة الرئيسة بهذه الأطراف وبنى بها مسجدًا إسلاميًا وكنيسة مسيحية، كما أنه قدم وصفًا جيدًا لجنوب البلد وواحتى الداخلة والخارجة وللصحارى التي على حدود البحر الأحمر.

كما أن مؤسس جمعية الجغرافية المصرية جورج-أغسطس شفاينبورج (١٨٣٦- ١٩٢٥)، والطبيب الجراح عالم التشريح تيودور ماكسيميليان بيلهارتس (١٨٢٥- ١٨٦٢) الذى اكتشف

ووجد العلاج اللازم للمرض الأساسي المنتشر بمصر وهو البلهارسيا والتي سميت باسمه، قد أظهرا الارتباط نفسه بمصر، وأخيرا الألماني الرابع الذي اشتهر في أرض مصر عالم البكتيريا روبرت كوخ (١٨٤٣- ١٩١٠)، وهو الذي أنشأ مركز البكتيريا باسم "أنتون ريجينبيرج" بالإسكندرية بالذات في عام ١٨٨٣، وذلك عندما اجتاحها وباء الطاعون فأودى بحياة مئات من الأرواح، وفي ذلك الوقت ضحى بحياته وأنقذ الكثيرين من السكندريين، وفي المرجع نفسه بصفحات ١٣-٥٧ يذكر أن الألمانيين جورج- أغسطس شفاينفورج وت..م. بيلخاري قد عملا أساسا في مصر، كما أن أسماء أ. كوخ مثله مثل أ.فون دومريخير مرتبطة بالإسكندرية.

(33) مصر بعيون روس منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين السياسة، الاقتصاد، الثقافة، مواد سلسلة "الشعوب والثقافة" العدد الخامس عشر، شعوب الشرق الأوسط، الكتاب الثاني (البنية، التقديم، التعليقات، الملاحظات والترجمة: جرياتشكين ج.ف.)، موسكو، ١٩٩٢، ص٣١٥.

(34) مقتبس من جارياتشكين ج.ف، دياتلوف ف.إ." دور أقليات رجال الأعمال والأقليات الدينية والعرقية في تكوين البنية الاجتماعية الحديثة لمصر جريدة جامعة موسكو الحكومية، ص٤، ١٣-١٤.

(35) مقتطف: ف. دياتلوف. التجار، غرباء أم رسل الله؟ موسكو، ١٩٩٦، ص٤٧.

(36) بالمرجع نفسه السابق ص٤٧-٤٨.

(37) التعداد العام لسكان مصر، ١٨٨٢، الجزء الأول، القاهرة، ١٨٨٥، ص٢٢-٢٣ (باللغة العربية).

(38) التعداد العام لسكان مصر،١٨٩٧، الجزء الأول، القاهرة، ١٨٩٨، ص٦٨ (باللغة العربية).

(39) كثيرا ما يشاهد اسم الإسكندرية بين مدن العالم، حيث يصل عددها إلى ٥٨، بل توجد جمعية عالمية للإسكندريات قامت في مايو عام ٢٠٠٤ بتنظيم "المهرجان العالمي الأول لمدن الإسكندرية بالعالم كله". وبالمناسبة، في نهاية القرن الماضي تمت إقامة علاقات أخوة بين الإسكندرية والإسكندرية الفلاديميرية، وقد تبادل ممثلي المدينتين زيارات الصداقة التي شاركت فيها الفرق الغنائية والراقصة. في العهد السوفييتي كانت المدينتان الأختان هما أوديسا والإسكندرية.

(40) أ. ل. خووستروف، المسيحية السكندرية، موسكو، ١٩٩١، ص٣-٩١.

(41) رحلة الأرشمندريت أجريفينى// مجموعة المقالات الأرثوذوكسية الفلسطينية، ١٩٨٦، العدد ٤٨، ص٢.

(42) الإسكندرية، رواية عن الإسكندر المقدونى طبقا للمخطوطات الروسية بالقرن الخامس عشر، موسكو- لنينجراد، ١٩٦٥، ص٢٥٥.

(43) الإسم "ميسيور- مونيخين" قد يعنى "مونيخين المصرى" (ترجمة من كلمة مصر العربية). كل ذلك يبين بشكل غير مباشر على بقاء ميسيور- مونيخين لفترة طويلة في مصر. يرجع إلى شاخماتوف أ.أ. رحلة م.ج. ميسيور- مونيخين إلى الشرق وتوقيت التحرير في عام ١٥١٢، أخبار أكاديمية البحث العلمي. قسم اللغة الروسية والأدب، ١٨٩٩، الكتاب ١-٤، ص٢١٦.

(44) مخطوط المكتبة المجمعية الموسكوفية، رقم ٥٦٢، ورقة ٤٥٧.

(45) علاقات روسيا بالكنيسة الشرقية من حيث الشئون الكنسية، من جزئين، ١٨٥٨، الجزء الثاني، ص٢١٠، ٣٤٤

(46) الحاج، أرسين سوخانوف، ١٦٤٩-١٦٥٣، ١٨٨٩، ص١٢٤.

(47) جريجوروفيتش- بارسكى ف. رحلة فاسيلى جريجوريفيتش بارسكى عبر الأماكن المقدسة بالشرق من عام ١٧٢٣ إلأى عام ١٧٤٧، الجزء الأول، ١٨٨٥، ص٢١٢

(48) مقتطف: تاريخ الاستشراق الوطنى حتى منتصف القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٩٠، ص١٩٦.

(49) ياروتسكى إ. ملاحظات عن الإسكندرية والقسطنطينية في مجال العلاقات الطبيعية والطبية// جريدة وزارة الداخلية الجزء ٣٩، ١٨٤١، ص١١٦.

(50) مبارك، على باشا، وصف مصر ومدن مصر الأخرى. القاهرة، طبعة عام ١٩٨٥، الجزء ٧، صذ٤٥ (باللغة العربية).

(51) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، الصندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، الموضوع ٣٥، ورقة ١٢.

52 "Le progres Egyptien"، القاهرة، ١٥ يونيه ١٩٠٢. وقبل أقل من نصف سنة أفادت الجريدة السكندرية عن وداع المبعوث كويادير لمغادرته مصر:"فى مساء الأمس تمت إقامة حفل غداء

أقامه صاحب الجلالة الخديوي على شرف السيد كويادير الوكيل االدبلوماسى السابق الذى تم نقله سفيرًا إلى ليسابون.

وتألف الغداء الفاخر المميز الذى تم تقديمه طبقًا لتقاليد قصر عابدين من ٢٤ طبقا. وقد تمت دعوة ٤ سيدات فقط: السيدة كوياندر الذى لم تتمكن من رفض الدعوة الكريمة من الخديوى المعظم بسبب الحداد، السيدة هيلتسكى، السيدة ايفانوف، والسيدة دي مارتينوباشا.وكان من بين الضيوف: السيد هيلتسكى، السيد ايفانوف، السيد مارتينوف، السيد فاسيليفسكى، وآخرون.

وفيما يلي قائمة الغداء: بار جلالة الملك، فيليه من لحم البقر على الطريقة التايلرانسكية، سمان، كبد دهني على هيئة بصل، هليون في صلصة هولندي، ورق العنب المحشوة بالكمأ المحمر، سلطة روسية، خوخ على طريقة ريشيليو، بومبة على الطريقة الموسكوفية، خبز باريسي، حلوى. وعلى النقيض من الحفلات السابقة، فإن الأمسية كانت بهيجة واقيمت في جو دافئ مريح. وبمبادرة من جلالة الخديوي تم عزف البرنامج الموسيقى التالي: النشيد الوطني الروسي (بيتر الأول)، مارش الفوج البريأبراجينسكى (جلينكا)، فالس السماء (فالتيس)، الفانتازيا الكبرى على لحن سلافى (كومزال)، بال-ماسكاراد، آريا مصارع الثيران والأندلس (روينشتاين)، الكدريل الروسى (فالتيس)، مازوركا بولندية "الملكة"(جونى)، رقصة البولكا "الترويكا" (يرزين)، نشيد جنيف.

"Le phare d'Alexandrie",22.XI.1902
Listen
Read phonetically
Dictionary - View detailed dictionary

(53) جارياتشكين ج.ف.، مصر في الأرشيفات الروسية حتى عام ١٩١٧، مخطوطات علمية، مركز الدراسات العربية، موسكو، ٢٠٠٣، ص٥٠-٥٣.

(54) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، الصندوق ٣١٨، قائمة ٣/٨٢٠، مستند ٩٩، "قوائم القناصل العامة الروس ورؤساء القنصليات العامة الروسية بمصر في الفترة من ١٨١٨-١٨٥١.

(55) Les juifs en Egypte. Le Caire. 1938. p.176-178

(56) التعداد العام لسكان مصر، ١٨٩٧، الجزء ١، ص٦٨.

(57) Les juifs en Egypte. Le Caire. 1938. p.306

(58) في المرجع نفسه. ص٣٠٩- ٢٤٣،٣٠٦،٣٠٨. وقد حصل المؤلف على الرقم الأخير من رئيس الجالية اليهودية بالإسكندرية السيد ماكسى سلامة في مايو٢٠٠٣. وردًا على طلب

رئيس المركز الروسى للعلوم والثقافة بإعطاء معلومات عن عدد الروس اليهود المدفونين بمقابر الجالية، قدمت الموظفة لينا ماتاتيا قائمة تضم ٧٧ فردًا عن الفترة من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٦٠. وقد تبين أن هذه القائمة ليست كاملة تمامًا إذا أخذنا في الاعتبار اللائحة الداخلية للجالية، فإنه لا يمكن أن يحصل على معلومات عن الوضع الأخير بهذه المقابر إلا شخص يتحدث اللغة العبرية.

(59) بالمرجع نفسه، ص٣٠٦.

(60) من الغريب أن تقرير القنصل الروسي العام إ.ليكسا في عام ١٨٨٠ جاء فيه أن: "المواطنين الروس الذين يعيشون في مصر تحت رعايتنا يمثلون ٢٥٠ من مواطنى منتيجرو والصرب والبلغار ومن سكان آسيا الوسطى الأصليين، أما الروس الأصليون فعددهم قليل جدًا، وأغلبهم من اليونانيين والأرمن والشركس والطشقنديين والسمرقنديين.

(61) للمزيد حول هذا الموضوع، يرجع إلى: ت.ي.كوبيشانوف، المماليك الروس في مصر العثمانية، أخبار جامعة موسكو الحكومية، الاستشراق، رقم ٢، ٢٠٠٨، ص٤٧-٦٨.

(62) لقد أمدنى حفيده سامى كولداش في عام ٢٠٠٣ بهذه المعلومات، حيث إنه يعمل بمصلحة الجمارك المصرية، وقد ألحق ابنه الذي تخرج فى كلية التجارة بجامعة الإسكندرية بدروس اللغة الروسية بالمركز الروسي للعلوم والثقافة حتى يتعاون مستقبلاً مع الهيئات التجارية الروسية.

(63) ح.ألموشيف.حج- نعمة. كتاب عن الحج. مذكرات رحلة. نيجني نوفجورود. دار نشر "ماخينور"،٢٠٠٦، ص٣٩.

(64) وفقًا لمعطيات الأستاذ ف.م.أتساميا، فمنذ مطلع القرن التاسع عشر كانت توجد في المدن المصرية ٥٠ مدرسة، حيث كان الطلبة من جميع أنحاء العالم الإسلامى يتلقون التعليم العالى. بالإضافة إلى ذلك، كانت توجد كتاتيب (مدارس ابتدائية) في الكثير من مئات بل آلاف المساجد. أتساميا ف.م. الحياة الثقافية في القاهرة والإسلام في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر// ديانات بلدان آسيا وأفريقيا: التاريخ والحاضر. قراءات لومونوسفية. نصوص محاضرات. أبريل عام ٢٠٠١. معهد بلدان آسيا وأفريقيا بجامعة موسكو الحكومية، ص١٦٠،١٧٠. انظر كذلك: جاريانشكين ج.ف.روسيا بعيون المصريين. رحلة محمد طلعت

إلى بيتربورج في عامى ١٩٠٦- ١٩٠٧// الأرشيف الشرقى، موسكو، رقم ٢، ٢٠٠٩، ص٥٨- ٦٤.

(65) شهاب الدين مرجانى. رحلة المرجانى// حج المسلمين الروس. جمع مذكرات عن الحج. نيجنى نوفجورود، دار نشر "المدينة"، ٢٠٠٨، ص١٤

(66) الإحصاء العام لسكان مصر عام ١٨٩٧، الجزء الأول، ص١٠٦،١٠٤،٩٢ (باللغة العربية).

(67) بالمرجع نفسه، ص٧٠

(68) Le phare d'Alexandrie. 31. XI. 1895

(69) المرجع نفسه السابق، ٢٦-٠٧، ٢٩-٣٠-٠٧: ١، ٧، ١٤، ١٥، ١٧، ٢١، ٣٠ -٣- ٠٨: ١٠- ١٠- ١٩٠٦.

(70) لقد تناولنا هذا الموضوع لأول مرة منذ أكثر من ٢٠ سنة في النسخة العربية: جاياتشكين ج. "مصر والثورة الروسية"// "الجريدة السوفييتية"، القاهرة، ١٩٨٧، رقم ١ (باللغة العربية). وقد جذبت الصحافة المحلية انتباه السكندريين إلى موضوع الثورة الروسية الأولى. وفى عام ١٩٠٥ ظهر في مجلة سكندرية قسم خاص "الثورة في روسيا". وأيضا طبقًا لحساباتنا اعتبارًا من ١/٣ إلى ٥/٦ تمت تغطية أحداث الثورة في الإمبراطورية. كما أننا حسبنا أيضًا أنه فقط اعتبارًا من أغسطس إلى ديسمبر ١٩٠٦ تم نشر حوالى ٥٠٠ نبأ عن الثورة في روسيا على صفحات "المنارة السكندرية".

(71) جارياتشكين ج. مصر والثورة الروسية، ص٢

(72) Le Phare d'Alexandrie. 26-07-1906;18-01-1907

(73) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٤٩، المائدة التركية (جديد). جرد ٥٠٢ب، مستند ٥٣٤١، ص١٣٨.

(74) المركز الروسي لحفظ ودراسة وثائق التاريخ الحديث، ملف د.ب.أ.أ.، قائمة جرد ١٨٩٨، مستند ٥، الجزء ١٩، ورقة ٤٦.

(75) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، قائمة جرد ٤٨٢، مستند ٢٤٠٧، ١٩٠٢-١٩٠٣، أوراق ٨، ١٥.

(76) بالمرجع نفسه، وثيقة ٨٥٩، ١٩٠٧، ورقة ٤.

(77) بالمرجع نفسه، وثيقة ٢٤٠٧، أوراق ٣، ١٥-١٦.

(78) للتفاصيل يرجع إلى: ج.ف.جاريانشكين،"الطريق المصرى"، مواد إيسكرا في روسيا//نشرة جامعة موسكو الحكومية- الاستشراق، ١٩٨٧، رقم ١، ص٣-١١

(79) بالمرجع نفسه، ص١٠- ١١.

(80) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف "محفوظات"، قائمة جرد ٤٧٠، وثيقة ٣، أوراق ٤٤-٤٧.

(81) Le Phare d'Alexandrie, 22.23. 25. 27 ، انظر أيضًا: جاريانشكين ج.ف. الاسكندرية بين روسيا ومصر، ص١٧١-١٧٦.

(82) "لاريفورم"، ٢٣ يناير ١٩٠٧.

(83) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية.، ملف: الأرشيف السياسى، قائمة جرد ١٨٢، وثيقة ٨٥٩، ورقة ٣٧، ٣٨.

(84) الأرشيف التاريخي المركزي للدولة، ملف ٦٧٨، قائمة جرد ١، وثيقة ١٣٤٥، ١٩١٠- ١٩١٥، ورقة ١٢-١١

(85) أرشيف السياسة الخارجية الإمبراطورية الروسية، ملف ١٤٩، قائمة جرد ٥٠٢ ب، وثيقة ٥٣٤١، ورقة ٩٢.

(86) بالمرجع نفسه، ملف ١٥١، قائمة جرد ٤٨٢، وثيقة ٨٧٤، ورقة ٣٣.

(87) مصر بعيون الروس...، ص١٧٦- ١٨٦، ٣١٩- ٣٢٢.

(88) بالمرجع نفسه، ص١٨٨- ١٩٠، ٣٢٢.

(89) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ٣١٧، قائمة جرد ١١٨٢٠، وثيقة ٥٠٨، ورقة ٦.

الباب الثانى

(90) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٥١ "الممثلية الدبلوماسية والقنصلية العامة في مصر". قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١١٠ "بيان عن إجلاء مرضى وجرحى ضباط وجنود جيش دوبروفولسكى الأبيض من نوفوروسيسك إلى مصر. ١٩٢٠. ١٩٢٠" أوراق ٦-١٦.

(91) مخطوطات مذكرات أبى ديميترى كون "طفولة"، مكونة من جزئين: "روسيا" و"مصر"، قدمتها للمؤلف ت.د..روبرتس (كون)، جلاسجو، ١٩٦٩، ١٠ صفحات فقط.

(92) بولجاكوف بوريس فاسيليفيتش، ولد في عام ١٨٨٥، وتم دفنه في عام ١٩٥٧ تحت قبو الكنيسة الروسية بمعبد القديس جورج اليوناني في جنوب القاهرة، وهو أحد رؤساء العيادة الروسية بالقاهرة، والذى أصبح بعد ذلك مديرا للمتحف الطبي بجامعة القاهرة، وحتى الآن تحظى ذكراه بدفء كبير خاصة في مساهمته في تطوير الجامعة المصرية للعلوم الطبية بالقاهرة والإسكندرية.

(93) ولد القمص نديلكا سيميون تروفيموفيتش في عام ١٨٦٤، وتم دفنه في عام ١٩٣٩ بمقابر كنيسة مار جرجس، وهو كان قد جاء مع المستشفى وكان يرأس الكنيسة الملحقة بالمستشفى، وفى الوقت نفسه مسئولا عن جانبها الإدارى، وكان محاسبها وأمين صندوقها.

(94) جارياتشكين ج.ف، جريتسنكو ت.ج، فومين أ.إ، المهاجرون الروس في مصر وتونس (أعوام ١٩٢٠- ١٩٣٩)، موسكو، ٢٠٠٠، ص١-١٦، نشرة العيادة الروسية، رقم ١٥-١٦، ص١

(95) "لاريفورم"، ١٩٢٠/٣/٣٠

(96) المرجع نفسه، ١٩٢٠/٤/٢٣

(97) ألكسندر يابلونوفسكى، رسائل مهاجر// أفريقيا بعيون المهاجرين. الروس في القارة في النصف الأول من القرن العشرين، موسكو، ٢٠٠٢، ص١٢-١٣.

(98) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١٩٣، أوراق ١٣، ١٩-٢١، ٨١.

(99) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، الملف ١٥١، قائمة الجرد ٣/٨٢٠، وثيقة رقم ٧٠، ورقة ١٧.

(100) المرجع نفسه، وثيقة ١٩٤ "عن وضع اللاجئين الروس في مصر، قائمة اللاجئين الذين توفوا بالمستشفيات الروسية في مصر، ١٩٢٠، أوراق ١٢-٢٤. انظر بتفاصيل أكثر: ف.ف.بلياكوف. الجبانة الروسية في مصر، موسكو، ٢٠٠١، ص٣-٥٥.

(101) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ٣١٧، قائمة الجرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١٩٤، أوراق ١٢-٢٤.

(102) أ. ج.ف.جارياتشكين، ت.ج.جريتسينكو، أ.إ.فومين، المرجع السابق ذكره، ص١٧- ١٨.

(103) أز يابلونوفسكى، المرجع السابق ذكره، ص٩- ١٠.

(104) هنا، وفيما بعد، تقدم المعلومات عن معسكر التل الكبير من كتاب: ج.ف.جارياتشكين، ت.ج.جريتسينكو، أ.إ.فومين. المرجع السابق ذكره.

(105) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١٩٣، أوراق ٢٠٣-٢٠٤.

(106) جارياتشكين، جريتسنكو، فومين، المرجع السابق ذكره، ص١٨، الوقائع التالية هى أيضًا مأخوذة من هذا الكتاب.

(107) فوروبيوف نيقولاى نيقولايفيتش (لقب عائلته الحقيقي هو بوجايفسكى)، ولد في أسرة قوقازية بمدينة سانت- بيتربرج في عام ١٩٠٨، وتوفى في عام ١٩٠٨ بكاليفورنيا، كان ضمن فيلق الطلاب الحربيين، أديب، رسام، طبقة صوته باريتون رائع، موسيقى، هو أحد ممثلى الشعر القوقازى المرموقين، عمله الرئيسى هو: "كوندراتى بولافين"، مونتيرى، ١٩٦٥، أصبح بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية مدرسًا للغة الروسية بالمعهد الحربى للغات الأجنبية بوزارة دفاع الولايات المتحدة الأمريكية بمدينة مونتيرى بكاليفورنيا، عضو شرف باتحاد المعوقين الروس بالخارج. كون في عام ١٩٥٠ فريق كورال من ١٢٠ طالبًا أمريكيًا سحر كل الساحل الغربى للولايات المتحدة الأمريكية، وكان فريق الكورال ينشد فقط الأغنيات الشعبية والترانيم الدينية الروسية.

(108) "المقطم" ١٩١٧/١١/٩ (باللغة العربية)

(109)المرجع نفسه، ١٩١٧/١١/١٩

(110)المرجع نفسه ، ١٩١٧/١١/٢٢

(111) "La Reforme". Alexandrie- Novembre- Decembre

(112) "لاريفورم" ١٩٢٠/٣/٦

(113) "ف.ب.ريربيرت. ذكريات. أرشيف مكتبة- صندوق "الروس في الخارج"، ملف ١، وثيقة م-٨٦، ورقة ١٥٠٩.

(114) المرجع نفسه.

(115) "في الغربة"، رقم ٥، ١٩٢١.

(116) بقى على أرض التل الكبير ٣٩ روسيًا غالبيتهم في سن من ٢٠ إلى ٤٠، وقد مات ثلثهم بسبب مرض التيفوس. "فى الغربة"، رقم ٥، نوفمبر، ١٩٢١، ص٣٤.

(117) جارياتشكين، جريتسنكو، فومين، المرجع السابق ذكره، ص١٩- ٢٠.

(118) أ.إ.دنيكين، مقالات عن الاضطرابات الروسية، موسكو، ١٩٩١، ص٢٧، ٣٠.

(119) يوجد هذا المقال الصغير في عدة صفحات للمهاجر الروسي الذي عاش في الإسكندرية كمرفق في كتاب ف.ف.بلياكوف "إلى شاطئى النيل المقدس"، موسكو، ٢٠٠، ص٢٤٤-٢٥٠.

ترجمة من الفرنسية: Flamboriani. Les Russes sur la Terre Egyptienne. Apercu Historique.2me Edition.Alexandrie. 1916

(120) من ذكريات طفولة دميترى كون.

(121) لم يبق منه الآن أى أثر، فقد احتلت مكانه مبان حضرية حديثة.

(122) "فى الغربة"، يناير ١٩٢٢، وقد قدمت روبرتس (كون) أيضًا نسخة من هذا العدد للمؤلف.

(123) جارياتشكين، جريشنكو، فومين، المرجع السابق ذكره، ص٢٠-٢١.

(124) نشرة العيادة الروسية، رقم ١٥-١٦، ص٩

(125) انظر للتفاصيل: جارياتشكين ج.ف. العيادة الروسية بالقاهرة.// آسيا وأفريقيا اليوم. رقم ١١، ١٩٩٨.

(126) نشرة العيادة الروسية، رقم ١٥-١٦، ص٣.

(127) المرجع نفسه، ص٥.

(128) ولد يورا مازاراكى في أكتوبر عام ١٩٠٧ بمدينة بيتربورج. وفى عام ١٩١٦ انضم إلى فيلق المتدربين العسكريين الثانى، وبعد الثورة وصل إلى مصر، حيث أتم دراسته الثانوية. بعد أن حصل على منحة دراسية بجامعة لوجسكى، أتم دراسته بها بنجاح في عام ١٩٣٢ وعمل مهندسا ببروكسل، بعد الحرب العالمية الثانية انتقل إلى مونتريال، وقد لاحظ أصدقاؤه "أن كلا من أدبه وخفة دمه وقيثارته قد ساعد على خلق جو سار ودى."

Htth://www.xx13.ru:80/kadeti/kp14_htm، العواصف المغناطيسية لوطننا، المسألة البيضاء، من مجلة "جمع المتدربين العسكريين"، رقم ١٤-١٩، ١٩٧٦-١٩٧٩.

(129) مرجع عن: ف.ف.بلياكوف، "إلى ضفتى النيل المقدس..."، ص١٥٥.

(130) فلامبوريانى، ص٢٤٩.

(131) "لاريفورم"، ٢٢/١٠/١٩٢١

(132) "لاريفورم"، ١٩٢١/١٠/٢٢

(133) فلامبوريانى، ص٢٤٦

(134) المرجع نفسه، ص٢٤٥

(135) "لاريفورم"، ١٩٢١/١/١٨.

(136) "فى الغربة"، رقم ٥، ١٩٢١، ص٣٨.

(137) فلامبوريانى، ص١٣.

(138) أرسلت لنا تاتيانا روبرتس (كون) أيضا هذا العدد.

(139) "فى الغربة"، رقم ٥، نوفمبر عام ١٩٢١، ص٣٥-٣٦.

(140) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف رقم ٣١٧، قائمة جرد ٣١٨٢٠، وثيقة ١٩٦، ورقة ٨٧.

(141) "فى الغربة"، رقم ٥، ١٩٢١، ص٣٥.

(142) "فى الغربة"، رقم ٥، نوفمبر، ١٩٢١، ص٣٦.

(143) المرجع نفسه السابق.

(144) المرجع نفسه السابق، ص١٦.

(145) المرجع نفسه السابق، ص٤٠.

(146) المرجع نفسه، ص٣٨.

(147) "فى الغربة" رقم ٥، ١٩٢١، ص٤٠.

(148) انظر ج.ف. جورياتشكين، ت.ج.جريتسنكو، أ.إ.فومين، المرجع السابق ذكره.

(149) فلامبوريانى، ص٢٤٧.

(150) "فى الغربة"، رقم ٥، ص٤١.

(151) المرجع نفسه.

(152) "لاريفورم" ١٩٢١/١٠/٩.

(153) "لاريفورم" ١٩٢١/٦/٢.

(154) المرجع نفسه، ١٩٢١/٩/٩.

(155) فلامبوريانى، ص٢٤٧.

(156) المرجع نفسه.

(157) "لاريفورم"، ١٩٢١/٦/٢٩.

(158) المرجع نفسه، ٢٠.VII. ١٩٢١.

(159) المرجع نفسه، ١٩٢١/٨/٣٠.

(160) فلامبوريانى، ص٢٤٧.

(161) "لاريفورم"،١٩٢١/٩/٣.

(162) المرجع نفسه، ١٩٢١/٩/٧.

(163) المرجع نفسه ، ١٢١٩٢١/١٤.

(164) بالمرجع نفسه، ١٩٢١,١٢,١٤.

(165) كان يطلق اسم "...الأمم" على عصبة الأمم بمعسكرات اللاجنين، انظر ريربيرج ف.ب. ذكريات. أرشيف مكتبة- صندوق "الروس في الخارج". ملف رقم ١، مستند رقم م-٨٦، ورقة ١٥٢٦.

(166) "لاريفورم"، ١٩٢١/٦/٣٠.

(167) المرجع نفسه ، ١٩٢١/٧/٢٣.

(168) انظر على سبيل المثال: "لاريفورم"، خلال شهري مايو ويونيه ١٩٢١.

(169)المرجع نفسه المذكور سابقا ١٩٢١/٩/١.

(170) اقتباس من "لاريفورم"، ١٩٢١/٩/١٤.

(171) اقتباس من نفس المصدر، ١٩٢١/٩/١٤.

(172) المرجع نفسه ،١٩٢١/٩/١٠.

(173)المرجع نفسه ، ١٩٢١/٩/٢١، مصير اللاجئين الروس الذين كانوا على هذه السفينة بعد ذلك غير معروف.

(174) "لاريفورم"، ١٩٢١/٩/٢٧.

(175) "فى الغربة"، رقم ٥، ١٩٢١، ص٢٦.

(176) نتيجة للعديد من الشكاوى بخصوص الوضع السيئ للاجئين الروس بمصر، وبطلب من الهيئات الدولية قامت القنصلية اليولندية بمراجعة وضع معسكراتهم في منتصف عام ١٩٢٠، وبينت حالتها المرضية تماما. ووفقا للجريدة المشار إليها أعلاه "لاريفورم": "لقد تم عمل كل ما هو ممكن بخصوص موضوع التحسين، أى وسائل الراحة، فقد تم إسكان جزء من السكان

في ثكنات خشبية، وهى ميزة لا يحصل عليها أبدا كل العسكريين (ج.ج.: البريطانيين) بمصر"، المرجع نفسه، ص٣٥.

(177) المرجع نفسه، ص١٦، مصير هذا الجزء من اللاجئين الروس بعد ذلك غير معروف.

(178) "لاريفورم"، ١٩٢١/١١/٣

(179) ريربيرت ف. ب. ذكريات. أرشيف مكتبة- صندوق "الروس في المنفى"، ملف رقم ١، وثيقة م-٨٦، ورقة ١٥٢٤.

(180) المرجع نفسه، ورقة ١٥٢٦.

(181) المرجع نفسه، ورقتا ١٥٢٦-١٥٢٧.

(182) د.كون، ذكريات، ص٥.

(183) اقتباس من: ي. ف. لوكونين، "بجواز سفر نانسن" على ضفاف النيل/ الشتات الروسى بأفريقيا، موسكو، ٢٠٠١، ص٣٢-٣٣.

(184) المصدر نفسه، ١٩٢٠/٤/١٣.

(185) في عام ١٩١٦، التحق نيقولاى ميخايلوفيتش سيريكوف بمدرسة الطيران في شبه جزيرة القرم، وفقًا لقول ابنته تاتيانا نيقولايفنا مونتى (سيريكوفا)، التي تعيش حاليًا بالإسكندرية: وقد تم إرساله بعد تخرجه إلى الجبهة الجاليكية حيث تمت مكافأته، لشجاعته وإقدامه، بمنحه وسامى صليب جيورجى، كتب عن ذلك بلياكوف ف.ف. مراسل جريدة "كومسومولسكايا برافدا" وجريدة "ترود" بالقاهرة في الفترة من عام ١٩٨٦ إلى عام ٢٠٠٠ تحت عنوان "وحدها في كل الإسكندرية" بجريدة "ترود" في ٢٠٠٠,٠٩,١ .

(186) كون د. ذكريات، ص٥.

(187) توجد لدينا إمكانية عن تكاليف المعيشة بالإسكندرية (١٩١٤=١٠٠).

السنة	١٩١٨	١٩١٩	١٩٢٠
القمح (المحلى)	٢٩٠	٢٢٦	-
السكر	٢٥٥	٣٩٨	٣١٩
دبس السكر	١٥٨	١٥٨	٢٣٩
البصل	١٠٥	٩٤	٢٨٨
الزيت النباتى	١٧٧	٣١٢	٣٣٦

البيض	١٤٧	٢٢٨	٢٦١
الزبد	١٩٢	٢٠٠	٣٧٦
الصابون	٢٢٧	٦٣٠	٣٩٦
الكيروسين	٢١٨	٢٢٧	٢٨٢

(188) جونتشاريف. فرقة الدون للمتدربين العسكريين بمصر، ص٢٢.

(189) "لاريفورم" ٢-٣/٧/١٩٢٢

(190) صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، أوراق ١٦-١٩ كلا الأنستانستانيتين توفيتا في مصر وتم دفنهما بمقابر الشاطبى بالإسكندرية.

(191) إيجيرت فاسيلى بيتروفيتش ولد في عام ١٨٥٣، كان المستشار الفعلى السرى، في عام ١٨٧٣ أتم دراسته بالمدرسة الإمبراطورية للحقوق بمدينة سانت- بيطرسبورج، محلف مدعٍ بدائرة بطرسبورج، وقد عمل مستشارًا قانونيًا بالقاهرة والإسكندرية.

(192) صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١١٩، ورقتا ٢- ٣، هناك أيضًا، وثيقة ١٩٤، ورقتا ٩٠- ٩١.

(193) عن حياة الجولينيشفيين- الكوتوزفيين بمصر، يرجع للتفاصيل: فلاديمير بيلياكوف. مأوى أفريقيا لطائر النار، موسكو، ٢٠٠٠، ص ١٣٨- ١٤٧.

(194) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١٩١، ورقتا ١-٢.

(195) المرجع نفسه، وثيقة ٢١٥، ورقة ٧.

(196) تم تشكيلها بمساعدة الإخوة المتدخلين س.د. ون.د.ميركولوف، ودامت فقط للفترة ١٩٢١-١٩٢٢.

(197) بايكوف ن.أ. حول العالم. خاربين، ١٩٣٧، ص١٤٥// اقتباس: لوكونين، المرجع السابق ذكره ص٣٣.

(198) افترض ي.ف. الذى سبقت الإشارة إليه أن هذا الرقم يمثل ١٥ ألف شخص، لوكونين، المرجع السابق ذكره ص٢٧.

(199) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٧، ورقة ٩، الكثير منهم ببساطة غير مسجلين. رازوموفسكى س.ب. نفسه كتب في عام ١٩٢٧ في خطاب للموظف السابق بالقنصلية الروسية بالإسكندرية أوموف إ.ب "... أنا أعرف كثيرا جدًا من الروس الذين سجلوا أسماءهم فقط عندما كانت هناك ضرورة للقيام بمختلف الإجراءات الرسمية الخاصة بالسفر إلى الخارج والحصول على جواز سفر (أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٢٤٢، وثيقة ٢٤٢، أوراق ٣٠-٣٠.

(200) لوكونين. المرجع الذى سبق ذكره، ص٣٦.

(201) المرجع نفسه، وثيقة ٢٠١، ورقة ١٧.

(202) لتفصيلات أخرى انظر: فريدمان ل.أ.

(203) التعداد العام للسكان، الجزء ٢، جداول عامة، القاهرة ١٩٥٣، ص٥٦-٥٨ (باللغة العربية).

(204) "فى الغربة"، ينير ١٩٢٢.

(205) المرجع نفسه.

(206) كانت البنية العامة للممثلية الدبلوماسية لروسيا بمصر تبدو كما يلى: كان يرأس الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة شخص واحد، وكانت موجودة بالقاهرة بشارع عماد الدين رقم ١٦، أما القنصلية بالنيابة فكانت تقع بشارع المغربى رقم ٢، وبالإسكندرية كانت القنصلية بشارع رشيد رقم ٦٨، وفى بورسعيد كان يوجد قنصل، وفى كل من السويس ودمياط نائب قنصل، ورئيس قنصلية بالنيابة في كل من المنصورة والإسماعيلية، وفى الزقازيق وبنى سويف والمنيا كان يوجد رئيس وكالة قنصلية، وفى كل من طنطا والفيوم وأسيوط وجرجا وقنا وقسنا والأقصر وسوهاج وكيل قنصلى، كان الممثلون القنصليون بكل من القاهرة والإسكندرية من الروس، بينما كان يمثل مصالح روسيا في البلاد الأخرى، بصفة عامة، أورثوذكسيون من اليونانيين والسوريين بل أقباط مصريين.

(207) أرشيف العلاقات الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٩، ورقة ٢.

(208) المرجع نفسه، الورقة ٣

(209) كانت الشهادات التي تمنح للتجار الأوروبيين حقوقا وامتيازات خاصة في الدولة العثمانية تسمى "الاستسلام"، وفي البداية، كان يمكن للسلطان التركي في أي وقت حرمان الأوروبيين منها، ولكن منذ القرن السادس عشر بعد الاستسلام كانت بناء على المعاهدات الثنائية، وفي القـــرن الثـــامن عشر، بدأ الأوروبيون في النظر إلى "حقوق الامتياز" امتيازات لا شك فيها ولا تخضع للإلغاء.

Listen
Read phonetically
Dictionary

(210) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٩، الورقتان ١-٢.

(211) هنا، وفيما بعد، تقدم المادة طبقًا لجارياتشكين، جريتسنكو، فومين، مرجع سبق ذكره.

(212) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠١، ١٩٢٣، الورقتان ٢-٣، انظر الملحق رقم ٢.

(213) المرجع نفسه.

(214) المرجع نفسه، ورقة ٤.

(215) المرجع نفسه.

(216) المرجع نفسه، ورقة ٣.

(217) أ. أ. سميرنوف يقصد حقيقة أنه لم يتسلم أى إخطار كتابى عن وقف نشاط وتمويل الهيئة التي يرأسها، وبالإضافة إلى ذلك فلم يتم إرسال دعوة له لاحتفال ٩ أكتوبر بمناسبة تنصيب ملك مصر على العرش، وحتى لحفل الاستقبال بالقصر، على الرغم من أنه على مدى ١٥ عامًا كان عميدًا للسلك الدبلوماسى، انظر الملحق رقم ١.

(218) أرشيف السياسة الخرجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، ورقة ٦.

(219) المرجع نفسه.

(220) المرجع نفسه، وثيقة رقم ٢٠٠، ١٩٢٣، وضع الروس في مصر، ورقة ٦٧.

(221) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١٦١ "طلب كريمنتشوجسكى فلاديميروف الإذن له بالانتقال إلى جنسية أجنبية"، ١٩٢٣. الورقتان ١-٢.

(222) فيما بعد تقدم مادة طبقًا لجريدة "في المنفى" (يناير ١٩٢٢، الإسكندرية) والتى نشر محتواها ب.ب.بلياكوف في "الأرشيف الشرقى"، رقم ٣، ٢٠٠٥، ص٨٦-٩٧.

(223) المرجع نفسه، ص٩٠.

(224) المرجع نفسه.

(225) ريربيرج ف.ب. ذكريات. أرشيف مكتبة- صندوق "الروس في الخارج"، صندوق ١، مستند م-٨٦، ورقة ١٥١٧.

(226) المرجع نفسه، ورقة ١٥١٨.

(227) "في الغربة"، رقم ٥، نوفمبر ١٩٢١، ص٤٣.

(228) رفعت السعيد، تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر في الفترة ١٩٠٠-١٩٢٥، القاهرة، ١٩٨١، ص١٨٥-١٨٧.

(229) جيرس ميخائيل نيقولايفيتش (١٨٥٦- ١٩٣٢)- دبلوماسى روسى عمل بوزارة الخارجية منذ عام ١٨٧٨، وكان مبعوثًا في البرازيل والصين وبافاريا ورومانيا، وسفيرًا بالقسطنطينية (١٩١١- ١٩١٤) وفى روما منذ عام ١٩١٥، وبعد ثورة أكتوبر وحيث إنه كان أقدم السفراء الذين وجدوا بالخارج فقد دخل في تشكيل الاجتماع السياسى بباريس في عامى ١٩١٩-١٩٢٠، ورأس مجلس السفراء.

(230) انظر الملحق ٢.

(231) المرجع نفسه.

(232) أرشيف السياسة الخارجية لإمبراطورية روسيا، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٠، ورقة ١٢.

(233) انظر الملحق ٢.

(234) المرجع نفسه.

(235) المرجع نفسه.

(236) بخصوص إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفييتى. وثائق// الحياة الدولية، ١٩٦٤، رقم ٦.

(237) المرجع نفسه.

(238) المركزالروسى لحفظ ودراسة وثائق التاريخ الحديث (الأرشيف المركزى للحزب سابقًا)، صندوق ٥٣٩، قائمة جرد ٢، وثيقة ٦٢٩، ورقة ١٨. انظر كذلك: رفعت السعيد، تاريخ حركة الشيوعية المصرية من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٤٠، القاهرة، الجزء ١، الطبعة ٣، ١٩٨٧، ص٢٩٧-٣٠٤.

(239) في أثناء محاكمة الحزب الشيوعى المصرى ونشطاء جامعة إ.ف.ستالين الشيوعية لعمال الشرق.

(240) "لاريفورم"، ١٩٢٥/٦/١٩، يبدو أنه كانت تتم المراقبة المستمرة في الموانئ المصرية لركاب السفينة تشيتشيرين، نظرًا إلى أن هذه السفينة كانت تحمل اسم المفوضية الشعبية للشئون الخارجية: "تعلمنا ووفقًا لمعلوماتنا بتاريخ ١٠ يناير، أن السفينة تشيتشيرين قد تم شحنها بالقطن على الرصيف رقم ١٥ لكى تتوجه إلى أوديسا، وغادرت يوم السبت الماضي الميناء في الساعة ٤:٣٠ بعد الظهر طبقًا لموعدها المعتاد ١٩٢٨/١/١٤".

(241) "لاريفورم"، ١٩٢٥/٧/٢٠

(242) المرجع نفسه.

(243) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى، موسكو، الجزء ٨، ص٤٧٨.

(244) لقد تعرفت على اسمه لأول مرة منذ ربع قرن من وثائق أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، وقد لفتت المواد التي وجدتها هنا، عن المهاجرين الروس، النظر إلى هذه الشخصية النشيطة للغاية والتراجيدية بالمجتمع الروسى خارج الحدود وفى الثقافة الروسية، وفى ذلك الوقت، عرفت من الصورة الأرشيفية لوصية أ.أ.سميرنوف أن القنصل العام الروسى توفى وتم دفنه بالمقابر الأرثوذكسية بالقاهرة في فبراير عام ١٩٢٤.

لقد حاولت عدة مرات العثور على مقبرة الدبلوماسى الروسى السابق، وفقط في يوم ٤ يناير عام ١٩٩٩، وبعد ٧٥ سنة من وفاة ألكسى سميرنوف، تمكنت من العثور عليها، كان مثواه الأخير يقع بالقرب من جبانة اليونانيين المصريين الأثرياء بالمقابر المسيحية بجنوب القاهرة بكنيسة مار جرجس، هنا أيضًا توجد مقابر روس الموجة الأولى من الهجرة لأعوام ١٩٢٠-١٩٦٠، وقد تم بناء كنيسة روسية بها فى أوائل التسعينيات من القرن الماضى، كرست لقداسة البطريرك ألكسى الثانى.

اقتربت في أحد الممرات الصغيرة بالمقابر من لوحة صغيرة، وكان يرقد صليب حجرى قد سقط في وسطها، توقعت أن أرى، كما في غالبية بقية المقابر اليونانية، مرة أخرى اسما يونانيًا، ولكنى اصطدمت فجأة بكلمة "توف"، وأحسست ببعض التوتر، مسحت بيدى الطين الجاف كان يوجد تحته تاريخ مألوف لى "عام ١٩٨٧". أخذ قلبى يدق بصورة أشد، أزلت التراب من على الجانب الآخر للصليب فرأيت اسم "ألكسى" وتحته "ولد" ثم "توفى" (المترجم: كل تلك الكلمات باللغة الروسية)، ناديت بصوت مرتجف زميلى الموجود هنا، ثم قمنا برفع الصليب فرأينا عليه نقوش:

ألكسى سميرنوف

ولد في ١٤ سبتمبر عام ١٨٥٧.

توفى في ٥ فبراير عام ١٩٢٤.

(245) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق شئون الأفراد والأعمال. قائمة جرد ٤٦٤ "قوائم صيغية"، ١٨٨١- ١٩١٦، وثيقة ٣٠٥٤، ورقتا ١-٢، انظر أيضًا: ج.جارياتشكين، آخر قنصل عام قيصرى بمصر// آسيا وأفريقيا اليوم. موسكو، ٢٠٠١، رقم ٥ جارياتشكين ج.ف.، خولوف ن.م.، القنصل الروسى سميرنوف أ.أ. (بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على الدبلوماسية الروسية)// المجلة الدبلوماسية، موسكو، ٢٠٠٢، رقم ١٢. ج. جارياتشكين، "... بقيت رفاتى إلى الأبد بالإسكندرية"// رودينا، موسكو، ٢٠٠٨، رقم ١. ج. جارياتشكين "كاميرهير القصر الإمبراطورى// الأخوة العسكرية. موسكو، ٢٠٠٩، رقم ١. المرجع نفسه: آخر قنصل عام قيصرى بمصر// صفحات حوار الحضارات الروسى المصرى، الجزء ١، الإسكندرية، ٢٠٠٣ (باللغة العربية).

(246) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ١٥١. الأرشيف السياسى، قائمة جرد ٤٨٢، وثيقة ٢٤١٠ "موضوع إعادة النظر في اتفاقية القسطنطينية الخاصة بتحييد قناة السويس، ١٩٠٤-١٩٠٩، الأوراق ٥-١٩.

(247) المرجع نفسه، في ٣١٧، الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة بمصر، قائمة جرد ٨٢٠/١، وثيقة ١٥٣، ١٩٠٦، ورقة ١٣، ومستند ٤٩٩، ١٩٠٤-١٩٠٥ "مرور القافلة عبر قناة السويس"، وثيقة ٥٠٥، ١٩٠٥ "عودة الروس من بورت- أرتوج، والأسرى من اليابان ومن الشرق الأقصى".

(248) عن ذلك وعن النشاط الأدبي والسياسي انظر ج.ف.جارياتشكين: لم يكن فقط دبلوماسيًا. بمناسبة العيد ١٥٠ من ميلاد أ.أ.سميرنوف// الأرشيف الشرقي، موسكو ٢٠٠٨، رقم ١٧، ص٥٤-٦٥.

(249) مصر بعيون الروس... ص٤٨. في حرب القرم، شارك ٥٠ ألف جندي مصري في جانب الباب العالي، وقد حاربوا في منطقة يوباتوريا وسيفاستوبول وفي الجبهة القوقازية، وفي حرب ١٨٧٧-١٩٧٨ شارك ضمن القوات العثمانية، ضد الجيش الروسي، نحو ٢٠ ألف فرد، طوسون عمر، الجيش المصري في الحرب الروسية، المعروفة باسم حرب شبه جزيرة القرم. ١٨٥٣- ١٨٥٦، القاهرة، ص٢٤٥ (باللغة العربية)، الأرشيف الحربي- التاريخي الروسي الرسمي. موسكو، صندوق ٤٨٥، قائمة جرد ١، وثيقة ٧٥٣، ص٥٧.

(250) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ١٥١، قائمة جرد ٤٨٢، وثيقة ٦٤، ورقة رقم ٢٦.

(251) تمت زيارة سانت بيترسبورج في عام ١٨٨٨، ثم جاء عباس حلمي الثاني سرًا إلى روسيا في عام ١٩٠٠، أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ١٥١، قائمة جرد ٤٨٢، وثيقة ٨٤٣، ورقتا ١٨٨-١٨٨ مكرر.

(252) المرجع نفسه، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٨٢٠/١، ورقتا ٢٣- ٢٣ مكرر.

(253) انظر أرشيف السياسة الخارجية، صندوق الأرشيف السياسي، وثيقة ٨٥٩، ١٩٠٧، الأوراق ٤-٤٨.

(254) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٨٢٠/٣، وثيقة ٧١، ورقة ١٠.

(255) المرجع نفسه، ورقة ٨.

(256) الأرشيف الرسمي الروسي، صندوق ٦٧٨، قائمة جرد ١ـ وثيقة ١٣٤٥، ورقتا ١٩-٢٠.

(257) انظر على سبيل المثال: أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٨٢٠/٣، وثيقة ٢٠٥ أوراق ١- ٦ "قائمة المواطنين الروس المقيمين بمصر، وهنا أيضًا: وثيقة ٢٠٦، أوراق ١- ٨.

(258) في المرجع نفسه، وثيقة ٥٣، ورقة ٢. وبالمناسبة، نلاحظ أنه مع عودة اليهود إلى فلسطين عند نهاية الحرب، لم تنته مشكلات المبعوث معها، كان سبب ذلك هو أن السطات المركزية

للهجرة بباريس كلفته، بصفته رئيسًا للهيئة الدبلوماسية الروسية الوحيدة بالشرق الأوسط، بأن يكون مسئولاً عن موضوعات الخزانة والملكية العامة، وكذلك عن أحوال الروس بفلسطين، وقد أفاد أ.أ.سميرفوف بخصوص ذلك في برقيته رقم ٨١ إلى السفارة الروسية بباريس بتاريخ ٢٦ مارس ١٩١٩ بما يلى: "إن البيانات التي أقدمها لكم ليست دقيقة ولا كاملة، وأنا أتوقع الحصول على المعلومات التي طلبتها بعد بعض الوقت، وسوف أنقلها فورًا إلى السفارة من أجل إرسالها إلى المختص، ولكن أيضًا المعلومات التي أنتظرها لا يمكن أن تكون كاملة الصورة.

وللحصول على معلومات كاملة عن أراضينا ومبانينا بفلسطين وسوريا، سيكون من الضرورى إرسال أحد موظفينا الرسميين إلى هناك مع مرافقين: شخص من البعثة الدينية وشخص من الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية، ولكن مثل هذه المهمة تتطلب مصاريف ليست في قدرة الوكالة الدبلوماسية، ونظرًا لوضع قلة مواردنا المالية، فإنه لا يمكن التفكير فيها ولا تنفيذها في الوقت الحالى، أما كل الوسائل الأخرى لجمع المعلومات فهى فقط تمس الموضوع ولكنها لا تحله.

فيما بعد، يعرض أ.أ.سميرنوف ممتلكات البعثة الدينية والجمعية الفلسطينية الأرثوذكسية بفلسطين ومقدار الضرر الذى لحق بها نتيجة للحملة الحربية أثناء الحرب، مشيرًا إلى أنه تم الاستيلاء على معظم المبانى لتلبية احتياجات الجيش الإنجليزى، وكذلك يفيد بأن الكثير من الحجاج يطالبون بترحيلهم إلى روسيا.

يفيد سميرنوف في رسالته التالية بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩١٩: "قدم لى المشرف على الممتلكات الفلسطينية الذى تم تعيينه حديثًا، والذى جاء إلى هنا من القدس سيليزنيف عن الوضع السيئ لأعمال الجمعية، حيث يجب عمل إصلاحات للمبانى قبل أمطار الخريف، وتوفير وسائل لجمع المياه، وحماية المزروعات، وتعيين حراس، وتوفير الحقوق القانونية لدينا للأراضى المتنازع عليها. وبدون مساعدة عاجلة مقدارها ١٠٠٠ جنيه مصرى سوف نخسر ممتلكات عظيمة القيمة، يعانى العاملون بالجمعية من فقر شديد. صندوق: Ambassade de Russie. Paris. Archives secretes. d.73 // Hoover Institution on war, revolution and piece. Stanford. California. USA

المبعوث سميرنوف .

(259) الأرشيف الرسمي التاريخي الروسي، صندوق ٦٧٨، وثيقة ١٣٤٥، الورقتان ١٢-١٢ مكرر.

(260) في المرجع نفسه، ورقتا ١٦- ١٧. خطاب بتاريخ ٣٠ أبريل عام ١٩١٤.

(261) في المرجع نفسه، الورقتان ١١- ١١ مكرر، يمكن توضيح موقف أ.أ.سميرنوف إلى حد كبير بكلمات سازونوف نفسه: "بعض الدوائر البطربورجية المقربة إلى حد كبير إلى القصر وكذلك كل صحافة المعسكر الوطني، تظهر منذ زمن بعيد عداء لوزير الخارجية، فقد أقاموا حملة ضارية مناهضة لسياسة روسيا الخارجية عبرت عن نفسها عبر المظاهرات في الشوارع والاجتماعات التي ألقيت فيها خطب صاخبة مطالبة بالحرب وحماية المصالح السلافانية، وعبر عدد كبير من المقالات الصحفية التي تتهم الدبلوماسية الروسية بتهم تكاد تصل إلى الخيانة العظمى. لقد أثارت الانتقاضات الخاصة لملك الجبل الأسود نيقولاى مدينة سكوتارى والمنطقة المتاخمة لها..."، س. د. سازونوف. ذكريات. باريس. ١٩٢٧، ص٨٧ وما بعدها.

(262) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٧٩ "عن وصية سميرنوف"، ١٩١٦، أوراق ٢٣٦ – ٢٣٧ مكرر.

(263) في المرجع نفسه، صندوق ١٥١، قائمة جرد ٤٨٢، وثيقة ٨٧٦، ١٩١٥- ١٩١٧، الورقتان ٣٢٦- ٣٢٧.

(264) في المرجع نفسه، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣٤/٨٢٠، وثيقة ٢٠٩، ورقة ١.

(265) لمعرفة المزيد عن ذلك، انظر: ج.ف.جاريانتشكين. لم يكن فقط دبلوماسيًا. في الذكرى ١٥٠ لميلاد أ.أ. سميرنوف// الأرشيف الشرقي، ٢٠٠٨، رقم ١٧، ص٥٤- ٦٥.

اختار أحد أركان الشعر الروسي "فيودور تيوتشيف"- الشاعر المفضل لليو تولستوى- طريق السلك الدبلوماسي لمسيرته في الحياة، وقد ولد في عام ١٨٠٣ بوسط روسيا في مقاطعة بريانسكى بمحافظة أورلوفسكايا، والتحق في عام ١٨١٩ بجامعة موسكو بقسم علم الألفاظ. في ظل رغبة الشباب في معرفة العالم وكل جوانب الحياة، لجأ مع أصدقائه بالجامعة لدراسة الأدب والتاريخ والفلسفة، وعلى أساس مجادلتهم ومناقشاتهم عن الألفاظ الفرنسية والألمانية وغيرها وعن مكانتها بين الثقافة الروسية العالمية ظهر لدى الشاب، في رأينا، اهتمام بالدبلوماسي. أتم الدراسة الجامعية في عامين فقط وتم إلحاقه في ربيع عام ١٨٢٢ بالعمل في

مجلس الدولة للشئون الخارجية، ثم سرعان ما تم إرساله إلى البعثة الدبلوماسية في ميونخ، ثم كانت سويسرا وبعد ذلك تورينو. لم يحقق نجاحا كبيرا في مسيرته بالسلك الدبلوماسي حيث إنه كان معارضا لحق السخرة التي كانت سائدة في ذلك الوقت في روسيا، وكان مؤيدا للملكية النيابية الدستورية، ولكنه أصبح شاعرا غنائيا شهيرا. ظهر ذلك بالفعل في بافاريا حيث أطلق دار الدبلوماسي على تيوتشوف "واحة رائعة" للثقافة. كلمات ف.إ.تيوتشوف "لا يمكن فهم روسيا بالعقل"، "لا يوجد معيار عام للقياس"، "عندها تصبح خاصة"، "يمكن فقط الإيمان بروسيا". ف. إ. تيوتشوف. قصائد شعرية. خطابات. ذكريات، موسكو، ١٩٨٨، ص١٢٩ .

بالمناسبة، يمكن القول إن المركز الثقافي الروسي بالإسكندرية قد اهتم كثيرا بهذا الشاعر الروسي العظيم، ففي ديسمبر ٢٠٠٣ تم هناك تنظيم أمسية احتفالية أدبية- موسيقية أعدها طلبة برامج دراسة اللغة الروسية. كانت هذه الأمسية بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على مولد ف.إ.تيوتشوف، وقد قرأت فيها المشرفة على البرامج لاريسا عمر تقريرا عن حياة وإبداع فيدور تيوتشوف. وقد ألقى الطلاب مارى مازلوميان وأسماء فيصل وماجد عبد الرحمن ونادية طارق وعادل حمدى أشعار الشاعر، التي قام المشاركون بترجمة البعض منها بأنفسهم، وقد ألقت الشاعرة مواطنتنا أولجا السيد بعض أشعار "Silentium " (المترجم: اصمت) و"لا تقولي إنه يحبني كما في الماضي"، كما قرأ الأستاذ بجامعة الإسكندرية محسن آدم قصيدة "أرسل لنا يا ربي..." و"الحب الأخير" المكرسة لوحي تيوتشيف، كما تم عرض عدة رقصات على موسيقى سفيريلوف التي تمت كتابتها لأشعار تيوتشوف. كان ذلك أحد أفضل الأمسيات الموسيقية والأدبية للمركز الروسي للعلوم والثقافة وعيد حقيقي للشعر. كما أقيم معرض في الردهة.

(266) الأرشيف الرسمي الروسي للأدب والفن، صندوق ٢٦٩٢، قائمة جرد ١، وثيقة ٩١، "قصائد للعدمية فيروتشكا شيرفود من العدمي أليوشا سميرنوف. ١٨٨٠. "انظر كذلك: صندوق ٦٤٠. قائمة جرد ١، ورقة ٢٨٣.

(267) سميرنوف أ.أ. أسبوعان في الجبل المقدس. موسكو. ١٨٨٧. النسخة المعروضة بمكتبة جوركي بجامعة موسكو الحكومية، بها إهداء "للعزيز الرفيق والصديق ألكسي نيقولايفيتش خاريزين من المؤلف بيوكلير. يوليه ١٨٨٨.

(268) في المرجع نفسه، ص٣٩-٤٦، ٤٠.

(269) في المرجع نفسه، ص٥٢، ٦٧.

(270) الأرشيف التاريخى الروسى الرسمى، صندوق ٦٧٨، وثيقة ١٣٤٥، الورقتان ٧- ٧ مكرر.

(271) فونفيزين س. سبعة شهور في مصر وفلسطين، سانت- بيطرسبورج، ١٩١٠، ص ١٣١.

(272) أ.أ. سميرنوف من غسق الماضى. موسكو، ١٩٠٩.

(273) تقويم الرفقة، "جريف"، موسكو، ١٩٠٥، ص١٠.

(274) ألكسى سميرنوف. قصائد شعرية. الجزء ١-٢، ١٩١٧- ١٩١٩، القاهرة، مطبعة ي.ليسكيفيتش. يوجد فقط بضع صفحات مكتوبة بيد المؤلف في كل من جزئى كتاب أ.أ.سميرنوف التي لم تحفظ بحالة جيدة، وقد تم إرسالها إلى موسكو من مركز الآداب الروسية بالجامعة الأميرية بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد كتب على غلاف كل من الجزأين عبارة: "إهداء من المؤلف إلى ليف كارلوفيتش فون- رومير للذكرى الطيبة، الإسكندرية، الرمل، بولكلى، ٢٠ أغسطس ١٩١٩".

(275) عمل سبق ذكره، الجزء ذ، ص٣٩.

(276) المرجع نفسه ص١٠٦.

(277) المرجع نفسه، الجزء ٢، ص٦٣.

(278) بالمناسبة فإن الرواية المشار إليها "سكليرينا" محفوظة بالمكتبة التاريخية للدولة، بينما مجموعة قصص "من ضباب الماضى" موجودة بالمكتبة الروسية للدولة (مكتبة لينين).

(279) الأرشيف التاريخى الروسى الحكومى، صندوق ٦٧٨، قائمة جرد ١، وثيقة ١٣٤٥، الورقتان ٢٠- ٢٠ مكرر.

(280) چورج لطف الله- وكيل قنصلي روسى، وهو صديق مقرب للمرحوم، كان شقيقه ميشيل عضواً بالمجلس التشريعى بمصر، وكان كلاهما ابن اللبنانى الأرثوذكسى حبيب لطف الله. وتوجد مقبرتهم العائلية على بعد عشرات الأمتار من قبر أ.أ.سميرنوف.

(281) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٨٢٠/٣، وثيقة ٢٧٩، "عن وصية سميرنوف، عام ١٩١٦".

(282) نتيجة لإعلان استقلال مصر واكتساب السلطان لقب جلالة ملك مصر، فإن الوكالة الدبلوماسية الروسية والقنصلية العامة قد حصلتا منذ ١٥ مارس ١٩٢٢ على مسمى البعثة

الدبلوماسية الروسية، أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية.، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٨٢٠، وثيقة ١٣٢، ورقة ٦.

(283) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ١٥٩، قائمة جرد ٤٦٤، قوائم صيغي، وثيقة ٦٦٥، الورقتان ١-٢ مكرر.

(284) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد 820/3، قوائم صيغي، وثيقة 112، ورقة ١.

(285) تفضلت ماريا ألكسندروفنا ابنة أ. م. بيتروف بتقديم رسم شجرة عائلته لمؤلف هذا الكتاب، خلال زيارتها للإسكندرية في عام ٢٠٠١ مع ابنتها.

(286) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، ملف جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ١٦١، ١٩٢٣، ورقة ١.

(287) المرجع نفسه، صندوق ١٤٩، قائمة جرد ٥٠٢٦، وثيقة ٧٣٨٤، ورقة ١.

(288) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣/٢١٧، وثيقة ١١٢، أوراق ١-٣ مكرر.

(289) انظر بالتفصيل عن ذلك في: ج.ف.جاريانشكين. "شخصيات السفراء الروس في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين// الدول العربية بغرب آسيا وشمال أفريقيا، العدد ٤، موسكو، ٢٠٠٠، وجينادى جاريانشكين: "من هم السفراء الروس في حوض الخليج الفارسى في نهاية القرن التاسع العشر ومطلع القرن العشرين"؟// مجلة "الوثيقة"، رقم ٤٦، يوليه ٢٠٠٤، البحرين، المنامة (باللغة العربية).

(290) ارجع إلى: جاريانشكين ج.ف. "قنصل روسى بالإسكندرية"// أسيا وأفريقيا اليوم، رقم ١١، ٢٠٠١، جاريانشكين جينادى "أحد أنبل الناس... ولد فى روسيا، مدفون في مقابر الشاطبى بالإسكندرية" // مجلة "القاهرة"، القاهرة، ٢٠٠٢/١٠/١٥ (باللغة العربية، جاريانشكين جينادى. "٣٦ سنة وهبت للإسكندرية"// صفحات الحوار الثقافى الروسى- المصرى، الإسكندرية، ٢٠٠٣، دار نشر "تحديات ثقافية"، (باللغة العربية).

(291) المؤلف، لقد ذهبت عدة مرات إلى هذه المقبرة، وكنت دائمًا معجبًا بأغصان زهرة ياسمين حمراء زاحفة ممتدة على لوحة المقبرة.

(292) أثناء حديثها مع مؤلف هذا العمل ماريا ألكسندروفنا أولمان- بيتروفا التي حضرت عملية دفن والدتها، حكت "أنها قد شاهدت في مقبرة والدها خنجر فقط".

(293) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٧١، ورقة ١٣.

(294) للأسف لم تعد موجودة منذ عدة سنوات، وأصبح الروس يذهبون للصلاة في الكنيسة اليونانية، وقد أغلقت الكنيسة التي أنشأها أ.م.بيتروف نتيجة لأعمال غير سليمة وغير مسئولة تمثلت في تأجير الحجرات وتأجيرها من الباطن، ومن المحزن أن الجالية الروسية قد فقدت الكنيسة "البيت" التي بناها أ.م.بيتروف بصعوبة كبيرة، ولم تنجح حتى الجهود المضنية والملحة للقنصل العام ن.م. خولوف في عامى ٢٠٠٢-٢٠٠٣ في الحفاظ عليها من أجل المؤمنين الروس المعاصرين.

(295) الشاطبى: حى أوسط بالإسكندرية بين الأزاريطة والجامعة؛ حيث توجد معظم مقابر المدينة، على بعد بضع مئات الأمتار من البحر، خلف سور جميل، منها المقابر الكاثوليكية واليهودية والأرثوذكسية وغيرها، توجد مقابر الروس في الجانب الأيسر وكذلك الجانب الأيمن من المقابر الأرثوذكسية اليونانية؛ حيث يوجد المصلى، وفى جزئها الأيمن توجد مقابر لا تحمل أسماء، ويمكن تقدير إجمالى عدد الروس الراقدين في الشاطبى بأنه ٣٠٠ شخص.

(296) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٧١، ١٩١٧، ورقة ١١.

(297) بالمرجع نفسه.

(298) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ١/٨٢٠، وثيقة ٦٥٧، الأوراق ١٢٤-١٢٩، وثيقة ٥٧٦، ورقة ٤٩.

(299) بالمرجع نفسه، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ١/٨٢٠، وثيقة ١٠٧١، ورقة ١٢٢.

(300) بالمرجع نفسه، الورقتان ١٤،٢٤.

(301) ي. ف. لوكونين، عمل سبق عرضه، ص٣٨-٣٩.

(302) أولجا يجورينا، قصائد، كتاب ٢، "حياة وحلم"، القاهرة ص١٤٥، وهى قد ولدت في عام ١٨٩٨ بمدينة سانت- بيترسبورج وأتمت الدراسة بالمدرسة الثانوية ثم ذهبت إلى جبهة القتال

في الحرب العالمية الأولى ممرضة، "كان الجميع يسعون للذهاب إلى الجبهة"، عاشت الحرب الأهلية، ثم جاءت إلى مصر، وتوفيت في القاهرة في عام ١٩٥٥.

(303) "لاريفورم" ١٩٢٣/١٢/٨

(304) مذكرات ديما كون، ص٨-٩.

(305) تمت تجهيزات طويلة للإعداد لهذا الحدث الذى جرى في يوم ٤ أكتوبر، وبناء على طلب مدير المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية فإن أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية قد أرسل في ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٠ إلى المركز الروسى للعلوم والثقافة صورة ضوئية لوثائق أرشيفه عن القنصل بالإسكندرية في خلال الفترة من ١٩١٠ إلى ١٩١٤ أ.م. بيتروف، والتى كانت تتكون من ٢٤ ورقة تشمل شهادة تخرجه فى معهد لازاروف للغات الشرقية، وشهادة ميلاده (انظر الملاحق)، وشهادة انتمائه للطبقة النبيلة، وقائمة أعماله في الفترة من عام ١٨٩٨ إلى عام ١٩١٦، وقائمة أعماله في عام ١٩٢٣، وقد تم اتخاذ إجراءات من أجل الكشف عن روس آخرين تم دفنهم بمقابر الإسكندرية، والتأكد من عدد المقابر التي تحتاج ترميمًا، وقد تم ترميم حوالى ٣٠ مقبرة بمقابر الشاطبى بما فيها مقبرة أ.م. بيتروف وقبر الفريق أ.أ.بيزكروفنى وقبر اللواء نوفاكوف وس.إ، وغيرهم باستخدام المبلغ الذى منحه القنصل العام،.م.خولوف، وقد تمت تغطية المدفن بالأسمنت ووضع الصلبان الساقطة وتغيير اللوحات المرمرية وترميم النقوش... إلخ، وبالمناسبة فقد قام القنصل العام والمركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية أيضًا بأعمال ترميم شاهد أ.أ.سميرنوف والبيكل وبعض القبور بكنيسة مار جرجس بالقاهرة.

وقـد أدت محــاولات المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية من أجل الكشف عن أقارب أ.م. بيترف إلى نتائج إيجابية أدت إلى حضور ابنة القنصل (من زواجه الثانى) ماريا ألكسندروفنا من جنوب أفريقيا وحفيدته إيلينا فلاديميروفنا من باريس لحضور هذه الاحتفالات.

(306) بالمناسبة أقدم المقابر هى مقبرة أحد بحارة الطراد "زابنياكا" الذى تم دفنه هنا في عام ١٨٨٢، كان الطراد زابنياكا والباخرة الحربية "إيريكليك" قد تتبعا هنا عند شواطئ الإسكندرية عمليات سرب بريطانى.

(307) تم إنشاء نادى "الإسكندرية" في شهر نوفمبر عام ١٩٨٨ بالمركز الروسى للعلوم والثقافة، أى بعد ٢٠ سنة من ظهور المركز نفسه بناء على اقتراح من القنصل العام الروسى وبتأييد

كبير من الروسيات أنفسهن. كانت من نظمته وأول رئيسة له هى أوكسانا جيربينا زوجة خريج الاتحاد السوفييتى هانى البنى الأستاذ بجامعة الإسكندرية، وقد عقدت بشقتهما أول اجتماعات النادى، وفى ذلك الوقت لم يكن قد تم بعد وضع النظام الداخلى للنادى وهيكله، في خلال فترة عمل المؤلف مديرًا للمركز الروسى للعلوم والثقافة (٢٠٠٠- ٢٠٠٥) ضم نادى المواطنات الروسيات حوالى ٣٠ منهن أغلبهن روسيات الجنسية، كما كان يضم أيضًا مواطنات أوكرانيا وروسيا البيضاء وبلدان آسيا الوسطى، وكانت كل من أولجا السيد وايلينا كوتوفسكايا وناتاليا أوجيدى من بين أعضائه، وقد تم ضم بعض عضوات النادى للعمل بالمركز نفسه، وهكذا كانت تشرف على برامج اللغة الروسية لاريسا عمر الحاصلة على درجة الدكتوراه في علوم البيولوجيا وزوجة أستاذ بكلية الزراعة بجامعة الإسكندرية، والتى عاشت معه بالعاصمة الشمالية لأكثر من ٣٠ عامًا، وفى بداية الستينيات استقرت في الإسكندرية ليودميلا ياكوفليفنا أبلومسكايا الحاصلة على درجة الدكتوراه في الرياضيات من الجامعة الحكومية بموسكو فقامت بإلقاء محاضرات رائعة عن موضوعات مهمة علمية وتكنولوجية بالمركز الروسى للعلوم والثقافة.

وقد قدمت كل من إ.كرامارينكو ول.بينتشوكوفا وف.سوديلوفسكايا وإ.شوست وغيرهن مساعدة كبيرة في العمل التعليمى لمركز العلوم والثقافة الروسى. وبفضل موهبة عدد من المواطنات الروسيات تم عقد بضع أمسيات شعرية بالنادى، وقد أعدت أولجا السيد نفسها مجموعة شعرية، وتم نشر مجموعة من أشعارها المنتقاة بالجرائد الروسية، وقد شاركت عضوات النادى مع القنصلية العامة والمركز الروسى للعلوم والثقافة في الاحتفالات المتعلقة بالهجرة الروسية وساعدن في العناية بالمقابر والمصلى الروسى بالشاطبى، ومن جانبه ساعد المركز الروسى للعلوم والثقافة النادى في تنظيم رحلات لزيارة معالم الإسكندرية وتنظيم الاحتفالات بأعياد رأس السنة وغيره من الأعياد، وقام بتكريم أفضل نشطاء النادى ودعا العاملين بالقنصلية العامة للقاءات ونقاشات مع المواطنات الروسيات وقدم لنادى "الإسكندرية" وأعضائه مساعدات كبيرة لمعالجة مختلف المسائل المتعلقة بالحياة اليومية. ج.جارياتشكين، "الإسكندرية"- نادى المواطنات//آسيا وأفريقيا اليوم. موسكو، مارس ٢٠٠٥، ص٧٩-٨٠. في الوقت الحالى ترأس النادى (٤٥ عضوا) أولجا يفجينيفنا مونياكوفا، وهى أيضا تهوى كتابة الشعر.

(308) انظر الأشكال.

(309) عند افتتاح المعرض بالمركز الروسى للعلوم والثقافة أشار القنصل العام ن.م.خولوف إلى معالم الدبلوماسية الروسية وسمات عمل الدبلوماسيين الروس في الماضى وفى الحاضر، وكذلك وضع العلاقات الثنائية بين روسيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية.

(310) جينادى جارياتشكين، صفحات من الحوار الثقافى الروسى- المصرى، الجزء١، الإسكندرية، دار نشر "منشأة المعارف"، ٢٠٠٣ (باللغة العربية)، المؤلف نفسه: صفحات من الحوار الثقافى الروسى- المصرى، الجزء ٢، الإسكندرية، "دار نشر "منشأة المعارف"، ٢٠٠٤ (باللغة العربية).

(311) اكتشف المؤلف مقبرة إ.ب.أزموف بالمقابر الأرثوذكسية السورية بالشاطبى، حيث تم دفنه مع ابنته.

(312) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٩٠، أوراق ٣-٧.

(313) أوموف، إيفان، ضيف غير مرئى، أشعار، ساوثبيرى، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٤٩، ص١٧٦.

(314) المرجع نفسه، ص١٠.

(315) في المرجع نفسه، في رأينا أن الميراث الشعرى لإيفان أوموف يحتاج إلى دراسة مستقبلية.

(316) نيدزيلزكى يفجينى، ذكريات معسكر// أفريقيا بعيون المهاجرين، موسكو، ٢٠٠٢، ص١٢٦.

(317) من الغريب أن أول مجموعة أشعار "المعبد الجديد" نشرها إ.أوموف في مجموعة أشعار "ضيف غير مرئى "بها إهداء" لذكرى الأمير قسطنطين قسطنطينوفيتش (ك.ر.) الذى وجه أولى خطواتى في الشعر الروسى"، إيفان أوموف. ضيف غير مرئى. ص١٥٥.

(318) اقتباس من :أوموف ايفان، Offrande.Poemes. Alexandrie. 1958.p.8

(319) المرجع نفسه.

(320) إيفان أوموف، ضيف غير مرئى، ص١٢٣.

(321) من خطاب ت.ن.مونتى بتاريخ ٢٦/٧/٢٠٠٩.

(322) أهدت تاتيانا ن.مونتي هذه اللوحات إلى ف.ف.بليكوف"... على ضفاف النيل المقدس"، ص٢٠٤- ٢٠٩، (ارجع للرسوم التوضيحية).

(323) المذكرات محفوظة حاليًا في موسكو بمكتبة صندوق روسيا في الخارج، والذى أسسه أ.إ.سولجينيتسكى.

(324) من خطاب ت.ن.مونتي لمؤلف هذا الكتاب في ٢٠٠٩/٧/٢٦.

(325) ب.ريربيرت، في الفيلق الخامس للجنرال يوسوفوفيتش في خريف عام ١٩١٩// روسيا، ما هو منسي ومجهول، الحركة البيضاء، ضباط الحرس الروسى في الحرب البيضاء، موسكو، عام ٢٠٠٢، الجزء ٨. يصف ب.ريربيرج قتال فيلقه تحت قيادة جلوخوفى أثناء "بداية نهاية تقدم البيض في اتجاه موسكو" عندما "بدأت كل جبهة الجنرال دنيكين تنسحب إلى الجنوب؛ عندما هرب الملازم بيترو ريربيرت من التيفوس"، ص ٥٦٠-٥٦٥.

(326) من خطاب تاتيانا كون لمؤلف الكتاب بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٧: "كنت أعرف جيدًا ريما قسطنطينوفا أرملة ألكسى ياكوفلوفيتش بريتسيل، وهى سيدة أنيقة جدًا كانت كثيرًا ما تتحدث بالفرنسية، وكانت صديقة لجدى حيث إنهما كانا متقاربين جدًا، وفى النهاية عندما سافر جدى إلينا في إنجلترا، قررت السفر إلى ابنها بالولايات المتحدة الأمريكية (نيويورك)، ولكنها توفيت في الإسكندرية قبل السفر، لقد تلقيت منها هدايا رائعة وكنت أحبها جدًا. كانت حفيدتها الكبرى منى سنًا ابنة بالمعمودية لجدى.

(327) انظر لتفاصيل أكثر:ب.ب.بلياكوف، "إلى ضفاف النيل المقدس"، ص٢٠٥-٢٠٦.

(328) من خطاب موجه إلى المؤلف بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١١.

(329) من خطاب موجه للمؤلف بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١١.

(330) اقتباس من ب. بلياكوف.. "محمية أفريقيا لطائر النار". موسكو، ٢٠٠٠، ص١٥٠.

(331) توفيت في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الثمانين، وتم دفنها في مقبرة منفردة، وتقيم ت.ن.مونتي نشاطها التدريسي بأعلى ما يمكن.

(332) فستان خارجى عربى، قميص طويل.

(333) في خلال حديث تاتيانا مونتى مع المؤلف في أغسطس ٢٠٠٩، أخبرته بأنها هى وزوجها ينويان بيع المصنع؛ نظرًا إلى أنه أصبح من الصعب القيام بالأعمال مع مرور السنوات.

(334) يوجد بالإضافة إليه مركز ثقافى إيطالى رسمى، وبصفة عامة توجد بالإسكندرية ١٠ مراكز ثقافية فقط: الفرنسى، والإسبانى، والألمانى، والبريطانى، والروسى، واليونانى، والأمريكى، والسويدى واثنان إيطاليان.

(335) يدور الحديث حول مدرس العلوم الطبيعية بمدرسة "فيكتوريا" "ب" ابن روسية ومالطى، وقد حكى عن وجود "ب" صديق له لبنانى سكندرى محب جدًا للموسيقى الروسية الكلاسيكية ومسحور بإبداع بورودين، وقد كان عمل الأخير "جولة في آسيا الوسطى" هو أساس محاضرة اللبنانى عن إبداع بورودين بالمركز الروسى للعلوم والثقافة.

(336) اقتباس من ب.بلياكوف "محمية أفريقيا لطائر النار"، ص١٥٢.

(337) انظر الأشكال التوضيحية.

(338) دميترى كون. ذكريات، ص٧.

(339) "لاريفورم"، ١٠/١٢/١٩٢٤.

(340) تم دفن الكريفاكسينيين في مقابر بالقرب من المصلى الروسى بالمقابر الأرثوذكسية اليونانية بكنيسة مارجرجس.

(341) دميترى كون، مذكرات...، ص٧-٨.

(342) المرجع نفسه، ص١٠.

(343) ولد إيفان ألكسندروفيتش في عام ١٨٩٠ بمحافظة خاركوف بأوكرانيا (كانت في ذلك الوقت ضمن الإمبراطورية الروسية) في عائلة كاهن، وبعد إتمامه الدراسة بالدائرة اللاهوتية الخاركوفية في عام ١٩١٠ التحق بقسم الميكانيكا بمدرسة التقنية الإمبراطورية الموسكوفية، ومنذ السنة الأولى شارك بنشاط في عمل دائرة الطيران التي أنشأها في المدرسة ن.إ. جوكوفسكى. تم تعيينه في عام ١٩١٦ في محطة الطيران الأولى، التي تم نقلها من بيتروجراد إلى أوديسا، وهنا فاجأته ثورة أكتوبر. نظرًا لاقتراب القوات االنمساوية تم نقل المحطة إلى مدينة ساراتوف، وفى خريف عام ١٩١٨ انضم إلى المعهد المركزى للديناميكا الهوائية الذى كان قد تم إنشاؤه للتو، ضمن فرقة ن.ف.ن.إ.جوكوفسكى وأ.ن.توبولوف وإ.أ.روبينسكى.

عند مشاركته في العمل بالإدارة المركزية لمصانع الطائرات، تم إرساله في عام ١٩١٩ إلى مدينة أوديسا التي كانت تحتلها في ذلك الوقت قوات الحرس الأبيض، ولتسوية العلاقات مع عمال مصنع الطائرات قرر روبينسكى مغادرة روسيا والبحث عن فرصة للوصول إلى أمريكا.

التحق روبينسكى باعتباره رجل إطفاء على سفينة صادرتها قوات جيش دوبروفولتشيسكى (المؤلف: على الأرجح كانت هى نفسها السفينة "ساراتوف") وحولتها إلى مستشفى للمرضى بالتيفوس. مرض روبينسكى بالتيفوس على متنها فتم إنزاله بالإسكندرية في عام ١٩٢٠.
www.ihst.ru/projects/emigrants/rubinski/htm .

(344) عند زيارة تاتيانا كون – روبيرتز لمصر في عام ٢٠٠١ ذهبنا إلى القاهرة، وأيضًا في نفس شارع الشريفين هذا، ولكننا لم نجد أحدًا بالشقة في ذلك الوقت، ولكننا قابلنا في الفناء عجوزًا مصرية كانت تتذكر تاتيانا كون جيدًا، ضحكت القاهرية وهى تقول "تخيلوا أنه عرض على أنا المصرية ويسكى!"، ولم تكن تخفى استلطافها لجارها السابق (من تقرير رافائيل بيكبايف الذى كان يرأس ممثلية وكالة إيتار– تاس للأنباء من أول أبريل عام ٢٠٠٣)، لقد تعرفت هذه السيدة العجوز التي تعيش في هذا المنزل نفسه على تاتيانا د.: "إنها لا تزال مشرقة، شقراء!"، ثم يواصل رافائيل بيبكايف: "كان زوجها السيد نورمان قد جاء لأول مرة إلى بلد الأهرام على النيل. لقد كان بريطانيًا مسنًا، عيناه حكيمتان ينظر إلى زوجته نظرات فهم متسامح: "أوخ، هؤلاء الروس!". كان يحاول طبقًا لتقاليد المهذبين ألا يطلق العنان لمشاعره، وأن يخفيها بواسطة الإحساس البريطانى الشهير بالفكاهة، فقد أجاب عن اقتراحى له بعدم خلع حذائه بالشقة قائلاً: "لا، ماذا بك إن جواربى نظيفة!".

(345) مذكرات في صفحتين أعطتها تانيانا كون– روبيرتز للمؤلف.

(346) لم يتمكن مؤلف هذا العمل من العثور على هذه الهدايا، لا في مكتبة كلية الآداب والتاريخ بجامعة الإسكندرية، ولا بالمخازن العامة للكتب بالجامعة.

(347) أهدت تاتيانا كون مؤلف هذا الكتاب أصل خطاب بيتر ياكوفلفيتش الذى أرسله لوالده دميترى أناتوليفيتش في ٢٢ ديسمبر عام ١٩٥٢ من شارع ابن يسار، منزل رقم ٢١، كليوباترا، الإسكندرية، وهو بالإضافة إلى رسومات الأطفال كان يحتوى على تهنئة مرحة بعيد الميلاد، وكان جزء منه موجهًا لتانيا، "صغيرة، ولكنها كانت قد أصبحت امرأة ماكرة"، والتى أرسل لها رسومات (للعب) لقصتى "الجد واللفت"، و"البرغوث"، وبعد ذلك يتمنى ب.ى. في التهنئة "للجميع الصحة والسعادة والقروش!".

(348) كتب عنه المؤلف لأول مرة: "العيادة الروسية بالقاهرة، تساؤلات عن مصير المهاجرين الروس بمصر في عشرينيات وثلاثينيات القرن التاسع عشر"// روسيا والشرق: نظرة من سيبيريا، الجزء ٢، إيركوتسك، ١٩٩٨. انظر كذلك: الدكتور جينادى جاريانشكين. المهاجرون الروس البيض في

مصر// صفحات الحوار الثقافي الروسي المصري، الجزء ١، الإسكندرية ٢٠٠١، ص ٨٦-٨٧.
عن ك.إ.فاجنر- رئيس العيذة الروسية، انظر لتفاصيلات أكثر: ج.جاريانتشكين، مصر، العيادة الروسية بالقاهرة// آسيا وأفريقيا اليوم، موسكو، رقم ١١، ١٩٩٨.

(349) تخرج ك.إ.فاجنر فى الأكاديمية الطبية الجراحية البيتربورجسكية في عام ١٨٨٦، ودافع عن أطروحته في لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الطبية في موضوع "مواد للدراسة الإكلينيكية لتأرجح خواص العصير المعوى (تأثير السكون والحركة والعمل البدنى والنوم)، وكانت أبحاثه العلمية مكرسة للتمثيل الغذائى وأمراض القلب وأعضاء الجهاز الهضمى والسل.

(350) كانت توجد في مصر بدءًا من أواخر القرن التاسع عشر تقاليد طبية روسية قوية بدرجة كافية، كان من أسبابها أن الأخوين سيرجى وجيورجى فورون كانا الطبيبين المعالجين للخديوى، وكانا يصدران "المجلة الطبية"، كما أنهما كانا يرأسان نقابة المهن الطبية بمصر.

(351) لاريفورم، ١٩٢١/٧/٨.

(352) نقرأ في جريدة "لاريفورم" في عدد ٢٥ يونيه ١٩٢١: "السيدة فنيميتيفوف تعطى دروس غناء بأحسن الظروف ووفقًا لأسلوب رائع. تقدموا إلى شارع طيبة، منزل ٣٥، كامب شيزار (الرمل)".

(353) نشرة العيادة الروسية، رقم ١٥ و١٦، ١٩٣٥، ص٣.

(354) "لاريفورم"، ١٩٢٥,٠١,٢.

(355) انظر ب.ب.بلياكوف "إلى ضفاف النيل المقدسة..."، ص٢٠٦- ٢١٥.

(356) ليس من المعروف هل هى زوجته أم كانت تحمل فقط اللقب نفسه، وهى أيضًا طبيبة.

(357) نشرة العيادة الروسية، العدد ١٥ و١٦، ١٩٣٥، ص١.

(358) "لاريفورم" ١٩٢١,٢,١٠.

(359) نشرة العيادة الروسية، رقم ١٥-١٦، ١٩٣٥، ص٢١.

(360) ب.ف.بولجاكوف ولد في عام ١٨٨٥ وتوفى في عام ١٩٥٧، ويرقد رفاته في قبر بالقرب من الكنيسة الروسية بالمقابر الأرثوذكسية اليونانية بكنيسة مار جرجس.

(361) لم يتمكن المؤلف من تنفيذ ذلك نظرًا لانشغاله بالعمل اليومى بالمركز الروسى للعلوم والثقافة.

(362) جارياتشكين، جريشنكو، فومين، مرجع سبق ذكره، ص٣٧.

الباب الثالث

(363) انظر على سبيل المثال: إيجور يرماكوف. الإسلام في الأدب الروسى في القرنين التاسع عشر والعشرين// الجامع الشرقى "لوتوس"، رقم ٢، موسكو، عام ٢٠٠٠، انظر كذلك العمل الأساسى الذى ظهر منذ زمن قريب للادى بانوفا "مصر الروسية".

(364) ارجع إلى هذه المراسلات فى: مصر بعيون الروس في منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص٢١، ٢٩٥-٢٩٧، ٣٢٨-٣٢٩، وكذلك باللغة العربية: جينادى جارياتشكين صفحات الحوار الثقافى الروسى المصرى، الجزء٢، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٤، ص٤١-٤٨.

(365) اقتباس من: ل.ج.بانوفا، مصر الروسية، الشعر السكندري، ميخائيلا كوزمينا، موسكو، ٢٠٠٦، الجزء ٢، ص٨٣.

(366) فاليرى ياكوفلفيتش بريوسوف، ولد في عام ١٨٧٣ بمدينة موسكو بعائلة تاجر، وهو شاعر كبير من العصر الفضى، وبالإضافة إلى ذلك اشتهر ف.ي.بريوسوف بأنه كاتب ومترجم وناقد أدبى ومؤرخ وخبير في الشعر الروسى والفرنسى واللاتينى والشعر المنظر.

(367) تيرابيانو يورى قنطنطينوفيتش (١٨٩٢- ١٩٨٠) ولد بمدينة كيرش وهاجر في بداية العشرينيات من القرن العشرين، وتوفى بالقرب من باريس، كان الشاعر الروسى أديبًا ومترجمًا وناقدًا أدبيًا من الموجة الأولى للمهاجرين، وقد نظم وشارك في عدد من الاتحادات الأدبية بباريس، وألف مذكرات.

(368) م. كوزمين، أعمال مختارة، لنينجراد، ١٩٩٠، ص٦١-٨١، ولد ميخائيل ياكوفلفيتش كوزمين في عام ١٨٧٥ بمدينة ياروسلافل على نير الفولجا في عائلة نبلاء، وهو يعتنق الأرثوذكسية، درس في مدرسة سانت- بيترسبورج ثم في المعهد الموسيقى في فصل التأليف الموسيقى، ولكنه لم يتخرج فيه بسبب مرضه، وفى عام ١٨٩٦، قام ميخائيل كوزمين برحلة إلى مصر، لم يشارك في النشاط الأدبى حتى عام ١٩٠٤، بدأ ينشر "الأغانى السكندرية" في عام ١٩٠٦، وتوفى م.كوزمين في مدينة لينينجراد.

(369) م.فولوشين، "أغانى كوزمين مصرية"// "التركيز على كافة المسارات..." مختارات من الشعر والقصائد. نثر. نقد. مذكرات. موسكو، عام ١٩٨٩، ص٣٨٩- ٣٩٠.

(370) م.كوزمين. أعمال مختارة، لنينجراد، ١٩٩٠، ص٥.

(371) ل.ج.بانوفا. مصر الروسية، الشعر السكندرى، ميخائيل كوزمين، في جزأين. موسكو عام ٢٠٠٦.

(372) "إيجيبشان جازيت" ١٩٢٣,٠٣,٦، انظر أيضًا: Keith Money. Anna Pavlova. Her Life and Art. New York. 1982. p.p. 312-317.

(373) "إجيبشان جازيت" ١٩٢٣,٠٣,١٩.

(374) المرجع نفسه.

(375) Keith Money.Op.cit.p.114

(376) "إجيبشان جازيت"، ١٩٢٣,٠٣,٧.

(377) انظر على سبيل المثال: "لاريفورم"، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩. ٠٣. ١٩٢٣.

(378) "إجيبشان جازيت" ١٩٢٣,٠٣,١٥.

(379) إيفان أوموف، ضيف غير مرئى، قصائد شعرية، ص١٣٨.

(380) "لاريفورم"، ١٩٢٣,٠٣..١٩–١٨.

(381) بالإضافة إلى مصر، قدمت الفرقة عروضها في اليابان والهند وأستراليا وفى بلدان أخرى.

(382) "إجيبشان جازيت"١٩٢٣,٠٣,٢١.

(383) Keith Money.Op.cit.p.381

(384) لوكونين، عمل سبق ذكره، ص٣٩.

(385) ف.بلياكوف. "محمية أفريقيا لطائر النار"، ص١٧٢– ١٧٥.

(386) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسة، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٨٢٠/٣٠، وثيقة ٢٠٨. قائمة الروس في الإسكندرية، ورقة ٣.

(387) تطابقت الأمسية مع مرور ١٢٠ عامًا على ميلاد أنا بافلوفا، وأصبحت عيدًا حقيقيًا لفن الرقص الحديث في الإسكندرية، وجذب انتباه سكان هذه المدينة، احتوت القاعة الكبيرة بالمركز الروسى للعلوم واالثقافة بالإسكندرية بصعوبة الجمهور الغفير الذى حضر، وقد شارك في الأمسية ممثلو وزارة الثقافة المصرية ورناسة أكاديميتى الفنون بكل من الإسكندرية والقاهرة ومعهد الكونسرفاتوار بالإسكندرية وشخصيات مشهورة في مجال الثقافة والفن بالبلاد، وكذلك القنصل العام لروسيا الاتحادية بالإسكندرية والصحافة المركزية والمحلية، وقد أقيم معرض لملابس الباليه في إطار الاحتفال بهذا اليوبيليه بالمركز الروسى للعلوم والثقافة، وتم فيه عرض عشرات من البذلات الفريدة التي صنعها أهالى التلاميذ الذين شاركوا في مختلف رقصات الباليه.

(388) حدث ذلك في أول أكتوبر عام ٢٠٠٤ بالقاعة الكبيرة في "ألكسندرينا"، حيث جرى افتتاح تمثال راقصة الباليه الروسية أنا بافلوفا وكذلك المعرض المكرس لحياتها وفنها، وفيه تم عرض عينات من الكتب الخمسة آلاف التي تم إهداؤها لمكتبة "ألكسندرينا".

افتتح الاجتماع الدبلوماسى مستشار مدير المكتبة السفير ظاهر خليفة، وفى وجود عدة مئات من الأشخاص شكر نائب رئيس المركز الروسى بالخارج أ.س.ساريميف والقائم بأعمال سفير روسيا الاتحادية بجمهورية مصر العربية أ.م.زاخاروف والقنصل العام لروسيا الاتحادية بالإسكندرية ن.م.خولوف (باعتبارهم ممثلين للحكومة الروسية) على المساهمة الكبيرة في تنمية العلاقات الثقافية بين البلدين. وبدورهما أشار كل من أ.س.ساريموف كلمة، وأ.م.زاخاروف إلى أهمية العلاقات المثمرة بممثلى الثقافة الروسية مع "ألكسندرينا"، وقد شغل تمثال أنا بافلوفا مكانًا لائقًا بقاعة التذكارات في المكتبة. وقد قرأ ممثل المركز الروسى بالخارج أ.إ.فومين خطاب تحية من اتحاد كتاب روسيا الاتحادية الذى جمع أكثر من ألفى كتاب من أجل مكتبة الإسكندرية.

(389) عازف بيانو روسى شهير، ابن كاتب روسى لا يقل عنه شهرة، قام بعمل ونشر "الأرشيف الروسى" ب.إ.. بيرتينيف .

(390) Le phare d'Alexandrie". 17.1.1895"

(391) المرجع نفسه، ١٨٩٥,١,٢٥

(392) المرجع نفسه، ١٨٩٧,٣,١٣.

(393) المرجع نفسه، ١٧-١٨/٣/١٩٠٧.

(394) عن الزيارة الأولى لف.ن.شاليابين لمصر.. جارياتشكين ج.ف. مصر بعيون الروس...، ص٢٩٧-٣٠٥، ٣٢٩، نادية سلطان، نيقولاى تاراسوف، زيارة ف.ن.شاليابين لمصر// آسيا وأفريقيا اليوم. رقم ٣، ١٩٩٢، القاهرة، ص٣٦-٣٧ (باللغة العربية). جينادى جارياتشكين، صفحات الحوار الثقافى الروسى- المصرى، الجزء ١، دار نشر "تحديات ثقافية"، ٢٠٠٣، ص٥٣-٦٦.

(395) جارياتشكين ج.ف. مصر بعيون الروس...، ص٢٩٨.

(396) "Le Phare d'Alexandrie", 28.1.1933.

(397) "لاريفورم" ١٩٢٣,٣,١٥: "إيجيبشان جازيت" ١٩٢٣,٣,١٧.

(398) "Le Phare Egyptien", 14.2.1933.

(399) المرجع نفسه.

(400) أثبت ذلك أيضًا بشكل قاطع الحفل الذى أقيم بالمركز الروسى للعلوم والثقافة في يوم ١٣ فبراير عام ٢٠٠٣ بمناسبة مرور ١٣٠ عامًا على ميلاد المغنى، وكذلك ١٠٠ عام على أول

زيارة له لمصر و ٧٠ سنة على ثانى زيارة، حيث تبين أن السكندريين يعرفون جيدًا مغنينا العظيم، ويسمعون بشغف أغانيه من الأوبرات الشهيرة وأغانيه الرومانسية وأغانيه الأخرى، وأنهم شاهدوا باهتمام الفيلم- الأوبرا "دون كيخوتة" باللغة الفرنسية، والذى يؤى فيه شاليابين الدور الرئيسى، كما أنهم شاهدوا معرض صور عن حياته وفنه، ومن المثير أن المثقفين السكندريين من هواة الموسيقى الروسية الكلاسيكية وفن هذا المغنى، وبصفة عامة من حصلوا على تعليم عالٍ في الموسيقى بالاتحاد السوفييتى قدموا للمركز الروسى للعلوم والثقافة مواد كثيرة عن ف.ب. شاليابين.

(401) انظر جينادى جارياتشكين، إيفان بيليبين في مصر// صفحات الحوار الثقافى الروسى المصرى، الإسكندرية، "تحديات ثقافية"، ٢٠٠٣، ص٢٣-٤٦.

(402) اقتباس من :إ.ى.بيليبين. مقالات. خطابات. ذكريات عن رسام، لينينجراد، ١٩٧٠، ص٥٩.

(403) المرجع نفسه، ص٦٠.

(404) ف.ف.بلياكوف، إلى ضفاف النيل المقدس...."، ص٢٠٧- ٢٠٨.

(405) من تقرير مدير المركز الروسى للعلوم والثقافة جارياتشكين ج.ف. في يوم ٢٦ سبتمبر عام ٢٠٠١ بأمسية بمناسبة مرور ١٢٥ عامًا على يوم ميلاد إ.بيليبين، في وجود حوالى ٢٠٠ ضيف، ثم تم بعد ذلك افتتاح معرض يضم أكثر من ٦٠ صورة تحكى عن حياة وإيفان ياكوفلفيتش بليبين وفنه، وبصفة أساسية عن الفترة المصرية منها، وقد تم هنا عرض صور التقطها إيفان بليبين بنفسه في القاهرة والإسكندرية والأقصر، كذلك ما تم نشره بالصحافة عن حياة إيفان ياكوفلفيتش بوادى النيل، وقد ظل المعرض مفتوحًا حتى يوم ٤ أكتوبر.

(406) إ.ي.بليبين. مقالات. خطابات. مذكرات...، ص١١٤.

(407) المرجع نفسه، ص٦١.

(408) المرجع نفسه، ص٢٣٩.

(409) "لاريفورم"، ٤-١/٥/١٩٢٥. يوجد الآن في هذا المبنى بجانب سينما "رمسيس" وكالة لبيع الأثاث "الفاروق للموبيليا". اللمسة الإسكندرانية في عالم الموبيليا.

(410) ج.ف.جارياتشكين، ت.ج.جريتسنكو، أ.إ.فومين. عمل أشير إليه من قبل، ص٩١.

(411) إ.ي.بيليبين. مقالات، خطابات. مذكرات...، ص٢٤٠.

(412) الزبون هو من عائلة بطرس غالى الشهيرة، والتى خرج منها كما هو معروف سكرتير عام الأمم المتحدة.

(413) فلاديمير بيلياكوف. مأوى أفريقيا لطائر النار، ص١٢٣.

(414) كان إ.بيليبين قد حصل على قطعة أرض منذ عام ١٩١٠ بالقرب من بالاكافا، وكان يمتلك بيتًا صغيرًا هناك بيت صغير به ورشة يطل على خليج باتيليمان العميق، حيث كان يستجم به كل عام في الصيف بعد العمل المرهق، وبسبب الثورة أمضى شتاء عام ١٩١٧ في باتيليمان ومنها لاحقًا ذهب مع الجيش الأبيض المنسحب إلى نوفوروسيسك ثم إلى الباخرة ساراتوف.

(415) من كلمة بالمركز الروسى للعلوم والثقافة بمناسبة مرور ١٢٥ عامًا على يوم ميلاده.

(416) جينادى جارياتشكين. المثال الروسى فرودمان- كليوزيل// صفحات الحوار الثقافى الروسى- المصرى.

(417) الإسكندرية، الزمن المكان، الإنسان، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٥٣٦ (باللغة العربية).

(418) انظر للتفاصيل: فلاديمير بلياكوف. مأوى أفريقيا لطائر النار... ص ٢١٦، ٢٢٧- ٢٣٠.

(419) اقتباس من العمل نفسه، ص٢٢٦.

(420) كتب على كعب الكتاب "أولجا يجوروفا. قصائد". ولدت أولجا يوانوفنا يجوروفا (مولودة بلقب سوبولوفا) بمدينة سانت- بيترسبورج في فبراير عام ١٨٩٨. (أنا المولودة بسانت- بيترسبورج المعتمة) وتوفيت في القاهرة في أغسطس عام ١٩٥٥، وقد أصبحت ممرضة في عمر ١٦ عامًا، وقد عرفنا ذلك من قصيدتها "الحرب": "أنا ممرضة- كل شيء في هذه الكلمة: كل شيء والحب والخير// وأنا عطشانة من أجل قضية عادلة وإنجاز- قلبى ملىء//ملئت طوال حياتى بالأعمال// وشريط الصليب الأحمر واضح على المئزر الأبيض". بيتروجراد، عام ١٩١٥، وقد أكدت سيرة حياتها في قصيدة "حفل رقص": "تخرجت فى المدرسة الثانوية// كانت الحرب على قدم وساق// عملت ممرضة// الكل كانوا كأنما في حمية// الكل يسعى إلى الجبهة// وكنت أرغب في إنجاز في اليقظة، وليس في حلم" مجموعة، ص١٤٥).

(421) كان يوجد شاعر آخر بمعسكر سيدى بشر هو المهاجر أ.ب.لادينسكى. انظر ألينا روبينسكايا. مذكرات، رقم ٣.

(422) إيفان أوموف، ضيف غير مرئى، ص١٣٢.

(423) المرجع نفسه، ص١٩٤.

(424) المرجع نفسه، ص٨٣.

(425) توجد لدينا صورة من الجرائد للإخوة يرتدون زى الشرطة وتحتها تعليق "إنجازاتنا" (انظر ألبوم الصور)، نحن نتحدث هنا عن دورية ما باللغة الروسية كانت تصدر في الإسكندرية، قد تكون جريدة "المهاجر".

(426) نيقولاى فويتنكوف. قصائد شعرية. الإسكندرية، ١٩٣٧، ص٩. يوجد إهداء مكتوب على النسخة التي عثر عليها المؤلف بصندوق "روباكين" بالمكتبة الحكومية العامة: "لذكرى عزيزة من المؤلف للموقر بافل نيقولايفيتش ميليوكوف, ٣٧,١,١٦، الإسكندريـــة، مصـــر"، نحـــن لا نعرف شيئًا عن حياة ب.ن.ميليوكوف في مصر، وقد يكون الإهداء تم في باريس، حيث إن عنوان الناشر المكتوب على كتاب ن.فويتنكوف يثير هذه الفكرة: Librarie "Le PAON". 59. Rue de la Republique. Meudon – presse. Paris. France

(427) نيقولاى فويتنكوف، عمل سبق ذكره، ص٨.

(428) لاريفورم٢-١٢، ١٢, ١٩٢١.

(429) إيفان أوموف، عمل سبق ذكره، ص١٤٨.

(430) توجد جملة في آخر هذه المجموعة من الأشعار كتبتها المؤلفة بخط يدها "الكتاب الثانى"، "الحياة والحلم".

(431) إيفان أوموف، ص١٧١.

الختام

(432) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٣، ورقة ١٠.

(433) المرجع نفسه.

(434) نيقولاى فويتنكوف، قصائد شعرية، الإسكندرية، ص٣٦.

(435) فلامبوريانى، روس في مصر، ص٢٤٩.

(436) دياتلوف ف.إ. مرجع سبق ذكره، ص٤٧- ٤٨.

(437) فلامبوريانى د. عمل سبق ذكره، ص٢٤٦، ٢٤٨-٢٤٩.

(438) من خطاب موجه للمؤلف بتاريخ سبتمبر ٢٠٠٩.

(439) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٨، ورقة ٦.

الملاحق

(440) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٣٨، ١٩٢٠، ورقة ٢.

(441) سازونوف سيرجى دميتريفيتش- شخصية رسمية روسية، دبلوماسى، ولد بمحافظة ريزان في عام ١٨٦٠، وتوفى في المهجر بمدينة نيس في عام ١٩٢٧، التحق بالعمل الدبلوماسى اعتبارًا من عام ١٨٨٣، من ١٩١٠ إلى ١٩١٩ وزير خارجية روسيا القيصرية. من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩١٩ مثل في أوروبا حكومتى كولتشاك ودينيكين للجيش الأبيض؛ حيث نجح في توسيع التدخل في مواجهة روسيا السوفييتية، ثم انضم إلى مجلس سفراء الحكومة المركزية في المهجر بباريس.

(442) تم إرسال بيانات مماثلة أيضا لممثل منبر حزب العمال بمجلس العموم.

(443) المصدر: أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠١- عن مرسوم مجلس الوزراء بتاريخ ٦ أكتوبر عام ١٩٢٣، وعن علاقة حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا والدول الأخرى نحو هذا الموضوع. ١٩٢٣.

(444) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٠٩، أوراق ١-٩.

(445) في القاهرة، والإسكندرية وبورسعيد.

(446) إزاء عدم كفاية موارد الوكالة الدبلوماسية في السنوات الماضية تمكنت من الحصول على بعض الدعم من السفارة الروسية بباريس. أما الآن فقد توقف إرسال هذه المبالغ تمامًا بعد أن ذكرت باريس أن هذه الموارد قد استنفدت تمامًا.

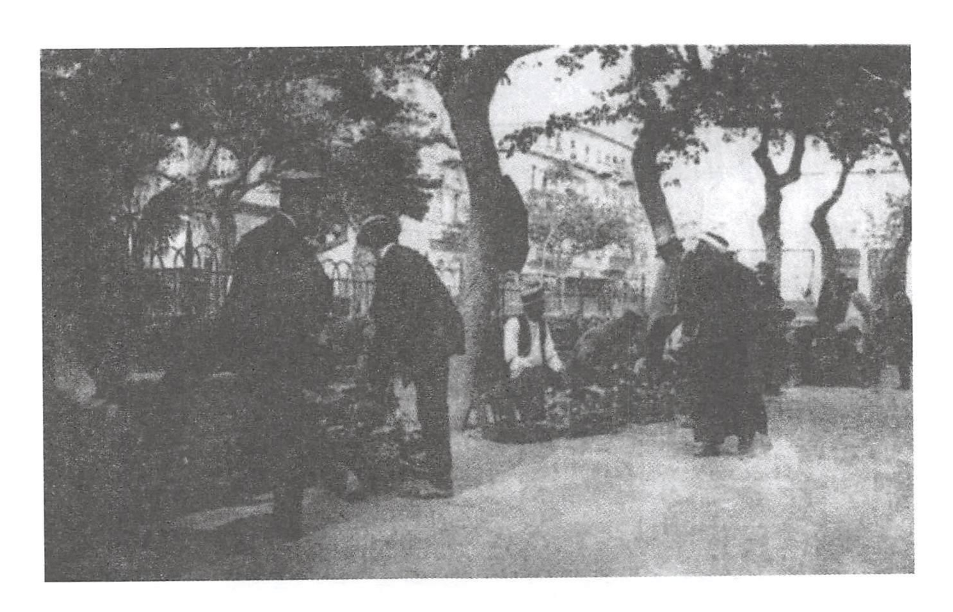
(447) أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، صندوق ٣١٧، قائمة جرد ٣/٨٢٠، وثيقة ٢٤٢، أوراق ٦-٩.

(448) أقيم المعرض في يوم ١٥ مارس عام ٢٠٠١ بالمركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية، وقد استخدمت فيه في الأساس الأرشيفات الشخصية لتاتيانا مونتى (سيريكوفا)، وقد عرضت غالبية الصور لأول مرة، وبعد بعض الوقت تم نقل المعرض إلى موسكو في المركز الروسى في الخارج، حيث سرعان ما فقد.

ملحق الصور



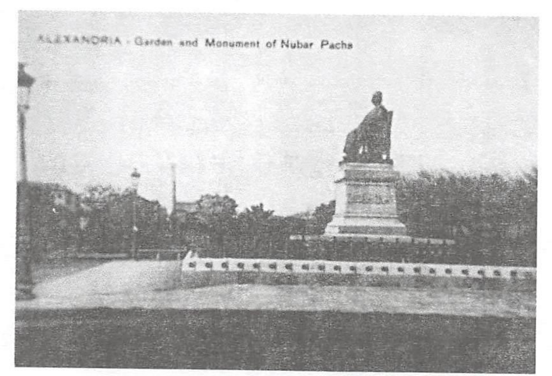
الإسكندرية، مسجد في العطارين، بداية القرن العشرين



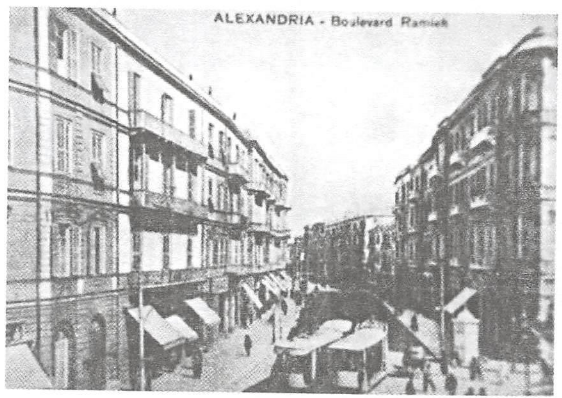
الإسكندرية، بميدان القناصل



الإسكندرية، ميدان محمد على، عام ١٩٢٠



الإسكندرية، حديقة وتمثال نوبار باشا، عام ١٩٢٠



الإسكندرية، شارع الرمل، عام ١٩٢٠

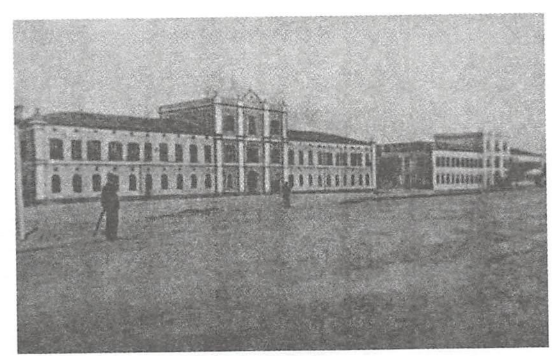

ميناء الإسكندرية، عام ١٩٢٠



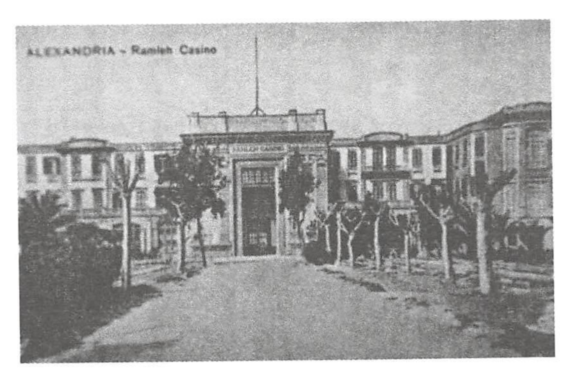
الإسكندرية، قنال المحمودية، ميناء البصل، أوائل القرن العشرين



الإسكندرية، شارع سعد زغلول، عام ١٩٣٠



الإسكندرية، ثكنات مصطفى بركة، أوائل القرن العشرين، كارت بوستال



الإسكندرية، كازينو الرمل. ١٩٢٠



الخديوى عباس حلمى (١٨٩٢-١٩١٤)



السلطان حسين كمال (١٩١٤- ١٩١٧)



الملك فؤاد الأول (١٩١٧- ١٩٣٦)



الملك فاروق الأول (١٩٣٦- ١٩٥٢)



١٩ . أحمد زيوار باشا
١٩١٣/٣/٥ - ١٩١٧/١٢/٣٠



٢٠ . أحمد مدحت يكن باشا
١٩١٧/١٢/٣١ - ١٩١٩/٤/١٨



٢١ . حسن عبد الرازق باشا
١٩١٩/٥/٢ - ١٩٢٠/١١/٩



٢٢ . محمد حدايه باشا
١٩٢٠/١١/١٠ - ١٩٢٣/٣/٢٧



٢٣ . محمد مقبل باشا
١٩٢٨/٣/٢٨ - ١٩٢٤/٢/٩



٢٤ . محمد صدقي محمد باشا
١٩٢٤/٢/١٠ - ١٩٢٥/٣/١٧



٢٥ . حسين صبرى باشا
١٩٢٥/٣/١٨ - ١٩٣٧/١/١٠



٢٦ . محمد حسين باشا
١٩٣٧/٣/٣ - ١٩٤٢/٤/٢٤



٢٧ . محمد عبد الخالق حسونه باشا
١٩٤٢/٤/٢٥ - ١٩٤٨/٥/١٥



٢٨ . بدوى خليفه باشا
١٩٤٨/٥/١٩ - ١٩٤٩/٨/١٤

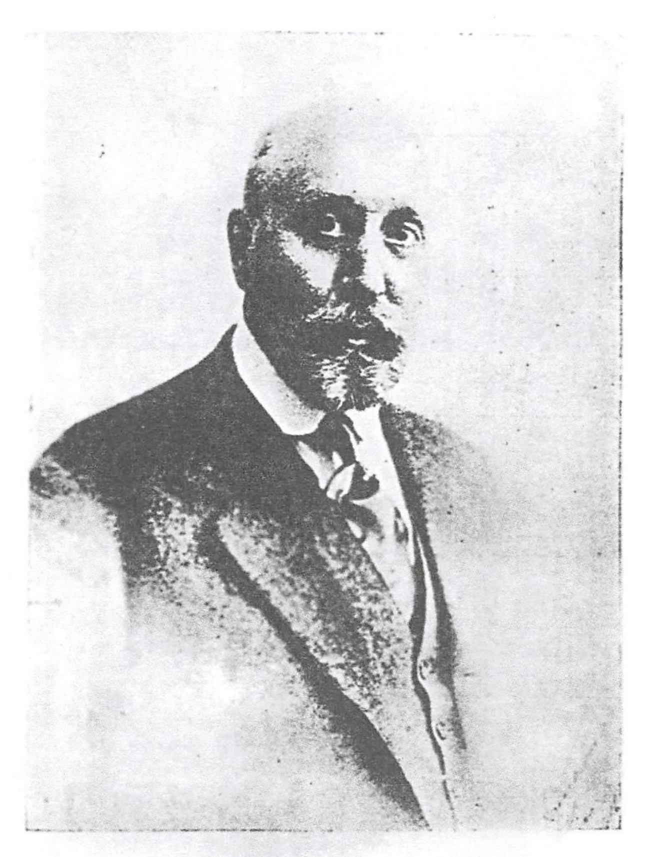


٢٩ . احمد لطفى بك
١٩٤٩/٨/١٤ - ١٩٥٠/٤/٢٧



٣٠ . احمد مرتضى المراغى باشا
١٩٥٠/٤/٢٧ - ١٩٥٢/١/٢٧

محافظو الإسكندرية في الفترة من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩٥٢



Feu Son Excellence A. A. SMIRNOFF

Chambellan à la Cour de Sa Majesté l'Empereur de Russie
Envoyé Extraordinaire et Ministre Plénipotentiaire en Egypte.

Дѣйствительный Статскій Совѣтникъ А.А.Смирновъ
Камергеръ Двора Его Императорскаго Величества
Чрезвычайный Посланникъ и Полномочный Министръ
въ Египтѣ.

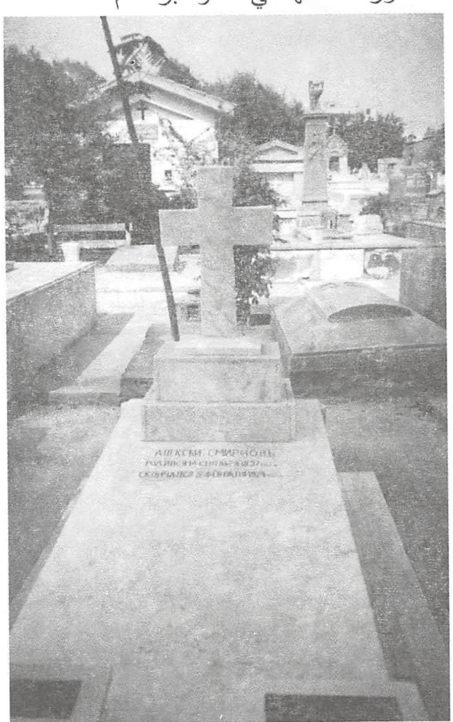
أ.أ.سميرنوف

ذ



ف.ف.بلياكوف و ج.ف.جارياتشكين عند مقبرة أ.أ.سميرنوف

فور اكتشافها في ٤ نوفمبر عام ١٩٩٩



شاهد مقبرة المبعوث أ.أ.سميرنوف بعد ترميمه

بالقاهرة القديمة، مقابر كنيسة مار جرجس



رجال الجالية الروسية في الإسكندرية

القنصل أ.م.بيتروف يجلس على اليمين، ١٩٣٩



كلمة السفير ن.ف.كارتوزوف في قداس عقد بمناسبة

وضع الشاهد الجديد على مقبرة أ.أ.سميرنوف بمقابر

القاهرة القديمة بكنيسة مار جرجس، ٢٢ سبتمبر عام ٢٠٠٢



القنصل أ.م.بيتروف. الإسكندرية



القنصل أ.م. بيتروف وعروسه ناتاليا إيفانوفنا

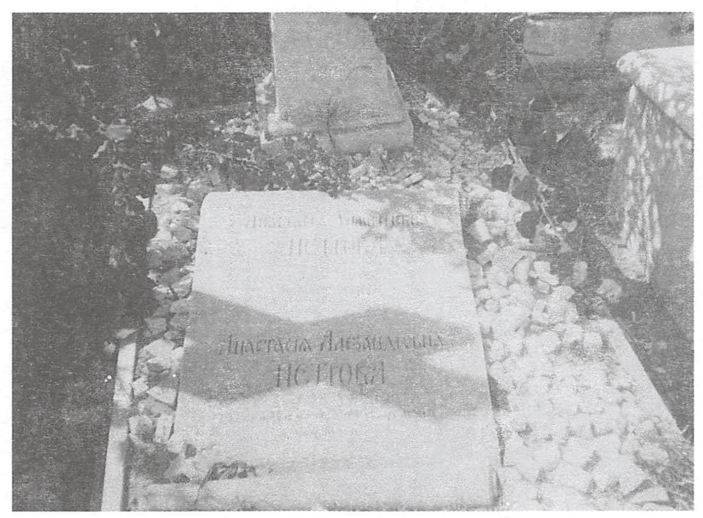
الإسكندرية، أوائل عام ١٩٢٠



والد القنصل أ.م..بيتروف
الجنرال م.إ.بيتروف

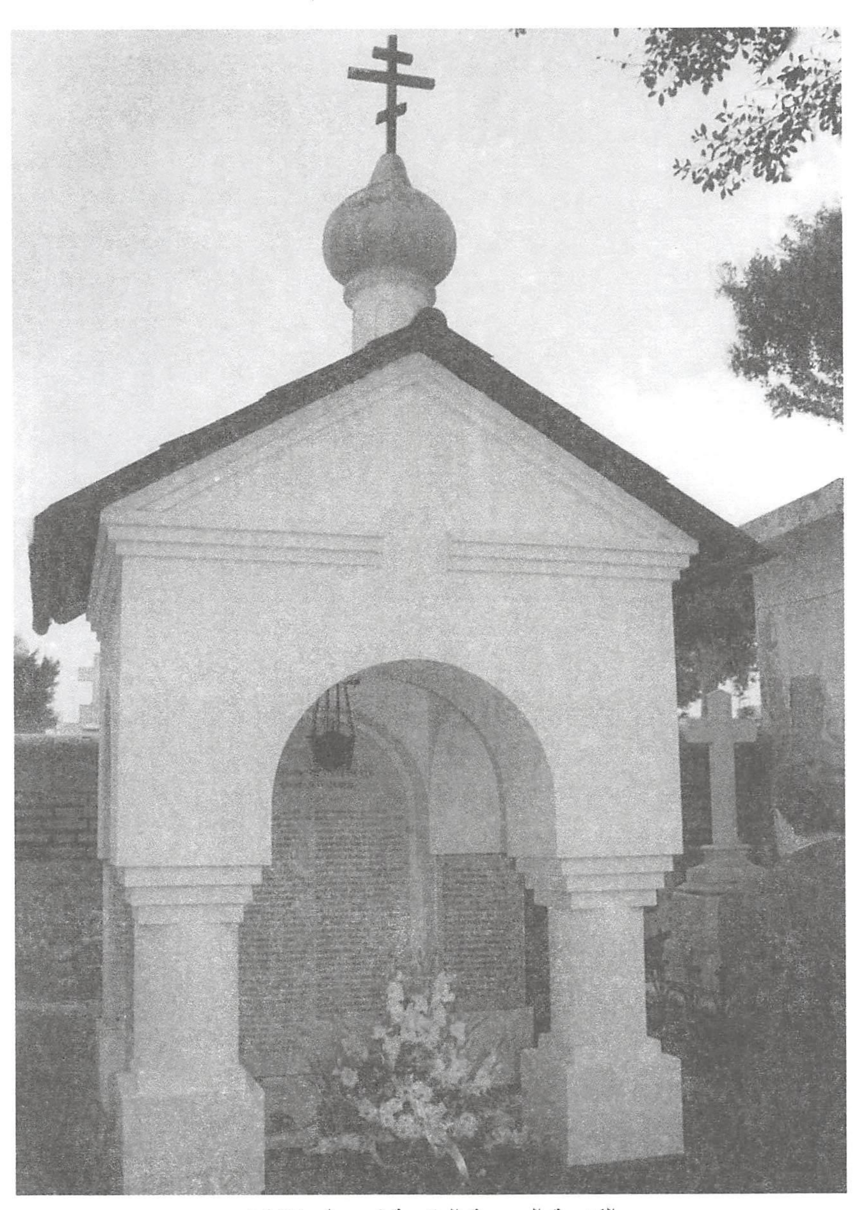


الأنستاسيتان- أم وابنة القنصل أ.م.بيتروف



مقبرة الأناستاسيتان- أم وابنة القنصل أ.م.بيتروف

الشاطبى، الإسكندرية



الكنيسة الروسية المقدسة في عام ١٩٣٤

الشاطبى، الإسكندرية



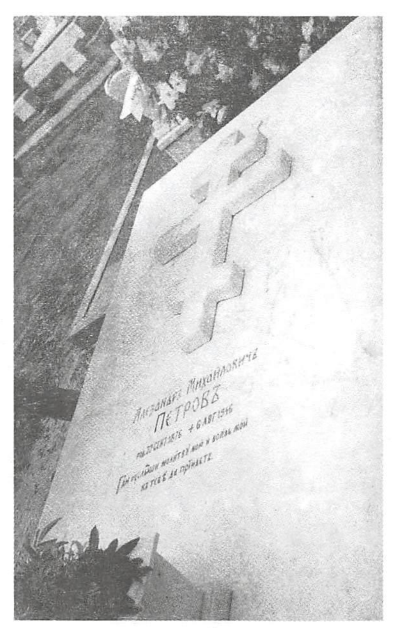
عند الكنيسة الروسية بالشاطبى

من اليمين إلى اليسار: القنصل أ.ب.كوجين، القنصل العام ن.م.خولوف، ت.ن.مونتى، الملحق د.تيسلينكو، رئيس المركز الروسى للعلوم والثقافة ج.ف.جارياتشكين.



عند مقبرة القنصل أ.م.بيتروف في يوم الاحتفال بمرور ١٢٥ سنة على ميلاده

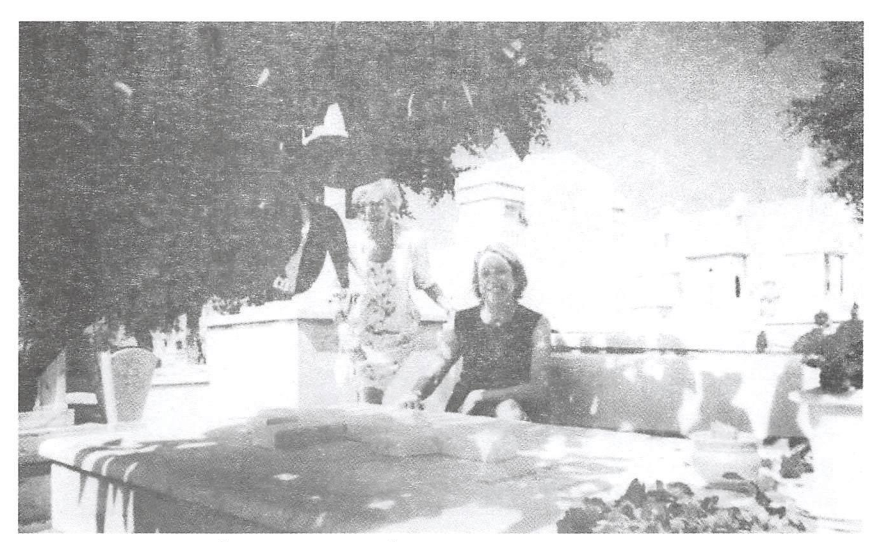
الشاطبى، الإسكندرية، عام ٢٠٠١



شاهد مقبرة القنصل أ.م.بيتروف بعد ترميمه،
الشاطبى، الإسكندرية



زفاف فارفارا ريربيرج وأناتولى دميدوف.
فى الوسط ف.ب.ريربيرت
الإسكندرية، حوالى عام ١٩٢٥



الابنة ماريا والحفيدة يلينا عند مقبرة الأب والجد القنصل أ.بيتروف،

الشاطبى، الإسكندرية



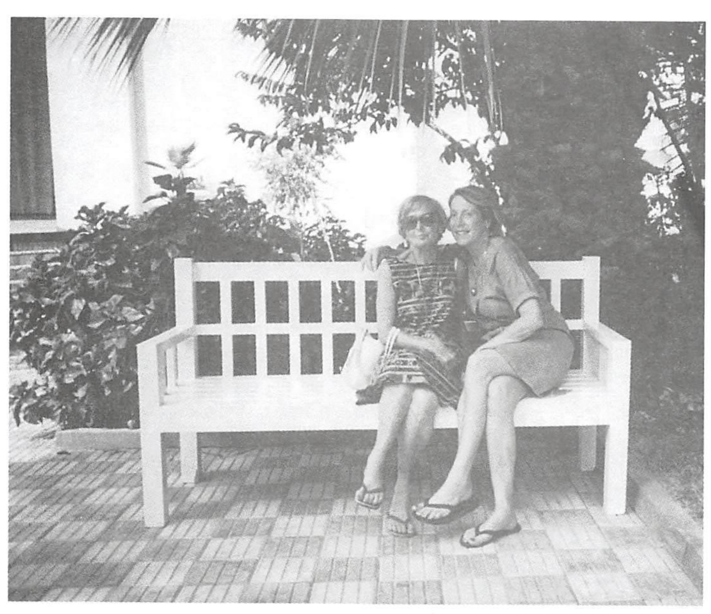
العرائس الروسيات في الإسكندرية

على اليسار: ابنة القنصل أ.م.بيتروف

فى مشارف سنوات ١٩٤٠-١٩٥٠



ماريا ابنة القنصل أ.م. بيتروف وحفيدته يلينا عند
فيللتهم السابقة، الإسكندرية، عام ٢٠٠١



ماريا ابنة القنصل أ.م. بيتروف وحفيدته يلينا في حديقة
المركز الروسى للعلوم والثقافة، الإسكندرية، عام ٢٠٠١



مدير المركز الروسى للعلوم والثقافة، نائب القنصل ج.ف.جاريانشكين مع الزوجين تاتيانا وساندرو مونتى، الإسكندرية، عام ٢٠٠٠



نائب القنصل في الإسكندرية

إ.ب.أوموف

ИВАН УМОВ

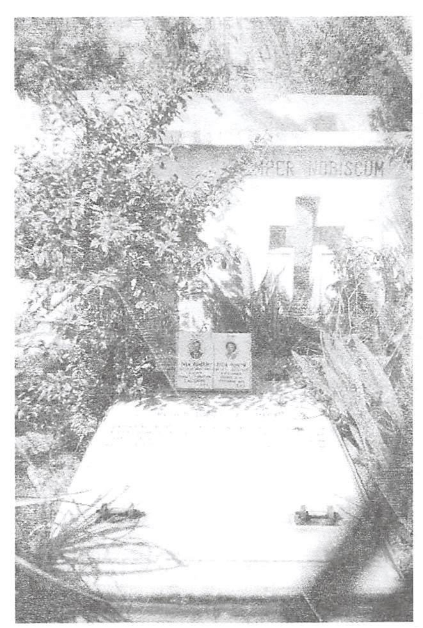
Незримый

ГОСТЬ

СТИХИ



مجموعة أشعار إ.ب.أوموف



مقبرة كاتيا و إ.ب. أوموف في مقابر المسيحيين
بالشاطبى في الإسكندرية



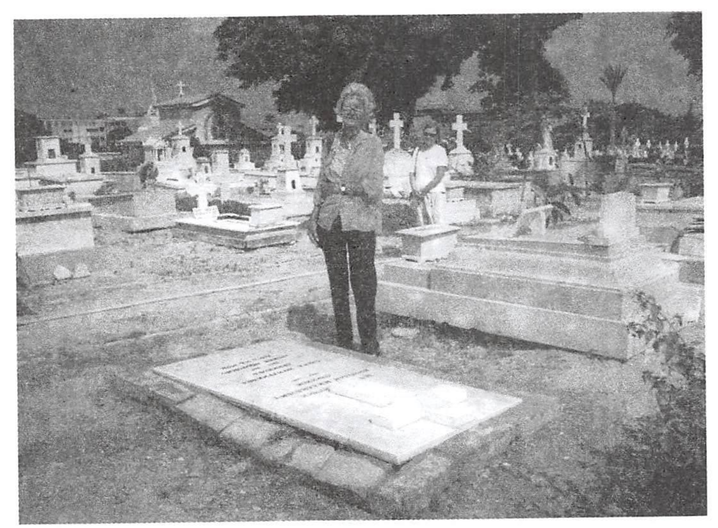
جزء من شاهد مقبرة كاتيا و إ.ب.أوموف، بالمقابر المسيحية
بالشاطبى في الإسكندرية



افتتاح معرض عن المهاجرين الروس في مصر (١٩٢٠-١٩٥٠)، من اليسار إلى اليمين: أمينة مكتبة المركز الروسى للعلوم والثقافة بالإسكندرية تانيا صابر، محافظ الإسكندرية م.محمد، تاتيانا مونتى، مدير مكتبة الإسكندرية، محسن زهران مدير المركز الروسى للعلوم والثقافة، ١٥ مارس ٢٠٠١



الجنرال ن.ف.جيلمجولتس
(١٨٥٦- ١٩٣٧)



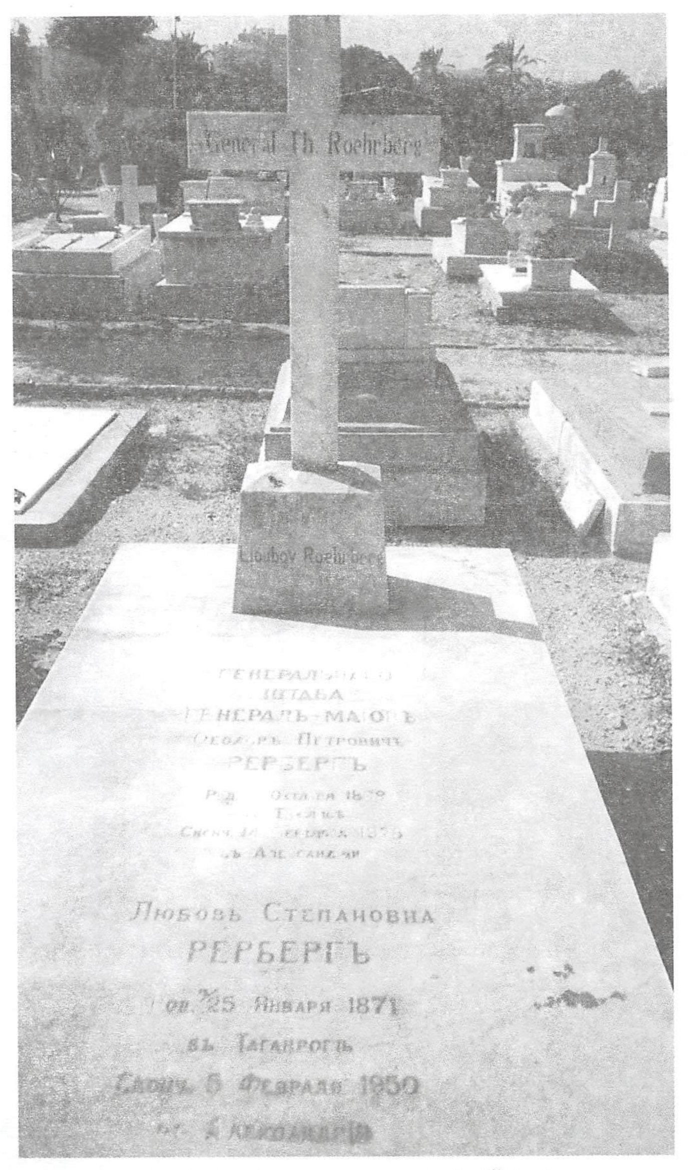
تاتيانا نيقولايفنا مونتى (سيريكوفا) عند مقبرة والديها.

الشاطبى، الإسكندرية. ٢٠٠٠



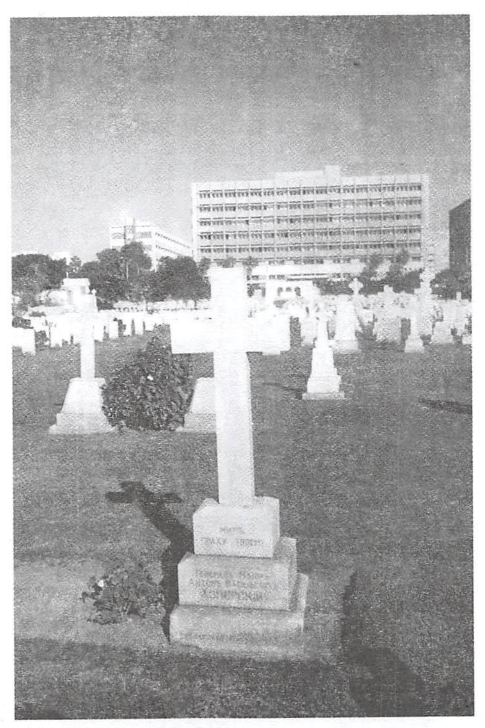
الصديقتان ت.ن.مونتى وز.بوبيليفا

الإسكندرية، عام ٢٠٠٠



مقبرة الفريق ف.ب.ريربيرت وزوجته لوبوف

ستيبانوفا بالشاطبى، الإسكندرية



شاهد مقبرة اللواء خوبيرسكى بالمقابر العسكرية الإنجليزية

فى الشاطبى، الإسكندرية



جزء من شاهد مقبرة الفريق أ.أ.بيسكروفنى،

الشاطبى، الإسكندرية



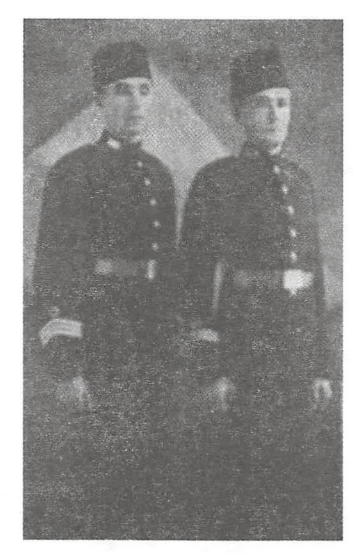
فرقة الغجر للغناء والرقص، الإسكندرية، عام ١٩٣٠



فرقة الرقص الروسى، الإسكندرية، عام ١٩٤٠



فرقة الغناء والرقص الروسى، الإسكندرية، عام ١٩٥٠



НАШИ ДОСТИЖЕНІЯ.
Констэбли египетской полиціи въ Александріи русскіе эмигранты. бр. Николай и Алексѣй **ВОЙТЕНКОВЫ.**

ألكسى ونيقولاى فويتينكوف



غلاف دفتر يوميات تلميذ بالمدرسة
الفرنسية بالإسكندرية: دميترى كون



عائلة كون في الإسكندرية، تاتيانا في وسط الصورة



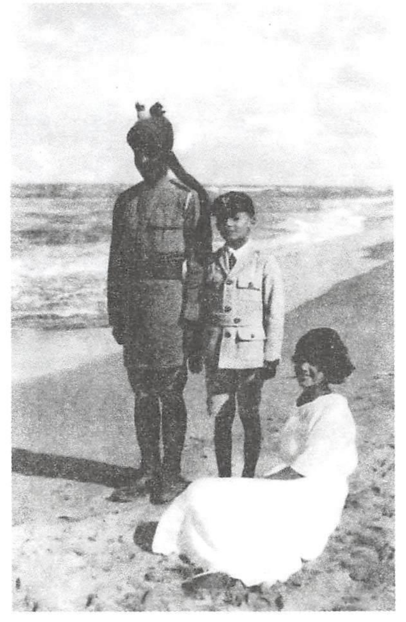
مجموعة من الكشافة الروس. ديما كون في وسط الصورة
مع كلب، الإسكندرية، عام ١٩٢٢



مهاجرتان روسيتان. الإسكندرية، ١٩٢٢



مجموعة أطفال روس على البلاج في الإسكندرية
من اليمين إلى اليسار: يورا يونجمايستر، ديما كون،
كوستيا كاربينسكى، ومجهولون، عام ١٩٢٠

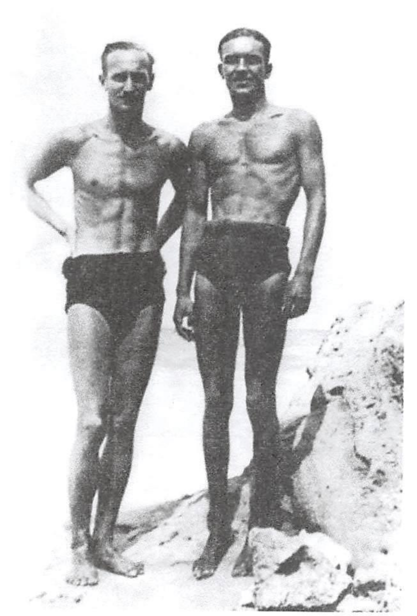


ديما كون مع والدته، سيدى بشر، عام ١٩٢٠



مجموعة من الروس مع أطفال، يقف ديما كون في اليمين

الإسكندرية، عام ١٩٢٠



د. كون (على اليمين) ويونجمايستير. الإسكندرية، عام ١٩٣٠



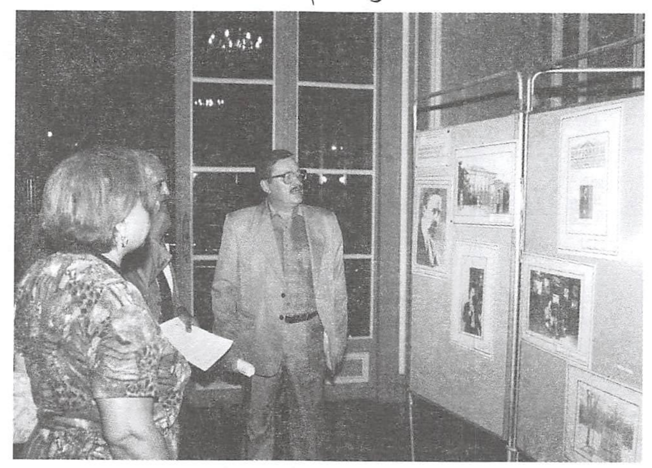
تاتيانا روبيرت– كون عند مقبرة جدها وجدتها.

القاهرة، مقابر كنيسة مار جرجس



الزوجان تاتيانا ونورمان روبيرتس.

القاهرة، عام ٢٠٠١



بمعرض مرور ١٢٥ عامًا على ميلاد إ.ي.بيليبين



إ.ي.بيليبين. فلاح. عام ١٩٢٢



إ.ي.بيليبين في معرضه الخاص بالإسكندرية، عام ١٩٢٥

EXPOSITION

IVAN BILIBINE

SOUS LES AUSPICES
DES AMIS DE L'ART



ALEXANDRIE

DECEMBRE + MCMXXIV

تذكرة دعوة لمعرض إ.ي.بيليبين الخاص

فى الإسكندرية، عام ١٩٢٤

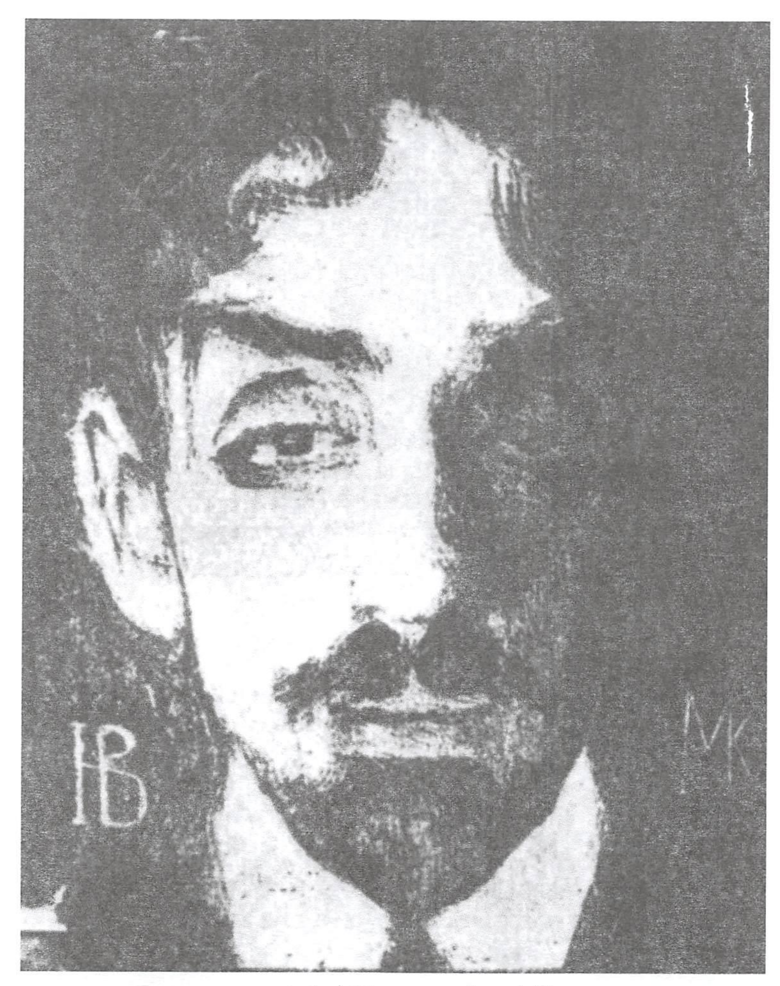


Марка александрийского общества-«Друзья искусства». 1924

شعار الجمعية السكندرية
"أصدقاء الفن"، عام ١٩٢٤



الشيخ محمد عبده



الشاعر الروسى ميخائيل كوزمين،

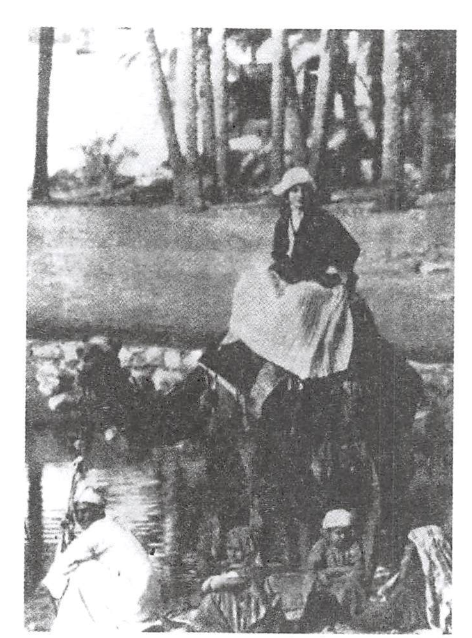
مؤلف "أغانى مصرية"



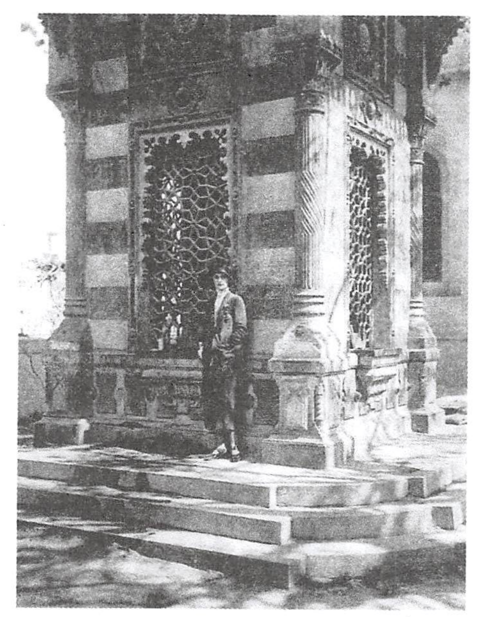
ك.إ.فاجنر– مدير المستوصف الروسي في القاهرة
والطبيب الممارس في الإسكندرية، عام ١٩٢٠



ب.ف.بولجانوف– أحد رؤساء المستوصف الروسى في القاهرة،
والمشرف على المتحف الطبى بكلية الطب بجامعة القاهرة



أنابافلوفا في الإسكندرية، عام ١٩٢٣



أنابافلوفا في الإسكندرية، عام ١٩٢٣

Большой театр Мухаммада Али
Александрия

Под управлением
Томаса Шафто

Компания BANDMAN'S EASTERN CIRCUIT Ltd.
имеет честь представить Бесподобную и Несравненную
Анну Павлову

Величайшую мировую танцовщицу,

при поддержке
Александра Волинина
и ее оригинальной лондонской компании
из тридцати выдающихся артистов в российском балете.
Музыкальный директор г-н Теодор Стиер

на сезон только из семи дней

ПРОГРАММА

Понедельник, 12 марта	«Амарилла», «Шопениана», «Дивертисменты»
Вторник, 13 марта	«Волшебная флейта», «Снежинки», «Дивертисменты»
Среда, 14 марта	«Очарованное озеро», «Сказочная кукла», «Дивертисменты»
Четверг, 15 марта (утро)	«Очарованное озеро», «Сказочная кукла», «Дивертисменты» (включая «Лебедя»)
(вечер)	«Коппелия», «Осень уходит», «Дивертисменты», «Ундина».
Пятница, 16 марта	«Польская свадьба», «Просыпающаяся Флора», «Дивертисменты».
Суббота, 17 марта	«Амарилла», «Шопениана», «Дивертисменты»
Воскресенье, 18 марта (утро)	«Спящая красавица», «Дивертисменты» и «Специальные дивертисменты» (вкл. «Лебедя»)
Воскресенье, 18 марта (вечер)	«Осень уходит», «Дивертисменты» (вкл. «Лебедя»), а также «Специальные дивертисменты».

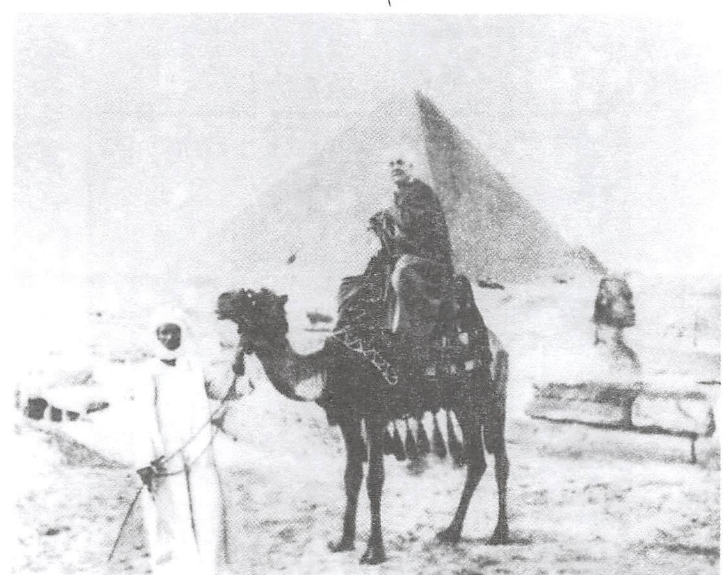
Открыта схема расположения лож
Звоните 5106 и заказывайте места

برنامج الجولة الفنية لفرقة أناباڤلوڤا في الإسكندرية، عام ١٩٢٣



ف.ب.شاليلبين على الباخرة التي وصلت إلى الإسكندرية

عام ١٩٢٣



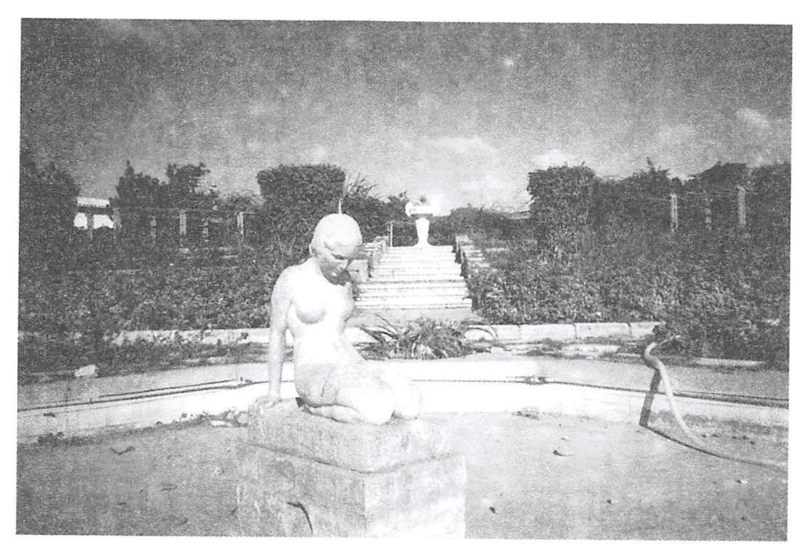
ف.ب.شاليابين عند الأهرام، القاهرة، ١٩٣٣



ف.إ.شاليابين، عام ١٩٠٣



ف.ب.شاليابين في الإسكندرية، ١٩٣٣



ب.أ.فرودمان-كليوزيل. عروس النيل



المثال بوريس فرودمان-كليوزيل



القنصل العام ن.م.خولوف ومدير المركز الروسى للعلوم والثقافة ج.ف.جاريانشكين في الإسكندرية بين المواطنين الروس مع أطفالهم في الاحتفال بليلة رأس السنة، عام ٢٠٠٢ بالقاعة الكبرى بالمركز الروسى للعلوم والثقافة



مبنى المركز الروسى للعلوم والثقافة، الإسكندرية

المؤلف في سطور:

جينادى فاسيليفيتش جارياتشكين

- ولد في عام ١٩٤٥ بمنطقة إيركوتسك.
- التحق في عام ١٩٦٣ بمعهد اللغات الشرقية بجامعة موسكو الحكومية الحاملة لاسم م.ف.لومونوسوف وتخرج فيه في عام ١٩٦٩.
- يعمل حاليًا أستاذًا بقسم تاريخ بلدان الشرق الأدنى والأوسط بالمعهد نفسه.
- عمل في مصر مترجمًا عسكريًا من ٢٣ أغسطس عام ١٩٦٩ ولمدة عامين.
- كان مديرًا للمركز الروسى للعلوم والثقافة بمدينة الإسكندرية من يوليه ٢٠٠٠ إلى يناير ٢٠٠٥.
- له العديد من المؤلفات والمقالات باللغتين الروسية والعربية عن مصر وتاريخ العلاقات المصرية- الروسية.

المترجم في سطور:

على فهمى عبد السلام

- من مواليد الإسكندرية عام ١٩٤٧.
- درس بمدرسة "كوليج سان مارك"، وتخرج فى كلية هندسة الإسكندرية عام ١٩٧٠، ثم حصل على الماجستير في عام ١٩٧٢ بمعهد التبين للدراسات المعدنية.
- ثم حصل على الدكتوراه بمعهد موسكو للصلب والسبائك في عام ١٩٨٠.
- يجيد اللغات الروسية والفرنسية والإنجليزية.
- عمل مهندسًا بشركة النصر للمسبوكات بالإسكندرية، ومجمع الحديد والصلب بحلوان، ثم انتقل إلى معهد التبين للدراسات المعدنية في عام ١٩٧٣؛ حيث تدرج في وظائف أعضاء هيئة التدريس الجامعية حتى حصل على لقب أستاذ عام ١٩٩٢، ورأس أقسام السباكة ثم هندسة التعدين والفلزات، وتم تكليفه بالقيام بأعمال وكيل المعهد للعلاقات الخارجية حتى صيف عام ٢٠٠٧، واستمر بعد بلوغه سن المعاش أستاذًا متفرغًا بالمعهد نفسه.
- عمل مساعدًا لمدير مركز الوثائق الفنية والجامعية- بعثة التعاون العلمي- سفارة فرنسا بالقاهرة في الفترة ١٩٨٠-١٩٨٣، ثم أعير إلى جامعة يولا التكنولوجية بنيجيريا حتى سبتمبر عام ١٩٨٤.

- عمل مديرا لمكتب جلاسكو في القاهرة من يناير ١٩٩٦ إلى ١٩٩٨، ثم نائبا لمدير شركة فوسيكو حتى يوليه ١٩٩٨.
- له أكثر من ٧٠ بحثًا علميًا منشورًا بالمؤتمرات والمجلات العلمية العالمية وأكثر من ٥٠ كتابًا علميًا مؤلفًا ومترجمًا، وعدد من القواميس العلمية متعددة اللغات، وعدد من الكتب الأدبية والتاريخية مترجمة عن الروسية ومنشورة بالمشروع القومي للترجمة ثم المركز القومي للترجمة. وتولى الترجمة الفورية في العديد من المؤتمرات الدولية.
- شارك في تأسيس الجمعية المصرية لخريجي الجامعات والمعاهد الروسية ودول الكومنولث، وكان نائبًا لرئيس مجلس إدارتها ثم رئيسًا لها حتى أواخر عام ٢٠٠٥.
- رئيس جمعية تنمية العلاقات الثقافية والعلمية مع روسيا وجمهوريات الاتحاد السوفييتى السابق منذ إنشائها في عام ٢٠٠٦ وحتى الآن.
- رئيس الجمعية السكندرية لخريجي المؤسسات التعليمية الناطقة باللغة الروسية.
- عضو الأكاديمية العلمية لعلوم البيئة وحماية الإنسان والطبيعة، وجمعية التنمية الصناعية، وجمعية علوم الجوامد، وجمعية التآكل ولجنة بحوث الصناعات المعدنية بأكاديمية البحث العلمي، وعضو شرف بمجلس المستشارين بالمعهد الأمريكي البيوجرافي.
- رئيس تحرير مجلة "السباكة"، رأس تحرير النشرة العلمية لمعهد التبين للدراسات المعدنية حتى يناير ٢٠٠٦، ومشرف على إصدارات "تكنولوجيا السباكة".

التصحيح اللغوى: محمود الطبلاوى

الإشراف الفنى: حسن كـامـل